رحلة الشتاء والصيف

تأليف

مُحَمَّد بن عَبد الله الحُسَيني المُوسَوي

الشهير بـ (كبريت)

١٠١٢ — ١٠٧٠ هـ

حققها وقدمها وفهرسها

الأستاذ

محمد سعيد الطنطاوي

هذه الطبعة
على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه

الطبعة الاولى

القاهرة ١٢٩٣ هـ

الطبعة الثانية

بيروت ١٣٨٥ هـ

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش
دمشق ، الحلبوني ص.ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقيا : اسلامي
بيروت : ص.ب ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يا من أودع كنوز الأرض اسرار حكمته يطلع عليها من جاب البلاد بحسن فطنته ، وخص كل بقعة بخاصة لا توجد الا فيها ، وجعل لهذا رغبة عن هذه فينأى عنها ، ولهذا رغبة في هذه فيصطفيها ، صل على نبيك ورسولك وحبيبك وخليلك سيدنا وسندنا محمد الذي شرّفت به كثيراً من البقاع ، وعطرت بآثاره الشريفة الأكم والقاع ، وعلى آله وصحبه ، وشيعته وحزبه ، أكرم من ساروا في أقطار الأقاليم فعمروها ، وأقاموا بالأراضي المجدبة وبهاطل بركاتهم غمروها ، ما اهتز بها أغصان الآمال ، بنسمات الاقبال وما تذكر مجروح الفؤاد على مر المنازل ، لذة الوطن والمناهل .

أمّا بعد فانه لا يخفى على من سبر الدهر وخبر أحواله ، ورأى تغيراته وشاهد في ذوي الفضائل أفعاله ، أن من ارتدى بمحامد الخلال ، وتحلى بحلي الفضائل والكمال ، نصب له الزمان مصايد المصايب [1] ، وأوقعه في شرك الهوان متجرعاً غصص النوى والنوائب ، فهو في وهاد حسراته ، محترق بنار زفراته .

---

(١) يجوز « في مصائب » الوجهان : مصائب ومصايب ، والهمزة سماعية ، والياء قياسية ، حتى قالوا : همز مصائب من المصائب .

إلا أن المؤلف لايقتصر في هذا الكتاب على استعمال الياء فيما يجوز ذلك فيه ، ولكنه يتوسع ويغرق اغراقاً مبعثه التسهيل الذي كان سائداً في ذلك العهد ومتعارفاً عليه . وهذا مايدفعنا إلى الإغضاء عماسيمر من ذلك في هذا الكتاب .

وكم للدهر من فعل عجيب ... به فيه أولوا الألباب حاروا
وأعجب ما يرى فيه فقيه ... مهان والجهول هو المشار
أمور لا يتم لها قياس ... أرانا شأنها الفلك المدار

وكنت ممن ناواه الزمان ، وكرّ عليه بسيف حيفه الحدثان ، اتقلب من الحسرات على فرش الغضا ، وأجد لما بي أضيق ما يكون سعة الفضاء ، فأعلل النفس بالأماني ، وأتسلى بذكر من لم يصفُ له التهاني. ولما عيل مني الصبر ، وأعياني هذا الأمر ، دعاني داعي الأماني والآمال ، وحركني فيه الرجاء والالتجاء الى الكريم المتعال ، أن أمتطي غارب الاغتراب ، حسب (فامشوا) والبركة في الحركة والله مسبب الاسباب، وأنشدني لسان الحال قول من قال [١] :

إن العلى حدّثتني وهي صادقة ... فيما تحدّث أن العزّ في النقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل [٢]

فاقتضى الأمر العزم على السفر ، واقتحام مهامه المشقة والخطر ، وقصد الأبواب الشريفة السلطانية ، والتملّي برؤية الموالي والأركان بالدولة المنيفة الخاقانية ، والوقوف على تلك المنازل والمناهل والاطلال ، وما أبرزته القدرة الالهية من القوّة

---

(١) البيتان للطغرائي من قصيدته المشهورة المعروفة بـ « لامية العجم» ، والتي مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

والطغرائي هو مؤيد الدين بن الحسين بن علي بن محمد الطغرائي المنشيء الدؤلي ، من ولد ابي الاسود الدؤلي ، من اهل اصفهان ، وكان عالماً فاضلا شاعراً كاتباً منشئاً ، وكان يميل الى عمل الكيمياء ، خدم السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وكان متولياً ديوان الطغراء — بذلك لقب — ثم بقي على علو منزلته حتى استوزره السلطان مسعود ، وجرى بينه وبين أخيه محمود الحرب وانهزم مسعود ، فأخذ الطغرائي أسيراً وقتل صبراً ، وقد جاوز الستين من عمره ، وذلك سنة اربع عشرة وخمسمئة على قول ابن الاثير او سنة خمس عشرة وخمسمئة على قول القاضي شهاب الدين .

(٢)فلك الشمس مقسم إلى اثني عشر قسماً يقال لكل منها برج . وهي: الحمل (او الكبش) والثور والجوزاء (او التوأمان) والسرطان والاسد (او الليث) والسنبلة (او العذراء) والميزان والعقرب والقوس (أو الرامي) والجدي (أوالتيس) والدلو (او الساقي او ساكب الماء) والحوت (أو السمكة) . وقد جمعها بعضهم بقوله :

حمل الثور جوزة السرطان ... ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي ... نزح الدلو بركة الحيتان

وبرج الحمل هو أعلى هذه البروج ، ومع هذا فالشمس حينما تحمله لاتبرح حتى ترتحل عنه ، لأن شرف العمل — كما يقول — اعلى من شرف المنزلة .

الى الفعل ومن عالم المثال الى عالم الاشكال .

ومن قبل تركيب اهوى كنت ساكناً ولكن برغمي حركتني العوامل
وسلكني دهري على غير منهجي ألا في سبيل الله ما الدهر فاعل

فامتطيت غارب الأمل الى الغربه ، وركبت مراكب المذلة والكربه ، قاصداً استعتاب الدهر الكالح ، واستعطاف الزمان الغشوم الجامح ، اغتراراً بأن في الحركة بركة ، وأن الاغتراب داعية الاكتساب .

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعده الدهر
فان نال بالسعي المنى تم قصده وان خالف المقدور كان له عذر

وهيهات مع حرفة الأدب ، بلوغ وطر او إدراك أرب ، أو مع عبوس الحظ ، ابتسام الدهر الفظ .

فما كل غاد نحو قصد ينـــاله ولا كل من زار الحمى سمع الندا

وكنت مهما وقفت عليه من خبر لطيف سطرته ، وأيما شعر ظريف ظفرت به قيدته وحبرته ، حتى وجدت لدي جملة من اللطائف والظرائف ، قد جمعتها أيدي الأقـــلام ، وأوقعتني عليها الأيام

إن الغريب إذا ما كان ذا قلم فليس ســـلوته الا بقرطاس
فيه يقيد ما يلتقاد من نكت ومن ظـرائف يبـــديها من الراس

فخطر لي ان أجعلها رحلة تعرب بحسن معانيها عن لطائف المعاني ، وتفصح عن عذوبة السجع بما يفوق رنات المثاني ، وأودعها ما أقف عليه في سفري من لطائف الأشعار ، وغرائب النكت التي هي لدى طالبها غالية الأسعار ، الى غير ذلك من منثور ومنظوم ، الى حين قدومي من الروم . لتكون نزهة لي ولأصحابي ، وتحفة أخص بها خلص أحبابي ، بل عبرة لكل طامع في غير مطمع ، بل عبرة تعبر عن مكتوم سر طالما تكلم وتوجع .

إن الفؤاد إذا تكدر لم يكن يصفو بغير شـــكاية وعتــاب

فإذ تحصل من ذلك ما تحصل ، وصح ما دار وتسلسل ، سميته :

« رحلة الشتاء والصيف »

وناسبت فيها مناسبة خلت من الخلل والحيف ، وما أشبهها بما قال :

رحلة لم يزل يفنّدني الصيـ ... ـف اذا ما نويتها والشـتاء
يتقي حرّ وجهي الحرّ والبر ... د وقد عزّ من لظى الاتقاء
ضقت ذرعاً مما جنيت فيومي ... قمطرير وليلتي درعاء
كنت في نومة الشباب فما استيـ ... ـقظت الا ولمتي شمطاء

واذ أذن فجرها بالصباح ، وصاح داعيها بالفلاحِ ، جعلتها خدمة لجناب من أناخت بفِناه[1] ركائب الأفاضل ، ووضعت على عليّ اعتابه جباهَها الأماثلُ .

حافظ السُنّة حفْظاً لا ترى ... معه ان تُعمِل الناسُ الأسنّه
مركز الدائر من أهل النهى ... فالى ما قد حوى تثنى الاعنّه

كيف وهو المولى الذي ارتفع مقداره على فرق الفرقدين[2] وعلا مقامه على مقام النيرين[3] ، منهاج وصول الأحكام ، معراج حصول المرام ، مجموعة الكمالات النفسانية ، خرِيدة السعادات الانسانية ، فاتحة احياء علوم الدين[4] ، ومحكم خاتمة قلوب العارفين ، شيخ الاسلام الذي إذا أفتى أفنى المهج وأحيا الأرواح ، وإذا افاد أجاد وأظهر من الاحسان ما يروق في الغدوّ والرواح ، واذا فسر أحيا مآثر القاضي أو المفتي بحسن سيرته ، وحلّ من المشكلات ما يعجز كل ماهر عن ابداء خفاياه وموضع نـكته :

راض العلوم فسَلْه عن دقائقها ... فعنـده للخفايا أيّ إدراك
تذللي يا فروع الفقه مثمرة ... له ليدنوّ منه حلوُ مجناك

---

(١) فناء الدار ـ بكسر الفاء ـ ساحتها التي لابناء بها .

(٢) فرق الرأس : مفرقه ، اي الطريق في شعره . والفرقدان : نجمان مضيئان وهما النجمان الاخيران من النجوم السبعة التي تؤلف كوكبة بنات نعش الصغرى ـ ويسميها المحدثون الآن بـ « لدب الاصغر » ـ ويضرب المثل باقتران الفرقدين وصحبتهما ، حتى قيل فيهما :

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

ويريد بفرق الفرقدين ـ على علوهما ـ أعلاهما .

(٣) النيران هما الشمس والقمر . (٤) إحياء علوم الدين هو الكتاب الجليل المعروف للإمام أبي حامد الغزالي . وكذلك : حصول المرام ، ووصول الاحكام ، والخريدة . كلها كتب تضمنها كلامه .

في النظم والنثر مازالت فصاحته | تقابل الدرّ اسلاكاً بأسلاك
وفاتح الباب في فنّ البيان فلا | يحتاج يوماً الى مفتاح سكّاك

هو سيدنا الذي لا زال مقداره عليا ، مولانا شيخ الاسلام يحيى بن زكريا ، متع الله المسلمين بطول بقائه ودوام أيامه ، وعطر الأكوان من ذكره الشريف بمسك ختامه ، ولا زالت ظلاله على الايام ممدودة الرواق ، وبدور سعادته وسيادته آمنة من الأفول والمحاق [١] ومناقبه الجميلة سائرة الأمثال في الآفاق .

ولا برحت تزداد عزاً ورفعة | بمنصبه العالي صدور المجالس

فقد قال الاسكندر في حق الحكيم الأوّل لما دوّن الحكمة وزين ديباجتها بألقابه : (من ذكرني فيما يبقى فقد أبقاني أبداً) .

ما تنسج الأيدي يبيد وانما | يبقى لنا ما تنسج الأقلام

وعسى أن يلحظها حظ فتتشرف بمطالعته ، ويصلني دهري الخؤون من بعد مقاطعته ، واذا كان علو مقامه يمنع من ذلك ، وما بي من القصور يقول لست هنالك :

ان الملوك وإن جلّت مناصبها | لها مع السوقة الاسرار والسمر

فقصة الاعرابي بإهداء قربة ماء الى خليفة الزمان ، واهداء رجل جرادة الى حضرة السيد سليمان ، معلومة عند سمو شانه ، وعلو مكانه ، ولقد قيل :

لو ان كل يسير رُدّ محتقراً | لم يقبل الله يوماً للورى عملا
المرء يهدي عـلى مقدار طاقته | والنمل يعذر في القدر الذي حملا

على ان الهدية ما كانت أقل ، فهي أجمل للأجلّ ، كما أن العطية ما كانت أجلّ ، فهي أفضل للأقل ، وإن كنت في ذلك كمن أهدى الزهر الى رياضه ، والقطر الى

---

(١) أفول النجم : غيابه . ومحاق القمر : زواله في آخر الشهر وامحاؤه ، وليالي المحاق ، هي الليالي الاخيرة من الشهر — القمري طبعاً — وتكون مظلمة لاقمر فيها ، وتسمى ايضاً بـ « ليالي السرار » ، بعكس الليالي البيض — التي يندب صيام ايامها — التي هي اضوأ ليالي الشهر (وهي ليالي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) يقول الشاعر :

ليال ينقضين ، وما شعرنا | بأنصاف لهن ولا ســرار

حيـاضه [١] ، ولنا القول وهو أدرى بفحواه ، وأهدى فيه من القطاه [٢] ، على أن الغرض من ذلك ، هو الالتجاء إلى ذلك الظلّ الظليل ، من جَوْر الزمان الظلوم ، وظلمة ليالي هذا الدهر الغشوم .

فالليالي من الزمان حبالى   مثقلات تلدن [٣] كلّ عجيبة

قال الامام زين العابدين نفع الله به : (هلك من ليس له كريم يعضده ، وضلّ من ليس له حكيم يرشده) .

تعدو الأعادي على من لاخفير له   وتتقي مربض المستأسد الحامي [٤]

هذا والمرجو من فتوّة من وقف على ذلك ، ونظر رياض هذه المسالك ، ان ينظر بعين الرضا اليها ، ولا يتحامل لتفريط أو افراط عليها ، فإن السُخْط يقلب اعيان المحاسن بالقبايح ، ويفتح أبواب السيآت والفضايح ، وكان يقال : (من رضي عن شيء تنعم به ، ومن سخط على شيء تعذب به) .

وعين الرضـا عن كل عيب كليلة   كما ان عين السخط تبدي المساويا [٥]

يروى ، ان القاضي عبدالرحيم البيساني ، كتب الى العماد الأصفهاني يعتذر عن كلام استدركه عليه : وقد وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك مثله أم لا ؟ وذلك اني رأيت ان لايكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غد لو كان غير هذا لكان أحسن ،

---

(١) القطر : المطر . والحياض : جمع حوض وهو مجمع كبير للماء

(٢) القطاة : واحدة القطا ، الطائر المعروف الذي يضرب المثل باهتدائه لطريقه ، حتى قيل : أهدى من القطا ! وهو الذي اشارت اليه حزام بقولها :

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطا ليلا لناما

(٣) المشهور في البيت : يلدن كل عجيب .

(٤) لم نعرف قائل البيت ولكنه محاكاة للبيت المشهور :

تعدو الذئاب على من لاكلاب له   وتتقي صولة المستوفز الحامي

ويتعلق به خبر طريف ينسب لأبي الاسود الدؤلي .

(٥) البيت في الاغاني « . . ولكن عين السخط . . » وهو لعبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر ابن أبي طالب يقوله للحسين بن العباس . وبعده :

وأنت أخي مالم تكن لي حاجة   فان عرضت ايقنت ان لا أخاليا

ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أجمل ، ولو ترك هذا لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر ، ودليل استيلاء النقص على جملة البشر .

ما خطّ كفّ امرىء شيئاً وراجعه　　الا وعنّ له تبديل ما فيه [١]
وقال ذاك كذا أولى وذاك كذا　　وان يكن هكذا تسمو قوافيه

والله تعالى المسئول ، ان يهبّ نسيمها بالقبول ، وان يسّهل لنا القدرة على الاتمام ، ويجعل من مسك القبول حسن الختام .

ما زال هذا البين يسقي كأسه　　من رَقّ من بين البرية طبعهُ
والدهر يقضي في الكرام بجَوْره　　حتى خلا من كلّ حُرّ ربعهُ

اوّل كأس تجرعته من مرامر البين ، فراق المنازل الحرمية الذي كاد يكون من سكرات الحين [٢] بعد ان قضيت الحج ببيت الله الحرام ، وتملّيت بالمآثر المحترمة الكرام ، وذلك في سابع عشر محرم الحرام ، افتتاح عام غلط [٣] . من هجرة أشرف مرسل عدل وما قسط [٤] ، صلوات الله عليه وعلى آله الميامين ، وعلى من قال آمين .

كان رحيلي عن طيبة [٥] عجبا　　وحادثـاً من حوادث الزمن
من قبل ان أعرض الفراق على　　قلبي وأن أستعـد للمحن

فبرزت من المدينة الشريفة ، والآثار الوريفة ، بروز من ضل رشده ، واحترق حشاه بفراقٍ قد بلغ أشدّه .

---

(١) في الاصل : « وما خط » وصحة الوزن بحذف الواو .

(٢) الحين : الموت ، والحرمية نسبة الى الحرمين الشريفين ، ويريد هنا المدينة المنورة . واطلاق الحرم على المدينة المنورة من باب التغليب كما يقال : القمران عن الشمس والقمر ، والعمران عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

(٣) يعني بذلك — في حساب الجمل — سنة ١٠٣٩ لأن الغين بألف ، واللام بثلاثين ، والطاء بتسع . والمؤلف مولع بهذا اللون من البيان ، وستجد له فيما يأتي نظائر .

(٤) يشير بذلك إلى الآية الكريمة : (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) . سورة الجن — ١٤، ١٥
القاسط : الجائر ، والمصدر منه قسط وقسوط ، اما المقسط فهو العادل الذي يقوم بالقسط . ومصدره : قسـط

(٥) طيبة من اسماء مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وفارقت حتى لا أراع من النوى ... وان غاب جيران عليّ كرام
وقدجعلت نفسي على اليأس [١] تنطوي ... وعيني على هجر الصديق تنام

فواهاً لزمن الاجتماع ما كان أغضّه ، وآها من انصداع الشمل فما أمضّه ، فيا لتلك المنازل التي سمت ان تسامى ، ويا لهاتيك المسامرة التي بها هواطل السرور تهامى

فارقتها لا عن رضى ، وهجرتها ... لا عن قلى ، ورحلت لا متخيرا
سعي لرزق في البلاد مشتت ... ومن العجائب ان يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متعففاً ... وأكف ذيل مطامعي متسترا
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى ... يعفو ، ولا جفني يصافحه الكرى

فسرت مع بعض الاخوان ، من ذوي المروءة والاحسان ، صحبة الركب المصري ، والعيون بالمدامع تذري ، لبعاد تلك المنازل ، وفراق هاتيك المناهل .

فمنّي إليها كلّ وقت تحية ... وساكنها في كل آن له السنا

ثم لم نزل سائرين في المنازل الحرمية الشريفة ، والمناهل السعيدة المنيفة ، والمقادير تقودنا كيف جرى القلم ، وأنا المنقاد الى حيث المشقة والألم .

أمامي من الحرمان جيش عرمرم ... ومنه ورائي جحفل حين أركب
فلو تهت في البيداء والليل مسبل ... عليّ جناحيه لما لاح كوكب

وما زلنا كذلك نجوب الفيافي والمسالك ، الى ان وصلنا ينبع النخل ، وروينا من من مياهه التي هي كمجاج النحل ، ولكن بعد ان تجرعنا المرامر ، وكادت تنشقّ منا المرائر ، مما قاسيناه في النقب من ضيق الطريق ، وازدحام القطر [٢] الذي فرق بين الرفيق ، الى غير ذلك من الأوعار ، ومصادمة الاحجار ، في ليل مظلم ، وهول مؤلم ، ولسان الحال ينادي في تلك الشعوب والبوادي :

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل [٣]

فائدة : يَنْبُع بصيغة مضارع نبع الماء ، إذا ظهر ، من نواحي المدينة المنورة على

---

(١) في الاصل : البأس ، والتصحيح عن « الفرج بعد الشدة » .

(٢) القطر : جمع القطار ، والقطار ، مجموعة الابل التي يربط فيها الجمل بسابقه فتؤلف قطاراً من الإبل .

(٣) البيت من لامية العجم للطغرائي ، التي مر منها بيتان آنفاً . وبعده :

ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني ... حتى ارى دولة الأوغاد والسفل

• أيام منها ، سميت بذلك لكثرة ينابيعها وعدتها مائة وسبعون عيناً ، ولما نظر الى جبالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لقد وضعت على نقب من الماء عظيم . وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم العشيرة من الينبع ، ثم اشترى قطيعة أخرى ، وكانت بها أمواله عيوناً تصدق بها . ومن محاسن الفيومي :

ان كان قد قضي الفراق وصدّني   عنكم حجاز من نوى لا يرفع
فأنا الذي دمعي العقيق وناظري   يا بدر بعد البعد عنكم ينبع

والنقب مضيق كثير الأوعار ، يسلكه الركب المصري في أيامه ، وهو على نصف مرحلة من خيف بني عمرو ، وهذا الخيف يشتمل على عيون جارية ، ونخيل باسقة ، ومنازل عامرة بسكانها . (ولنرجع الى ما كنا بصدده) فأقمنا بينبع المحروسة ، ومرابعها البهية المأنوسة ، ثلاثة أيام ، نهارنا تحت ظل النخيل ، وليلنا في مسامرة الصديق والخليل ، وكان ذلك آخر عهدي بالمنازل التي بها كل قصدي .

وكان عهد العين منذ نأت   بالدمع آخر عهد القلب بالجلد[1]

ولما كان وقت العصر من اليوم الثالث ، الذي هو آخر العهد بأيام الثالث [2] ، وأوله بالليالي العوابث ، زعق نفير الحاج ، وأخذ الركب في الحركة والهياج ، فلحق العشاق من ألم النوى لمفارقة الحجاز ، ما أجرى دمعهم رملاً على ذلك الصعيد الطيب ، وأخرجهم من الحقيقة الى المجاز ، ثم في أقل من نظر محب الى حبيبه ، أو شكوى عليل الى طبيبه ، حمّل الركب وسار ، ولم يبق له أثر في الدار .

كأنما حجل كانت بسفح ربي   فرّت كأنهم بالسفح ما كانوا

فارتحلنا في تلك الساعة البهية ، متوجهين الى نحو الديار المصرية ، فقاسينا في السفر ما لا يطاق ، واحتملنا من نخع النعم ما ازورته حمل المشتاق .

---

(١) البيت مكسور ، ولعل صوابه :
وكان آخر عهد العين منذ نأت   بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
أوهو : وكان عهد مآقي العين . . . .
والنأي : البعد .

(٢) كذا في الاصل . ولم ندر مراده من ايام الثالث .

ولما تناءت بالأحبّة دارهم وصرنا جميعاً من عيان الى وهم
تمكّن مني الشوق غير مسامح كمعتزلي قد تمكّن من خصم

ثم تمادى بنا السفر من بعد العصر الى أن اسفر الفجر ، ورق جلد ما معنا من الدواب ، وتفرق شمل رفاقنا بين تلك الروابي والشعاب ، ثم انخنا الركاب ، بقفر خلا من المياه والاعشاب ، فقلنا به(١) ذلك اليوم ، وقلنا نأخذ فيه راحة ما بالنوم ، ومن اين يجد الخاطر به القرار ، وهو المعروف بوادي النار .

ما طاب عيشي بروض زاهر خضر حتى يبيت بقفر لا نبات به (٢)

ولما هبّت الطوارف ، نفر الركب متطايراً كالوجل الخائف ، فاقتحمنا تلك القفار ، وانطوى بنا في السير الليل والنهار ، حتى أسفر الفجر ولاح ، وتشعشع بضيائه الصباح ، فأنخنا بواد يقال له نبط ، خال من الأثل والخمط (٣) .

فائدة : في كتاب « برهان الاعجاز في منازل الحجاز » نَبْط بفتح النون وسكون الموحّدة مفازة عرضها الميل وطولها (سو)(٤) ، وهي شرقي الجنوب ، بها الآبار عذبة المياه ، وفيها يقول أبو عبد الله الفيومي :

روّ من نبط لهيبي واسقنا ثم توجه

---

(١) من القيلولة ، وهي نوم الظهيرة ، عندما يشتد الحر ، بعيد الظهر او قبله . والعرب تسمي النوم في كل وقت من اوقات النهار باسم خاص : فالنوم بعد الفجر : عيلولة (لأنه يبعث العلة في الجسم) ، وفي اول النهار : فيلولة (لأنه يفل القوى ويدعو الى الكسل) ، ونوم الظهيرة : قيلولة (وهو النوم الطيب الوحيد في النهار) ، ونوم بعد العصر : غيلولة (لأنه يغتال العقل : من نام بعد العصر فاغتيل عقله فلا يلومن إلا نفسه) .

(٢) كذا في الاصل . والأقرب ان يكون :حتى يطيب بقفر لانبات به .

(٣) وكأنه يشير الى الآية الكريمة : « وأبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ؟ »
يريد ان ذلك الوادي كان قفراً خالياً من كل شيء حتى ذلك اليسير .

(٤) تقابل (سو) بحساب الجمل ستة وستين . أي ان طول المفازة ستة وستون ميلا .

ودع الحـــورا فـــاني صرت أشناها وأكره [١]

ثم لم نزل كذلك ، نقطع هاتيك المسالك ، غوراً ونجداً ، ومفازة ووِرْدا ، حتى أنخنا بالحوراء، وهي ساحل خليج القلزم ، المعروف ببحر السويس ، ومبدؤه من باب المندب الى أن يتصل بالبحر الهندي ،وطوله ألف وأربعمائة ميل، كما في (الخريدة) ، وفي (الخطط) ألف وخمسمائة ميل ، وعرضه من أربعمائة الى ما دونها ، وهو بحر كريه المنظر والرائحة ، وفيه مصب الدجلة والفرات، وعلى جوانبه السند واليمن [٢] ، كأنها جزيرة أحاط بها الماء من جهاتها الثلاثة ، وهو يروع نهر مهران كروع البحر الرومي نهر النيل ، وسمي القلزم باسم مدينة كانت بساحله الغربي بشرقي مصر ، ويعرف موضعها اليوم بالسويس ، والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي ، وكانت فرضة مصر والشام ،ومنها يحمل الى الحجاز واليمن، وهذا البحر انما هو خليج يخرج من المحيط ، ويعرف ببحر الظلمات ، لتكاثف البخار الصاعد وضعف الشمس عن حلّه ، ولم يوقف من خبره الاعلى ما عرف من بعض سواحله ، وما قرب من جزائره طال الكلام ، وخرج عن سلك النظام :

ولربما ساق المحدّث بعض ما ليس النديم اليـه بالمحتاج

---

(١) الحورا تسهيل الحوراء ، ذات الحور ، وهو شدة سواد العين في شدة بياض . إلا ان المقصود هنا موضع على ساحل البحر الاحمر يدعى الحوراء. والحورا هذه جزء من تاريخ الصراع بين الحق والباطل ، وذلك ان البرنس صاحب الكرك — من زعماء الصليبيين الذين قذف بهم حقدهم على الاســلام من اوربا الى الشام — عمل اسطولا في بحر ايلة ، وساروا في البحر فرقتين ، فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ، وفرقــة سارت نحــو عيذاب يفسدون في السواحل ، وبغتوا المسلمين في تلك النواحي ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر — اي البحر الاحمر — فرنجاً قط ، وكان بمصر الملك العادل ابو بكر نائباً عن اخيه السلطان صــلاح الدين — الايوبي — فعمر اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي الاسطول بديار مصر ، وكان مظفراً فيه شجاعاً ، فسار لؤلؤ مجداً في طلبهم ، واوقع بالذين يحاصرون ايلة ، فقتلهم واسرهم ، ثم سار في طلب الفرقة الثانيه ، وكانوا قد عزموا على الدخــول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى ، وســار لؤلؤ يقفو اثرهم ، فبلغ رابغ ، فأدركهم بساحل الحورا ، وتقاتلوا اشد قتال ، فظفره الله تعالى بهم ، وقتل لؤلؤ اكثرهم ، واخــذ الباقين اسرى ، وارسـل بعضهم إلى منى لينحروا بها ، وعاد بالباقــين إلى مصر ، فقتلوا عن آخرهم .

وكان ذلك في سنة ثمان وسبعين وخمسمئة .

(٢) خلط جغرافي متشابك ، وسيتراجع عن بعضه بعد نحو عشرين صفحة . وأشناها : ابغضها ، من الشنآن وهـو البغض .

وبالجملة فان الحديث شجون ، والجنون فنون، والأمر كما قال ، في تأليف القيل والقال :

لو لم أقل هذا وهذا وذا بأيّ شيء كنت أملي [١] الكتاب ؟

والحوراء هذه تشتمل على اشجار ملتفة ، وبهاشجر الأراك ، واطيار متنوعة ، الا أن ماءه في غاية الكدورة ، مفرط في الاسهال ، وقلت لما ذكرت بها فضيلة العين الزرقاء :

قد أتينا الحوراء في يوم حرّ شمسه كالعقيقة الحمراء
وشربنا مياهـه وحمدنا اذ عرفنا فضيلة الزرقاء

ويعجبني قول القائل :

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فلا تعذلوني إن فُتِنْتُ بها عشقا
يقولون في زرق العيون شآمة وعندي أنّ اليُمْنَ في عينها الزَرْقا [٢]

فائـدة : العين الزرقاء منسوبة الى الازرق ، مروان بن الحكم ، لأنـّه أجراها وهو وال على المدينة المنوّرة، وأصلها من غربي مسجد قبا ، تجري الى المصلى ، وعليها قبة ، الماء منها في وجهين، شرقي وشمالي ، كذا قيل ، ولعل الزرقاء صفة للعين ، لأنّ جميع مياه ذلك الوادي ترى كالنيل الأزرق ، ولأنّ ذلك الماء قبل مروان وآبائه ، وكانت بالمدينة عيون متنوّعة متعدّدة، وقد صارت في خبر كان ، إلا أن ذيولها وآثارها تشهد لها ، قيل: وكان يُجذ بالمدينة وأعراصها : مائة وخمسون ألف وسق بعير من التمر ، ويحصد مائة ألف وسق من الحنطة .

ويروى أنّ المدينة من عيون النبع غير الجارية ستة عشر ألف سانية .

حكي السمهودي في « الخلاصة » : أنه لما قدم المدينة تتبّع احصاءها، فكانت كذلك، وهذه « الخلاصة » من أحسن تواريخ المدينة الشريفة ، وأنشدني في ذلك اجازة لنفسه الشيخ ابراهيم أبو الحرم :

---

(١) لعلها أملا

(٢) كانوا يتشـاءمون بذوي العيون الزرق — والعيون الزرق تكثر في الافرنج ، وما اعظم ماجروه الينا من شؤم — واليمن ضد الشؤم . والعين الزرقاء : هي العين المباركة التي يقال ان مروان بن الحكم جرها إلى المدينة ، ومنها كان يشرب اهل المدينة فيما مضى ، وهي شربهم الآن.

من رام يستقصي معالمَ طيبة ويشاهدُ المعدومَ كالموجود
فعليه باستيفاء تاريخ الوفا تأليف عالمِ طيبة السمهودي

ابو عبدالله الفيومي المكي :

إني إذا نَزَحتْ ديارُ المصْطفى وازداد شوقي نحوها وحنيني
طالعت في تاريخه السامي لكي أمشي على آثـاره بعيوني

وبالجملة فان في التاريخ مشاهدة ما ، فهو كما قيل [١] :

أملياني حديث من سكن الجز ع ولا تكتباه الا بدمعي
فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلّي أرى الديار بسمعي

وما أطيب قول النيسابوري :

يا عين إن بَعُد الحبيبُ ودارُه ونأتْ مرابعه وشطّ مزارُه
فلقد ظفرتِ من الحبيب بطائل إنْ لم تريه فهذه آثـاره

عوداً الى ما كنا بصدده ، وانعطافاً على ما يستعان بمدده ، فأقمنا بها يومين لما قاسته الرحال والرجال ، ولم تكن دار اقامة ، ثم ارتحلنا قاصدين (اكره) ، متأملين بعين الفكرة ، ناظرين إلى الأنفس والآفاق ، وما فيها من سرّ تدبير الخلاق ، حتى وصلنا اليها ، لا أعادنا الله عليها ، وأكْرَه بوزن جمرة ، مسيل قفر ، وماؤه مرّ زعاف لا تقبل عليه النفس الا بالكره ، وقد توجد بتلاعه ديم . وفي (البرهان) أكرا [٢] بألف مفردة من أعمال الحوراء ، وبينهما منزل للركب يعرف بالحُرَيْرَة ، مصغر الحرة ، وهي منتهى أحكام الحجاز الشريف .

ثم ارتحلنا سائرين في بواد وقفار ومفاوز وحِرار [٣] ، إلى أن واجهنا (الوجـه

---

(١) والقائل هو الشريف الرضي ، وهو المبرز المختص في هذا الضرب من استنطاق الجوارح وإنابة بعضها عن بعض .

(٢) اكرا هذه في الحجاز ، وهي غير اكرا الواقعة جنوب دهلي في الهند — وتلفظ بالجيم المصرية — منزل اباطرة الهند المسلمين ، التي بنى فيها السلطان شاهجهان تاج محل ، اجمل ابنية الدنيا .

(٣) المفاوز جمع مفازة ، وهي الصحراء المهلكة . والحرار جمع حرة ، وهي ارض ذات حجارة سود نخرة ، والحرار تكثر في جزيرة العرب ، « وقد جاء في صفة مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، يثرب ، انها ارض ذات نخل ، بين حرتين » .

المبارك) ، بعون الله تعالى وتبارك ، ولاقينا فيه الازالمة بالمبرات ، واتصلت بنا أخبار مصر بالمسرات ، ويباع فيه العليق بأقل من سعره في مصر ، والوجه هذا شعب فيه قلعة لطيفة فيها بئر وخارجها بئران ، وكلها مطوية ،(١) وماؤها من السيول ، وربما لا يوجد بها أيام المحل ، وهي منتهى أحكام مصر ، وسمي (٢) بذلك لأن به تكون مواجهة الركب ، وكانت أوّلاً بالأزلم . أنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني وقد مرّ به فوجده متسنياً :

أتينا إلى الوجه المرجّى نوالُه فشحّ ولم يسمح بطيب نداه
وأسفر عن وجه وما فيه من حيا فقلت دعوه ما أقلّ حَياه

ولما عاد إليه وجده ممطوراً قد صفت مشاربه ، واخضرت جوانبه ، وطاب به المقيل فقال ، وذلك مقال المستظل في الكلال :

أرانا الجميلَ الوجهُ معتذراً لنا فأوليتُه شكراً وما زلتُ مُثْنياً
وأطرقتُ نحو الأرض رأسيَ خَجلةً وما أسْطعتُ رفعَ الرأس من كثرة الحيا

قلت : وإذا كان الحياء بمعنى ضد الوقاحةِ ممدوداً ، كما قيل في حديث (الحياء من الايمان) والحيا بمعنى المطر مقصوراً ، فما تمت التورية في النظم ، اللهم الا أن يقال ذلك على رأي من يرى قصر الممدود في الشعر ، وهو اكثر من مد المقصور ، فلا كلام .

وفي المغني لأبي عبد الله الفيومي :

ولما وجدنا الوجهَ عند وروده خَلياً من الماء القَراحِ فناؤه
زممت مطيّي ثم قلتُ ترّحلوا فلا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه

وقال آخر :

أقول ووادي الوجه سال من الحيا وقد طاب فيه للحجيج مقامُ
على ذلك الوجهِ المنيرِ تحية مباركةٌ من ربّنا وسلامُ

---

(١) اي مبنية ، فان البئر بعد ان تحفر تبنى بالحجارة لئلا تنهار وترتدم .
يقول الشاعر :

فان الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويت

(٢) اي الوجه .

وما أرجح قول القيراطي :

أتيتُ الى الحجاز فقلتُ لما تبدّى وجههُ لي وارتويتُ :
وكم في الأرض من وجهٍ مليحٍ ولكن مثلَ وجهك ما رأيتُ

ثم ارتحلنا منه ونزحنا عنه ، حتى أتينا على (الأزلم) وتحملنا المشقة والألم ، وهو واد فيه قلعة ، يودع فيها ودائع الحاج للرجعة ، وخان خراب كان قد بناه الناصر فهدمه الغوري ، والأمر دائر بين هدم وبناء ، لا الباني يكلّ ولا الهادم يملّ ، يـا حيرتي ما أعجب ما قال :

متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدم؟

وماء هذا الوادي مرّ يكاد يفطر الأكباد ، وهو كثير السنا ، ونصف الطريق من مكة المشرفـــة ، ومنه الى الينبع ربع ثالث [1] ، وبينه وبين الوجه فضاء بين جبال يقال له اصطبل عنتر ، وواد آخر يسمّى السماق والدخاخين وهو كثير الشوك والحطب . ومما قيل في الأزلم :

الأزلم المشهور قبّح ذكرُه لم تصفُ عيشةُ من بواديه ألمّ
ما زال عن قلبٍ مرارةُ مائـِه إلا وأهدى من قساوته ألمِ

ثم لم نزل نجوب البوادي ، ونقطع الفدافد خلف الدليل والحادي ، حتى أتينا على (المُوَيْلِـح) ، ولا أدري أهو مشتق من الملاحة أم الملوحة ، أم الحال كما قال: (ذات لما في نفسها وجهان) . وبالجملة فهو ساحل راقَ ماؤه وصفا ، وطاب به العيش حتى كأنه ما ذاق طعمَ الجفاء ، قد اخضرّت جوانب بقاعـِه ، وتحقق لدى روضه ما نسخه الورد الذكيّ برقاعه ، فأقمنا به ثلاثة أيام تحت البواسق [2] ، ونشرُ تلك الرياض العبيرية عابق ، نهارنا على الماء والخضرة والوجه الحسن ، وليلنا على ارتشاف كؤوس الآداب ونفي الوسن ، حتى انقضت تلك الليالي كأنها سِنة [3] ، وقلنا في نفوسنا هذه أوّل مسرات هذه السنة ، فللّه هاتيك الأيام ، وما اشتملت عليه من الجمع التام، واتفق

(١) ان الأزلم في نصف الطريــق الى مكة المكرمة ، وينبع في نصف النصف الباقي ، فتكون في ثلاثة ارباع الطريق .

(٢) اي الأشجار البواسق ، وهي العالية .

(٣) السنة بفتح السين العام ، وبكسرها الإغفاءة اليسيرة « لاتأخذه سنة ولا نوم »

في المويلح على الرخاء ما لا تصفه الأقلام ، ولا تحويه الأرقام ، وفيه السمك الطريّ ، والفواكه المتنوّعة ، والأراك الكثير ، ومما قيل فيه :

سألوا مديحَ مناهلٍ فأجبتهم ... هذي المناهلُ مدحُها لا يصلح

وأقول إن ألزمتم بمديحها ... هذا المويلح في المناهل أملح

وبالجملة فإنه لم يكن في تلك المنازل ، أحسن من هذا الساحل ، مياهه بالنسبة الى تلك المنازل مستعذبة ، وبساتينه مزهرة طيبة ، جوّه فسيح ، وهواؤه صحيح ، فلا زال كذلك ، جنّة في تلك المسالك .

(قال في البرهان) المُوَيْلِح بالتصغير ساحل بالقلزم ، يشتمل على أشجار متناسقة ، ونخيل باسقة ، ومياه سائغة في الجملة ، وفيه قلعة حصينة ، ومنازل وعرب ، عرضه (كح) [1] وطوله (عب) [1].

ولما كان آخر اليوم الثالث ، وقد رق ثوب الأصيل ، رحلنا منه قاصدين (عيون القصب) وهي مقصبة ينتهي اليها ماء من عين جارية من مسافة طويلة ، على نخيل باسقة ، وأشجار متناسقة ، قد يؤتى منها بأثمار فتباع على الركب ، وقد انقطع ذلك لانقطاع عوائد العرب من صلات السلطنة ، فلذلك ارتفعت العرب ، وصار الوادي مخيفاً ، وماؤه في غاية العذوبة ، يجري من بين القصب الفارسي ، بين نبت مختلف طيّب الطعم والرائحة ، ومما قيل فيه :

قصبُ الوادي هبوا لي ماءَه ... ففؤادي فيه حرّ الوصبِ

أو قفوا بي برهة يا رفقتي ... أتروّى من عيون القصبِ

وهذا الماء يجري من أعلى صخرة ثمة على ظهر الوادي بمقدار ميل ، ثم يغور في الرمل. وزعم بعضهم أنه ثقيل ، سريع التعفن ، يكره الاكثار منه . قال الحافظ ابن حجر في كتاب « انباء الغمر » : في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة حفرت بعيون القصب بئر عظيمة ، فعظم النفع بها ، وكانت عيون القصب تجري من واد عظيم ينبت فيه القصب الفارسي ، ويجري الماء من بين تلك الغابات ، وكان للحجاج به رفق ، بحيث يبيتون به ليلة ، ثم

---

(١) كح = ٢٨ ميل . و : عب = ٧٢ ميل ، وذلك بحساب الجمل . اذ الكاف بعشرين ، والحاء بثمان ، العين بسبعين ، والباء باثنين .

غمرت تلك العيون ، وصاروا يقنعون بالحفائر ، فأشار ناظر الجيش لما حج بحفر البئر فخرج ماؤها عذباً فراتاً ، إنتهى كلامه . قلت : وقد أجرى الله تعالى عوائد برّه وعاد الماء الى مجاريه .

ثم قمنا منه حتى أتينا على مغاير شعيب عليه السلام ، وهي حفائر حلوة تحكي النيل فيما قيل ، في واد فيه نخل وأثل ومقل ، بين جبال متضايقة ، كثيرة المخاوف ، وفيه بئر دارسة ، وأبنية متهدمة ورسوم ، يقال انها مدين .

قال صاحب « تقويم البلدان » : مدين على شاطيء بحر القلزم ، وهي خراب . وأما البئر التي استقى منها موسى عليه السلام ، فقد بني على أفنيتها بيت من صخر ، فيه كهف يسمّى كهف شعيب عليه السلام ، وكانت تأوي اليها غنمه ، وحولها قبور منقورة في الصخر فيها عظام بالية كأمثال عظام الابل . ولا أثر لذلك الآن غير تلك الساقية التي بيد بني عطيفة ، وحفر الماء العذب . وفيها يقول ابن أبي حجلة :

ولمّا وردنا ماءَ مَدْيَن بُكرة ... وجدتُ عليه الناسَ يسقون بالقُرَبْ
فاطربَ حادي الراقصاتِ مسامعي ... كما أطرب التشبيب من أعين القصب

ثم لم نزل نجوب الوهاد ، ونقطع هاتيك البواد ، حتى أشرفنا على شرفة بني عطيفة ، وهي في واد قفر كثير الحطب ممحل ، لا يكاد يمرّ به الطير ، اتفق انه لم يكن في الركب الا من اشتكى الظمأ ، الا من كان في حظيرة (إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنَا عَلَيْهِ) ومما قيل فيه :

وقد حَلَلْنا بواد لا أنيسَ به ... بنو عطيفة قد سمّوه بالشَرِفَهْ
فنالنا منه بعد العيّ أربعةٌ ... بردٌ وخوفٌ ظما والريحُ مختلفهْ

ذكرت بهذه المشقة قول ابن الحاجب :

من ذا الذي تصفو له أوقاتُه ... طراً ويبلغ كلّ ما يختار ؟
والمرء في سفر ، وأيّ مسافر ... لا يعتريه من الطريق غبار ؟

ثم لم نزل في أسر المسير ومشاقّ الأسفار ، حتى مررنا بظهر الحمار ، وهو محجر صعب ، وحفائر الغنم ، وفيها المياه الكدرة ، والنخل الكثير ، والدار الحمرا ، وما أدراك ما الحمرا !

ولقد أرى بين المسمّى واسمه ... نسباً قد استغنى عن التبيين

الى أن نزلنا تحت العقبة ، في شِعب فيه نخل كثير للعرب الحويطات ، من بني عقبة ، نسبوا الى الحائط ، وقلعة محصنة على ساحل فصل من خليج القلزم ، ويحفر في ذلك الساحل على نحو ذراع [١] فأكثر ، فيظهر ماء حلو ، بل من موضع المدّ اذا كان الجزر ، فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه . والظاهر أنّ هذا الموضع مصب نهر غائر في الرمل ، داخل في البحر ، بدليل أنه يحلو ويملح ، كما يرى في النيل المتصل بالبحر أيام الملتن . [٢]

فائدة : عقبة أَيْلَـة نسبة الى مدينة عظيمة في ساحل البحر عفت معالمها ، وكانت تسمى أيلة ، قال صاحب « الروض المعطار في خبر الأقطار » : أيلة أوّل حدّ الحجاز ، مدينة بها مجمع حاجّ مصر والمغرب ، وأهلها أخلاط الناس ، سميت بأيلة بنت مدين ابن إبراهيم عليه السلام ، ومنها الى بيت المقدس مراحل ، وإلى طور موسى عليه السلام يوم وليلة ، وقد جهل الآن موضعها . وثم قلعة بناها الغوري وبئر ماء عذب ونخيل للحويطات ، وهناك ملاقاة غزة والكرك والقدس وأعمالها ، بأنواع الفواكه والمأكول والأغنام ، فأقمنا بذلك الوادي يومين من الأيام ، والشمل بالأحباب ملتام [٣] ، ونحن في جمع من الأصحاب ، نرشف كؤوس الآداب ، أنشدني المولى جمال الدين بن زويته :

---

(١) وقد رأيت هذا بنفسي لما نزلت ساحل العقبة في طريقي الى الحج عام اربع وسبعين وثلاثمئة بعد الالف « سنة ١٩٥٤ » إذ كنا نحفر باصابعنا في رمال الشاطىء ، فيخرج الماء العذب من نحو شبر ، وقد مررت بهذا الموضع في العام الماضي سنة ١٣٨٣ فاذا بلدة كبيرة ـ العقبة ـ قد قامت هناك ، ولها مرفأ ضخم اقيم في الشاطىء الذي كنا قد نزلنا فيه .

والعقبة حجازية ، كما هو معروف قديماً وكما يظهر من الكلام الآتي . غير ان الذين كانوا يخططون لإقامة دولة الصهاينة في ارض فلسطين ، سلخوها عن الحجاز ، ثم قسموا هذا الشاطىء بين الاردن وفلسطين ، كما هو دأبهم في تمزيق اوصال العالم الاسلامي ـ إن بسكين الاستعمار ، او بإثارة القوميات ، او بنصب من ينادي بالنعرات وتيارات الضلالات ـ كما يقطع الأكلة اوصال الجزور تمهيداً لإكله وابتلاعه !

(٢) الملتن سيفسره المؤلف فيما يأتي ـ انظر صفحة (٣٧) ـ بانه ريح الشمال التي تهب ـ في ايام الملتن ـ على النيل من قبل البحر ، فيحلو ويرتفع ويزيد ـ لنقصان مايصب منه في البحر ، فيكون مايأتي من المنبع اكثر مما يذهب في البحر ـ فإذا هبت ريح الجنوب ، عاد النيل كما كان .

(٣) ملتام تسهيل ملتئم اي مجتمع .

إنّ علم الحساب علم جزيل ... ومعين إذ تشتري وتبيعُ
لم يَضِعْ قطّ درهم بحسابٍ ... وألوفٌ بلا حساب تضيعُ

وعلى ذكر الحساب فما أوقع ما قال :

لقد قعدَ الزمان بكل حرّ ... وأهدى فضله لذوي اليسار
كآحاد الحساب على يمين ... وآلاف الحساب على اليسار

وهذا مبني على القلم الهندي، وخرج عن ذلك حساب أبي جاد ، فإن الآحاد على اليسار والألوف على اليمين ، وعليه قول الفاضل عبدالمعين حيث كتب إلى بعض أصحابه يذكره بوعد وعده به ومطله ، وذلك قوله :

يا سيداً بالوعد أتحف عبدَه ... فضلاً ولكن وعده مثل السحاب
قد كنت أحسب صدقه فإذا به ... وعد به انخرمتْ قوانينُ الحساب

يريد أن لفظة وعد بطريق حساب أهل الفلك عود ، لأن العين بسبعين والواو بستة ، والأكثر يقدّم على الأقل كما علمت ، وانظر الى المواطن و[illegible]ا فإنّك لا تجد غير مقتضاها ، ذكرت بالمطل والشيء بالشيء يذكر ، بالاستطراد وبالمناسبة قول الأمير أبي فراس :

يا ابن الكرامِ أعِدْ في الدهر ذكرَ فتىً ... له بشطريه تحويل وتقليبُ
لا تعتبنّ على عرقوب واحدة ... فكلّ من فوقها بالوعدِ عرقوبُ

ونعود الى ما كنا بصدده . ولما كان السحر حمل الركب ليقطع العقبة مبكراً، وهي عقبة أيْلَة ، بفتح الهمزة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام بعدها . قال في « الخريدة » : وهي قرية صغيرة على جبل عال صعب المرتقى يكون ارتفاعه والانحدار منه في يوم كامل، ولا يسلك طريقها الا الواحد بعد الواحد ، وعلى جانبيها أودية بعيدة المهوى إنتهى ، وهي مدن [1] التيه ، وهو أرض واسعة، ليس بها تل ولا تلعة ولا وهدة ولا رابية ، وسعتها خمسة أيام في مثلها، وحكى العبدري أنّ مسافة العقبة خمسة اميا ل، ولا زالت الملوك قديماً وحديثاً يمهدونها وتوعرها السيول، ويسهلها التسخير الالهي . فلم نزل نسير في رمال وأحجار إلى أن اشرق النهار ، ثم ارتقينا صراطاً كأنّا نطلب

---

(١) كذا في الاصل ، ولعلها « من » .

منه السحاب ، ولم نزل من العناء والمشقة في وصب وا كتئاب ، القائم منا قاعد، والقاعد عن قطاره [١] متباعد ، والذي جماله ألقت رحلها ، ومدّت رجلها، وقع في حيرة ،بين أن يترك متاعه ، أو يستغيث رباعه :

وأين الرفيق الشفيق الـذي اذا أقْعَدَتْكَ الرزايـا أقاما ؟

والذي تحرر وتقرر ، قضت به العقبة ، وحكمت به التجربة ، انه ليس لك من الصديق الا ما فضل عنه . وقـــد حكي عن جعفر البرمكي أنه لما أصيب قيل له :لو بعثت الى صديقك فلان ينظر في حال أهلك، فقال : دعوه يكن صديقاً . ومن أراد تحقيق هذا الموقف ، فليمعن النظر في كتاب« الصدق والصداقة » لأبي حيان التوحيدي ولله در القائل :

إذا أعرضتْ فالأهلُ منّي أجانب وإن أقبلتْ فالأجنبيّ نسيبُ

وما زال الركب في كرب ، حتى قطع العقبة ، في يوم ذي مسغبة . ثم أقمنا على سطحها قصداً للراحة ، واستطاب كل مراحه ، وقمنا ندك الفيافي من غور الى نجد، ومن سهل إلى وهد ، مع ما لحقنا من البرد الشديد ، والجهد الجهيد،حتى وصلنا إلى قلعة نَخِر ، بفتح النون وكسر الخاء المعجمة بعدها راء، كأنه مأخوذ من قولهم ما بالدارناخرأي أحد ، أو من العظام النخرة اذا دخل فيها الرياح لكثرة تهابها [٢]، ووادي النخل ، ولا نخل فيه ولأنه لايخلو من السافي الناعم الذي كأنّه منخول، وبه بئر وفسقية تملأ [٣] منها ، وحصار بناه الغوري وزادت فيه العثامنة [٤] .

---

(١) اي إبله ، والمعنى ان الجاد في الصعود يبدو لصعوبة المسلك ووعورة المتسلق كأنه في مكانه ، اما الذي يستبد به الاعياء فيقعد فان القافلة تبتعد عنه فيقتطع .

(٢) كذا في الاصل ولعلها « ترابها » .

(٣) في الإصل : يملأ ، ولا وجه لها .

(٤) العثامنة ، يريد بهم العثمانيين ، يعني الدولة العثمانية، التي قامت ــ بالاسلام ــ فيوجهدول اوربا، متفرقين ومجتمعين ، فحطمت قواهم ، وهزمتهم ، ووصلت الى فيينا « عاصمةامبراطورية النمسا مناكبر دول اوربا حينذاك » فحاصرتها ، واضطرتها الى تأدية الجزية، وذلكبعد ان وحدت ــ بالاسلام ــ بين معظماقطار هذا العالم الاسلامي الواسع ، عربية كانت هذه الاقطار او غير عربية ــ فلم تكن ظهرت بعد نعرة هذا الوباء المفرق ــ وبقيت هذه الدولة الواحدة القوية قروناً يسودها الخير والامن والسلام، بالإسلام،حتى ظهرت في تركياعصابة ضالة ، ابطرها نعيم الاسلام ، قامت تنادي بالتتريك ، فجاوبها من بلاد العرب بوق ابح =

ثم لم نزل في نزول وارتحال ، وقطع حِرار ورمال، في ذلك التيه الذي أعيا الرحـال [1] والرجال ، وهو فضاء واسع عن يمينه جبل الطور وعن يساره العريش، وقدره اربعون فرسخاً في مثلها ، شديد البرد أيام الشتاء ، شديد الحرّ ايام الصيف، معدوم المَاء ، ينتهي الى بحر فاران مغرق فرعون ، وفاران من مدن العمالقة، وفيه تاهت بنو اسرائيل اربعين سنة ينزلون حيث يرحلون، وأكثر ما يرى فيه بصل العنصل ويسمّى روض الجمل ، ما أحسن ما قال :

رعى الله ظبياً بالأرَيْـمـلِ إذ بدتْ ... حشاشةُ قاب المستهام رعاها
إذا ما بدا و التيهُ بيني وبينه ... تحجّب عـنّي بالدلال وتاهـا

ثم انصرفنا (من المنصرف) على هضاب وجور ورمل كثير ، يقال إنّ الاسكندر أراد ان يخلط بحر السويس ببحر الروم من هذا الطريق وهذه الحفر آثار ذلك، وقيل بل كان فيها خليج من النيل متصل ببحر السويس فاقتضى الحال أن يُطم فهو هذا.

ثم أتينا (عجرود) ذات الجفا والصدود ، متعطشين الى الما ، متألمين من الظما، فشربنا من مائه الذي زاد على الملوحة بالمرار، ومن فَقَدَ العينَ تعلّل بالآثار. وهو من ... السويس ، على نصف مرحلة منها ، واد فيـــه قلعة فيها بئر ماؤها كالعلقم، ربما أسهل ، ثم قمنا نقطع البوادي ، وهي تقطع الأكباد ، وقد أنفذ فينا البينُ أمْرَه ، و ذاقنا من السفر حلوه ومره :

= مشؤوم ، من فئة هجينة ، يدعو إلى العصبية الجاهلية ، وانتصبت ، لا لتأييد الإسلام ، بل للدفاع عن «القومية» وتنفست دول الغرب آنئذ الصعداء ، ومدت اصابع الشيطان تنخس هؤلاء ، وتنفخ في هؤلاء ، حتى استطاعت بأيديهما ان تثل عرش الخلافة ، الذي كان ـ بالإسلام ـ قد حجر دول اوربا في مثل اقماع السمسم، فلما قام غطارفة القومية ـ عرباً واتراكاً ـ في ازاحة ظل الاسلام ، تمزقت الوحدة ، واختل الميزان ، فظهر المارد الاوربي من القمقم الذي كان قد اضطره اليه سيف الاسلام ، فوقف يرهب بزئيره وجعجعته اشلاء عالم الاسلام ، ونبتت في ظل هذا الجو البغيض نابتة جديدة ، تنظر الى الماضي المجيد نظرة المقت والازدراء ، والى العدو الاوربي المقيت ، نظرة الرهبة والاعجاب ، ويحمدون ربهم اذ نشأوا ـــ كما لقنوا ـــ في عهد العروبة الزاهر لا في عهد الاستعمار العثماني الكالح !!

ولله الامر من قبل ومن بعد .

(١) يقصد بالرحال هنا الجمال التي تحمل الرحال ، وهذا في كلام العرب كثير ، ففي ســورة الواقعة «وفرش مرفوعة» اي الحور التي على الفرش ـــ على بعض الاقوال ـــ . وكذلك الجنازة انما يراد بها الميت ، فان لم يكن وضع الميت فيها ، فهي النعش ، واعياه السير : اتعبه واضناه ، من الإعياء ، وهو شدة التعب واقصاه .

وكذاك الانسان ما دام حيا   فهو في لذة وفي آلام

ولما أقبل الليل ، وقد أوهى القُوى والحَيْل ، انقطع كثير من الرجال، وتفرّق شمل تلك الرحال ، حتى إنّ كثيراً من الناس ألقى أكثر أسبابه، حيث لم يجد له مسعداً في حملها من أصحابه ، وأخذ الفناء ينحر في الجمال، والعيّ يهدم قوى الرجال ولم نزل في هذه الشدة شدة واحدة إلى ما بعد الزوال . فمررنا بصدفة (البُوَيْب) ، وهو مضيق بين جبلين صغيرين ، وله شرفة ، وبه تل رمل مستطيل، وفيه يقول ابن أبي حجلة :

ولما اعتنقنا للوداع عشية   على بركة الحجّاج والدمع يُسْكَب
فرِحنا وقد جُزنا البويب لأنه   إلى وصل من نهواه باب مجرّب

وعلى ذكر الاعتناق فما أحسن قول القائل :

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً   وفي القلب نيرانٌ لفَرط غليله
بكيتُ وهل يغني البكاء لهائم   إذا غاب عن عينيه وجهُ خليله ؟

ثم بتنا على شاطيء نيل البركة ، الذي أحاطت به البركة ، وأنخنا بها الركاب، وراق لنا الوقت والزمان وطاب ، وقد استقر الخاطر من قلق السفر ، وتهلل وجه الزمان وأسفر ، وأنشد لسان التمنّي في هذه المفاوضة ، لو سلم من المعارضة :

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ

وعلى ذكر البركة فما أبدع هذا التشبيه :

وبركة للعيون تبدو   في غاية الحسن والبهاء
كأنها اذ صفت وراقت   في الأرض جزء من السماء

وقال آخر :

وبركة ما تملك العين وصفها   يحفّ بها نبت من الروض مزهرُ[1]
ويسرح منها في الخمائل جدول   كما سُلّ من غمدٍ حسامٌ مجوهرُ

ولما أسفر الصباح ثامن عشر صفر الخير ، توجهنا الى مصر المحروسة ، وشاهدنا

---

(١) هكذا في الاصل ، والشطر الاول كما ترى غير مستقيم . ويحتمل ان يكون : « وبركة ما ماتملك العين وصفها » .
فتكون ما الاولى — التي لعلها سقطت من الناسخ أو الطابع — تسهيل ماء .

منازلها البهية المأنوسة ، ولما دخلتها وجدتها بديعة الأوصاف ، مخضرة الجوانب والأكناف ، بها الجوامع الجامعة للمحاسن ، والمدارس الحافلة بالمكانة والأماكن ، ورأيت أهلها أرقّ أخلاقاً من النسيم ، وألطف شمائلاً من الشَمول والشميم ، الا ما شاء من الأوغاد وجبابرة العباد ، ورأيت لهم الذكاء المتوقد ، والذوق المتجدد ، مع كمال الجَدّ في الجِدّ [1] والاجتهاد ، وبذل النفوس النفيسة في تحصيل المراد ، فللّه دَرّهم ، ولا زال يزداد ويَزْدان بهم بِرّهم وبَرّهم ، فلقد تحقق بهم صدق القائل :

قل للذي سار بلاد الورى ... وأظهر القوّة والباسا [2]
من لا رأى مصر ولا أهلها ... فما رأى الدنيا ولا الناسا [3]

وما أصدق من قال :

ما مصر إلا بلدة ما مثلها ... غـريبها يرتع في نـعيمها
نسيمها ألطف شيء في الورى ... وأهلها ألطف من نسيمها

ثم أقمت بها برهة من الأيام ، صحبة الأخلاّء الكرام ، أطوف بأكنافها البهية ، وألوي على أعكانها الشهية :

بالسفح حيناً وبالبرقاء آونة ... وبالكثيب زماناً والاثيلات

ثم لم أزل أتعهّد الجامع الأزهر ، واتردّد على كلّ درس فيه أوضح تقريراً من الشمس وأنور ، وأحاول النفس على أن استزيد علماً ، فيعاجلني من مَضَض الأيام ما يربو على خَطْب الدهر همّاً وغمّاً ، وأجد الفهم لذلك كليلاً ، والقلب سقيماً عليلا ، والشروط غير متوفرة ، والدواعي متعذرة او متعسرة ، كيف لا وقد قيل : لـو كلّفت بصلة ، ما حفظت مسألة ، وأنّى يكون ذلك مع اشتغال البال ، واشتعال البلبال.

---

(١) الجد — بالفتح — الحظ والنصيب ، والتوفيق ، والمنزلة . . وهـو أيضـاً « ابو الاب » والجد — بالكسر — الدأب والتشمير « وهو ايضاً مايقابل الهزل »

يقول المتنبي :

أقل فعالي بله أكثره مجـد ... وذا الجد فيه — نلت أم لم أنل — جد

(٢) سار تأتي لازمة ومتعدية ، وهي هنا متعدية .
والبأس : الشدة ، ويأتي أيضاً بمعنى العذاب ، وهو غير مراد هنا .

(٣) في الاصل : « من لا رأى مصرا ولا اهلها » ، ولا حاجة للالف هنا ، فحذفناها .

ألا لن تنال العلم الا بستة سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وإسعاد استاذ وطول زمان [١]

ومن مجون بعض الفضلاء :

فَرّقْ فِرَقَ الدروس واجمع مالا فالعمر مضى ولم تنل آمالا
لا يَنْفعُكَ القياسُ والعكس ولا إفْعَنْلَلَ يَفْعنلِلُ افْعِنْلالا

وقال آخر في جوابه :

بالعلم ينال كلّ عبد مالا فاجهد لتنال في المَلا آمالا
ما أسوأ رأي من ينادي سفهاً فرّق فرق الدروس واجمع مالا [٢]

ومن محاسن أحمد الشهاب الرومي :

إلى المال مِلْ واجمعه إن كنت عارفاً ففي هذه الدنياله الشيْلْ والحَطّ
وفي قبضه عزّ النفوس وبسطُها وناهيك ممن قبضه في الملا بسْطُ

وله أيضـاً :

المال أحسن ما ادخرت فلا تكن سمحاً به وتأنّ في تفصيله
ما حصّلوا جمعَ العلوم بأسرها إلاّ ليحتالوا على تحصيله

قلت : وإلى ذلك أشار الشعراني في كتاب الجواهر في معتقد الأكابر . وقال الفخر الرازي : الذي تحرّر عندي ، أن قدر الانسان بالعلم وقدر العلم بالمال . ونظم في ذلك من قال :

إنّ قدرَ المرء بالعلم كما أنّ قدر العلم بالمال سما
فجناحاك هما إن أسعدا طِرْ كما تهوى إلى أعلى السّما

---

(١) يزعمون ان البيتين لامام الحرمين عبد الملك بن الجويني ، الذي قيل فيه :

لم ترعيني أبـداً تحت أديم الفلك
مثل إمام الحرمين الثبت عبد الملك

والبيتان المذكوران يرويان بما يقرب من رواية المؤلف :

أخي لن تنال العلم إلا بسـتة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

(٢) في الاصل : (فرق فرق الدرس وجمع مالا) . في الموضعين ، والتصحيح من نسخة الشيخ محمد نصيف ، ولعله من تعليقه او تعليق ابيه . وهما لـ « السعد التفتازاني » (٧٢٣ — ٧٩٢) .

حكى الشهاب النهرواني عن بعض الأكابر ، أنّه كان اذا وقع الدينار في يده ، يقبّله ويضعه على عينه ثم يقول له : مرحباً بجامع شملي، وحافظ عقلي ، وحبيب قلبي ، ولب لبي ، أنت مرادي وقوّتي وعمادي ، يا نور عيني ، ويا ضيا جبيني ، قد صرتَ إلى من يعرف قدرَك ، ويعظّم أمرَكْ ، وكيف لا وأنتَ تعظّم الأقدار ، وتفتضّ الأبكار ، وتؤمن من يخاف ، وتسمو على الاشراف ؟ ثم يطويه في كيسه وينشد :

بروحي مَحجوباً [1] عن العين شخصُه ومن ليس يخلو عن لساني ولا قلبي
ومن قربه قصدي من الكون كلّه وحتّى من الخلاّن والأهل والصحب

قلت : ولله درّ ابن المعتز حيث يقول :

اذا كنت ذا ثروة في الملا فأنت المسوّد في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبّر أنّك من آدم

الجامع الازهر : أوّل جامع أسس بالقاهرة ، أنشأه القائد جَوهَر الصّقلي مولى المعزّ سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، وكان به طلّسمْ فلا يسكنه الطير ، ثم جدّده الحاكم وجعل عليه أوقافاً ، كذا في المحاضرة

هويت مصرياً غدا قاهري بصارم من لحظه يُشْهر
أزهر وجهاً وغدا جامعاً للحسن فهو الجامع الأزهر

فصل : في ذكر شيء من أخبار مصر المحروسة ، ونشر محاسنها البهية المأنوسة ، وليس الغرض من ذلك الا ما اشتمل عليه من لطائف النكت ، أو من اعتبار واستبصار ، والا فمن أراد أخبار تلك الديار ، فقد تكفل بها كتاب « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » للسيوطي ، وكتاب « كوكب الروضة » ، وهو القائل فيه :

كتابيَ الكوكبُ المفدّى دقّت معان به عزيزه
ألفاظه المشتهاة تَحكي من حسنها روضةً وجيزه

وعلى الخصوص قاموس القصص ، وهو الخطط ، للفاضل تقي الدين المقريزي ، وفيه قيل :

من كان يهوى أن يحيط بسمعه علماً بمصر كامل التمييز
فعليه بالخطط المحرّر نقله تأليف عالم عصره المقريزي

---

(١) محجوباً منصوبة بفعل محذوف تقديره أفدي

قال الفاضل القزويني في كتاب « آثار البلاد . وأخبار العباد » : مصر ناحية مشهورة ، أرضها أربعون ليلة ، طولها من العريش إلى اسوان ، وعرضها من برقة الى أيلة ، وسمّيت بمصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي من أطيب الأرض تراباً ، وأبعدها خراباً ، ولا تزال البركة فيها ما دام عليها إنسان ، وفي « الخطط » : ديار مصر بعضها واقع في الأقليم الثاني وبعضها في الاقليم الثالث ، وبناء مصر طبقات بعضها فوق بعض ، إلى خمس وست وسبع ، وأحسنها القاهرة المعزية .

فائدة : مصر غير منصرف للعلمية والعجمة ، أو لها [١] وللتأنيث المعنوي باعتبار البقعة ، ومصروف لسكون وسطه ، وأسماء البلا د تذكر وتؤنث وتصرف وتمنع ، قاله السيوطي . وفي « الخريدة » : أرض مصر ، و هي غربي جبل طالوت ، إقليم العجائب ، ومعدن الغرائب ، وكانت خمساً وثمانين كورة ، منها أسفل الأرض خمس وأربعون ، وفوق الأرض أربعون [٢] ، ونهرها يشقها ، والمدن على جانبيه ، ومن أحسن مدنه الروضة ، وهي جزيرة يحيط بها النيل من جميع جهاتها ، بها المنتزهات والدور والقصور ، وتسمّى دار القياس ، وفي « آثار البلاد » : أوّل من قاس النيل يوسف الصدّيق عليه السلام ، وبنى مقياسه بمنف ، وهي مدينة فرعون موسى ، قيل إنّها أوّل مدينة عمرت بعد الطوفان ، وهي المراد بقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وكان فيها أربعة أنهار تختلط مياهها في موضع سرير فرعون ، ولذا قال : (وهذه الأنهار تجري من تحتي) قال العصام نقلاً عن التفتازاني : فِرْعون علَم لمن ملك العمالقة ، ويشبه أن يكون مثل كِسرى وقَيْصر من علم الجنس ، لكن جمعه باعتبار الأفراد ، مثل الفراعنة والقَياصرة والأكاسرة ، يدل على أنه علم شخص سمّي به كل من مَلَكَ ذلك ابتداء ، وهو غير منصرف للعلمية والعجمة ، انتهى ، من « الأطول » . والذي ملك الدنيا بأسرها كافران ومسلمان ، فالمسلمان سليمان عليه السلام وذوالقَرْنين ، والكافران نمْرود بالدال المهملة ، وحكاه العصام بالمعجمة ، وبُخْتُنُصّر وهو من أسماء العجم من قبيل المركبات ، فبُخْت بضم الباء الموحّدة وسكون المعجمة معناه ابن ، ونُصّر بضم النون وفتح الصاد مشددة اسم للصنم ، قيل انه

---

(١) أي للعلمية

(٢) يريد ان الوجه القبلي يحوي خمساً واربعين ، والوجه البحري — اي الشمالي — يشمل اربعين .

وجد عنده فقيل له ابن الصنم ، فانتشى وملك الدنيا . وفي « الخطط » : القياس [١] عمود من الرخام الأبيض مثمن ، في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالاصابع ما عدا الاثني عشر ذراعاً الأولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين اصبعاً ، يعنى كل ذراع . وأما النيل وينبوعه من وراء خط الاستواء ، من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدىء في المزيد في شهر ابيب[٢] ، وعند ذلك يفسد ماؤه ، والسبب في ذلك مروره بنقائع يخالطها فتصحبه ، فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعاً ، وزاد السادس عشر أصبعاً واحداً ، كسر الخليج واستحق السلطان الخراج ، واذا بلغ ثمانية عشر ، حدث بمصر وباء عظيم ، واذا بلغ العشرين مات ملك مصر ، ولكسره يوم معدود ، ومقام مشهود ، ومجتمع غاص ، بحضرة العام والخاص . وحكى صاحب « مباهج الفكر » أن بعض المفسرين ذكر أنه يوم الزينة الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فيه ، ومن محاسن الوزير أبي الحسن :

أرى أبداً قليلاً من كثير ... وبدراً في الحقيقة من هلال
زيادة أصبع في كل يوم ... زيادة أذرع في حسن حال

وقال سبط ابن الفارض :

لقد بُسطتْ في بحرِ جسمك بسطةٌ ... أشار اليها بالوفاء الأصابع
فيا مشتهاها أنتَ مقياسُ قدْسِها ... وأنت الذي في روضة الحسن يانع

ولابن نباتة :

زادتْ أصابع نيلنا ... وطفتْ وطافت في البلادِ
وأتتْ بكلّ مسرةٍ ... ماذي أصابع ذي أيادي

---

(١) كذا ، وواضح انه المقياس .

(٢) من شهور القبط ، وهي :
توت ، بابه ، هتور ، كيهك ، طوبة ، امشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤنه ، ابيب ، مسري ، النسي (وهو خمسة او ستة أيام تزاد آخر السنة لاتمامها ، لان كل شهورهم ثلاثون يوماً) فإذا كان توت يقابل كانون الثاني ، فيكون ابيب على ذلك في تشرين الثاني الا أياماً في آخر تشرين الاول .

ولابن الصاحب :

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا　　كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاءِ عمود من أصابعه　　مُحلّق تملأ الدنيا بشائرُه

وللبدر البشتكي :

عاتبت هذا النيلَ في ترك الوفا　　فأجابني حالاً بغير توقف
سأفي وإن خانوا وأصلح بينهم　　ما كدت أفسده ومثلي من يفي

وما أحسن ما قال :

رأيتُ النيلَ ذا عقل ولبّ　　لِما يبدو لعين الناس منهُ
فيأتي عند حاجتهم إليه　　ويذهبُ حين يستغنون عنهُ

وللناس في المقياس ، الأشعار الرائقة ، والمقاطيع الفائقة ، فمن ذلك :

إنّ مصراً لأحسن الأرض طراً　　ليس في حسنها البديعِ التباسُ
كلّ من قاسها بأرض سواها　　كان بيني وبينه المقياسُ

وللفيومي :

سكان طيبةَ أبلى الحبّ صبّكم　　والشوق باقٍ ليوم العرض في الطول[١]
تالله لم يُنْسِهِ المقياسُ ساحتَكم　　ولا تسلّى عن الزرقاء بالنيل

لتاج الملك :

أنظرْ الى النيل الذي　　ظهرت به آيات ربي
فكأنّه في فيضه　　دمعي وفي الخفقان قلبي

ولبعضهم في مقدار النيل :

فائدة جليلة مستحسنة　　إنْ شئت تعرف كم نيل السنة[٢]
فانظرْ إلى عيد النصارى كم حكم　　في شهرك القبطيّ يا حاوي الحِكم

(١) أي لعظيم طوله يبقى الى يوم العرض ، يعني يوم القيامة « يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية » الحاقة — ١٨

(٢) الظاهر أنه : ان شئت ان تعرف كم نيل السنة . وكأن « ان » سقطت من الناسخ او الطابع .

وما مضى ضفه الى واو وقاف[١]   فالسدس منه النيل وقيت المخاف .

وما ألطف ما قال :

نيل همومي وما لقيت به   افرط وجدي وفيض بلوائي
وقفت أبكي على سواحله   فمن دموعي زيادة الماء

حكى الجاحظ : أنّ عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة ، منها بسائر الأرض عشر ، وباقيها بمصر ، فمنها الهرَمان ، بفتح اوّليه ، وهما أطول بناء وأعجبه ،من رآهما ظن أنهما جبلان بالجزيرة .قال ابن الوردي في « الخريدة » : الجزيرة مدينة على ضفة النهر ، وهي أربعون قوساً على سطر واحد ، وبها الأهرام التي هي من عجائب الدنيا ، ولم يبن مثلها ، بنيت بصفة الهندسة ، وكانوا يثقبون الصخر من طرفه ويجعلون فيه قضيباً من الحديد ، ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ، ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القطب . وهي ثلاثة اهرامات ، إرتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالملكي ، وهي مهندمة الجوانب ، محدودة الاعالي من أواخرها ، طولها على ثلثمائة ذراع ، يقال ان داخل الهرم الغربي ثلاثون مخزناً من حجارة الصوّان الملوّنة ،مملوّة بالجواهر النفيسة ، والأموال الجمّة ، والأسلحة الفاخرة المدهونة بادهان الحكمة فلا تصدأ أبداً ، وفيه الزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر ، وفي الهرم الشرقي الهيئآت الفلكية ، والكواكب المنقوشة فيها ماكان وما يكون الى آخر الدهر[١] ، يقال إنّ أحد الهرمين قبر هرمس عليه السلام ، والآخر قبر امرأته ، وقيل قبر ابنه ، وهرمس بلسان الحكماء هو إدريس عليه السلام ، وهو الجد الثالث لنوح عليه السلام ، وأبوصاب الذي تنسب اليه الصابئة التي تعظم الكواكب ، ويقال ان أحد الهرمين بُنيَ بيتاً لعطارد والآخر هيكلاً للجوزاء ، وسطح الهرم مستو يسع نحو مائة رجل ، وقيل ان أرسطاليس مدفون في أحدهما والاسكندر في الآخر ، وقيل بُني باسمه ولم يدفن فيه ، وقيل وقيل !

---

(١) الواو بستة والقاف بمئة . أي انظر كم يوم مضى من الشهر القبطي قبل عيد النصارى ــ ولعله الفصح ــ فأضف اليه مئة وستة ، ثم قسم الناتج على ستة ، فيظهر لك كم ارتفاع النيل في ذلك الوقت . ويبدو ان الحساب تقريبي بنوه على الاستقراء .

(٢) ماكان لايعرف منه القليل الا القليل ، أما ماسيكون فقد استأثر الله عز وجل بعلمه ، الا ما أطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم فأخبر به ، ولا يستغرب ممن يعبد الاحجار والقطط والثيران ان يدعى مثل هذه الدعاوي الفارغة ، وانما العجب ممن ينقل مثل هذا عنهم ويضعه في كتب لايدري في يد من تقع .

ولم نَستفِد من علمنا طول عمرنا　　　سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا [١]

أبو الوليد ترجمه السيوطي في كتابه (بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة) بحيث قال فيه :

وكان من العلوم بحيثُ يقضى　　　له في كل فن بالجميع

وقد قال سبط ابن الفارض :

برح بي أنّ علوم الورى　　　علمان ما إن لهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها　　　وباطل تحصيله لا يفيد

قيل : وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت من صوان ، مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة ، وفيه عجائب صناعاته وأعماله ، وفي الحيطان من كل جانب أشخاص كالاصنام ، تعمل بأيديها جميع الصناعات على المراتب ، ولكلّ هرم منها خازن . قال ابن الجوزي في « سلوان الأحزان » : ومن عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما ذراع ، وهما من الرخام والمرمر ، ومكتوب فيهما : أنا بنيتهما بملكي ، فمن يدعي القوّة في ملكه فليهدمهما ، فإنّ الهدم أيسر من البناء . عن سيدنا عليّ في ذم الدنيا : أشرف لباس بني آدم لعاب دود ، يعني الحرير ، وأشرف شرابهم رجيع النحل ، يعني العسل . ويحكى ان سليمان عليه السلام ، والاسكندر ، وأرسطاليس ، صنع كلّ منهم بيوتاً من زجاج لينظر الى كيفية خروج العسل منها ، هل يخرج من فمها أو من أسفلها ، فلم يصنع النحل من العسل شيئاً ، حتى لطخ باطن الزجاج بالطين بحيث لا يراها أحد . قيل وسمي نحلاً لأن الله نحل العسل الذي يخرج من بطونها للناس ، نقله النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » .

قال المسعودي في كتاب « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » : وكان المأمون لما دخل الديار المصرية أراد هدمها ، فلم يقدر على ذلك ، فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمة ، حتى فتح أحدهما طاقة صغيرة ، فوجد خلف الطاق من الأموال قدر الذي انفقه ، وكتاباً فيه : قد علمنا أنك تأتي في عصر كذا ولا تستطيع أكثر من ذلك ، فجعلنا لك ما

---

١) البيت للفخر الرازي — على ماقيل — صاحب التفسير الكبير ، والذي نحفظه : سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا » . وأول الأبيات

نهاية إقدام العقول عقال　　　وغاية سعي العالمين ضلال

أنفقتَ فلا تتعبْ . فأنشد المأمون في ذلك :

انظرْ إلى الهرمين واسمعْ منهما ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبّرانا بالذي فَعَلَ الزمانُ بأوّل وبآخر

ومن ذلك ما يحكى أن المنصور لما أفضت الخلافة اليه، همّ بنقض إيوان المداين[١] فوافقه أصحابه على ذلك ، الا رجلاً من الفرس فإنه قال : تعلم يا أمير المؤمنين أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج من تلك القرية، وكان له فيها مثل ذلك المنزل وتلك الحُجَر ، فخرج أصحابه مع ضَعفهم الى صاحب هذا الايوان مع عزّته وصعوبة أمره ، فأخذوه من يده قهراً وقتلوه ، فمن نظر إليه علم قوّة صاحبه وأنّ الذي استولى عليه إنّما أخذه بمدد من الله تعالى، فلا يشك في تأييده ، فاتّهمه المنصور لقرابته[٢] ثم أخذ في هدمه ، فخرج على نقض شيء يسير منه جملة من المال ، فعدل عما كان أراده .

وقد أكثر الشعراء من ذكر الأهرام فمن ذلك للمتنبي :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومُه ما يومُه ما المصرع
تتخلف الأيام عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتصرع[٣]

الفقيه عمارة اليمني :

خليليّ ما تحت السماء بنية[٤] تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهرُ منه وكلّ ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

---

(١) اي ايوان كسرى ، ومازالت منه بقية الى الآن .

(٢) يعني لانه فارسي ، فتوهم انه يود الإبقاء على آثار قومه .

والرجل خالد بن برمك — ابو يحيى وجد جعفر والفضل . . ابناء يحيى ، فخالد جد البرامكة — وانما أراد المنصور هدم الايوان ليستعين بحجارته على اتمام عمارة بغداد ، فلما عدل عن متابعة هدمه قال له خالد : اني لا ارى لك ان تبطل ذلك ، لئلا يقال انك عجزت عن تخريب مابناه غيرك . فلم يلتفت المنصور الى ذلك وترك هدمه .

(٣) من قصيدته بمصر في رثاء أبي شجاع فاتك المتوفي سنة خمسين وثلاثمئة والتي اولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع

وفي البيت تحوير قليل ، اذ هو كما يلي :

تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

(٤) بنية والبناء بمعنى .

تنزّه طرفي في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكري

وقال :

تبيّن أنّ صدرَ الأرض مصر ونهداها من الهرمين شاهد
فيا عجباً وقد ولدت كثيراً على هرم وذاك النهد ناهد[١]

آخر :

قد علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب في دياركم ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما[٢]

وقال آخر :

مصر التي لحسنها قد قيل فيها إرم[٣]
لما جفت عشاقها بدا عليها الهرم

وقال سيف الدين بن جباره :

لله أي عجيبة وغريبة في صنعة الأهرام للألباب
أخفت عن الأسماع قصة أهلها ونضت على الابداع كل نقاب
فكأنما هي كالخيام مُقامة من غير ما عمد ولا أطناب

ومنها عين شمس ، وهي شمالي القاهرة ، وكانت في القديم دار المملكة ، بها الآثار الهائلة ، والبلسان الذي لا ينبت الا بها ، وهو بستان طوله ميل في ميل ، والسر في بئره أن المسيح عليه السلام اغتسل فيه ، كذا في « الخريدة ». وفي الآثار عين شمس مدينة كانت بمصر ، وهي محل سرير فرعون ، بالجانب الغربي من النيل ، والآن انطمست عمارات فرعون بالرمل ، وهي بقرب الفسطاط ، قيل بها قدت زليخا قميص يوسف. ومن عجائبها أن بها عمودين مثبتين على وجه الأرض من غير أساس ، طول كل

---

(١) شبه مصر بامرأة ، نهداها الهرمان . والهرم في البيت الشيخوخة وتقدم السن . والهند الثدي (لبروزه وارتفاعه) وناهد ، مشرف منتبر

(٢) البيت الاول صحيح الوزن ، لانهم يجيزون حذف سبب من اول البسيط ـ للبيت الاول فقط ـ . ولك اذا شئت ان تقول : وقد علا . . . .

(٣) إرم ذات العماد !

منهما خمسون ذراعاً فيهما صورة إنسان على دابة وعلى رأسها [١] شبه الصومعتين من نحاس ، فإذا جرى النيل رشحا وقطر الماء منهما ، ولا تجاوزهما الشمس الا في الانتهاء ، فإذا نزلت أول دقيقة من الجدي — وهو أقصر يوم في السنة — انتهت الى العمود الجنوبي ، ووقعت على قبة رأسه ، وإذا نزلت أول دقيقة من السرطان — وهو أطول يوم في السنة — انتهت الى العمود الشمالي ووقعت على قبة رأسه ، ثم تطرد بينهما ذاهبة وآيبة ساير السنة ، ويترشح منهما الماء وينزل الى اسفلهما [٢] ، فينبت العوسج وغيره من الشجر .

قيل : وبها تماثيل عملتها الجن لسليمان عليه السلام .

ومن عجائب مصر ، بل من عجائب الدهر ، نهر النيل الذي ليس على وجه الأرض أطول منه [٣] ، لأن مسيره شهر في بلاد الاسلام ، وشهران في بلاد النوبة ، وأربعة أشهر في الخراب ، إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء ، وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب الى الشمال ، ويمد في شدة الحر عند انتقاص المياه ، ويزيد وينقص بترتيب ، الا النيل ، ونهر مهران ، وهو بالسند ، عرضه عرض جيحون ، يجري من المشرق إلى المغرب ، ويقع في بحر فارس . كذا في (الخريدة) وسلف نقلاً من (الخطط) أنّ مصبه بحر القلزم .

فائدة : قال بطليموس إن بهذا الربع المسكون مائتي نهر ، كل نهر منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ ، فمنها ما يجري إلى المشرق وإلى المغرب [٤] ، ومنها ما هو بالعكس ، ومنها ماهو من الشمال الى الجنوب ، ومنها ما هو بالعكس ، وكلّها تبتدىء من الجبال وتصب في البحار بعد انتفاع العالم بها ، وفي ضمن ممرها تتصور بطايح وبحيرات ، فإذا صبت في البحر المالح ، وأشرقت الشمس على البحار ، تصعّد إلى الجو بخاراً ،

---

(١) في الاصل : فيها صورة إنسان على دابة وعلى رأسها . .

(٢) في الاصل : أسفلها

(٣) لو قال : فيما أعلم ، أو : فيما بلغني ، لكان اجمل به ، فليس النيل ، كما تعلم ، بأطول انهار الارض .

(٤) العبارة غير مستقيمة ، وكأنها يجب ان تكون :
فمنها مايجري من المشرق الى المغرب . .

أو تنعقد غيوماً ، ابدية كالدولاب الدائر ، فلا يزال الأمر كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله، إنتهى من (الخريدة) . وقال صاحب (مباهج الفكر) : مجموع ما في المعمور من الأنهار مائتان وثمانية وعشرون ، حكاه السيوطي .

وقد اختلف في ضبط جبل القمر ، فقيل هو بفتح القاف والميم ، بلفظ أحد النَيّريْن [١] ، وإنما سمّي بذلك لأن العين تقمر منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه، وهو جبل مستطيل من الشرق الى الغرب ، كذا في (المحاضرة) . وفي (مختصر المسالك) أن اناساً انتهوا إلى الجبل وصعدوه ، فرأوا وراءه بحراً عجاجاً ماؤه أسود كالليل المظلم ، يشقه نهر أبيض كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ، ويتشعب على قبة هرمس التي بناها فيه لمّا بلغه . وقيل إنّ أناساً صعدوا الجبل ، فصار كل واحد يضحك ويصفق ويلقي نفسه الى ما وراء الجبل ، فرجع البقية خوفاً من أن يصيبهم مثل ذلك [٢] . وقيل إنّ أولئك إنّما رأوا حجر الباهت، وهي أحجار براقة من رآها لا يزال يضحك ويلتصق بها حتى يموت . وقيل إنّ بعض الملوك جهّز قوماً للوقوف على أوّل النيل، فانتهوا إلى جبال من نحاس، فلما طلعت عليها الشمس انعكست

---

(١) اي القمر . والنيران هما الشمس والقمر .

(٢) الله أعلم بصحة هذا الخبر ، وأمثاله من الاخبار التي ترد دون دليل يستطاع الركون اليه . . الا ان هذا الخبر – اذا صح – يمكن ان يكون وجهه كما يلي :
يتألف الهواء ، المحيط بالارض ، والموجود في كل مكان منها ، من غازات أهمها غازا الاوكسجين والآزوت « النتروجين » وثانيهما اربعة امثال الاول تقريباً ، ويشكلان ٩٩٪ من الهواء . فاذا حدث في هذا الخليط شرارة كهربائية اتحد بعض الاكسجين ببعض الآزوت وشكل مركبات من الازوت والاكسجين ، منها غاز لا لون له ولا رائحة يسمى الغاز المضحك ، لأن الذي يشمه يأخذ في الضحك ، لاسروراً وابتهاجاً ، وانما لان هذا الغاز يشل اعصاب الفم بنوع من الفالج ينتهي غالباً بالموت ، نسأل الله العفو والعافية .
فيحتمل ان يكون ذلك الجبل من المناطق التي يكثر فيها حدوث البرق الذي يؤدي الى تشكيل كميات من هذا الغاز ليست بالقليلة ، ولا سيما اذا صادف ذلك قبيل صعود القوم الجبل فاذا استنشقوا الغاز المضحك، اخذوا – رغما عنهم – في الضحك حتى اذا وقع بهم الفالج اذا بهم يقعون ، وهم على الجبل ، فيتدحرجون ويهوون ، فيتوهم من يراهم انهم يثبون فيتساقطون .
ونعود فنقول ان هذا ليس اكثر من محاولة للتعليل وإلا فان العلم المادي الضئيل المحدود ، لا يملك تفسير الاحداث التي لانستطيع حصرها والتي يموج بها هذا الكون الضخم . .
وعلم الله ، وقدرة الله، لايحيط بهما علم بشر ولا قدرة إنسان !

عليهم أشعتها الواقعة عليها فأحرقتهم، كذا في (المحاضرة). وفي كتاب (كنز الأسرار): جبل القمر، سمّي به لتلوّنه بزيادة القمر في كل ليلة، ففي أوّل ليلة يعلوه نور ابيض، وفي الثانية يعلوه نور اصفر كشعاع الشمس، فيتلون كل ليلة إلى ليلة البدر، فيكون كذنب الطاووس، ومنه يخرج النيل، وطوله إلى بحر الروم ألف فرسخ وأربعون فرسخاً، وفي (الخطط) جبل القُمْر، بضم القاف وسكون الميم ثم راء مهملة، طوله أربعة أشهر، في عرض عشرين يوماً، إلى أقل من ذلك، ويحاذي جزيرة سرنديب، وفيه بلاد كثيرة، منها قمرية، واليها ينسب الطاووس القمري، وفي موضع آخر: جبل القمر، جبل عال، وإنّما سمّي جبل القمر، لأن القمر لا يطلع عليه، لإنه خارج عن خط الاستواء باثنتي عشرة درجة، والنيل يخرج من تحته، انتهى. ولا خلاف في إقبال النيل من أرض الحبشة، وخبر حامد بن أبي شالوم ابن العيص بن إسحاق بن ابراهيم عليه السلام في ذلك مستفيض، حكاه السيوطي في (المحاضرة) باسناده، ونقله في (الهيئة السنية)، ورواه ابن الوردي في (الخريدة). قال: في (آثار البلاد): وسبب مدّ النيل، أنّ الله تعالى يبعث ريح الشمال، فتقلب عليه البحر المالح، فيحلو ويزيد حتى يعم الروابي والعوالي، ويجري في الخلجان والمساقي، فاذا بلغ الحد الذي هو تمام الريّ، بعث الله تعالى ريح الجنوب فأخرجته الى البحر المالح. قال السيوطي: وتسمّى هذه الريح التي تقلب عليه البحر المالح بالمَلْتَن [1] بفتح الميم وسكون اللام وفتح المثناة الفوقية بعدها نون، وفي ذلك يقول الشاعر:

إشفع فَلَلْشافع أعلى يداً	عندي وأسنى من يد المحسن
فالنيلُ ذو فضلٍ ولكنّه	الشكر في ذلك للملتن

فائدة: الرياح أربع كما أشار إليه الرئيس بقوله: دَرَسَتْ بتكرار الرياح

(١) شرح المؤلف الملتن بنفسه، وقد سبق ان تحدث عنه في صفحة (١٢) وقد علقنا هناك بكلام يسير، شرحنا فيه شرح المؤلف بعض الشرح!

الأربع[١] الشّمال : ومبدؤها من نقطة الشمال الى نقطة الغرب ، والدّبور بفتح الدّال ، ويقال لها الغربية ، منها الى نقطة الجَنوب بفتح الجيم ، والجنّوب تسمى القبلية ، كما تسمّى الشّمال الشامية ، منها الى نقطة المشرق ، والصّبا يقال لها القبول والشرقية ، منها الى نقطة الشمال [٢] وقد دار الدور وحار الداير .

وبي ظبية تحكي النسيمَ لطافة ولكن حظّي من محاسنها الهجر
إذا رُمت أن أسلو هواها يهيجني نسيم الصبا من حيث يطّلع الفجر

وما بين هذه الامهات فهي نكباء ، وأسماؤها كثيرة . ولا تدخل ريح على أخرى في حدّها ، وأشرفها الصّبا ، ولما اشتملت عليه من اللطف والطيب ، اتخذها أهل المحبة رسولا الى الاحباب[٣] ، ومن محاسن ما كتب به ابن عبد الظاهر إلى والده ، وكان حصل له ضعف ، وذلك قوله :

إن شئتَ تبصرني وتبصر حالتي قابل إذا هبّ النسيم قُبولا
تلقـاه مثلي رقـة ونحافة ولأْجل قلبك لا أقول عليلا

---

(١) الرئيس ، او الشيخ الرئيس ، هو ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري الذي ترأس في اكثر من فن ، لاسيما الطب والفلسفة ، وكتابه « القانون » بقي في اوربا المرجع الوحيد في الطب وفي تدريسه في جامعاتهم قروناً عديدة . .

والشطر الذي أورده المؤلف ، من قصيدته الرمزية الفلسفية المشهورة ، عن النفس ، والتي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تحجب وتمنـع

مات ابن سينا سنة ثمان وعشرين وأربعمئة عن ثمان وخمسين سنة .

(٢) والعرب كانوا ، منذ القديم ، بارعين في استشمام هذه الرياح ، ومعرفة صفاتها وآثارها . .

وتنسب لعدى بن زبير العبادي — شاعر جاهلي حضري — قصيدة جميلة يتحدث فيها عن الملوك الغابرين فيقول :

أين كسرى ، كسـرى الملوك انوشر وان أم أين قبله سابور ؟

ويذكر غير كسرى وغير سابور ذى الاكتاف من الملوك وأعمالهم وآثارهم . . ليقول أخيراً :

ثم صاروا كأنهم زهر جف ف فألوت به الصبا والدبور

ترى اما من عدي آخر ، يذكر أهل هذا العصر ؟

(٣) معنى تحكي في البيت الاول من البيتين السابقين : تشابه . وللصبا موقع خاص من العشاق ومنزلة رفيعة لدى رقيقي الشعراء ، فيقول مهيار :

يانسـيم الصبـح من كاظمة شـد ماهجت الجـوى والبرحا
الصبا إن كان لابد الصبا إنها كانت لقـلبي أروحا

فهي الرسول اليك منّي ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا[١]

قال ابن حجة :

قوله « ولأجل قلبك » فيه ما يفتت الاكباد ، ويحرك الجماد ، وإنّ من البيان لسحرا.

روتِ الصَّبا عنكم حديثاً طيباً فلذاك أصبحتِ الصَّبا تُستنشق
وتعطرتْ نفحاتُها من نَشْرِكم فلذاك أضحى الكونُ منه يَعْبق

وقال :

قد سألتُ النسيمَ وهو خبير بسؤالي إذ غاب وجهُك عنّي
قلت : قل لي هل ورد خدّيك غض؟ قال : قد ضاع نشره. قلت : منّي[٢]

ابن نباته :

مسموعُ لفظك في القلوب مُمَكَّن في الحبّ فوق تمكّن الملحوظ
حُفظتْ فوائدُه وضاعَ نسيمه فاعجب له من ضائع محفوظ

وقال :

يداوى أسى العشاق من نحو أرضكم نسيمُ صباً أضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم إذا سرى (طبيب يداوي الناس وهو عليل)

---

(١) هذا النوع من التضمين مما لايستساغ بمقياس الإسلام ، فالقرآن أشرف وأعظم وأجل من ان يستعمل امثال هذا الاستعمال ، ولا يجوز استعمال القرآن الا فيما جعل له وأنزل من اجله ، ولا يجوز تلاوته او كتابته الا في الموضع الملائم والجو الملائم والشكل المناسب والأدب اللازم ، والفقهاء ماكانوا ليمنعوا استعمال الذكر في الاغراض العادية من مثل قول بائع الكعك : الله كريم ، ونداء بائع الخس : الله الدائم؟. وتحذير من يرقى على سطحه بقوله : يا الله لتحتجب جاراته . .

ماكانوا ليمنعوا استعمال الذكر في الاغراض الدنيوية ثم يجيزون استعمال القرآن في الاغراض الدنية ، واذا كنا نربأ بالقرآن ان يعلق على جدران الدور او نحور ذوات الحسور وما يدفع لهذا الا التعلق والتبجيل والاعتزاز ، فما أحرانا ان ننزه كتاب ربنا الذي انزله نذيراً لنا بين يدي عذاب شديد ، عن امثال هذه المواطن التي يستهين بها كثير من الناس ، والتي هي مواطن عاديـــة ، وإلا فلو كانت من اغراض المجون أو مواطن الاستهزاء، فقد صرح العلماء بكفر من يفعل ذلك والعياذ بالله .

وانظر رسالة « الفاظ الكفر » من مطبوعات المكتب الاسلامي.

(٢) ضاع : انتشر . (ضاع يضوع ضوعاً) . والنشر : الريح الطيبة.

وقال آخر :

وكم لي اذا هبّ النسيم تحية ... إلى نحوكم لو أنّها تتكلم

وعندي من الأشواق ما لا يزيله ... سوى قربكم لا أوحش الله منكم

الحاجبي :

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ... ما طاب في سمعي حديث سواها

حفظتْ أحاديثَ الهوى وتضوعتْ ... نشراً فيا لله ما أذكاها

وقال آخر :

يا طيب ما جاء النسيم بعرفكم ... وحديثه عنكم حديث مُرْسَل[1]

حمّلته منّي السلامَ عليكم ... فأطاعني لكنه يتعلل

الصفدي :

يا طيبَ نشرٍ هبّ لي من أرضكم ... فأثار كامنَ لوعتي وتهتكي

أهدى تحيتكم وأشبَه لطفكم ... وروى شذاكم إنّ ذا نشر ذكي

ابن أبي حجلة :

يا طيبريح سرى من نحوكمسحرا ... لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما ... أرى لداء غرامي في الهواء شفا

(**لطيفة**) حكى العلامة الزمخشري في الكشاف، أنّ ريح الصبا، هي التي تبلّغ الانباء للأنبياء عليهم السلام. وذكر الواحدي في تفسيره (الوسيط) أنّ ريح الصبا هي التي أرسلتْ ريحَ يوسفَ إلى يعقوبَ عليهما السلام، قاله عند قوله: «إني لأجد ريح يوسف». ولذلك تجد العشاق يستخدمون هذه الريح في حمل السلام، كما قيل :

أستخدمُ الريحَ في حمل السلاملكم ... كأنّما أنا في عصري سليمانُ

كأنّ يعقوب أنباني بقصته ... فللصبا عند قلب الصّبّ أشجانُ

---

(١) مرسل اسم مفعول من أرسل، اي ان الحديث الذي جاء به النسيم، مرسل من قبلكم، إلا ان الحديث المرسل ايضاً في مصطلح الحديث، هو الحديث، الذي لم يرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما بقي موقوفاً على الصحابي او التابعي. وفي الاخذ بالاحاديث المرسلة، خلاف بين الفقهاء معروف.

والعرف : الرائحة، لاسيما الطيبة.

ما ألطف ما قال :

إن كانتِ العشاقُ من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو عليهم ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

قيل وتليها الشمال في الفضيلة، ولها ذكر في الأشعار ، فمن ذلك لأبي نُواس :

هبّتْ لنا ريحٌ شمالية أتتْ إلى القلب بأسباب
أدّتْ رسالات الهوى بيننا عرفتها من بين اصحابي

فائدة : في تفسير الفخر الرازي : الرياح ثمان، أربع منها عذاب، وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم ، وأربع منها رحمة ، وهي النّاشرات والمبشّرات والمُرسلات والذاريات . ومن الآثار عندها : اللهم إني أسألك خيرَها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها وشرّ ما أرسلت به .

وقال : الموجود ، ينقسم الى واجب لذاته ، وإلى ممكن لذاته ، وهو ما سوى الباري تعالى ، وهو المسمّى بالعالم ، وينقسم الى ما هو متحيز والى ما هو صفة للمتحيز والى ما ليس بمتحيز ولا صفة له ، والقسم الأول إما ان يقبل القسمة وهو الجسم ، أو لا يقبلها وهو الجوهر، والذي يقبل ينقسم الى الاجسام العلوية والاجسام السفلية، وهي إما بسائط وهي العناصر الأربعة[1]، وإما مركبة وهي المواليد التي هي المعادن

---

(١) العناصر الاربعة هي التي كانوا يزعمون ان جميع الاجسام تتألف منها ، وان الاجسام انما تختلف عن بعضها بحسب النسبة التي يدخل فيها كل من هذه العناصر فيها . وكان علماء اليونان — بعد ان كانوا يتبنون ان الماء هو اصل جميع الاجسام — يقولون ان هذه العناصر الاربعة هي : الماء والهواء والتراب والنار ، وانها تنتج الصفات الاصلية الاربع ، فالرطوبة من الماء والهواء ، والجفاف من التراب والنار ، والبرودة من الماء والتراب ، والحرارة من النار والهواء . . ثم وجد الكيميائيون المسلمون ان هذه العناصر لاتكفي ، لوجود صفات في الاجسام لاتغني العناصر الاربعة في تفسيرها كالبريق ، والاحتراق ، والذوبان ، فاضافوا الى العناصر الاربعة ثلاثة اخرى وهي : الزئبق — الذي ينتج اللمعان — ، والكبريت — الذي يسبب الاحتراق — ، والملح — الذي ينجم عن وجوده الذوبان . فاصبحت العناصر الاصلية عندهم سبعة .

ثم مرت قرون ، فظهر قبل قرنين ان العناصر ستة وثلاثون ازدادت بعد ذلك الى خمس وستين، ثم اصبحت قبل نصف قرن اثنين وتسعين اولها الهدرجين وآخرها الاورانيوم . ثم عادوا فوجدوا — مع الحرب العالمية الثانية — ان الأمر لايقف عند حد فاكتشفوا عناصر اخرى ، حتى اصبح عدد العناصر الآن ثلاثة بعد المئة . واكتشفوا ايضاً ان هذه العناصر ليست اصلية بكل معنى الكلمة ، ولكنها تتألف جميعاً من لبنات « أبسط » منها ، أبرزها البروتون والنترون والكهروب . .

ووجدوا ان ماتوهموه من مخرهم لبحر العلم ليس الا غروراً اجوف ، وأنهم مازالوا بعد على الشاطيء ! ولكنهم لم يفطنوا بعد الى ان العلم ليس بهذه الأمور ، وان العلم المادي كله — ماعرفوه منه وما لم يعرفوه — ليس إلا بركة صغيرة الى جانب بحر العلم العظيم .

والنبات والحيوان . والقسم الثاني وهو ما هو صفة للمتحيز وهي الأعراض . والقسم الثالث وهو ما ليس بمتحيز ولا صفة له وهو الأرواح ، وهي إما علوية وإما سفلية ، والعلوية إما متعلقة بالأجسام وهي الأرواح الفلكية ، وإما غير متعلقة بالأجسام وهي القديمة ، والسفلية صالحة ومَرَدَة . كذا في (كنز الأسرار) .

ذكر فضل النيل

قيل : لم يسم في القرآن نهر سواه ، وذلك قوله تعالى : « فألقيه في اليمّ » أجمع المفسرون على أن المراد باليمّ هنا النيل بمصر [1] . وعن كعب : أربعة أنهار من أنهر الجنة في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة . وعن ابن عباس رضي الله عنه : أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار [2] : سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ، أنزلها من عين واحدة من الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها ، على جناحي جبريل عليه السلام ، واستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض بقدر ، فذلك قوله : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الأرض » فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ، أمر الله جبريل فرفع من الأرض القرآن ، والعلم ، والحجر من البيت ، ومقام ابراهيم ، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ، فيرفع كل ذلك الى السماء ، فذلك قوله : « وإنّا على ذهاب به لقادرون » .

---

(١) لعل الأولى ان يقال : لم يشر القرآن الى نهر سواه ، فان القرآن ذكر انهاراً كثيرة ولم يسم واحداً منها باسمه — من انهار الارض — لا النيل ولا غيره ، الا ان القرينة في « فألقيه في اليم » تبين انه النيل ، فليس في مصر ، حيث كانت ام موسى ، نهر كبير كاليم سواه . وبذلك يخرج نهر طالوت « فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر . . » فيبدو انه نهر في فلسطين ، ولكن اي نهر ؟

(٢) ورد ذكر الانهار النازلة من الجنة في احاديث صحيحة ، وان كان ما اذكره منها يذكر أنها اربعة انهار : دجلة والفرات وسيحون وجيحون — بدون ذكر النيل — ولعل الجنة التي تنزل منها هذه الانهار هي الجنة التي كان فيها آدم قبل انيهبط الى الارض ، والخلاف في محل هذه الجنة ، أهي في الارض ، أم هي جنة الآخرة ، خلاف قديم ، ولكل أدلته ، وان كانت أدلة من يقول انها في الأوض تبدو ارجح واقرب .

فاذا كان ذلك كذلك ، فينتج عن ذلك ان اواسط آسيا الى هضبة ارمينيا ، كان من جنة الارض . والله تعالى أعلم .

ذكر ما قيل في النيل من الأشعار البديعة والمعاني المنيعة .

فمن ذلك للصفدي :

رأيتُ في أرض مصر إذ حللت بها　　عجائباً ما رآها النّاس في جيل
تسْوَدّ في عينيَ الدنيا فلم أرها　　تبيضّ إلا إذا ما كنتُ في النيل

ابن أبي حجلة :

النيلُ زاد زيادة قد آدنتْ　　من كل باسقة النخيل بطلعها
ولكم به من مركب في الجوّ قد　　أضحى عمود الصبح صاري قلعها

الوراق :

هجم النيل في البيوت على النّا　　س وثنّى فيهم بقطع الطريق
ثقب الدور والبساتين لمّا　　جاء يسعى من كل فجٍّ عميق

ابن اللبان :

مررت بشاطى النيل والماء مولع　　بلثم ثناياه يبوس ويصدر
فخلت فضول الموج في الشط بردة　　بحاشية بيضاء تطوى وتنشر [1]

غيره :

أما ترى البحرَ ما أحلى شمائله　　والموج يضرب برا ثمّ ينحرف
كأنّه ملك تأتي الجيوش له　　تقبّل الأرضَ طوعاً ثمّ تنصرف

---

(١) شاطيء النيل — تلفظها شاط النيل — اصلها شاطيء ، وحذفت الهمزة ليستوي وزن البيت فلا يكسر ، وللشعر ضرورات .

ومولع : من الولع بالشيء وهو حبه والتعلق الشديد به . والثنايا : اسنان مقـدم الفم وتليها الانياب ثم النواجذ ثم الاضراس . .

والبوس : التقبيل (معرب بوش بالفارسية) . والصدر يقابل الورود ، فورود الماء إتيانه ، والصدر الانصراف عنه .

الفضول البقايا .

والبردة ضرب من الثياب والجمع برود .

والطى والنشر معروفان .

ابن تميم :

يومٌ لنا بالنيل مختصر ولكلّ يوم مسرةٍ قِصَر
فكأنّما أمواجه عُكَن وكأنّما داراته سُرَر [1]

التقى السبكي :

لعمرك ما مصر بمصر وإنّما هي الجنّة العَليا لمن يتفكر
وأبناؤها الولدان والحور عينها وروضتها الفردوس والنيل كوثر [2]

علي المغربي :

أيا ساكني مصر غدا النيل جاركم فألبسكم تلك الحلاوة في الشعر
وكان بتلك الأرض سحرو ما بقي سوى أثر يبدو على النظم والنثر

البدر البشتكي :

رعى الله مصر كم بها من مسرةٍ ومنزلِ أنسٍ لاح كالطالع السعدِ
رويتُ الهنا عن سدّها يوم كسرها فها أنا مهما عشتُ أروي عن السدّ

وقال :

شرب على مقياس مصر وغنّ لي من روضة المعشوق في عشاق
وافخر بمصر على البلاد فنيلُها يعلو على الأوصاف باستغراق

لطيفة : ركب الأمير تميم بن المعز ليلة في النيل ، فمر ببعض الطاقات المشرفة على النيل ، فسمع جارية تغنّي وتنشد :

نبّهتُ نَدماني بدجلة موهنا والنجم في أفق السماء معلّق
والبدر يضحك وجهُه في وجهها والماء يرقص حولها ويصفّق

فطرب عليها ، ولم يزل يشرب حتى انصرف وهو لا يعقل ، فلما أصبح قابل ذلك النظم بقوله :

---

(١) عكن البطن طياته . وسرر جمع سرة . وتشبيه صدر النهر بالبطن واضح .

(٢) الحور جمع أحور وحوراء ، وقد مر . والعين ، بكسر العين ، جمع أعين وعيناء : الذي عظم سواد عينه في سعة وفي سورة الواقعة « وحور عين » وهذه الصفة مستحبة في البشر والبقر ، يمدحان بها ، وللشماخ :

إذا الارطى توسد أبرديه خدود جوازىء بالرمل عين

والروضة حي في القاهرة بين فرعين للنيل ، لذا تسمى ايضاً جزيرة الروضة ، وفيها كانت دار الجلال السيوطي التي فيها اعتكف وألف .

شربنا على النيل في مدّه بموج يزيد ولا ينقص
كأنّ تكاثف أمواجه معاطف غانية ترقص

ابن أبي حجلة :

قدمتُ على السلامة من دمشق فَراق بنيل مصر ما تكدّر
إذا ما احمرّ ماءُ النيل فيها فشارب روضها بالعشب أخضر [1]

ابن الصاحب :

كانتْ لمصر بهجة بالنيل مذ ولـّى خلت
كأنّـــه زوج لهـــا فبعـــده ترملت [2]

قصة ظريفة :

أخرج البيهقي في (شعب الايمان) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته فقالوا : أيها الملك أجر لنا النيل ، قال : إنّي لم أرض عنكم ، فذهبوا ، ثم أتوه فقالوا : يا أيها الملك ، ماتت البهائم ، وهلكت الأبقار ، إن لم تجر لنا النيل لنتخذنّ إلها غيرك ، قال اخرجوا الى الصعيد ، فخرجوا ، فتنحّى عنهم بحيث لا يرونه ، فألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة [3] ثم قال : اللهم إنّي خرجت اليك مخرج العبد الذليل ، إنّي أعلم أنك تعلم أنّي أعلم أنه لا يقدر على إجرائه غيرك فاجره ، قال فجرى النيل ، فخروا له سجّدا ، وعـرَض جبريل عليه السلام فقال : أيـّها الملك أعنّي على عبدي ، قال : وما قصته ؟ قال : عبد لي ملـّكته على عبيدي وخوّلته مفاتيحي فعاداني ، فأحب من عاديت ، وعادى من أحببت ، قال بئس العبد عبدك ، لو كان لي عليه سبيل لغرقته في بحر

---

(١) اهمه واغمه وكدر مزاجه فراق دمشق، فلما رأى النيل ـ الكدر بالطمى ـ راق ببهجة منظره ماتكدر من مزاجه .

ثم يقابل بين ماء النيل الاحمر ـ بالطين والطمي ـ والرياض المعشوشبة الخضر . فاستعمل « شارب » التي تعني ان الروض شارب من ماء النيل فمخضر بسبب ذلك . وتعني ايضاً ان شارب الروض ولحيته ايضاً قد ظهرا أخضرين .

والعشب الحشيش اي الكلأ الرطب .

المعنى البعيد المرادمن قوله « ترملت » انها اصبحت فقراء، والمعنى القريب : انها اصبحت ارملة .

(٢) اي اصبحت ارملة فصارت مرملة.

(٣) هي عند فرعون ومن هم بسبيله اشبه (السبابة) ، اما عندنا فتدعى (المسبحة) .

القلزم ، فقال : أيها الملك أكتب لي كتاباً ، فدعا بكتاب وكتب : ما جزاء العبد الذي خالف سيّده فأحبّ من عادى وعادى من أحبّ إلا أن يُغرق في بحر القلزم ، فقال : أيها الملك اختمه ، فختمه ثم دفعه اليه ، فلما كان يوم البحر ، أتاه جبريل بالكتاب وقال له : خذ ، هذا ما حكمت به على نفسك ، انتهى. من (المحاضرة) وفي ذلك قيل :

ولمّا طغى فرعونُ جهلا وقومُه — وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض
أتى نحوهم موسى وفي يده العصا — فأغرقهم في اليمّ بعضاً على بعض

حكاية لطيفة :

فرعون موسى عليه السلام هو مصعب بن الريان ، قيل من بقايا عاد ، وقيل كان عطارا أصفهانياً ركبته الديون ، فخرج الى الشام فلم يتيسر له المقام بها ، فدخل مصر فرأى أهلها متروكين سدى ، وكان وقع بها وباء عظيم ، فتوجّه نحو المقابر فرأى ميتاً يدفن ، فتعرّض لأوليائه. وقال : أنا أمين المقابر فلا يدفن إلا بخمسة دراهم ، فدفعوها إليه ، ومضى لآخر وآخر ، حتى جمع مالا عظيماً ، إلى أن تعرّض يوماً لأولياء ميت ، فمنعوه ورفعوه الى فرعون مصر ، فقال : من أنت ومن أقامك ؟ فقال : لم يقمني أحد ، وإنما فعلت ذلك لأنبّهك على اختلال مملكتك ، وإني جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال ، فأحضره ودفعه إليه وقال له : ولّني أمورك ترني أميناً ، فولاّه ، فسار بهم سيرة حسنة ، فاستقامت أحوالهم ، فلما مات فرعون أقامه مقامه ، فكان من أمره ما كان . وبينه وبين فرعون يوسف عليه السلام — وهو الريان — أكثر من أربعمائة سنة . وحكى ابن أبي حجلة : أنّ مدّة ملك فرعون كانت أربعمائة سنة ، وعاش نيّفاً وستمائة سنة لم ير في حياته مكروها ، ولم يزل مخوّلا في نِعم الله تعالى ، حتى أخذه الله «نكال الآخرة والأولى» وكان قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار ، كذا في (السكردان) .

ومن محاسن مصر :

الروضة ، قال المقريزيّ : وتطلق في زماننا على الجزيرة التي هي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة ، والجزيرة كلّ بقعة في وسط البحر ، سمّيت بذلك لأنها جزرت ، أي قطعت عن معظم الاعظم ، والنيل دائر عليها ، وفيها من الثمار

والبساتين ما ليس في غيرها ، وهي متنزه أهل مصر ، وفيها قيل :

أرى سوح الجزيرة من بعيد ... كأحداق تغازل بالمغازل
كأن مجرّة الجوزاء حطّتْ ... وأثبتتِ المنازل في المنازل[1]

وللأسعد بن مماتي :

جزيرة مصر لاعدتكِ مسرة ... ولا زالت اللذات فيكِ اتصالها
فكم لكِ من شمس على غصن بانة ... يميت ويحيي هجرها ووصالها

ومنها خليج مصر ، وهو بظاهر الفسطاط ، ويمرّ من غربي القاهرة ، وهو أقدم خلجان مصر الثمانية ، احتفر أيام هاجر ، وكان مصبه القلزم الى أن قدم[2] محمد

---

(١) سوح — وكذلك ساح وساحات — : جمع ساحة . واحداق العيون جمع حدقة .
والمجرة — وتسمى درب التبان — مجموعة هائلة من النجوم ترى لبعدها كالغبار في السماء ، اذ يزيد بعدها على مئات الالوف من السنين الضوئية — والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة من الزمن ، مع العلم ان سرعة الضوء ثلاثمئة الف كيلو متر في الثانية الواحدة — وفيها ملايين الملايين من النجوم التي يفوق معظمها الشمس في العظم .
والجوزاء : احد البروج ، وهو ايضاً نجم في السماء ، كثير اللمعان ، يضرب المثل بارتفاعه ، يقول المتنبي في وصف جيش سيف الدولة :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم

والمنازل بالنسبة الى القمر كالبروج بالنسبة الى الشمس .
اي ان كل قسم من اقسام فلك الشمس — اي مدارها — يسمى برجاً . وكل قسم من اقسام مدار القمر يسمى منزلة .

(٢) كذا في الاصل : (قدم) والتحريف فيها جلي والمتسق مع السياق والسباق ان تكون: قام ، وذلك ان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى قام على المنصور — اي خرج عليه — بالمدينة ، وارسل اخاه ابراهيم بن عبد الله فخرج في البصرة ، وكانت هذه الثورة من اهم ما اقض جانب المنصور قبل ان يخمدها بدهائه وحزمه وبأسه .
وأما هاجر ، التي يذكر ان الخليج احتفر في أيامها ، فهي رضي الله عنها جارية ابراهيم وام ولده اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما وعلى انبياء الله اجمعين . وهي التي تركها ووليدها اسماعيل بواد غير ذي زرع ، فأصبحت تلك البقعة المباركة مكة ، ، وظهرت — عند قدمي الوليد — زمزم ، وشرع السعي بين الصفا والمروة — التي سعت هاجر بينهما — وبني البيت المعظم .
وهذا الخليج ، الذي احتفر منذ آلاف السنين ، كان يصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ، اي نفس الفكرة التي قاموا لأجلها باحتفار قناة السويس ، وطبلوا وزمروا للذكاء الكبير والفطنة الدقيقة والعلم الواسع لدى السادة الغربيين ، ولم يريدوا من القناة ، ما اريد من الخليج من خير ونفع ، ولكنها — حتى قبل ان يشرف فرديناند دولسبس على احتفارها — انما قامت وسيلة للشر ، ومطية *

بن عبد الله بن الحسن العلوي بالمدينة ، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر ، أن يطم هذا الخليج ، حتى لا يحمل الميرة من مصر إلى المدينة ، فطُم ّ وانقطع اتصاله بالقلزم ، ولما بنيت القاهرة بشرقيه صار يعرف بخليج القاهرة ، وتسمّيه العامة بالخليج الحاكمي ، وقال فيه الشعراء فاكثروا ، قال ابن الساعاتي :

وعلى السدّ عزة قبل أن تم ... لمكه ذلة المحبّ الخَضوع
كسروا جبره هناك فحاكى ... كسر قلب يتلوه فيضُ دموع

سبط الملك :

سدّ الخليج بكسره جَبَرَ الورى ... طُراً فكلّ قد غدا مسرورا
المــاء سلطان فكيف تواترت ... عنه البشائر إذ غدا مكسورا ؟

قال آخر :

لله درّ الخليج إن له ... تفضّلا لا نزال نشكره
حسبك منه بأنّ عادته ... يجْبُر من لا يزال يكسره

وقال آخر :

كُسِر الخليج وكان ذلك نعمة ... سرّت قلوب العالمين بنشره
ومن العجائب والغرائب أنه ... جُبرت قلوبُ العالمين بكسره

ابن تميم :

خليج كالحسام له صقال ... ولكنْ فيه للرائي مسرّه
ترى فيه المِلاحَ تجيد عوْماً ... كأنّهم نجوم في المجره

---

* للاستعمار ، وكان مهر مصر منها ، مقابل هذا الخير الذي قدمته للعالم الويلات والنكبات التي زاقتها على يد التاج البريطاني ، خدين السفاح للقناة .

والقاهرة التي يذكر بناءها شرقي الخليج ، بناها المعز لدين الله الفاطمي ، على يد قائده جوهر ، الذي فتح له مصر ، ولذا تسمى بالقاهرة المعزية ، وهي عاصمة مصر الآن .

أما الفسطاط ، الذي ذكره اولا ، فقد بناه ـ والبلدان تذكر وتؤنث ـ فاتح مصر العظيم ، الصحابي عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، الذي كان سبب هذا الخير الكبير ووسيلته الى مصر ، حينما حمل اليها الاسلام

ومن محاسنها: بركة الفيل ، التي كأنّها دارة الهلال ، أو سماء تزينت مجرّتها بنجوم من الجمال ، ونحوها بركة الرطلي ، فإنّها لا تزال تبدي محاسنها وتملي ، انشد لنفسه التقي المقريزي :

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت ... بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنّما هي والأبصار ترمقها ... كواكب قد أداروها على القمر

وقال حسن التميمي :

أقمت بالبركة الفيحاء مدهقة ... والماء مجتمع فيها ومسفوح
إذا النسيم جرى في مائها اضطربت ... كأنمّا ريحه في جسمها روح

ومن محاسن مصر : المدرسة المنصورية ، قال السيوطي : أنشأها والبيمارستان الملكُ المنصور قلاوون ، وكان على عمارتها الأميرُ علم الدين سنجر الشجاعي ، فلما تمّت ، دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة أوّلها :

أنشأت مدرسة ومارستاناً ... لتصحّح الأديان والأبدانا

فأعجبه ذلك وأجزل عطاءه . ورتّب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الأربعة ، ودرس تفسير ، ودرس حديث ، ودرس طبّ .

ومدرسة السلطان حسن بن ناصر محمد بن قلاوون ، شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، قال المقريزي : لا يعرف ببلد الإسلام معبد يحكي هذه المدرسة في كبر قالبها او حسن هندامها ، أقامت العمارة فيها مدة ثلاثين سنة ، لا تبطل يوماً واحداً ، ورُصد لمصروفها كلّ يوم عشرون ألف درهم ، عنها ألف مثقال ذهباً ، حتى قال السلطان : لولا أن يقال سلطان عجز عن إتمام ما بناه لتركت بناءها . وذَرْع إيوانها الكبير خمسة وستون ذراعاً في مثلها ، ويقال إنّه أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع . وبها أربع مدارس للمذاهب الأربعة ، قال الحافظ ابن حجر في (أنباء الغمر) : وكان السلطان حسن أراد ان يعمل في مدرسته درس فرائض ، فقال له البهاء السبكي : هو باب من أبواب الفقه ، فأعرض عنه ، فاتفق وقوع قضية في الفرائض مشكلة فسئل عنها البهاء السبكي فلم يجب ، فأرسلوا إلى الشيخ شمس الدين الكلاىء ، فقال : إن كان الفرائض من أبواب الفقه فما له لا يجيب عنها ؟ فشقّ ذلك على البهاء وندم على

ما قال . وكان السلطان عزم على أن يبني أربع منائر ، فتمت ثلاثة ، إلى أن كان يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، سقطت المنارة التي على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا قد رتّبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم ، فلهج الناس بأن ذلك ينذر بزوال الدولة ، فاتفق قتل السلطان بعد ذلك بثلاثة وثلاثين يوماً :

وقلما قيل ن شيء لمسألة إلا ويبدو لها في الناس من خبر

وفي هذه التواريخ ومدة العمارة تنظير .

ومن محاسن مصر : المدرسة المؤيدية ، قال السيوطي : انتهت عمارتها سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار ، واتفق بعد ذلك بسنة ، ميل المنارة التي بنيت لها على البرج الشمالي بباب زويلة ، فأكثر الشعراء من القول في ذلك ، قال الحافظ ابن حجر : وكنت قلت وانشدت بمجلس المؤيد :

لجامع مولانا المؤيّد رونق منارته بالحسن تزهو و بالزّين
تقول وقد مالت على البرج أمهلوا فليس على جسمي أضرّ من العين

فأراد بعض الجلساء ، العبث بالشيخ بدرالدين العيني ، فقال إنّ فلاناً قد عرّض بك ، فغضب واستعان بمن نظم له نقيضهما ونسبهما لنفسه ، وعرف كل من يذوق الأدب أنهما ليسا له ، لأنه لم يقع له قريب من ذلك :

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبتْ بعين قلت ذا غلط ما أوجب الهدمَ إلا خسّة الحجر

قلت : هما للنواحي الابرص لا بارك الله فيه ، انتهى . من (انباء الغمر) . و كان يقال ما أتي المرءُ الا من نفسه ، وقال ابن النبية :

بجامع مولانا المؤيد أنشئت عروس سمت ماخلْتُ قطّ مثالَها
وقد علمتْ أن لانظير لها انثنتْ وأعجبها والعُجْب عنّا أمالها

ذكر بعض الحوادث الغريبة بمصر لما اشتملت عليه من الحكم :

حكى السيوطي في (المحاضرة) إن في سنة ست وستين من الهجرة ، وقع الطاعون بمصر ، وفي سنة سبعين كان الوباء ، وحكى ان بعض الزهاد قال : بلغني ما وقع ببغداد

من القتل الذريع ، فقلت يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ فرأيت في النوم رجلاً في يده كتاب فأخذته منه فاذا فيه :

دع الإعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلكْ[1]
ولا تسألِ اللهَ عن فعله فمن خاض لجَة بحرٍ هلكْ

« ثم قال »[2] قلت[2] : أجرى الله عادته أنّ العامة اذا زاد فسادها وانتهكت الحرمات بينهم ، أرسل الله عليهم آية في اثر آية ، فإن لم ينجع ذلك فيهم ، أتاهم بعذاب من عنده ، وسلّط عليهم من لا يستطيعون له ردّاً ولا دفاعاً ، انتهى . وأصل ذلك سرّ قوله تعالى : (وإذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها) وما أحسن ما قال :

---

(١) الفلك هو فلك النجوم الذي فيه تدور ، والمقصرد هنا بحركات الفلك ، حركات الكون وأحداثه ، التي قد لاتأتي على مرام الانسان ومراد الخلق ، ولكن حسبما قضى الله وقدر :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الاقدار

أما ماعجب منه وانكره الزاهد — من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولعالم واحد أشد على الشيطان من الف عابد — فقد أتي فيه — إن صح الخبر — من قلة علمه وفقهه ، وإلا لعلم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة حينما قال — فيما رواه مسلم عن السيدة عائشة — : « يغزوجيش الكعبة، فاذا كانوا ببيداء من الارض ، خسف بأولهم وآخرهم . فقالت عائشة رضي الله عنها : كيف يخسف بأولهم وآخرهم . وفيهم اسواقهم ومن ليس فيهم ؟ قال ياعائشة، يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» .

والخطأ الذي وقع فيه الزاهد — ويقع فيه كثير من الناس الآن — انه توهم ان هذه الامور بلاء وعذاب ، مع ان المصائب الحقة ، هي مايصيب ظالمي انفسهم في الآخرة من وبال ، وإلا فما ينزل بالناس في الدنيا ، قد يكون عذاباً وقد يكون اختباراً وقد يكون رحمة . وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه حينما جاءه المسلمون ، لما وقع طاعون عمواس في الشام وقضى فيه كثير من الناس وفيهم ابو عبيدة رضي الله عنه ، جاؤوا اليه يسألونه ان يدعو اللـه عز وجل ليرفع عنهم هذا الرجز ، فقال : انكم تدعونه رجزاً ، وليس برجز ، إنه رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يخص اللـه بها من يشاء من عباده ، يا أيها الناس ، خافوا ماهو أشد من ذلك ، ان يصبح أحدكم لا يدري أمؤمن هو أو منافق ! ولو كان الابتلاء عذاباً من اللـه ، لما كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل. وكيف ،واذا احب اللـه عبداً ابتلاه ؟ ولو كان المرض والجوع والمحن مصائب حقاً ، لما مرض رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ولما جاع .

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

ولكن التفاضل والسعادة والشقاء ، انما يكون في الآخرة .

(٢) اي السيوطي .

سلّم له الأمر تَعشْ سالماً وارضَ بأحكام اللطيف الخبير
ولا تقلْ علمي ولا حكمتي فالحكم لله العليّ الكبير

وفي سنة خمس وأربعين ومائة ، انتثرت الكواكب من أول الليل الى الصباح ، ففزع الناس لذلك . وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ظهر في السماء شيء مستطيل دقيق الطرفين عريض الوسط من ناحية الغرب ، فأقام من وقت المغرب الى العشاء الآخرة ، ثم انقض ، حكاه السيوطي عن صاحب « المرآة » .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين ، قال ابن الجوزي : طلع نجم ذو جمّة . ثم صارت الجُمّة ذؤابة . وفي تلك السنة غار النيل فلم يبق منه شيء ، وهذا شيء لم يعهد مثلـه .

وفي أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم ، فراعه ذلك ، فسأل العلماء والمنجمين عن ذلك فما اجابوا ، وللجمل في ذلك :

قالوا تساقطت النجو م لحادث خطبٍ عسير
فأجبتُ عند مقالهم بجواب محتنكٍ خبير
هذي النجوم الساقطا ت رجوم أعداء الأمير[1]

وفي سنة أربع وثمانين ومائتين ، ظهرت بمصر ظلمة شديدة ، وحمرة في الأفق ، من وقت العصر الى الليل .

وفي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ، انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال ، قبل مغرب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه ، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد .

وفي سنة ثلاثين ، ظهر كوكب رأسه الى المغرب وذنبه إلى المشرق ، وكان عظيماً جداً منتشراً ، وبقي ثلاثة عشر يوماً الى أن اضمحل .

---

(١) هذا قديم في مصر — ويقع في غير مصر — كلما ظهرت نذر سخط او بوادر عذاب ، بادر علماء السوء وغواة الشعراء لطمأنة اولي الامر ، فيجعلون — في سبيل ارضائهم واستجداء تافه فتاتهم — الحق باطلا والضلالة خيرا . .

منذ ان جاءهم موسى بالحق فصدوا ، (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات . .) فلم يرعووا !

واذا رأوا الشهب والرجوم ، والهزات والزلازل ، قالوا : رجوم اعداء الامير ، وان الزلزلة ان هي الا رقص الارض فرحاً بعدل الحاكم المختل . . وما فتاوى بعض الأزهريين منا ببعيد !

وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة شديدة ، هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات .

وفي سنة تسع وأربعين ، رجع حج مصر من مكة ، فنزلوا وادياً أخذهم فيه السيل عن آخرهم .

وفي سنة ستين سار رجل من مصر الى بغداد وله قرنان ، فقطعهما وكواهما ، وكانا يضربان عليه ، حكاه صاحب « المرآة » .

وفي سنة أربع وثمانين وخمس وثمانين ، انفرد بالحج أهل مصر ، ولم يحج ركب العراق ولا الشام لفساد الطريق بالاعراب .

وفي سنة سبع وتسعين كسا الحاكم الكعبة القباطي البيض .

وفي سنة سبع وأربعمائة ، تشعّب الركن اليمانيّ من المسجد الحرام ، وسقط جدار من قبر النبي عليه السلام ، وسقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس . وفي أيام الحاكم زلزلت مصر زلزلة شديدة ، حتى رجفت ارجاؤها وضجت الأمة ، فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً وكيف لا وهو نجل السادة النجبا

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها وانّما رقصت من عدله طربا [١]

وفي سنة ثلاثين لم يحجّ أحد من الأقاليم بأسرها .

وفي سنة إحدى وأربعين ، ارتفعت سحابة سوداء ليلاً وزادت على ظلمة الليل ، فظهرت جوانب السماء كالنار المضيئة ، واستمرّت ساعة والناس يتضرعون .

وفي سنة ثلاث وأربعين قال في « المرآة » : عمّ الوباء والقحط مصر والشام وبغداد والدنيا ، وانقطع ماء النيل ، وفيها ظهر نجم له ذؤابة بيضاء طولها في رأي العين نحو عشرة أذرع في عرض ذراع ، واستمرّ كذلك شهراً كاملاً ثم اضمحل .

وفي سنة ستين وقع بمصر غلاء لم يسمع بمثله من عهد يوسف الصديق عليه السلام ، وأقام سبع سنين متوالية ، بحيث أكلت الميتة ، وبيع الكلب بخمسة دنانير ، ولم يبق للخليفة سوى ثلاثة أفراس بعد العدد الكثير ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته ، فأخذت من غلمانه فذبحت وأكلت ، فأخذ الذين أكلوها وصلبهم ، فأصبحوا وقد أكلهم

---

(١) ارجع إلى الحاشية رقم (١) في الصفحة (٥٢) .

الناس ولم يبق الا عظامهم . وبلغت البيضة ديناراً ، وأردب القمح مائة دينار ، ثم انعدم ، حتّى حكى صاحب « المرآة » أنّ امرأة خرجت من القاهرة ومعها مدّ جوهر فقالت : من يأخذه بمثله من البرّ ؟ فلم يلتفت اليها أحد .

وفي سنة سبع وتسعين هبط النيل ، فاشتد الغلاء والوباء، وتفرق الناس وتمزقوا كل ممزّق ، وكان الرجل يذبح ولده ، فتساعده أمه على طبخه ، وكان الرجل يدعو صديقه ليضيفه ، فيذبحه ويأكله ، وفعل ذلك بالاطباء ، وكثر الفناء ، قال الذهبي في « العبر » : فلو قال القائل مات ثلاثة أرباع الأقليم لما أبعد .

وقال العماد الاصفهاني : في سنة كذا اشتد الغلاء ، وامتدّ البلاء ، وحدثت المجاعة وتفرقت الجماعة ، وهلك القوي فكيف بالضعيف ، وتساوى المبتذل والعفيف ، وخرج الناس حذر الموت من الديار المصرية ، وتفرّقوا في الأقطار الحجازية والشامية ، ولقد رأيت الأرامل على الرمال ، والجمال باركة تحت الأحمال .

وفي سنة اربع وسبعمائة ، ولدت كلبة أربعين جرواً ، وأحضرت بين يدي السلطان ، فتعجب من ذلك ، وسأل المنجمين فلم يجيبوا عن ذلك .

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، رسم للأشراف بالديار المصرية والشامية ، أن يَسِموا عمائمهم بعلامة خضراء ، تمييزاً لهم عن الناس ، ففعل ذلك ، وفيه يقول ابن جابر الاندلسي صاحب « البديعية » وشارح « الألفية » في النحو :

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهرِ
نور النبوة في جمال وجوههم ... يُغْني الشريفَ عن الطرّاز الأخضرِ

وقال الشمس الدمشقي :

أطراف تيجان أتتْ من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصّصهم بها ... شرفاً ليفرقهم من الأطراف

وقال طاهر الحلبي :

ألا قل لمن يبغي ظهور سيادة ... تملّكها الزهر الكرام بنو الزهرا
لئن نصبوا للفخر أعلامَ خضرة ... فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا!

وفي سنة عشر وثمانمائة ، ولدت جاموسة ببلبيس [1] ، مولوداً برأسين وعنقين وأربع

(١) في الاصل « ببليس » ولا نعرف بلدة بهذا الاسم نحن ولا ياقوت ، والكلام عن مصر ، وبلبيس فيها معروفة مشهورة .

أيدي وسلسلة ظهر واحدة ورجلين اثنين وفرج انثى والذنب مفروق باثنين ، وكانت من بديع صنعة الله تعالى ، ولا تزال النفوس تعجب من الغريب وفيها ما يكفيها ، كما قال : (وفي أنْفُسِكُمْ أفَلاَ تُبْصِرُونَ) .

في الأرض آيات فلا تك مُنكراً ... وعجائب الأشياء من آياته

وفي سنة إحدى وعشرين ، بعد كسر الخليج ، غرق لبعض السوقة ولد ، فأراد دفنه فمنعه أعوان الوالي حتى يستأذنه ، فمضى ليستأذنه فأمر بحبسه ، ثم قيل له إنَّكَ لا تطلق حتى تعطي الوالي خمسة دنانير ، فالتزم بها ، وخرج فباع موجوده وموجود زوجته أم الغريق ، فبلغ أربعة دنانير ، واقترض ديناراً آخر ، وأخذ ولده فدفنه ، وترك المرأة وهرب من القاهرة ليلاً ، فبلغ ذلك السلطان ، فساءه ، وطلب الوالي فضرب بحضرته ، ولم يعزله . حكى الحافظ ابن حجر : فإن شئتَ فقل عدم عزله سياسة ، وإن شئتَ فقل إيثاراً للمنافع ، أو لأنه لم يجد عمالاً لامن الملائكةولا من أهل العصمة ، وإن شئت فقل ما في الامكان أبدع مما كان ، فلا تطلب من شيء غير ما تشاهد منه .

وفي « الطبقات » نقل الشيخ أحمد زروق ، عن الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي ، انه قال له أو لرفيقه : أخرجوا من هذه البلاد — يعني مصر — فإنّها تذهب نور الايمان هكذا قال عن زروق ، وقال : يتعين على كلّ من دخل هذه البلاد أن يجدّد إيمانه ، يعني بما يشاهده من المنكر ، وإنّه لصحيح لمن نظر بعين الانصاف .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ذبح جمل بغزة فأضاء لحمه كما يضيء الشمع ، وشاع ذلك حتى بلغ حد التواتر ، ورميَ من لحمه لكلب فلم يأكله .

وفي سنة اربع وعشرين ، شنق بعض العوام نفسه قهراً من زوجته ، وكان طلقها وهو يحبها ، فاتصلت بغيره ووكلته فيه ، فقتل نفسه . وكان يقال :

إذا رأيت أموراً ... منها القلوب تفتّتْ
فتّشْ عليها تجدها ... من النساء تأتّتْ

وما أصدق ما قال :

إن النساء وإنْ نُسبن لعفة ... رِمم تقلّبها النسور الحوّم
اليوم عندك سرّها وحديثها ... وغداً لغيرك ساقها والمعصم

وفي سنة ست وأربعين ، وصل الشريف علي بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة

من الطور ، وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ، فجهز في البحر إلى الطور ومعه أخوه ابراهيم مقيدين ، فحبسا ببرج القلعة ، وأخوهما أبو القاسم قد استقر في الإمرة ، وتوجه صحبة الركاب ، وشرط عليه أن يبطل النزلة ، ويعاقب من فعلها .

وقد خرجنا عن المقصود ، ولكن بحسب ما قيل :

إذا عَرَفَ الإنسان أخبار من مضى   توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره   إلى الحشر إنْ أبقى الجميل من الذكر

ومن العجائب بصعيد مصر : شجرة العباس ، وهي شجرة متوسطة ، وأوراقها قصيرة منبسطة فإذا قيل لها : يا شجرة العباس ، حال الناس ، إجتمعت أوراقها ، واحترقت لوقتها (١) ، كذا في « المحاضرة » .

ومن محاسن مصر قصب السكر الذي لا يوجد مثله في غيرها ، وعن الشافعي : ثلاثة أشياء دواء للداء الذي لا دواء له : العنب ولبن اللقاح وقصب السكر ، ولولاه ما أقمت بمصر ، وعلى ذلك فما أحلى قول القائل :

نزلنا على القصب السكريّ   نزول رجال يريدون نهبه
بجزّ كجزّ رقاب العدا   ومصّ كمصّ شفاه الأحبّه

وقال آخر :

تحكيه سمر القنا ولكن   يزيد في جسمه طلاوه (٢)
وكلّما زدته عذاباً   زادك من ريقه حلاوه

وقال آخر :

مهفهف قدّ ، ريقه الشهد ان بدا   يحاكي القنا لكن بغير سنان

---

(١) في هامش الطبعة الاولى : قوله واحترقت لعله وذبلت .

(٢) القنا : الرماح ، جمع قناة ، وهي الرمح قبل ان يركب فيه السنان :

كلما أنبت الزمان قناة   ركب المرء في القناة سنانا

وسمر القنا كثيراً مايشبهون بها الفتيان . إن في الخنوثة :

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا   وتقلدوا بدل السهام الاعينا

او في الصلادة والبأس :

نبهتهم مثل عوالي الرماح   الى الوغى قبل نموم الصباح
فوارس نالوا المنى بالقنا   وصافحوا أغراضهم بالصفاح

ويرجى لكل الناس منه منافع ويؤكل بعد العصر في رمضان [١]

وفي المعنى :

وذي هيَف كالرمح رنّحه الصّبا يفوق القنـا طولاً بغير سنان
له ولـد كل البرايا تحبه وتشتاقه إن عزّ منه تداني
وأعجب ما فيه يرى الناس أكله حلالاً بُعَيد العصر في رمضان

قال البصير في « التذكرة » : والقصب أجوده المصري والهندي ، الغليظ ، الكثير الماء ، الصادق الحلاوة ، الطويل العقد ، وهو حار في الأولى ، رطب في الثانية ، يهضم ، ويلطف الدم ، وهو أشدّ ملاءمة من السكّر ، وإن شرب عليه الماء الحار وأخرج بالقيء ، نقّى البدن من الأخلاط اللزجة .

ومن محاسن مصر : السبع زهرات التي تجتمع في صعيد واحد ، وهي النرجس والأقاح والشقيق والياسمين والبنفسج والآس والورد . ومن محاسن ماقيل في هذه الأزهار :

أنت يا نرجسة الرو ض لما في الروض سِتّ
ودليل القول عندي أنّ أوراقك سِتّ [٢]

وعلى ذلك فما أبهى قول البها زهير :

بروحيَ من أسمّيها بستّي فتنظرني النّحاةُ بعين مقت
يرَوْن بأنني قد جئت لحناً وكيف وإنني لزهير وقتي ؟

(١) الشهد : العسل ، ويحاكي : يشابه .
وبعد العصر واضح أنه لايريد بعد صلاة العصر ، وان أحب ان يوهم ذلك ، وانما أراد ان قصب السكر لايؤكل بقشره ، وانما يعصر فيشرب عصيره بعد العصر ، وفي البيت تورية .

(٢) ست في البيت الثاني هي العدد ستة ، أما في البيت الاول فتعني سيدة ، اي اميرة ، وكون النرجس أمير الازهار لايسلم به صفي الدين الحلي ، بل ويزعم انه لايطمع في المنزلة الثانية بينها ، اذ يقول :

قد نشر الزنبق اعلامه وقال كل الزهر في خدمتي
لو لم أكن في الحسن سلطانه مارفعت ، من دونه ، رايتي
فقهقه الورد الى جنبه وقال ماتحذر من سطوتي ؟
وقال للسوسن ماذا الذي يقوله الأشيب في حضرتي ؟
فامتعض الزنبق من قوله وقال للازهار : يارفقتي
يكون هذا الجيش بي محدقاً ويضحك الورد على شيبتي ؟

إذا ملكتْ جهاتي الستّ حقــاً فلا عجب إذا ما قلت سِتّي [١]

ولابن الساعاتي :

ونــرجس كالثغــور مبتسم لــه دموع المحدّق الشاكــي
أبكاه قطــر الندى وأضحكه فهو مــع القطر ضاحك باكي

الفارقي :

إنّ فــي عيــنيه معــنــى حــدّث النــرجس عــنــه
ليــت لــي من غصنــه سهــ ـمــاً فــفي قلبــيَ مــنـــه

آخــر :

وأحسن ما في الوجــوه العيون وأشبه شيء بهــا النــرجس
يظلّ يــلاحظ وجــه النديم فريــداً وحيــداً فيستأنــس

التلعفري :

وأكثر الناس في تشبيهــهم أبداً للنرجس الغض بالأجفان والحدَقِ
وما أشبّهه بالعَيْن إذ نظــرتْ لكنْ أشبّهه بالعَيْن والورِقِ [٢]

الاهوازي :

للآس فضل بقائه ووفــائه ودوام منظره عــلى الأوقــات
قامت على أغصانــه ورقاته كنصول نبل جــنّ مختلفــات

---

(١) يقال في الست — في الشطر الاول — وستي — في الشطر الثاني — ماقيل فيهما آنفاً .
اما زهير — في قوله : واني لزهير وقي — فهو زهير بن أبي سلمى المزني ، الشاعر الجاهلي الحكيم ، احد اصحاب المعلقات ، يكاد يختص بمدح هرم بن سنان المري ، وكعب بن زهير واخوه بجير رضي الله عنهما ، ابناه . وروى ان عمر رضي الله عنه قال : أشعر الناس الذي يقــول ومن ، ومن ، ومن . . . . اي زهير فهو يقول في معلقته :

ومن لايصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لايكرم نفسه لايكرم
ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن يوف لايذمم ومن يهد قلبه الى مستقر البر لايتجمجم

الخ . . . .

(٢) للعين في العربية معان عدة . ومن معانيها العين المبصرة « في الشطر الاول » والذهب « في الشطر الثاني » اما الورق فهي الفضة . وفي سورة الكهف : (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منه) .

قيل :

الآس أول شيء غرسه نــوح عليه السلام ، حين خرج من السفينة ، ويكره السواك بعوده وعود الرمان ، لأنهما يحرّكان عرق الجذام ، وفي «مناهج العبر» اليونان تسمّي الآس مرسينا ، وهو أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو ما فسد منه ، وأزرق يسمّى الخسرواني . وثمره قدر الحمص ، ولــه ذكر في الأشعار ، وكثيراً ما يشبّه به العِذار ، فمن ذلك في هذه المسالك :

ومهــفهف ألحــاظهُ وعِذارُه   يتعاضدان عــلى قتــال النّاس
سفكَ الدماءَ بصارم من نرجس   كانت حمائل غِمْده مــن آس

ومما قيل في المنثور — ولا تعبق رائحته إلا ليلا — :

أنظــر إلى المنثور ما بيــننـا   وقــد كساه الطــلّ قمصانــا
كأنمــا صاغته أيدي الحيــا   من أحمر الياقوت مرجانا [١]

ولابن أبي حجلة :

زهر الوعود ذوى من طول مَطْلِكم   لأنــه من نداكم غــير ممطور
والعبد قد جهّز المنظوم ممتدحاً   فطابقوه إذا وافــى بمنثــور

وقال آخر وفيه الجناس التام :

ولم أنس قول الورد: لاتركنوا إلى   معاهــدة المنثور فهــو يمين
ألم تنظروا منــه بنانــاً مخضبا   وليس لمخضوب البنان يمين [٢]

وقال :

كــأنّ الياسمين الغض لمّــا   أدرتُ عليه وسطَ الروض عيني

---

(١) المنثور : نبات من فصيلة الصليبيات ذو زهر متعدد اللون ذكي الرائحة . والطل : المطر الخفيف ، وفي سورة البقرة : (فان لم يصبها وابل فطل) .

والصياغة : عمل الذهب والحلي والجواهر .

والحيا : المطر .

والياقوت والمرجان : من الجواهر .

(٢) يمين في البيت الاول : مضارع مان يمين ميناً ، اي يكذب ويخلف العهد ، أما يمين في البيت الثاني فهو القسم المعروف . واليمين تجمع على أيمن وايمان . ؟ ومعاهدة المنثور : عهده .

ومخضوب البنان في الشطر الاول هو الورد ، لاحمرار اوراقه ، اذ البنان الاصابع ، اما في الشطر الثاني فهو من يصبغ من الناس اصابعه بالحناء او الكتم او نحو ذلك . وركن إلى المرء اوالشيء : اطمأناليه .

سماء للزَبَرْجَد قد تبدّتْ　　لها فيها نجوم من لجين [١]

وقال :

يا مهديا لي بنَفْسَجاً عَطِراً　　يرتاح صدري له وينشَرِح
بشّرني عاجلا مُصَحّفُه　　بأنّ ضيق الأمور ينفسح [٢]

ابن تميم :

عاينتُ وردَ الروض يلْطِم خدّه　　ويقول وهو على البنفسج محْنَق
لا تشربوه وإن تضوّع نَشْرُه　　ما بينكم فهو العدوّ الأزرق

وقال آخر :

للورد فضل على زهر الربيع سوى　　أنّ البنفسج أذكى منه في المهج
كأنّهُ وعيون الناس ترمقه　　آثار قرص بدا في خدّ ذي غنج

وقد أفرد الناس التصانيف ، في محاسن مصر وما اشتملت عليه من العجائب ، قال الجلال السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» : قال بعض من صنّف في فضائلها : بمصر الحمير المرسنة ، والبقر الحسنة .

نكتة : حكى العبدري عن أبي عبيدة في كتابه « المسالك » أنّ أبا دلامة ، جاء إلى مصر مرة ، ثم رجع ، فسئل عنها فقال: ثلثها تراب ، وثلثها كلاب ، وثلثها دواب ، قيل : فأين الناس ؟ قال : في الثلث الأول . وعلى ذلك أقول :

ولقد أتيتُ ديارَ مصر مرة　　شوقاً لقوم هِمْتُ في اسعافهم

---

(١) الزبرجد من الأحجار الكريمة ، وتتركب كيميائياً من الالومين اللامائي Al^2O^3 الشديد القساوة . وهو شفاف ، بلا لون ، إلا انه اذا شابه آثار من أكاسيد معدنية ، تلون ، ويختلف اللون حينئذ بحسب نوع الاكسيد الذي يشوبه ، فالزمرد أخضر ، والزبرجد ازرق « ومنه اخضر أيضاً » والياقوت احمر ، والفيروزج . . وذلك لوجود آثار من اكسيد الكروم في الاول ، واكسيد الكوبلت في الثاني ، واكسيد النحاس في الثالث ، وهكذا . . واللجين : الفضة .

تأمل في نبات الأرض وانظر　　إلى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات　　بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات　　بأن الله ليس له شريك

اما الغض فهو الطري الفتي الناعم .

(٢) التصحيف — وكثيراً ماكان يقع فيه النساخ ، ومازالوا — هو لحوق بعض التغيير ببنية اللفظ ولا سيما في نقطه ، مثل : يمين مصحف ثمين ، و : غبن مصحف عين ، و : ينفسح مصحف بنفسج . . . والغالب ان تبقى البنية سليمة ويقع التغيير على النقط فقط .

وسألت ذاك السفح عنهم قال لي ذهب الذين يعاش في أكنافهم[1]

استغفر الله ، وليس هذا من باب التبرم بأهل مصر ، على ما قال :

لا ترم ذي بئر شربتَ زُلالها آجرةً فيقال أنّك غادرُ

غيره :

وعمّاتك النخلُ كن مثلَها لرامي الحجارة ترمي الرّطَبْ[2]

فليت شعري ، أي فضيلة للنخل الذي لا يرمي حتى يُرْمى؟ وهل ذلك إلا من باب المطاوعة ، رميته فارتمى ؟ فالطاعة هنا ضرورية ، لا يعلّق المدح بها ، وربّما تعلّق بها الذمّ من وجه ، كما قال قائل — وقد قيل له مالك تقع في الامراء وأنت تستميرهم ؟ — : نأخذ بعض مالنا ونطالبهم عند الله في الباقي والحيلة عليهم خير من الحاجة اليهم .

ولكلّ رأيتُ منهم مقاماً شرحه في الكتاب ممّا يطول

قال أبو عبيدة: و أما أهلها فقيل : أعقل الناس صغاراً ، وأحمقهم كباراً . والعجب من نسبة الحمق اليهم ، فانه ينافي ما اشتملوا عليه من المكر والخديعة وأصناف الحيل المنقلب لديها بصر اللياقة خاسئاً وهو حسير ، وأما أدوات المعروف فيهم ، فلا يُشكّ في أنّها لازمة لا متعدية ، وإن كانت آراؤهم على سنن المكارم متعدية ، اللهم إلا ما اقتضته الأدوار الفلكية ، من الأوامر الملكية .

قال الفاضل العبدري في رحلته : وكان وصولنا إلى هذه المدينة — يعني مصر — في أخريات رمضان المعظم ، فأتممناه بها ، وصلينا معهم العيد ، فلم أر يومئذ من أولئك الناس ، من صدر منه الايناس ، فقلت :

تذكّرْتُ يوم الفطر في مصر إذ أتى وقوس النوى ترمي الحشا أسهم َالخَطْبِ

---

(١) أكنافهم : أي ظلهم وجوارهم وحمايتهم ، جمع كنف ، وهو الجانب والناحية والحرز . وهذا الشطر تضمين — وكثيراً مايرد التضمين في هذا الكتاب — ، والتضمين ايراد الشاعر بيتاً مشهوراً او شطراً من بيت ضمن ابياته .

وأصل الشطر المضمن هنا :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وهو للبيد بن ربيعة .

(٢) ستأتي في اواخر الكتاب — قبل نهايته بنحو ١٤ صفحة — معزوة للبهلول .

سَراةً نأوا أُنسي بنادي محلّهم ... وصحباً كراماً ضمّهم أفق الغرب
فأفطرتُ من قبل الغدوّ بعَبْرة ... شغلت بها يومي عن الأكل والشرب

وقال معين الدين المالكي :

يا أهل مصر رأيتُ أيديَكم ... عن بسطها بالنوال منقبضه
فمذ عدمت الغذاء عندكم ... أكلتُ كتبي كأنّني أرضه

وقال البدر البشتكي :

من أهل مصر ليس يسـ ... لم لا الوضيع ولا المعظَم
ناهيك أنّ بأرضهم ... جبلاً فسمّوه المُقَطّم

أستغفر الله إنّ القلم إذا جال ، قال في سرحة القيل والقال (١) ، وإلا فاذا كانت المِنّة من الاسترقاق ، فأيّ حرّ يرضى بالقيد بعد الاطلاق ؟ فكيف بمن يأنف من رق الحسنة ولو في المنام ، وينشد في هذا المقام :

اسقني خمرة كرقة عقلي ... أو كديني ولا أقول كحالي
حذراً من توهّم السمع أني ... قلت هذا في مَعْرِضٍ لسؤالي

وعلى الجملة فإنّي أقول بمقتضى الحال :

كلّ البلاد فداء مصر لأجل من ... قد زانها وهو الأمير الأوحد
مولاي اسماعيل ذو الحسب الذي ... تسعى الكرام لبيته وتوحد

نكتة : الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسير قوله تعالى ، حكاية عن عزيز مصر (يُوسُفُ أعْرِضْ عَنْ هَذا) : وتربة مصر تقتضي ذلك ، يعني قلّة الغيرة ، وفي المعنى يقول أبو مفلح :

في مصر من إذا رأى في أهله ... سوءاً كما في محكم الذكر حُكي
يقول إن كان له مروءة ... لا ترجعي واستغفري لذنبك

---

(١) السرحة : الشجرة الطويلة التي لاشوك فيها :

ياسرحة الماء قد سدت موارده ... أما اليك طريق غير مسدود ؟
لحائم حام حتى لاحيام به ... محلأً عن حياض الماء مطرود

وقال « الاولى » من القيلولة ، اي نام في الظهيرة تحت السرحة .

أما البيتان التاليان ، فنعوذ بالله من ان تهون على المرء نفسه فيهجوها كاذباً ، او يفضحها صادقاً .

قال أبو حبان : وأين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا ، وهو أنّه كان بمجلس ندمائه ، وجارية تغني من وراء الستر ، فاستعاد بعض الندماء من الجارية بيتاً ، وكانت غنّت به ، فما لبث أن جيء برأس الجارية في طشت ، وقال له الملك : استعد هذا البيت من هذا الرأس ، فسقط الكأس من يد النديم ، ومرض مدّة حياة الملك [1].

قلت : وهذا من ذاك ، والا فما الحامل على التعريض بالاسماع ؟

تناقض ما نرى إلا السكوت له — وأن نعوذ بمولانا من النار

وقد أراح نفسه من ذلك عبد المحسن الصوري حيث يقول :

تعشّقته سكرانَ من خمرة الصّبا — على غِرّة من لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبّه كلّ ماجد — يقاسمني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غِيرةً ما ألفتها — فإنّ حبيبي من أحبّ حبيبي

ومن أبيات الوأواء الدمشقي :

ومحتجب بين الأسنّة والظبا — وفي القلب من إعراضه مثل حجبه
أغار إذا آنستُ في الحيّ أنّه — حِذاراً وخوفاً أن تكون لحبّه [2]

وفي المعنى للبها زهير :

أغار على حرف يكون من اسمها — إذا ما رأته العين في خطّ كاتب
وماليَ منها نائل غير أنني — أعلّل نفسي بالأماني الكواذب

حكى الصفدي في « تذكرته » عن الشيخ تاج الدين الفزاري ، أنه كان يقول : إن الحكماء وأهل التجارب ، يزعمون أن من أقام ببغداد سنة ، وجد في عمله زيادة ، ومن أقام بالموصل سنة ، وجد في عقله زيادة ، ومن أقام بحلب سنة ، وجد في نفسه

---

(١) من امثال العامة في الشام : كالهارب من الدلف ليقف تحت المزراب « اي الميزاب » . ففقدان الغيرة امر ذميم بلا شك ، ولكن قتل الناس بهذا الشكل أشر وأخبث ، ولا ينجم عن التفلت من حكم الله إلا الضلال والفساد .

(٢) الاسنة جمع سنان وهو الذي يوضع في رأس الرمح . وعقب الرمح : زج ، والجمع زجاج . فالرمح قناة وسنان وزج :

ياسالكاً بين الاسنة والظبا — اني اشم عليك رائحة الدم

والظبي : السيوف ، اوشفارها وحدها ، واحدها ظبة .

والبها زهير ، في ما مضى وما سيأتي ، هو البهاء زهير ، الشاعر المعروف .

شحاً ، ومن أقام في دمشق سنة ، وجد في طباعه غلظاً ، ومن أقام بمصر سنة ، وجد في أخلاقه رقة ، والذي يظهر أن ذلك بحسب الخلطة ، مع مساعدة البقعة والاستعداد ، فقد رأيت من أقام بمصر ، فظهر بالتجبّر وآخر بالمذلة ، وكان يقال :

عدوى البليد إلى الجليد سريعة   والنّار تطرح بالرماد فتخمد [1]

رُويَ أنّ الله تعالى لما خلق الاشياء ، قال القتل أنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة وأنا معك ،وقال الخصب أنا لاحق بمصر ، فقال الذلّ وأنا معك ،وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية ، فقالت الصحة وأنا معك ، وقال الايمان أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء وأنا معك ، وقال الكبر أنا لاحق بالعراق ، فقال النفاق وأنا معك .

ورُوي أن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء ، تسعة منها في قريش ، وواحد في سائر الناس ، وجعل الكرم عشرة أجزاء ، فتسعة منها في القبط ، وواحد في سائر الناس ، وجعل النجابة عشرة أجزاء ، تسعة منها في الروم ، وواحد في سائر الناس .

وحُكي أن الحجاج سأل ابن القريّة عن طباع أهل الأرض فقال : أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة ، وأعجزهم عنها ، رجالها حفاة ، ونساؤها عراة ، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ، ولزوم جماعة ، وأهل البحرين قبط استعربوا ، وأهل اليمامة أهل حق وائتلاف ، وأهل فارس أهل بأس شديد ، وعزّ عتيد ، وأهل العراق أبحث الناس عن الصغيرة وأضيعهم للكبيرة ، وأهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق ، وأهل مصر عبيد لمن غلب .

دع الأتراك والعربا   وكن في حزب من غلبا

قال الجاحظ في كتاب « الأمصار » الصناعة بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ، والحسن بهراة ، والمروءة ببلخ ، والبخل بمرو ، والعجائب بمصر ؛ قلت وكلّ ذلك في كلّ أحد ، غاية ما في الباب ، أن ذلك في هند أظهر منه في دعد ، ومن أكثر من شيء نسب اليه .

فائدة : قيل : ليس في الدنيا شجرة إلا وهي توجد بمصر ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها . ويوجد في مصر كل وقت من الزمان ، كثير من المأكول والمأدوم والمشموم ، وسائر البقول ، والخضر ، صيفاً وشتاء ، لا ينقطع منه شيء لبرد ولا حر .

---

(١) الجليد : القوي الصبور « ضد البليد » .

أقول : وكلّ ذلك لا يقوم بساعة من منادمة بعوضها وبرغوثها الذي لا سبيل إلى السلامة منه . وعلى ذكر البرغوث لا جمع الله به :

ثلاث باءات بلينا بها البقّ والبرغوث والبرغش
ثلاثة أوحش ما في الورى ولست أدري أيّها أوحش

الفيومي :

وخليل يقول لما رآني أبدا أُوسِع البراغيث ذمّا
ان في اسم البرغوث برّاً وغوثاً قلت لكنْ : الإسم غير المسمّى

وقال آخر :

لاتكرهِ البَرْغوث إنّ اسمه بِرّ وغَوْث لك لو تدري
فبِرّه مصّ دمٍ فاسدٍ والغَوْثُ ايقاظُك للفجر

وقال آخر :

لا بارك الله في البعوض ولا بُورك في البقّ والبراغيث
تناهبونا كأنّهم عرب أو أمناء الحكم في المواريث (١)

وقال آخر :

رقصتْ براغيث الشتا فأجابها الـ ناموس فيه بالغناء المُعْلم
وتواجد البقّ الكثيف بطبعه طرباً على شرب المدامة من دمي

وقال آخر :

بعوض جعلن دمي قهوة وغنينني بضروب الأغاني
كأنّ عروقيَ أوتارهن وجسمي الرّباب وهن المغاني (٢)

وقال :

لقد قسم الله البراغيث في الورى فوفّر منها عند قسمتها قسمي (٣)

---

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني فيه خلل بين ويمكن ان يستقيم امره على الشكل التالي : او أمناء على المواريث .
ويمكن ان يكون : اوامنا الحكم في المواريث، اي بحذف الهمزة فقط .
(٢) الرباب : من الآلات الموسيقيه ، أثيرة لدى اهل الطرب .
(٣) وفر : اكثر ، اي جعل نصيبه من البراغيث وافرا .

أنوح لما ألقى فتزعم أنني　　أغنّي فما تنفك ترقص في جسمي

وقال :

لاسقى الله بلدة كنت فيها　　البراغيث كلّهم أكلوني

قرصوني حتى تنمّر جلدي　　لوخلعت الثياب لم تعرفوني

وقال :

أنزلنا الدهر على معشر　　تغرّ بالناس أحاديثهم

فما أكلنا من ضيافاتهم　　ما أكلت منا براغيثهم

فائدة لدفع البرغوث : يؤخذ عود نخل أو رمّان ويكتب عليه: أيّها البراغيث السود ، إنّما أنتم جند من الجنود ، أقسمت عليكم بعهد عاد وثمود ، إلاّ ما طلعتم على هذا العود ، ولا أقتل منكم والدا ولا مولود ، (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) ويوضع في أحد أركان البيت ، فإنّه تجتمع عليه ، على ما جرت به عادة هذه العزيمة ، ومن شرطها الهمة وهي العزم الجازم [1] .

إذا تخلّفت أمراً كنت تعهده　　يجري الزمان على مجرى عوائده

فإنّما أنت لم تُكْمِل شرائطه　　وإنّ ذاك التواني من فوائده

ذكر الطريق المسلوك إلى مكة المشرفة :

المحامل السلطانية وجماهير الركبان ، لا تخرج إلا من أربع جهات : مصر ، ودمشق ، وبغداد ، واليمن ، فيخرج الركب المصري ، بالمحمل السلطاني ، والسبيل المسبل للفقراء بالماء والزاد ، والأدوية والكحالين ، والأئمة والمؤذنين ، والامراء والجند ، والقاضي والشهود والامناء ، وإذا نزلوا منزلا أو رحلوا منه ، تدق

---

(١) هذه الكتابة لا تجوز ، وكتاب الله عزوجل اكرم وأجل من أن يستعمل هذا الاستعمال المخل ، والله تعالى لم ينزله لهذا ، وما كتب عليه شيء من القرآن يشرف عن ان يلقى في احد الاركان كالتوافه والمهملات . كما ان الاسلام أعظم من ان يتحول الى أمثال هذه المهازل والخزعبلات .. فالبراغيث السود ، لم يعرف عنها الحفاظ على العهود ، ولا المعرفة بأخبار عاد وثمود ، ولو كانت البراغيث تقرأ الكتابات ، لزاحمت شبابنا « وفتياتنا » على الشهادات والجامعات ، وليس الامر كتابة للبراغيث ، ولكنه وساوس مما يلقيه الشيطان الخبيث !

ومع ذلك ، فقد تجد الامر صحيحاً ، لا لكتابة هذه الاوهام ، وانما لخاصة جعلها الله تعالى في العود كتبت عليه أم لم تكتب ، ولعلها تنقاد الى رائحته او نحو ذلك .

واذكر أني قرأت شيئاً من ذلك عن أغصان شجرة معينة ، الصفصاف او الحور ، لا ادري أيتهما ، فقد نسيت . والله تعالى اعلم والمؤلف نفسه سيذكر في اواخر الكتاب ان التدخين باغصان السرو يطرد البق .

الكوسات وينفر النفير ، ليؤذن بالنزول والرحيل ، فإذا خرج الركب من القاهرة ، نزل البركة ، وهي على عشرة أميال من القاهرة ، فيقيم عليها ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم يرحل الى السويس في خمس مراحل ، ثم إلى نخل في مثلها ، وفيه برك من عمل أمراء المشورة في الدولة الناصرية ، ثم يرحل الى أيلة في خمس مراحل ، وبها العقبة العظمى ، فينزل منها حجز بحر القلزم ، ويمشي على حجزه حتّى يقطع من الجانب الشمالي إلى الجانب الجنوبي ، ويقيم به أربعة أيام ، وبه سوق عظيم ، ثم يرحل الى بئر مدين ، وبه مغاير شعيب عليه السلام ، وعلى مائها سقى موسى عليه السلام غنم بنات شعيب ، ثم يرحل إلى عيون القصب في مرحلتين ، ثم إلى المويلح في ثلاث مراحل ، ثم إلى الأزلم في أربع مراحل ، وماؤه من أقبح المياه ، ثم إلى الوجه في خمس مراحل ، وماؤه من أعذب المياه ، ثم إلى اكره في مرحلتين ، وماؤه من صعب المياه في هذا الطريق ، ثم إلى الحوراء ، وهي ساحل بحر القلزم ، في أربع مراحل ، وماؤه يشبه ماء البحر لا يكاد يشرب ، ثم إلى نبط في مرحلتين ، وماؤه من أعذب المياه ، ثم إلى ينبع في خمس مراحل ، ويقيم بها ثلاثة أيام ، ثم إلى الدهناء في مرحلة ، ثم إلى بدر في ثلاث مراحل ، وهي مدينة حجازية بها عيون وجداول وحدائق ، ثم إلى رابغ في خمس مراحل ، وهي ناحية الجحفة ، التي هي الميقات[1] ثم إلى خليص في ثلاث مراحل ، وفي طريقه بئر عسفان ، ثم يرحل من بطن مرّ إلى مكة المشرفة ، مرحلة واحدة ، ثم يرجع إلى منازله إلى بدر ، فيعطف إلى المدينة النبوية ، فيدخل إلى الصفراء ، مرحلة ، ثم إلى ذي الحليفة في ثلاث مراحل ، ثم إلى المدينة في مرحلة ، ثم يرجع إلى الصفراء ، ويأخذ بين جبلين في فجوة تعرف بنقب علي ، حتى يأتي الينبع في ثلاث مراحل ، ثمّ يستقيم على طريقه إلى مصر .

وأما قدوم المبشّر بسلامة الحاجّ فله حكمة لطيفة ، وهي أن الدّابـــة تخرج

---

(١) المواقيت : مواضع على اطراف بقعة حول مكة ــ أوسع من الحرم بكثير ، فتقع كلها في الحل ــ لايجوز لمن يقصد مكة تجاوزها الا محرماً بأحد النسكين : الحج والعمرة ، فميقات اهل المدينـــة ذو الحليفة ، والميقات لمن جاء من جهة الشام ــ بحراً ــ رابغ ، والعراق ذو قرن ، واليمن يلملم . .

ثم يذكر بعد سطر : بطن مر ، وهنا يعلق الشيخ محمد نصيف تعليقاً قيماً بقوله : بطن مر هو مر الظهران المسمى وادي فاطمة .

من جبل جياد ، في أيام التشريق والناس بمنى ، على ما روي ، فذلك سابق الحاجّ يخبر بسلامة الحاج ، كذا في «المحاضرة» .

وأمّا القاهرة المعزية : فالأصل في بنائها جوهر الصقلي ، قائد المعزّ صاحب المغرب ومصر ، وهو أوّل من ملكها من الفاطميين ، وذلك لمّا مات كافور الأخشيدي صاحب مصر ، جهّز المعزّ القائد جوهر إليها بعسكر عظيم ، ومعه ألف حمل من السلاح ، ومن الخيل ما لا يوصف ، فلما انتظم حاله وملك مصر ، ضاقت بالجند والرعية ، فاختطّ سور القاهرة ، وبنى بها القصور ، وسماها المنصورة ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، فلما قدم المعزّ من القيروان ، سمّاها القاهرة ، والسبب في ذلك أن القائد جوهر لما قصد اقامة السور ، جمع المنجمين ، وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس ، وطالعاً لرمي الحجارة ، فجعلوا قوائم من خشب وبين القائمتين حبل فيه أجراس ، وأفهموا العمّال أنه ساعة تحريك الأجراس ، يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع ، فاتّفق وقوع غراب على خشبة ، فتحركت الأجراس ، فألقى العمال ما بأيديهم ، فصاح المنجمون : لا ، القاهر في الطالع ، وخانهم ما قصدوه ، وكان قصدهم أن يختاروا طالعاً فلا يخرج الملك عن نسلهم ، فوقع أنّ المرّيخ كان في الطالع ، ويسمّى عندهم القاهر ، فعلموا أنّ الأتراك لا تزال هذه البلدة في أيديهم ، وأنّهم لا بد أن يملكوا هذه الأقاليم ، فلمّا قدم المعزّ أخبروه بذلك ، فوافقهم على أنها تؤول للأتراك ، وسمّاها القاهرة ، فكان كما قيل [١] ، وملكها الترك إلى يومنا هذا ، انتهى من «السكردان» . وفي ذلك يقول :

---

(١) هذا هو علم النجوم المذموم ، الذي يدعي اصحابه ، تفسير الوقائع الجارية ، ومعرفة الاحداث الآتية ، من حركات النجوم في الفلك والمطالع في البروج ، وما هي الا مزاعم كاذبة وتخرصات واهية ، وتحكم بدون دليل ، واستنتاج بغير نتاج . وهو غير علم الهيئة «علم الفلك» الذي يقتصر على مراقبة الكواكب والنجوم ومعرفة سيرها واحوالها ، ومراتبها ومجموعاتها ، دون التطرق لمحاولة ربط احداث الارض بها — ونسبة علم النجوم الى علم الفلك كنسبة السيمياء الى الكيمياء — .

ولئن وافقت بعض اقوالهم — كما يحصل لغيرهم — ماحصل ، فان ماخالف اكثر ، الا ان الناس ينسون ماتخلف وخالف ، ويتعلقون بما وقوعه صادف ، وكلما كان تبجح المنجم اكبر ، ودعواه ←

نبـكي عـلى مصر وسكانِـها مذ خربتْ أركانُـها العامرة
وأصبحـتْ للـروم مقـهورة مـن بعدما كانت هـي القاهرة

حكى المقريزي : أنّ قاهرة المعزّ ، رابع موضع انتقل إليه سرير السلطنة من أرض مصر في الدولة الاسلامية ، ويشتمل عـلى القصرين ، داريْ الخلافة ، وهما القصر الكبير الشرقي ، وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حريمه ، والآخر الغربي ، ويتحوّل إليه الخليفة أيام النيل للنزهة على الخليج والمنتزهات الغربية ، وهما متقابلان .

وللفقيه عمارة يرثي العاضد وهو آخر الفواطم :

يا عاذلي في هـوى أبناء فاطمـة لك الملامة إن قصرت في عذلي
تالله زر ساحةالقصرين وابك معـي عليهما لا على صفّين والجمل [1]

--- أعرض ، كان السذج الى الاغترار به اسرع . ولو زعمت لانسان انه ستهب غداً عواصف وتتلبد غيوم، فلم يحصل ذلك ، ثم عـدت في يوم آخر فزعمت ذلك لانسان آخر ، فلم يحصل ، وتكرر ذلك تسع مرات ، ثم اتفق في العاشرة ، ان هبت رياح وجاءت بعض السحب ، لنسي الناس كذباتك التسع وتركوها ، يتمسكوا بالواحدة ونشروها ، وزادوا فيها ونفخوها، وجعلوك رغماً عنك، ممن يعلم الغيب ويزيل الهم ويكشف الضنك . وكذب المنجمون ولو صدقوا . وابو تمام يسخر في قصيدته الفخمة :

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

من دجلهم حينما زعموا للمعتصم ان عمورية لاتفتح الا حين نضج التين والعنب ، وانه اذا سار قبل ذلك نكب وانكسر ، فخالفهم وسار بجيشه وشيكا ، وصدم الروم فحطمهم ومزق جيوشهم . وفتح عموريه ، وترك في ميدان الوقعة ستين الف قتيل من الروم ، لذا يقول ابو تمام :

ستون الفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب
والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الخميسين لافي السبعة الشهب

والقصيدة جميلة ، فاقرأها ، واطلع على شرحها ، لتسخر معه منهم ، وتعلم انهم أعجز من ان يعلموا الغيب . وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله الكريم ان يقول : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) . وليس بعد كلام الله كلام !

(١) عذله عن الشيء : لامه وحاول صرفه عنه .

والبيت الثاني يبدأ بـ : تالله . . وكأني بالشاعر قالها : بالله . . فصحفها النساخ !

كم مـن كتاب قـد تصفحته وقلـت في نفسي صححتـه
حتـى اذا عدت له ثانيـاً وجـدت تصحيفـاً فأصلحته

وصفين والجمل وقعتان بين الصحابة ، الأولى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما سنة أربعين ، والثانية بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم سنة ثمان وثلاثين . ---

وأما معاملة مصر فقال في «المسالك» : الدراهم ثلثاها فضة وثلثها نحاس ، والدرهم ثمانية عشر حبّة خروب[١] ، وهي ثلاث قمحات ، والمثقال أربعة وعشرون خروبة ، والدرهم قيمته ثمانية وأربعون فلساً ، والدينار الحبشي ثلاث وعشرون درهماً .

وأما الكيل فالأردب ست ويبات ، والويبة أربعة أرباع ، والربع أربعة أقداح ، والقدح مائتان واثنان وثلاثون درهماً ، ويختلف الكيل في أريافها ، والرطل اثنا عشر أوقية ، وهي اثنا عشر درهماً . كذا في «المحاضرة» ولله در القائل :

لا ترقب النجم في أمر تحاوله ... فالله يفعل لا جَدْيٌ ولا حَمَل
مع السعادة ما للنجم من أثر ... ولا يضرّك مريخ ولا زحل[٢]

— وقد تقاتلوا فيها لا للدنيا ولا للمال والسلطان والجاه ، وإنما قياماً بحق الاسلام، حسب اجتهادهم ، وكلهم مجتهد ، ومن يكنه إن لم يكونوه ؟ والمجتهد مأجور على كل حال ، إن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فأجران . وكثير من الأحكام ولا سيا قتال أهل البغي ، أخذت عنهم في هذه الوقائع (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وأخسر الناس من قام — في سبيل الشيطان — في هدم تراثه ، والاساءة الى ماضيه وأمته ، والنيل من أمجاده وأعلام اسلافه ، والتعرض لخصومة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي سيكون خصيماً لمن يطعن في أصحابه ويقع فيهم ، بعد ان حذره بقوله : « الله الله في أصحابي » ورحم الله ذلك الإمام الذي قال : اولئك قوم عصم الله سيوفنا من دمائهم ، أفلا ننزه السنتنا عن الخوض فيهم ؟ وبارك الله في الاعمش الذي كتب لهشام لما سأله ان يكتب اليه بمحاسن عثمان ومساوىء علي :

.. ولو كان لعثمان ملء الارض محاسن لم تنفعك ، ولو كان لعلي ملء الارض مساوىء لم تضررك . فعليك بخويصة نفسك والسلام .

(١) المعاملة : النقد ، أي العملة التي يتعامل بها . والخروب والخرنوب : شجر دائم الورق، من فصيلة القرنيات ، ثماره سكرية ، طويلة وعريضة ، على شكل قرني ، يستخرج منه نوع من الدبس ، ويستعمل ايضاً كعلف للحيوان .

وكون النحاس مع الفضة في ضرب الدراهم — وضربها صنعها وصبها وشغلها — لأن الذهب والفضة معدنان لينان ، لا يصلحان لوحدهما في ضرب الدراهم والدنانير ، وصنع الحلي والآنية ، فيضاف اليهما نصيب معين من النحاس ، يكسبهما قساوة يقوى الناس بها على استعمالهما .

(٢) مر ذكر الجدي والحمل فيما مضى ، وانهما من البروج الاثني عشر للشمس .

و : ما ، في البيت الثاني ، هي ما النافية التي بمعنى ليس ، لا ما الموصولة التي بمعنى الذي .

والنجم أي النجوم ، والنجوم الثوابت اكثر من ان تحصى أو تعد .

أما مريخ وزحل : فهما من الكواكب السيارة ، التي كانوا يزعمون انها تدور حول الارض ، ويحسبون انها سبعة ، وإياها عنى أبو تمام في البيت الذي مر آنفاً :

والعلم في شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين ، لا في السبعة الشهب —

وعلى ذكر الدراهم لبعضهم :

انّ الـدراهـم شأنـهـا ألَـم يشقّ عـلى الكـرام
الضـرب أوّل أمـرهـــا والحبس في أيـدي اللئـام

وقال يزيد بن حاتم :

إنّـا إذا اجتمعت يوماً دراهمنـا ظلّتْ إلى طرق المعروف تستبق
لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمـرّ عليها وهو منطلق

وقال آخر ملغزا فيه :

يـا فاضلا فـاق في المعـانـي وهـو بأحـكامـها خبـير
ما اسم إذا المـرء لـم يصبه أصابـه نصفـه الأخـير ؟

وحكى الواقع من قال :

النـار آخـر دينار نطقت بـه والهمّ آخر هذا الدرهم الجاري
والمـرء ما دام مشغوفـا بحبّهما مكبّل القلب بـين الهمّ والنّار

وعارضه من قال :

الـدّين أوّل دينـار نطقتَ به والدرءُ للهمّ في الدرهم الساري [1]
كالقلب ذا وضياء العين ذا وهمـا كم يُصلحان أمور الدين والدار

حكى المقريزي : أنّ مصر ذكرت في القرآن ، بضعاً وعشرين موضعاً ، كناية وتصريحاً .

← وهذه الكواكب السبعة كانت عندهم كما يلي :

الشمس ، والقمر ، والزهرة ، والمريخ ، وعطارد ، وزحـل ، والمشتري . فكانوا يخرجون منها الارض ويدخلون الشمس والقمر .

والمعروف الآن انها تسعة تدور حول الشمس وهي ـ حسب قربها من الشمس ـ : عطـارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس « اكتشف سنة ١٧٨١م » ونبتون « اكتشف سنة ١٨٤٦م» وبلوتو « اكتشف سنة ١٩٣٠ » .

أما القمر فسيار خاص بالارض يدور حولها ، كما لبعض الكواكب الاخرى اقمار .

(١) الدرء : الدفع .

والشطر الثاني ، وان كان متسقاً معنى إلا أنه مختل عروضاً ، ويصلح شأنه ويستقيم وزنه بإضافة « ذا » على الوجه التالي :

والدرء للهم في ذا الدرهم الساري .

قال السيوطي : بل أكثر من ثلاثين موضعاً ، وقال : عدّة من دخلها من الأنبياء وفاقاً وخلافاً ، اثنان وثلاثون ، غير النسوة الأربع ، وهنّ : مريم وسارة وآسية وأمّ موسى واسمها يوحانذ ،— وأسماء أمّ موسى ألفاظ يتصرّف بتلاوتها — وقد نظمتُ في ذلك أبياتاً مشهورة ، فقلت :

قد دخلتْ مصر فيما قد روي زمر من النبيّين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والأسباط إخـوتـه يوحانـذا وخليل الله إدريسا
اوطا وأيوب ذا القرنين خضر سليـ ـمان أرميا يوشعاً هارون مع موسى [1]
شيثا ونوحا وإسماعيل قـد ذكروا لازال من أجلهم ذا المصر مأنوساً
وبعـده سارة لقـمان آسيـة ودانيال وشعيا مريمـاً عيسى

وحُكيَ : أنّ يوسف الصديق عليه السلام ، لما دخل مصر وأقام بها قال : اللهم إنّي غريب فحببها إليّ وإلى كلّ غريب . فـلا يدخلها غريب إلا أحب المقام بها .

نكتة : قال الكندي : قال تعالى حكاية عن يوسف الصدّيق (وَقَدْ أَحْسَنَ بي إذْ أخْرَجَنِي مِنَ السّجْن وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ) فجعل الشام بدوا ، وسمّى مصر مدينة ، حكاه في « المحاضرة » . وفي قوله : (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ) إشارة إلى تفضيل المدن عـلى البادية . ومنه : اللهمّ اجعلني حضرياً تقياً ، ولا تجعلني بدوياً شقياً .

وإنّـي عـلى ما فيّ مـن حضرية ليعجبني ظلّ الخباء المطنّب

لطيفة : قيل خلقت الدنيا على خمس صور الطير برأسه وصدره وجناحيـه وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشأم ومصر ، والجناح الأيمن العراق ، والجناح الأيسرُ الهند والسند ، والذنب من ذوات الحمام إلى مغرب الشمس .

فائدة : حكى المقريزي أنّ مطلـع الشمس ، سهيل في سمت قبلة مصر .

---

(١) كذا البيت ، ولا يستقيم على هذا الشكل ، ويمكن ان يكون شطره الثاني :
« مان ارميا يشع هارون مع موسى»
بإسكان عين يوشع ، واستبدال الواو بضمة على الياء .

وأما عرض مصر فثلاثون درجة ، وطولها خمس وخمسون ، على ما تحرر من الازياج [١] .

تتميم : أوّل من ملك الحرمين من آل عثمان : السلطان سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد،وذلك لما افتتح مصر وحلب والشام ، في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وفيها قتل الغوري بمرج دابق ، وله قصة طويلة يطول شرحها ، والسبب المعنوي في خراب مملكته ، بتحقيق خبر «ما عادانا بيت إلاّ خرب ، ولا عوانا كلب إلا جرب» أنّه قتل طائفة من بني إبراهيم ، من أشراف ينبع ، وبنى من رؤوسهم مسطبة جلس عليها أمراء عساكره .

قال القطبي : وكان السلطان سليم شهماً عزيزاً ، اشتهر عنه بيتان من الشعر ، تناقلتهما الركبان ، ورأيتهما بخطه الشريف ، في علو المقياس ، على الكشك الذي بناه لما فتح مصر وسكن الروضة ، وهما قوله :

الملك لله من يظفر بنيل منىً ... يتركه قهراً ويضمن بعده الدَّرَكا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وتحته ما صورته : وكتبه سليم . إلا أنه قد انمحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وتوفي بعد ذلك بثلاث سنين ، وشريف مكة إذ ذاك السيد بركات وولده أبو نمي محمد ، قاله في الاعلام .

الكون عندي كالخيال حقيقة ... في شكله وعمومه وخصوصه

يبدي الخيال إلى الشخوص تواضعا ... والناطق الفعال غير شخوصه

ذكر ماقيل في مصر من الأشعار الرائقة والنكت الفائقة :

فمن ذلك قول الشهاب الرومي :

إذا رمتُ صبراً عند فقري ببلدتي ... يقول الحيا «لن تستطيع معي صبرا»

---

(١) الازياج — جمع زيج — هي الجداول التي يحصلون عليها من رصد النجوم والكواكب ، في بقعة ما من الارض ، وتسجيل أوقات مرورها .

ومن فرق زمني مرور نجم معين بالبلدين — على نفس الميل طبعاً — يمكن معرفة الاختلاف بين خطي طوليهما ، أي يمكن معرفة خط الطول لاحدهما ، إذا عرف ذلك للآخر .

أما خط العرض لبلد ، فيعرف من ميل نجم القطب في ذلك البلد .

وإن قلت إنّ الشامَ أشرف منزل ... سمعت لسان الحال «قال اهبطوا مصرا»

وقال مقتبساً :

ما مصر إلا منـــزل مستحسن ... فاستوطنـــوه مشرّقـــاً ومغرّبا

هـــذا وإن كنتم على سفر به ... «فتيمّموا» منه «صعيدا طيبا»

وقال آخر :

رعى الله مصرا كم بها مـــن مسرة ... ومنزل أنس لاح كالطالع السعد

رويت الهنا عن سدّها يوم كسرها ... فها أنا مهما عشت أروي عن السدّي (١)

وقال آخر :

اشرب على مقياس مصر وغنّ لي ... مـــن روضة المعشوق في عشاقي

وأفخر بمصر على البلاد فنيلها ... يعلو على الأوصاف باستغراق

وقال الفيومي :

تعلّمَ هذا النيلُ من خلقي الوفـــا ... لسكان مصر لهف قلبي على مصر

وحاكاه دمعي حمرة وصبابـــة ... كما قد حكاني في احتراقي وفي كسري

وقـــال :

إذا سلسلوا من مصر رأس خليجها ... فما ذاك من نقص يلوح لفاضل

وما قصدوا إلا ليَصْدُق أنّـــــه ... يُقـــاد إلى جنّـــاتها بالسلاسل

وقـــال :

البـــدر فـــوق النـــيل قـــــد ... ألـــقى شعاعـــاً يـــأتـــلق

---

(١) أي طيلة إقامتي بمصر اشرب عن طريق السد . ولكن « أروى » ــ بالالف المقصورة ــ إذا كانت تعني الشرب حتى الارتواء . فإن « اروي » ــ بالياء ــ معناها نقل الاحاديث والاخبـــار رواية عمن سمعتها منه .

وإذا كان للسد معناه المعروف ، فإن السدي من الرواة المشهورين للحديث والتفسير والتاريـخ ، وإن شئت فقل هما اثنان : السدي الكبير ، والسدي الصغير .

ففي قوله : ما عشت أروي عن السدي مالا يحتاج إلى إشارة . وبسبب السببين تركنا الياء الاولى بلا نقط ، واثبتنا الياء الثانية ، كما وجدنا في الأصل .

فحكى مِسَنّاً أزرقا وعليه حكٌّ من ورَق [1]

وقال :

الشمس فوق النيل قد ألقت شعاعاً كاللهب
فحكى مسناً أخضرا وعليه حك من ذهب

ابن أبي حجلة :

سقى السفحَ من ذيل المقطّم عارض تعارضه من دمع عيني مواطره
فكم فيه من صبّ قضى وغرامه أوائله لا تنقضي وأواخره

وقال البدر :

عاتبتُ هذا النيل في ترك الوفا فأجابني حالاً بغير توقف
سأفي وإن خانوا وأصلح بينهم ما كدت أفسده ومثلي من يفي [2]

وقال آخر :

أتطلبُ من زمانك ذا وفاء وترجو ذاك جهلاً من بنيه
وقد عدم الوفاء به وإني لأعجب من وفاء النيل فيه

وقال الدماميني :

رعى الله مصراً إننّا في ظلالها نروح ونغدو سالمين من الجهد

---

(١) سبق ان أشرنا إلى ان الورق : الفضة .
والوَرِق والوَرْق والوُرْق والوِرْق ـ والجمع في الجميع أوراق ووِراق ـ : الدراهم المضروبة .
وكلا من البيتين المذكورين ، ومايليها من البيتين : الشمس فوق النيل قد .. سيعود المؤلف فيذكرهما في صفحة ٥٨ .

والتشبيهان في وقوع اشعة الشمس والبدر على الماء ، يعتمدان على ظاهرة الانعكاس ، وناموسها ان كل سطح املس ، كسطح المعدن الصقيل ، وسطح الزجاج ، وسطح الماء .. يفصل بين وسطين شفافين متجانسين مختلفين ، اذا سقطت عليه اشعة ما ، انعكست الى الوسط نفسه الذي وردت فيه ، وبميل على السطح العاكس يماثل « يساوي » ميل الاشعة الواردة عليه .

(٢) البيتان للبدر البشتكي ، وقد أوردهما المؤلف سابقاً في صفحة ١٨ .

والعارض ـ في بيتي ابن أبي حجلة السابقين لبيتي البدر ـ هو السحاب المعترض في الافق :
(فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) .
والصب هو المحب العاشق ذو الولع الشديد ، الذي صباه جمال المحبوب ، فصبا إلى قربه ووصله .

ونشرب ماء النيل فيها براحة　　وأهل زَبيد يشربون من الكد[1]

وقال الفيومي :

إنّ مصرا نزهة الدنيا　　غاية المقصود والسول
مذ رأى الباري محاسنها　　ردّ عنها العين بالنيل

وقال ابن الوردي :

ديار مصر هي الدنيا وساكنها　　هم الأنام فقابلهم بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها　　مصر مقدمة والشرح للنيل

وقال الفيومي :

أنظر إلى النيل وجرم السما　　وما له من حسن تخييل
وصبغة الله التي أظهرت　　لنا السماويّ من النيل

وله أيضاً :

جميع الأرض فيها طيب عيش　　ولذات وروضات أنيقة
ولكن كلّ ذا في غير مصر　　مجازٌ وهو في مصر حقيقة

وقال :

عدلت أيادي النيل في تقسيمها　　لنداه في الخلجان والأنهار
أكرمْ بهذا النيل من ملك غدا　　في عدله يمشي على الآثار

وقال :

تأمل البحرَ والبدرَ المنيرَ وقلْ　　جلّ المؤلفُ بين الماء واللّهَب
كأنّما الريحُ فوق الماء قد نسجتْ　　درْعاً فحلاّه ضوءُ البدر بالذهب

وقال :

ولمّا رأيت الشمس عند طلوعها　　ونحن بوسط البحر في النيل من مصر

---

(١) زبيد اسم مدينة ، واسم قبيلة ايضاً .
فبفتح الزاي (زبيد) : اسم بلدة في اليمن على طريق عدن — مكة ، تبعد ٢٥ كم عن البحر الأحمر .
وإليها ينسب المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس وشارح احياء علوم الدين .
وعلى صيغة التصغير (زبيد) : القبيلة اليمنية — من مذحج ثم من سعد العشيره — المعروفه ، التي انجبت الفارس الشاعر المخضرم البطل عمرو بن معد يكرب الزبيدي وواضح ان المقصود في البيت هو البلدة .

تخيّلت هاتيـك القلوع وسفنهـا قصورنضار والقصور بنا تجري[١]

وقال ابن نباتة :

آها لمصر أيـن مصر وكيف لي بديار مصر مَرْتَعاً ومَـلاعبا
والدهـر سِلْم كيفما حاولتُـه لا مثل دهري في دمشق محاربا

أنشد المصري :

أرى أهل الشآم يفـاخـرونـا وتلـك وقاحة فيهم وخصله
وكيف يفـاخـروا بالشام مصرا وشهوة كلّ من في الشام نخله

وقال الشامي :

يا أهل مصر بوادينا المقدس مـن فواكه تشتهوهـا في منازلكم
أنتم زعمتم بـأنّ النخلَ شهوتُنا نعم صدقتم ولكن في سواحلكم

وقال الفيومي :

ينازع في تفضيليَ الشامَ مُعْرِض كأنّي به قد مات فيما ينازع
وليس احتراق البحر إلا لأنّـه على كسره فاتته تلك المواضع

وقال :

مصر منايَ ومنتـهى أربـي زمن الربيع وبركـةُ الرطلي
والشام فـي أيـام ربـوتهـا وزهـورِهـا معدومـةُ المثل

وقال آخر يصف مصر :

بها مـا يلذّ العيش من حسن منظر وما ترتضيه النفس من شهواتها
زُمُرّدَة خضراء قـد زين قرطُها بلُؤلُؤة بيضاء من زهراتها[٢]

وأصل هذا النظم ، ما قيل في وصفها أنها ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر سبيكة حمراء ، كذا في كتاب « النوادر والأخبار » وقال الصفدي :

فـي أهـل مصر معـان مـن لطـفهـم تُستفاد

---

(١) النضار : الذهب . وقلوع السفينة : اشرعتها .

(٢) الزمردة : جوهرة من الاحجار الكريمة شفافة شديدة الخضرة . والقرط : ما تعلقه المرأة في اذنها من الحلي وهو المسمى بـ « الحلق » .

ورقــــة في طــباع بهــا عــلى النّاس سادوا

وقــال :

لا تغالي بمــدح مــصر وقــصّر فهــي دار سراتها الأوغاد
إنّ مصرا وإن تغاليت فيــهــا جُمعت في صفاتهــا الاضداد

وقال ابن أبي حجلة :

دعْ عنك مصر فأهلها بعد الوفــا ألفوا الجفا وتحجّبوا في الأبنية
قُلبت بهــا الأعيان حتى أنّــني شاهدْتُ سعدَالدين سعد الأخبيه[1]

وأصل هذا الشعر ، ما يحكى ان شهاب الدين القوصي ، كان يوماً عند الملك الأشرف ، فدخل عليه سعد الدين الحكيم ، وكان بينهما وحشة ، فقال له الأشرف : يا شهاب الدين ما تقول في سعد الدين ؟ فقال : هو عندك سعد السعود ، وعلى السمّاط سعد بلع ، وعند المرضى سعد الذابح ، وعند الضيف سعد الأخبية ، فضحك الملك الذلك ، وأصلح بينهما ، وأمر لكلّ منهما بتشريف ، وقيل في باب زويلة :

يا صاح لو أبصرتَ بــاب زويلة لعلمت قدر محلّه بنــيــانــا
لو أنّ فِرعون رآه لــم يُرِد صرحاً ولا أوصى بــه هامانا

وأجلّ فضيلة سمح بها الزمان الكايم البين ، زيارة مشهد سيدنا الحسين ، نفعنا الله تعالى بأنفاسه الطيبة ، ووالى على ضريحه شآبيب رحمته الصيبة ، والحسين هذا هو أبو عبد الله بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد سنة أربع ، وقتل سنة إحدى وستين من الهجرة ، بكربلاء من أرض العراق ، بناحية الكوفة ، وإلى ذلك ينظر أبو عبدالله الفيومي حيث يقول :

---

(١) السعود اربعة : سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الخبايا . تؤلف بمجموعها خمسينية الشتاء ، من اول شباط إلى الثاني والعشرين من آذار ، اي ٢٨ يوماً وشهر شباط و ٢٢ يوماً من آذار ، فالمجموع خمسون يوماً ، تقسم بالتساوي بين السعود الاربعة .
والاخبية جمع خباء ، وهي المضارب والخيم ويقصد بها الابنية ، وفي البيتين تورية ظاهرة .

تركتَ جفني واصلاً والكرى ... راء فجُدْ بالوصل فالوصل زَيْن (١)
ولا تجبني يا حياتي بلا ... فالقلب يخشى كربَ لا يا حسين

واختُلِف في قاتله لاجتماعهم على قتله، فقيل سنان بن أنس النخعي، وقيل رجل من مذحج، وقيل شمر بن ذي الجوشن، وقيل عمر بن سعد.

ومن تفكّر في الدنيا وغايتها ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

وكان الأمير على إخراج الخيل لقتاله عبيد الله بن زياد بأمر يزيد، كما حكاه السيوطي في «التاريخ» ولقد تجاوز الحدّ، من قال إنّما قتل الحسن بسيف جدّه، (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسألُونَ).

تنام النصارى واليهودُ بأمرهم ... ونوم بني الزهراء نوم مشرّد
وما هي إلا ردّة مستحيلة ... وكفر قديم بالحديث يجدد

وكان الأمير على السريّة عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وكان السبب في ذلك غرور أهل العراق، وكان يقال:

بلوت النّاس قرناً بعد قرن ... فلم أر غير ختّال وقالي(٢)
ولم أرَ في الخطوب أشدّ وقعاً ... وأصعب من معاداة الرّجال
وذقتُ مرارة الأشيا جميعاً ... فما شيء أمرّ من السؤال

ولما تبيّن له الغدر، أراد الرجوع، فمنع من ذلك، فلما كان يوم الجمعة، الثالث من المحرم، قدم عمر في أربعة آلاف، وبعث بخمسمائة فارس فنزلوا

---

(١) في البيت تورية بواصل بن عطاء، ورائه.

وهو ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي ولد سنة ثمانين للهجرة، ولازم في مبدأ أمره الحسن البصري ثم اعتزل عنه وخالفه في اصحاب الكبائر من المسلمين، فقال واصل انهم ليسوا مؤمنين ولا كافرين بل لهم منزلة بين المنزلتين، فسمي واصحابه معتزلة.

وكان واصل يلثغ بالراء، فكان لذلك يتحاشى الراء في كلامه، حتى انه ليرتجل الخطبة الطويلة، لا يأتي فيها بأي راء. وكان يتجنب اللفظ بالراء في كلامه كله، حتى ذكر ذلك في الاشعار، مثل:

نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لثغة الراء

ولم يكن واصل بن عطاء غزالا، وانما كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيحمل صدقته لهن.

والتورية في البيت الثاني بين كرب لا وكربلا لاتحتاج الى شرح.

(٢) الختال: هو الخداع المراوغ. والقالي: المبغض الهاجر.

على الماء ، وحالوا بينه وبين الحسين ، ونادى منادياً [١] يا حسين لا ترى الماء حتى تموت عطشاً ، ثم إن عمر كتب الى ابن زياد : أما بعد فإن الله تعالى قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وقد أعطاني الحسين عهداً أن يرجع الى المكان الذي أتى منه ، أو أن يسير إلى أي ثغر شئنا ، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده . فكتب اليه ، أما بعد : فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ، ولا لتمنيه ولا لتعقد له عندي شافعاً ، اعرض عليهم النزول على حكمي ، فإن أبوا فقاتلهم ومثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل الحسين ، فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فإنه عاق شاق ظلوم . فلما أتاه الكتاب ، ركب إلى الحسين وقال له : جاء الأمر بكذا ، ثم إن عمر خرج فيمن معه ، والحسين في أصحابه

في موقف وقف الحِمام عليهم في ضنكه واستحوذ استحواذا [٢]

فأخذ عمر سهماً ورمى به وقال : اشهدوا أني أول من رمى . وحمل أصحابه فصرعوا رجالا ، وأحاطوا بالحسين وقاتلوه ، فادماه رجل من كندة يقال له مالك ، فأخذ دمه بيده وقال : اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء ، فاجعل ذلك لما هو خير منه ، واشتد عطشه ، فدنا ليشرب ، فرماه ابن تميم بسهم فوقع في فمه ، فتلقى الدم بيده ، ورمى به إلى السماء ، وقال بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم إني أشكو إليك ما يصنع بإبن بنت نبيك ، اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، فأقبل شمر في نحو عشرة الى منزل الحسين ، وحالوا بينه وبين رحله ، وأقدم عليه وهو يحمل عليهم ، وقد بقي في ثلاثة ، ومكث طويلا من النهار ، ولو شاؤا قتله لقتلوه ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء ، فنادى شمر في الناس : ويحكم ما تنتظرون بالرجل ؟ فحملوا عليه من كل جانب ، فضرب كفه اليسرى وعاتقه ابن شريك التميمي ، فحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع ، وقال لخولة الأصبحي احتز رأسه ، فأرعد وضعف ، فنزل اليه وذبحه ، وأخذ رأسه فدفعه إلى خولة ، وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ، وانتهبوا متاعه وما على النساء ، وصنعوا ما صنعوا وما عسى أن نقول ؟

---

(١) كذا في الاصل ، وحقها أن تكون : مناد ، إلا اذ كانت بمعنى : وارسل عمر منادياً ينادي .

(٢) الحمام : الموت . والضنك : الضيق والشدة .

وقست منهـُمُ قلوب على من بكتِ الأرضُ فقدهـَم والسماء
فابكهمْ ما استطعتَ إنّ قليلاً في عظـيم من المصاب البكاء

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وأربعون ضربة ، ثم نادى عمر [١] من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه ؟ فانتدب عشرة فداسوه بخيولهم ، حتى رضّوا ظهره وصدره .

مصائبُ شتى جـُمّعت في مصيبة ولم يكفها حتّ قفتها مصائبُ

وكان عدّة من قتل معه اثنين وسبعين رجلاً ، ومن أصحاب عمر ثمانية وثمانين غير الجرحى ، ثمّ دفن في اليوم الثاني بالطفّ حيث قتل وفي ذلك قيل :

بالطفّ لي أسوة في كلّ حادثـة فهاتِ يا دهرُ ما أعددت من محن
ماكنت أدري الليالي في غوائلها تسقي الحسين الردى والسمّ للحسن

ثم بعث عمر بن سعد برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد ، ودخل خولة بن يزيد الأصبحي على ابن زياد برأس الحسين وهو ينشد :

املأ ركابي فضّة وذهبـا إني قتلت السيّد المحجّبا
قتلت خير الناس أماً وأبـا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فوضع الرأس بين يدي ابن زياد ، فكان ينكت ثنايا الحسين بقضيب كان في يده ، وزيد بن أرقم حاضر وهو يقول له : اكفف ، فلقد رأيت النبيّ صلىّ الله عليه وسلم يقبّل هذه الثنايا .

وإذا البينات لم تغن شيئاً فالتماس الهـُدى بهن عناء

ثم بعد يومين دخل الكوفة عمر ، ومعه ثياب الحسين واخواته ، وفيهم عليّ بن

---

(١) ولم يطل الأمر بقتلة الحسين : فقد قام المختار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة طالباً بثأر الحسين سنة ست وستين ، اي بعد خمس سنوات من مقتل الحسين ــ قتل الحسين في العاشر من محرم سنة احدى وستين ــ فتجرد لقتال قتلة الحسين ، وطلب شمر بن ذي الجوشن حتى ظفر به وقتله ، وبعث الى خولى الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين فاحتاط بداره وقتله واحرقه بالنار ، ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص صاحب الجيش الذين قتلوا الحسين ، وقتل مع عمر ابنه حفصاً . وفي المحرم من سنـة سبع وستين ارسـل الجنود لقتـال عبيدالله بن زياد وقدم عليهم ابراهيم بن الاشتر النخعي ، فانهزم اصحاب ابن زياد ، وقتل هو ، قتله ابراهيم بن الاشتر ، وأخذ رأسه واحرق جثته .

فانتقم الله للحسين بالمختار ، وان لم تكن نية المختار جميلة .

الحسين ، وهو مريض ، فأدخلهم على ابن زياد ، وطيف برأس الحسين على خشبة في الكوفة ، ثم بعث به الى يزيد بن معاوية

خرجوا بـه ولكلّ باكٍ خلفَه — صعقات موسى يوم دك الطورُ
والشمس في كبدِ السماء مريضةٌ — والأرض واجفة تـكاد تمور

وأرسل معه النساء والصبيان على الاقتاب ، والأغلال في عنق علي بن الحسين وفي يديه ، إلى أن جيء برأس الحسين ، فوضع بين يدي يزيد في طست ، فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه ، فلمّا رآه ستر وجهه بكمه كأنه اشتمّ منه رائحة ، وجعل يقرع ثناياه بقضيب كان في يده ، وهو يقول : الحمدلله الذي كفانا المؤنة ، (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) ومكث الرأس مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام ، ثم ترك في خزائن السلاح ، والقصّة أشهر من نارعلى علم ، وقد أفردت بالتأليف [١] وإنّما ذكرت هذه النبذة ، ردعاً للنفس عند تطوّرها وتهوّرها ، وإلا فما ثمرة الأسف ؟ والعتب على الماضي عبث .

ودَعْ عنك أمراً قد مضى لسبيله — ولكنْ على ما نالك اليوم فاقْبِل

ما أوقع ما قال :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى — ويحطّ الصخورَ من هَبّود
يحكم الله ما يشاء ويُمضي — ليس حُكم الإلـه بالمردود

وقال وما يجدي المقال :

بعض الذي نالنا يا دهر يكفينـا — فأمنن ببقيا وأودعها يداً فينـا
إنْ كان قصدك إرضاء العدوّ بنا — فدون هذا به يرضى معادينـا

(١) الكتب المؤلفة في هذا وفي غيره كثيرة ، ولكن الموثوق المقبول منها الخالي من التحامل والتحوير والتحريف قليل ، ومقتل الحسين ثابت لا يخالف فيه أحد ، إلا أن التفاصيل تختلف قليلا او كثيراً بين كتاب وآخر ، والدخيل فيها ليس بالقليل ، لاسيا في كتب الشيعة والمتشيعة .
واذا أردت ان ترى امثلة من الاختلاق والكذب والتحريف ، والرد عليها ، فانظر في « منهاج السنة» لابن تيمية ، أو على الاقل « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي .
والتاريخ علم ، والعلم اعز من ان ينال من اقرب مورد ، فلا بد من البحث والمناقشة والاستيثاق .
وانظر من رسائل مسجد جامعة دمشق : « تاريخ مجيد ينتظر من يكتبه » .

وقال آخر :

آل حَرْب أوقدتمُ نارَ حرب ليس يخبو لها الزمانَ وَقود

فابن حرب للمصطفى وابن هند لعليّ وللحسين يـزيد

وما أحسن ما قال :

طالع تواريخَ من في الدهر قد وُجدوا تجد هموماً تُسلّيّ عنك ما تجد

تجد أكابرهم قد جُرّعوا غُصَصاً من الرزايا بها كم فتّتتْ كبد

رُويَ عن ابن عباس أنّه قال : رأيتُ النبيّ صلوات الله عليه ، فيما يرى النائم نصف النهار ، وهو قائم أشعث أغبر ، وبيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي أنت وأمّي ماهذا ؟ قال : هذا دم الحسين ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم . فكان قتله في ذلك اليوم . وكذلك رأت أمّ سلَمة وقالت : سمعتُ الجنّ تبكي على الحسين وتنوح عليه . وأخرج ثعلب في « أماليه » عن أبي حباب الكلبي قال : أتيتُ كربلا ، فقلت لرجل من أشراف العرب بها : بلغني أنكم تسمعون نواح الجن ، فقال : ما تلقى أحداً إلاّ أخبرك أنّه سمع ذلك ، قلت : فأخبرني ما سمعت أنت ، قال سمعتهم يقولون :

مسَح الرسولُ جبينـه فلـه بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود

وقال السدّي : لما قتل الحسين ، بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها . وعن عطاء في قوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء) قال : بكاؤها حمرة أطرافها. وقيل : مكثت السماء محمرّة الجوانب ستة أشهر ، ثمّ لا زالت الحمرة فيها بعد ذلك ، ولم تكن تُرى فيها قبله ، حكاه ابن حجر .

وعلى الأفق من دماء الشهيدين عليّ ونجلـه شاهدان

فهما في أواخـر الليل فجـ ـران وفي أولياتـه شفَقان

قصة : حُكِيَ أنّ الإمام زين العابدين لمّا أُتِيَ به إلى يزيد قال له : أنت ابن الذي قتله الله ؟ فقال : أنا ابن الذي قتله الناس ، فقرأ يزيد (وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى) فتلا الإمام زين العابدين : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) فلم يُحِرْ يزيدُ جواباً . وهذا من أعظم مواقف الحيرة ، وإن تشعّب فيه طرق التأويل.

وأما المشهد، فقال المقريزي : إن الأفضل [١] ابن أمير الجيوش ، خرج في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة الى البيت المقدس ، ولما دخل عسقلان [٢] ، أخرج رأس الحسين من مكان دارس ، فعطّره وحمله الى القاهرة ، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وبنى بها ذلك المشهد الذي يشهد له بالاحسان ، وكان الذي نقله إلى عسقلان من دار السلاح ، سليمان بن عبدالملك ، ولما تكامل البناء ،حمل الرأس على صدره ، وسعى به ماشياً إلى أن أحلّه في مقره . فكان كما قيل :

وضعوه في جَدَث كأنّ ضريحه ... في قلب كلّ موحّد محفور

فيه السماحة والفصاحة والتقى ... وتراب تربة قبره الكافور

وفي هذا المجال قال من قال :

عجباً لهذا الدهر في أفعاله ... رأسٌ بمصر وجثّة في كربلا

يا قلب إن لم تعتبر مما ترى ... في الكون من تصريفه كرّ البلا

وقد اعتُنيَ الدهرَ بهذا المشهد ، وصار ولله المنة من أحسن عمارات مصر ، وعلى التربة رباط في غاية المحاسن ، ومرتّبات يؤدّى واجبها . ولهذا المشهد يوم من السنة، وهو يوم عاشوراء ، وفيه يقول البوصيري :

كلّ يوم وكلّ أرض لكربي ... منهم كربلا وعاشوراء

وهو يوم تجديد الاحزان ، وتغيير وجه الزمان ، ولو لم يكن فيه إلا إحياء سنة « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » وإن أعرضت عن ذلك نفوس همتّها قتل المذكور بقتل الذكر ، إذ ليس في يدها غير ذلك . ولقد قيل :

---

(١) هو الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الأمور بمصر حين وفاة أبيه امير الجيوش سنة سبع وثمانين واربعمئة ، وبقي هو الحاكم في مصر والمرجوع اليه في عهد ثلاثة من خلفاء الفاطميين : المستنصر والمستعلي والآمر ، إلى ان اغتيل سنة عشرة وخمسمئة .

(٢) عسقلان مدينة على الساحل الجنوبي من فلسطين وكان لها ذكر وشهرة منذ أول الاسلام ، الى أن خربها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٧ بعد أن استنقذها مع مااستنقذ من البلاد بعد وقعة حطين ، وذلك لئلا يعتصم بها الصليبيون ثانية ، ومع ذلك فقد تداولها المسلمون والصليبيون مرات بعد صلاح الدين ، وتوالى عليها العمران والتخريب ، الى أن خربت نهائياً في نهاية الحروب الصليبية لما طرد الصليبيون نهائياً في عهد الملك الاشرف خليل .

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب ؟!

وللشيعة في هذا اليوم سنن ، منها عدم الاكتحال ، وتلطف في ذلك من قال :

ولائم لامَ في اكتحالي يوم أراقوا دم الحسين
فقلتُ دعني أحق عضو فيه بلبس السواد عيني

ومنها الندب والنياحة ، وإلى الصبر مصير الجزع ، وما أحسن ما قال المتنبي :

علينا لك الإسعاد لو كان نافعاً بشقّ قلوب لا بشقّ جيوب
وقد فارق الناس الأحبّة قبلنا وأعيا دواء الموت كلّ طبيب

ومن المزارات التي بمصر ، مشهد السيدة نفسية طيب الله ثراها ، وهي بنت الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أمها أم ولد ، ولدت بمكةسنة أربع وخمسين ومائة ، وقدمتْ مصر سنة إحدى وسبعين ، وبها نشأت ، وتزوجت بإسحاق المؤتمن ابن الإمامجعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأمكلثوم ، ولم يعقبا ، وكانت من الزهد والصلاح علىما لا مزيدعليه ، وحجّت ثلاثين حجة ، وكانت تحفظ القرآنوتفسره ، ولا تأكل إلا في ثلاثة أيام أكلة واحدة ، ويُحكى أنّ النيل توقف مرّة ، فرُفع إليها خبرُه ، وما حصل بسببه من القحط ، فأمرتْ أن يُلقى قناعها في النيل ، فلما أُلقي زاد النيل . كذا في « الخطط » .

ومن المزارات بمصر تربة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وفي ذلك قيل :

لمّا خشيت من الجحيم وحرّها خوفاً وقد ضاقت عليّ مسالكي
زرْتُ الإمام الشافعيّ لعلني أجد الرضى بالشافعي من مالكي

بتّ بها ليلة تجاه ذلك القبر المعطّر ، والقرّاء حوله يتلون الكتاب المطهّر ، بأحسن أداء ، يتحرك له الجماد، ويصفو له الفؤاد ، فبتنا تلك الليلة نحييها ونميت النوم ، ونعصي بالسهر أمره ، فما له من سلطان على أعين القوم ، وكانت ليلة سبت مبارك ، جاد بها الدهر من فضل الله تعالى وتبارك .

يا ليلة مرّتْ لنا حلوة بها انتصفنا من صروف الزمان
كانتْ عليّ وفق المنى ليلة كم جهد قولي كان فيها وكان

قال في « إمتاع الاسماع » : ولم يزل قبر الشافعي مزاراً يتبرك به ، إلى سنة ثمان وستمائة ، انتهى بناء هذه القبة التي هي على ضريحه ، وقد أنشأها الملك العادل بن

أيوب[١] ، وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار ، وقال الشعراء في شأن هذه القبة وأكثروا ، فمن ذلك :

أتيت لقبر الشافعيّ أزوره ... فعارضني فُلْكٌ وما عنده بحرُ
فقلتُ تعالى الله تلك إشارة ... تشير بأن البحر قد ضمّه قبرُ

وقال النابلسي :

لقد أصبح الشافعيّ الإمام ... وفينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما ... غدا وعلى قبره مركب

والقرافة على نحو ميلين من القاهرة ، قال في « المُغْرِبْ في أخبار المَغْرِبْ » : وبتّ ليالي بقرافة الفسطاط ، وهي في شرقيها ،وبها قبور عليها مباني معتنى بها ، وفيها القبة المزخرفة التي فيها قبر الامام الشافعي ، وبها مسجد وجامع ، ومدرسة كبيرة للشافعية ، وترب كثيرة ، ولا تكاد تخلو من الطرب ، ولا سيّما الليالي المقمرة ، وهي معظم مجتمعات أهل مصر ، وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم ، وليس له علو ولا عليه اخضرار ، وإنّما يقصد للبركة ، والإجماع على أنّه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ، ولا أبهى من أبنيتها ، ولا أحسن تربة منها ، كأنّها الكافور والزعفران ، مقدّسة في جميع الكتب ، من أشرف عليها رآها كأنّها مدينة بيضاء ، والمقطّم عليها كأنه حائط من ورائها ،

وقال شافع بن علي :

تعجّبت من أمر القرافة إذ غدتْ ... على وحشة الموتى لها قلبُنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبّة كلّهم ... ومستوطنَ الأحباب يصبو له القلب

---

(١) الملك العادل ابوبكر بن أيوب أخو صلاح الدين الايوبي ولد سنة اربعين وخمسمئة وتوفي سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمئة ، ولما وقع الخلاف بين اولاد صلاح الدين ويئس من التوفيق بينهم . اخذ منهم البلاد شيئاً فشيئاً حتى صفت له جميعاً ، فكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة ولمصر نحو تسع عشرة سنة . وكان الملك العادل حازماً متيقظاً غزير العقل ذارأي ودهاء صبوراً حليماً موفقاً ، اتسع ملكه وكثرة اولاده حتى خلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات ، ورأى فيهم مايحب ، ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت اخبارهم في أولاده من الملك والظفر مارآه الملك العادل في اولاده .

وقال آخر :

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي مقرّ نزاهة إلا القرافهْ
لئن لم يرحم المولى افتقاري وقلّة ناصري لم ألقَ رافهْ

وفيها تربة الليث بن سعد الحنفي ، ويكون عنده سُرُج وخيرات وجَمْع ، بحيث لا يوجد في مكانه قدر شبر خالٍ من القرّاء والفقراء والزوّار ، وهو مجرّب لتفريج المضايق ، وفيه قيل :

الليث قُدّس سرّه وزكا أريجاً نشرُه
ما أمّهُ ذو كُرْبة إلا وآذن بِشْرُه

قال ابن خلكان : إنّ الليث كان حنفي المذهب ، وإنه وليَ القضاء بمصر ، وإنّ مالكاً أهدى اليه صينية تمر فأعادها مملوءة ذهباً ، توفي سنة خمس وسبعين ومائة ، وسمع من الهاتف عند دفنه :

دُفن الليثُ فلا ليثَ لكم ومضى العلمُ غريباً وقُبِر

وهناك تربة الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره ، وهي تحت العارض ، وهو مفازة بجبل المقطّم ، وفيه يقول أبو الحسين القصاب :

لم يبقَ صيّب مُزْنة إلاّ وقد وجبتْ عليه زيارةُ ابن الفارضِ (١)
لا غروَ أن يروي الصّديّ لحدُه أبداً ليوم العرض تحت العارض

ولابن أبي حجلة :

سقى السفحَ من ذيل المقطّم عارض تعارضه من دمع عيني مواطره

---

(١) الصيب : السحاب ذو المطر .
والمزنة : القطعة من المزن ، وهو السحاب ذو الماء .
والصدي : من أصابه الصدى ، وهو العطش الشديد .
واللحد : القبر .
ويوم العرض : يوم القيامة .
والعارض : السحاب المعترض في الافق . وفيه التوريه بالسحاب عن الموضع المدفون فيه ابن الفارض .
والمفازة : الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها .
وبيتا ابن ابي حجلة التاليان سبق ان اوردهما المؤلف في صفحة ٧٥ .

فكم فيه من صَبٍّ قضى وغرامه   أوائله لا تنقضي وأواخره

وهذه التربة تجلو عن القلب الصدا ، وترشده إلى سبيل الهدى ، وفيها يجد الفؤاد من السرور ما يملأ ألف واد . قال في «البرق الوامض» : ولد ابن الفارض لست وأربعين وخمسمائة ، وحَدَّثَ عن القاسم ابن عساكر ، وسَمِع منه الحافظ المنذري ، وروى شعره ، قال : وكان قد جمع بين الجذالة والحلاوة في شعره . وكان أبوه يتولّى الفروض بالقاهرة ، قال ابن خلِّكان : كان على قدم التجريد ، كثير الخير ، جاور بمكة زمانا ، وكان محمود العشرة . وفي «تذكرة الكندي» قال : حدّث شيخنا شهاب الدين محمود ، أنّ ابن الفارض كان قاضيا ، فلما كان في بعض الأيام من يوم جمعة ، دخل المسجد للصلاة وقت الخطبة ، فوجد شخصاً يغني ، فنوى تأديبه ، فلما انقضت الصلاة وانتشر الناس ، برز ، فناداه المذكور أن أقبل ، فلما أقبل أنشده :

قَسَم الإله الأمر بين عباده   فالصبّ ينشِد والخَلِيّ يُسبّح
ولعمريَ التسبيح خير عبادة   للناسكين ، وذا لقوم يصلح

فكان ذلك سبب زهده ، وفراق رسوم تهامته ونجده [١] وفي «تذكرة» الصلاح الصفدي انّه لما اجتمع بالشيخ شهاب الدين السَهْرَوَرْدي ، بمكة المشرفة ، أنشده [٢] :

---

(١) رأس الأمر وباب الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . والشهادة الاولى تعني ان ينخلع الانسان عن عبادة غير الله ويجعل حياته جميعها واعماله كلها لله عز وجل خضوعاً له وعبادة ، وسعياً لنيل رضاه ، والدعوة اليه ، والجهاد في سبيله ، اما معنى شهادة ان محمداً رسول الله فهو التصميم على جعل هذه العبادة كلها على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيله ، لاهوى نفس ولا عادات مجتمع ولا اي شيء غير ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم نجد في هديه ان يعمد الانسان اذا احب الى الغناء وقت خطبة الجمعة ولو توهم ان ذلك أصلح له،وكيف ، ورد السلام في هذا الوقت محظور ، وأمر صاحبه بالانصات لغو ، ومن لغا فلا جمعة له ، أفتراه ينهاه ان يقول لجاره انصت ويبيح له التغني ؟ ولا يفتح مثل هذا الباب للشيطان من كان ذاقه وايمان (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ماشجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) .

(٢) المشهور بين الناس ان قائل البيتين هو الشيخ الرفاعي انشدهما امام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأتون للقصة بذيول يرويها بعض الناس .

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبّل الأرض عنّي فهي تائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وتوقف النيل في آيامه ، فأرسل إليه الملك الكامل وهو بالروضة ، فكتب رقعة وأمرهم أن يلقوها في النيل ، فلما ألقوها فيه زاد وغمر البلاد ، وهي هذه الأبيات :

يا أيّها النيل المبارك إن تكنْ   من عند ربك تأتِ فاجْرِ بأمرهِ
أو إن تكن من عند نفسك آتياً   فالله يبسُط بِره في بَرّه
كم من بلاد لستَ تسلك أرضَها   ملأ الإلهُ بيوتها من بِرّه
قال الصليبيّ اللعين بكفره   والكفر يركض في جوانب صدره :
مسرى سرى والنيل أضحى واقفا   والدمع يجري من توقف بحره
ومضى النسيء وليس فيه زيادة   إنّ النسيء زيادة في كفره [1]
نحن الذي فزنا بجاه محمد   وبدينه وبفضله وبفخره
فغنيّنا يرجوه ذُخْرَ غنائه   وفقيرُنا يرجو نداه لِفقَره
يا بَرّ إنّ البُرّ أصبح غالياً   فارخِص بحقّك ما غلا من سعره
وأفض على السدّ المبارك ماءَه   واكسره ربّ فجبرنا في كسره

ومن أحسن ما رأيت بمصر المحروسة : خان الخليلي ، فإنّه كنز جمع من المحاسن أسناها ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ومن سعَته وتشعّب طرقه ، يكاد يكون مدينة مستقلة ، وفيه قيل :

كلّ أرض قد تسامتْ   باقتضا أمر جليلِ
فعليها مصر جلّت   إذ حوتْ خان الخليلِ

---

(١) مسرى من اشهر القبط ، وهي : توت ، بابه ، هتور ، كيهك ، طوبه ، امشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤنة ، ابيب ، مسرى ، النسي . ويغلب ان زيادة النيل تكون في هذا الشهر . والنسيء في اللغة : التأخير ، واصطلاحاً تلاعب كان اهل الجاهلية يقومون به حين يستثقلون توالي ثلاثة اشهر محرمة (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم) فينسؤون — اى يؤخرون — حرمة محرم مثلا الى صفر ، فيحلون المحرم ويحرمون صفر ، وليس ذلك دائما ، وانما يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ماحرم الله ، فيحلوا ماحرم الله ، لذلك قال الله عز وجل (إنما النسيىء زيادة في الكفر) . والنسيء عند القبط الخمسة اوالستة ايام التي تبقى من السنة بعد انقضاء اشهرهم الاثني عشر ، وكل منها ثلاثون يوماً .

ورأيتُ بها محلاً يسمّى الماوردين ، يحويه ثمانية أبواب ، وهو مرتب الوضع متشعب ، يكاد يضل فيه من لم يعرفه ، بل ويقول بلسان الحال :

لا تسلكنّ طريقاً لست تعرفها بلا دليل فتهوي في مغاويها

وقد جمع أنواع العطر وأصناف الثياب ، إلى غير ذلك من المحاسن واللطائف ، وبقربه صاغة اليهود ، ولها سبعة أبواب ، فلهما مناسبة بالجنة والنار ، من حيث عدد الأبواب ، والكفر والاسلام .

ومن محاسن مصر بولاق ، وما أدراك ما بولاق ، ساحل ساح له السوّاح ، وسحّ له سحاب الغدوّ والرَواح ، ودارت أفلاكه بالدراري ، وجرت فُلْكه بخزائن الأرض في ذلك البحر الجاري ، وغنّى في رياضه الشحرور والهزّار ، وترنّم الشادي في محاسنه ببديع الأشعار :

سقى الله هاتيك المعاهد من مصر بلاد بها قد كان بيتي على البحر
وخودٌ تراءت من خلال قصورها كما لاح من بين السحاب سَنا البدر[1]
إذا احتجبت عنّا بفاضل بُرْدها رأيت لها ذيلا على دِمْية القصر
أعاذل في أهواء بولاق إن تكن محبتها ذنبي فإنّ الهوى عذري
إذا كنتَ في مصر ولم تك نازلاً على نيلها الجاري فما أنت في مصر
سقى الجيزةَ الريّا سَحاب مقطّب كما لَقِيَتْنا بالتأنّس والبشر
رحلتُ إلى تحصيل لذّاتها التي سمعتُ بها عنها إلى ما ورا النهر
نهار قصير فاق عمريَ كلّه فيا لك يوم لا أرى مثلَه عمري
تُباكرني يا صاحِ بالراحِ عصبة تراهم لفرط الألف كالماء والخمر
ومُنْيتها قد أصبحت ليَ مُنْية وأمسيت لا أختار مصراً على مصر

وقال :

لم لا أهيم بمصر وأشتهيها وأعشق
ولم تر العين أحلى من مائها إنْ تملّق

وقد طال حديث مصر وزاد ، ولكن بحسب ما قيل :

أخبار مصر حديثها من حسنه يحلو لأنّ اللفظ منه سكّر

---

(١) الخود : المرأة الشابة ، وجمعها خود وخودات .

يحلو إذا كـررتمـوه وحسبكم بالسكّر المصري حين يكرر

وأقول كما قيل :

أعِدْ ذكر من حلّ الغَضا يا مُعَذّبي وإنْ أضرَموه بالأضالع والصدر
ولا تنس سكّان العقيق وإنْ هُـم على وجنتي أجْرَوْه في مدّة الهجر[1]

وهذه قطعة من المقاطيع الحسنة ، والنوادر المستحسنة ، حسبما تيسر جمعها من تلك الديار المصرية ، نقاية ونقلا ، ورواية وإملا ، لئلا تخلو هـذه الورقات من فائدة ، ولتكون صلة تلك الأبْيات الأبيّات عليها عائدة ، فمن ذلك للفاضل أبي الفتح البستي ، ولقد أفاد وأجاد :

إذا لم يزد علمُ الفتى قلبَه هـدىً وسيرته عدلاً وأخلاقَه حسنا
فبشّره أنّ الله أولاه فتـنـة تُغَشّيه حِرماناً وتُوسِعه حزناً

وقال آخر :

أفِـد العلم ولا تبـخل بـه وإلى علمك علمـاً فاستـزد
مـن يُفِـده يَجزِه الله به وسيغني الله عمّن لم يُفِـد

وقـال :

لا تمنعـنّ العـلمَ طـالبـه فسِواك أيضاً عنـده خُبْـر
كم من رياض لا أنيس بهـا هُجِرت لأنّ طـريقها وَعْرُ

وقـال :

اجعلْ نديمك دفترا فـي ضمنه حِكَم العلوم وطيّها في نشره
لتنال آدابـاً وتكْسِب عـزّة يغنيك عن زيد الزمان وعَمْره

وقـال :

العـلم يـأتـي كـلّ ذي خَفْض ويـأبـى كلّ آبـي
كالمـاء ينـزل في الـوهـا د وليس يصعد في الروابـي

---

(١) الغضا جمع غضاة وهو شجر من الأثل شديد الصلابة وجمره يبقى طويلا قبل أن يخمد .
والمقصود في الشطر الأول مكان يكثر فيه الغضا .
والعقيق واد قرب المدينة وهو منتزه أهلها .

وقـــال :

ألا لـــن تنـــال العـــلم إلا بستّة   سأنبيك عـــن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغـــة   وهمّة أستاذ وطول زمان[1]

وقال

بعشر تنال العلمَ قوت وصحّـة   وحفظ وفهم ثاقب في التعلّـــم
ودرس وحرص واغتراب وهمّة   وشَرْخ شباب واجتهاد معلّـِم

قال :

علم الحديث فضيلةٌ تحصيلـــها   بالسعي والتطواف في الأمصار
فاذا أردت حصولـــه بـــإجازة   فقد استعضت الصّفر بالدينار[2]

فائدة : قال الجلال السيوطي في «الإتقان» ، في النوع الرابع والثلاثين ، في كيفية تحمّل القرآن : الإجازة من الشيخ ، غير شرط في جواز التصدّي للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهلية ، جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد ، وعلى ذلك السلف الأوّلون والصدر الصالح ، وكذلك في كلّ علم في الإقراء والإفتاء ، خلافا لما يتوهمه الأغبياء ، من اعتقاد كونها شرطاً ، وإنّما اصطلح الناس عـــلى الإجازة ، لأنّ أهليّة الشخص لا يعلمها غالباً ممن يريد الأخذ عنه ، من المبتدئين ونحوهم ، لقصور مقامهم عن ذلك والبحث عن الأهلية ، ولا تجب الإجازة على الشيخ ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليها .

ومليحة شهدت لهـــا ضرّاتها   والفضل ما شهدت به الأضداد

الشاطبي :

قـــلْ لـــلأمـــير نصيـحـــة   مـــن حاذق فَطِـــن نبـيـه
إنّ الفـــقـــيـــه إذا أتـــى   أبوابـــكم لا خـــير فيـــه

---

(١) هذان البيتان قد مرا سابقاً صفحة ٢٦ . إلا ان المؤلف قد ذكر هناك في الشطر الثاني من البيت الثاني : وإسعاد استاذ ، وهناك قال : وهمة استاذ . والذي نحفظه : وصحبة استاذ .

(٢) الصفر هو النحاس ، يقول ابو فراس :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم   وماكان يغلو التبر لو نفق الصفر

أما كيميائيا فخليطة — لها عدة اشكال — يتألف معظمها من النحاس ، والى جانبه القصدير .

وما أحسن ما قال :

إذا الفتى فاتـه مال يجـمّـلـه   ففي التأدّب ما فاتـه خلَف
هو اللباس الذي لا شيء يَعْدِلـه   والمفخرَ الزيْن فيه الفضل والشرف

وقـال :

كفى شرفاً بالعلم دعواه جاهل   ويفرح أنْ يُدْعى إليه ويُنْسَب
ويكفي خمولا بالجهالـة أنّـه   يُراع متى يُعزى إليه ويَغضب

وقـال :

إذا مـا اعتـز ذو علم بعـلم   فعـلم الفـقه أولى باعتـزاز
فكم عـرف يفوح ولا كمسك   وكم طـير يطير ولا كباز

وقـال :

وقـد يدعي علم القراءات معشر   وباعهمُ في النحو أقصر من شبر
فإن قيل ما إعراب هـذا ووزنه ؟   رأيت طويل الباع أقصر من فتر

وقـال :

من تحـلّى بغـير ما هـو فيه   فضحَتْه شواهـد الإمتحـان
وجرى في العلوم جري سكيـت   خلّفته الجياد يوم الرهان[1]

وما أصدق ما قال :

كلّ من يطلب العلوم وحيـدا   دون شيخ فإنّـه في ضـلال
ليس في الكتب والدفاتر عـلـم   إنّما العلم في صدور الرجال[2]

---

(١) السكيت : هو الذي يأتي آخراً في سباق الخيل ، فأول الجياد المجلي وآخرها السكيت .

(٢) هذا صحيح الى حد ، فإن العلم الحق يتعذر غالباً على من يقتصر على الكتب فقط ، فهي لاتجيب سائلا ، ولا تشرح له مارآه فيها غامضاً ، وقد يسيء الفهم دون ان يشعر ، أما التعميم ونسبة كل من يسير في هذا الطريق الى الضلال فغلو وشطط ، واشد منه واشنع من يدعو إلى عبادة الشيخ - لو نفى هذه العبادة بلسانه — بتقديسه وتنزيهه عن اي خطأ . واتباعه في كل شيء ، ومناداته بأن يكون [illegible] مام الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ، ولعمري اي خير يرجى من ميت ؟ واي ثناء على الشيخ حين يوصف بأنه مغسل اموات ، اللهم أحينا من موت الضلال وأيقظنا من غفلة الجهل ، ودلنا بك عليك ، ووفقنا لاتباع نبيك ، والاستعانة بالعلماء المخلصين ، والاستفادة منهم ، وعلمنا اللهم ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ياكريم .

وقال :

اليوم حرْف وغداً مثله من نُخَب العلم التي تُلْتقط
يحصِّل المرء بها حكمة وإنّما السيل اجتماع النقط

وقال :

قيّد بخطّك ما يبديه فكرك من نتيجة تعجب الحُذّاق والفُضَلا
فما نتائج فكر المرء بارزة في كلّ وقت متى ما شاءها فعلا

وقال :

جئنا إلى العلم في زمان يحطّ فيه من كان عالمْ
ويرتقي فيه للمعالي من عدّه الله في البهائمْ

وقال :

لو أنّ لقمان الحكيم الذي سارت به الركبان في الفضلِ
يُبْلى بفقر وعيال لما فرّق بين التيس والبغل

وقال :

فصاحة حسّان وخطّ ابن مُقْلَة وحِكمة لقمان وزهد ابن مريم [1]
لو اجتمعتْ في المرءِ والمرءُ مفلس ونودي عليه لا يباع بدرهم

وقال :

إذا ما مات جارك ذات يوم ولستَ بواجد حبّ العَشاء
فأنت بأن يُعزّوك اليتامى أحقّ من اليتامى بالعزاء

---

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقمان الحكيم الذي نتلو في كتاب الله وصاياه لابنه ،وعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، معروفون .

اما ابن مقلة فهو ابو علي محمد بن مقلة ، ولد سنة ٢٧٠ وولي الوزارة ثلاث مرات سنة ٣١٦ وسنة ٣٢٠ وسنة ٣٢٢ ، وغرق في السياسة ومؤامراتها إلى أذنيه ، فكانت نهايته ان قبض عليه وقطعت يده ثم لسانه وضيق عليه في الحبس الى أن مات في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمئةودفن بدار الخليفة ، ثم إن أهله سألوا فيه فنبش وسلم إليهم فدفنوه في داره ثم نبش ونقل الى دار أخرى ، ومن العجب انه ولي الوزارة ثلاثة دفعات ووزر لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي ، وسافر ثلاث سفرات اثنتين الى شيراز وواحدة الى الموصل ودفن بعد موته ثلاث مرات .

وكان على درجة عالية من جمال الخط ، حتى كان يضرب المثل بجمال خطه ـ الذي نقله من الكوفي ـ وكان صاحب مدرسة في الخط .

وقــال :

إن كنتَ تسعى للزيادة فاستقــم تنل المراد وقد سَمَوْتَ إلى السما
ألِف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الحروف تقدما

ابن زيادة في النقصان :

من يستقم يُحرم مناه ومن يَزِغْ يختصّ بالإسعاف والتمكــين
انظر الى الألف استقام ففاتــه نقط وفــاز به اعوجاج النــون

وقال آخر :

ما للقريض غدتْ تُعاف بجوره بين الأنام ودَوْحُــه لم يثمــر
غلب الكساد عليه حتّــى إنّــه لو بيع عندالنجم غاب المشتري[1]

وقــال :

يا مــن يحاول راحــة في دهره صبراً على ما نلت من خطب عَسِرْ
وكُنِ اسمَ فعل لا يؤثر عاملٌ فيه وإلا فالضمير المستــتِرْ

وقــال :

سرّك إنْ أودعتــه ثــانيــاً فاعلم بأنْ قد آن أن يُفْشيَهْ
لأنّ مــا أضمِر في حالــة الـ إفــراد تَستخرجُــه التثــنيه

وقــال :

إيّاك من صاحب ترجو معونتــه أو فتية من بــني الأيام تألفهـا
ولا تقلْ أبتغي ثانٍ أضاف بــه فإنّ تثنية الأسماء تكشفــهـا

وقــال :

إذا نلتَ المــنى بصديــق ودّ وكان وِفاقــه وفــق المراد
فحاذر أنْ تعــامــلــه بقَرْض فإنّ القرض مِقْراض الوداد

قــال :

لا تُـقــرِضــنّ الصديق شيئاً إن رمْت أنْ تقــتني وِداده

---

(١) في المشتري تورية بالنجم المعروف الذي هو أحد الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس مؤلفة المجموعة الشمسية ، وهي — ابتداء من أقربها الى الشمس — :
عطارد ، الزهرة ، الارض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، اورانوس ، نبتون ، بلوتو .

فالأخـــذ مثـــل النكاح حـــلو ... والـــردّ أنكى مـــن الولاده

وقـــال :

تـــأنّ وشاور لـــدى المشكلاتِ ... فمنـــها جـــليّ ومُسْتَغْمض
فرأيـــان أثبت مـــن واحـــد ... ورأيُ الجماعـــة لا يُنْقَض

وقـــال :

إذا اجتمـــع الناس في واحـــد ... وخالفهم في الرضى واحـــد
فقد دلّ إجماعهـــم دونَـــه ... عـــلى عقـــله أنّـــه فـــاسد

وقـــال :

على قدرك الصهباءُ تعطيك نشوة ... ولستَ على قَدْر السُلافِ تُصاب
ولو أنها أعطتك يوماً بقـــدرها ... لضاقت بك الأكوان وهيَ رِحاب

وقـــال :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومـــه ... على ما تَجلّى يومُه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرَميم وإنّمـــا ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقـــال :

لعمرك ما الإنسان إلاّ ابن دينـــه ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد فاز بالاسلام سلمانُ فارسٍ ... وقد حطّ بالجهلِ الشريفُ أبولهب[١]

وقـــال :

هـــذا الزمان الـــذي كنا نحاذره ... فيما يحدّث كعب وابن مسعود
إن دام ذا الحال لم نحزن عـــلى أحد ... يموت منّـــا ولم نفرح بمولود

وقـــال :

من كان يرجو أن يعيش فإنني ... أصبحتُ أرجو أن أموت لأعْتِقا
في الموت ألفُ فضيلة لـــو أنّها ... عُرِفتْ لكان سبيله أنْ يعشقا

---

(١) المحفوظ في البيت :

فقد رفع الاسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك النسيب أبالهب

والبيت الثاني من البيتين التاليين له :

إن دام هذا ولم يحدث له بدل ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقـــال :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأسرفـــوا   في الموت ألْف فضيلة لا تعرف
منـــها أمـــانُ لِقائــه بلقائـــه   وفراق كل مُعاشر لا ينصف

وقال :

جزى الله عنّا الموتَ خيراً فإنّــــه   أبَرّ بنا من كل بَـــرٍّ وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الردى   ويدني من الدار التي هي أشرف

وقـــال :

جزى الله الشدائد كلّ خـــير   وإنْ جَرّعْتَني غُصَصي بريقي
وما شكري لهـــا إلا لأنّـــي   عرَفت بها عدوّي من صديقي

وقـــال :

يمثـــل ذو اللـــبّ فـــي نفسه   مصائبـــه قبـــل أن تنـــزلا
فإن نـــزلتْ بَغْتـــةً لـــم يُرَعْ   لمـــا كان فـــي نفسه مَثّـــلا

وقـــال :

إذا المرء مِن أعداه لم يَشفِ نفسه   فما نفعه إن قام للثار طالـــب
ومن لم يَطِبْ منه الثنا في حيـــاته   فلا نفعَ إن أثنتْ عليه النوادب

وقـــال :

لا تستدلّ عـــلى تغـــيّر صاحب   وزوال صحبته وخَفْرِ ذمامه
يوماً بأوضحَ من تَجَشّمِ وجهه   وجفاء منطِقِه وسُخْط مَلامه[1]

وقـــال :

ما دمتَ حياً فدارِ الناسَ كلّهـــم   فإنّما أنتَ في دار المـــداراة
من يَدْرِ دارى ومن لم يدر سوف يُرى   عمّا قليل نديمـــاً للنـــدامات

وقـــال :

عوّد لسانَك حسنَ القول تَنْجُ به   من زلّة اللفظ بل من زَلّة القدم
واحـــذر زمانَك من خلّ تنادمه   إن النديم لَمُشْتقّ مـــن الندم

---

(١) الذمام : الحق والحرمة ، وخفر ذمامه : نقض عهده . والتجشم : التكلف على مشقة ، والسخط والسخط ، والسخط ـــ ضد الرضى .

وقـال :

لا تَحقرنّ امرءاً أن كان ذا ضَعَة فكم وضيع من الأقوام قد رَأسا
ورُبّ قوم حقَرْناهم ولم نرهـم أهلا لخدمتنا صاروا هُمُ الرّؤسا

وقـال :

وكنتُ أظنّ أنّ جبال رضْوى تزول وأنّ وُدّك لا يـزول
ولكـنّ القلوب لهـا انقلاب وأحوال ابـنِ آدم تستْحيل

وقـال :

إنّ الصفا في شرْب كلّ مـودّة لم يَخلْ من كَدَر لمن هو وارِد
فإذا صفا لكِ من زمانكِ واحـد فهو المراد ! وأين ذاك الواحد ؟

وقـال :

قَوّض خيامك عن أرض تضامُ بها وجانبِ الذلّ إنّ الذُل مُجتَنَب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالمَنْدَل الرطبفي أوطانه خشب[1]

وقـال :

تَفَـقّدُ السادات خـدّامهـم مَكْرُمَة لا تُنْقِص السوددا
هـذا سليمـان عـلى ملكـه قد قال : ما لي لا أرى الهدهدا

وقـال :

ترى الفتى يُنكِر فضل الفـتى ما دام حيـاً فإذا ما ذهب
لجّ بـه الحرص عـلى نكتـة يكتبها عنـه بمـاء الذهب

قـال :

يـا سادتي هل يخطُرَنّ ببالكم من ليس يخْطر غيركم في باله
حاشاكمُ أنْ تَغْفَلوا عن حال من هو غافل في حبّكم عن حاله

وقـال :

نظرتْ فأقْصَدتِ الفؤاد بسهمها ثـم انثنتْ عنه فكاد يَهيمُ
ويلاهإنْ نظرتْ وإن هيَ أعرضتْ وقعُ السهامِ ونزعُهنّ ألـيمُ

---

(١) المندل ــ وجمعه منادل ــ : العود الطيب الرائحة .

وقال ابن الرومي :

إذا سرّها أمر وفيه مآثم ... قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مرّ يوم أرتجي فيه راحة ... فأذكرها إلا بكيتُ على أمسي

قال :

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة ... إليها وهل بعدَ العناق تداني؟
وألثم فاها كي تزول صبابتي ... فيشتدّ ما ألقى من الهَيمَان
كأن فؤادي ليس يَشفي غليلَه ... سوى أنْ يرى الروحان متّحدان

وقال ابن مكانس :

ثلاثٌ تجمّعنَ في ريقها ... ملاح أدلّتها واضحهْ
فإنْ قيل ما هي تلك الثلاث ... قُل اللونُ والطعمُ والرائحهْ

وقال آخر :

زارتْ معطّرة الشّذى ملفوفةً ... كي تختفي فأبى شذا العطر
يا معشر الأدباء هذا وقتكم ... فتناظموا في اللف والنشر

وفي حركات البناء لابن الحنبلي :

ضممتُ إلى صدري فتاة صغيرة ... لها سحر أجفان خلا عن الذم[1]
ومذ كسَرتْ أجفانَها قلت هذه ... على الفتح لم تقدر فما لي سوى الضمّ

وفي المعنى :

شاقني رِدْف مليح ... لحروف النحو يَجْمع
يفتح الجزم لنصب ... ولأجل الجرّ يرفع

وقال آخر :

تأخّرتْ عن موقفي ... فقلتُ ياخود قفي
ثم عديني موعداً ... ختامه مسك وفيّ

وقال آخر :

العيش : دار رَحْبة وحَليلة ... حسناً ومهْر فارهُ

(١) الشطر الثاني غير موزون ، ويستقيم الامر اذا استبدلنا « خلا » بـ « تخلى » أو « تعالى » أو ما كان على هذا الوزن .

فاظفر بهنّ ولا تبالي فالورى　　　إمّا محبّ مخلص أو كارهٌ[١]

وقال مهيار الديلمي :

وكنتُ ألوم العـاشقين ولا أرى　　　مزية ما بين الوصال إلى البعد
فأعدى إليّ الحبّ صحبة أهله　　　ولم يدرقلبي أن داء الهوى يعدي

وقال آخر :

أمّلتُ أن يتعطفوا بوصلكـم　　　فرأيتُ من هجرانكم مالا يُرى
وعلمتُ أنّ جفاكم لا بد أن　　　يجري له دمعي دما وكذا جرى[٢]

وقال الصفدي :

يا من تناسى وِدادي بعد معرفـة　　　وقد غدا طَوْع لُوّام وعُذّال
ما أنتَ أوّل محبوب ظفرتُ بـه　　　من الزمان فخابت فيـه آمالي

وقال :

تعشّقت بدراً ليس فيه مطمـع　　　سوى أنّني في حسنه أتفكّر[٣]
مليح إذا قابلتـه ورأيتـه　　　رأيتُ مُحَيّا البدر من أين يُسْفِر

وقال :

سارقته نظـرة أطال بها　　　عذاب قلبي وماله ذنب
يا جَوْرَ حكم الهوى ويا عجباً　　　تَسرق عيني ويُقطَع القلب

وقال :

يا أيّها الناس من رأى قمـراً　　　من أيّ أفق أراده طلعـا
لو كلّف العالمين قاطبـة　　　أن يعبدوا وجهه لما منعا

وقال :

مداده في الطِرْس لمّا بدا　　　قبّله الصبّ ومن يزهد

---

(١) الشطر الثاني به نقص أدى إلى خلل في الوزن ، ويستقيم البيت بأن نقول مثلا :
حسنا ومهر للمعامع فاره

(٢) التورية هنا بين جرى بمعنى سال وجرى بمعنى حصل .

(٣) الشطر الاول بين الخلل ، والنقص فيه واضح ولعل صوابه :
« تعشقت بدراً ليس لي فيه مطمع »

كأنّما قد حلّ فيه اللـمى أو ذاب فيه الحجر الأسود[١]

وقال :

ولقد أقول لمن تعشّق أغيـدا أو غادة وغدا أسيرَ وَثاق[٢]
ما مذهبي عشق الجمـال مقيّدا بل عِشقه ديني على الإطلاق
قد كان في ذكر الذين أحبّهم ذكرى اللبيب وعبرة الأشواق
فاخلع محبّة من يموت وخُذْ بنا يا قلب في عشق الجمال الباقي

وقال :

يا قلب إنْ خان الخليل فَخَـلّه فلكم فتى ذاق العنا من خِلّه
ولَرُبّ حادثة تَخَلّى عندها من كنت أرْخِص مهجتي من أجله

وقال :

لا غَرْوَ من حزني لبينهم يوم النوى وأنا أخو الهمّ
فالقوس من خشب تئن إذا ما كلّفوها فرقة السهمِ

وقال :

سامح أخاك إذا أتاكَ بمنـكر فَخلُوص شيء قلّما يُتَمكّن
ولكلّ شيء آفة من جنسه إنّ السراج على سناه يدخّن[٣]

ما أنصح ما قال :

مع العلم فاسلكْ حيث ماسلك العلمُ وعنه فكاشفْ كلّ من عنده فهمُ
ففيه جلى للقلوب من العمى وعون على الدين الذي أمره حتْمُ[٤]
فإني رأيتُ الجهل يُزري بأهله وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم
يعدّ صغير القوم وهو كبيرهم وينْفُذ منه فيهم القولُ والحلم

---

(١) اللمى : سمرة أو سواد في الشفة يعدونة من صفات الحسن .

(٢) الاغيد — ومؤنثه غيداء — : ذو الغيد ، والغيد : النعومة وميل العنق ولين الاعطاف .

(٣) وأيضاً :

ولكـل شيء آفة من جنسه حتى الحديد عدا عليه المبرد

(٤) لكي يصح وزن البيت يجب أن تكون تهجية جلى بتشديد الياء ، أي : جلي ولا نرى لها هنا موضعاً . ونظن أنها : تجل ، والاحسن منها : جلاء .

فأي رجاء في امرىء شاب رأسه — وأفنى شباباً وهو مُستعجم فَدْم [١]

يروح ويغدو الدهرَ صاحبَ بطْنَه — تُرُكّبَ في أحشائه الشحمُ واللحم

إذا سئل المحروم عن حال أمرِه — بدتْ رُحضاءالعي في وجهه تسمو [٢]

فهل أبصرتْ عيناك أقبَح منظر — من الشخص لا علم لديه ولا حلم

ومن مُدْمن شرب المدَام وما درى — بما في مناهي شربها ماأتى الحكم

هي الحالة الشنعاء فاحذر عقوبة — أوائلها خزي وآخرها ذمّ

وخالطْ رُواةالعلم واصحبْ خِيارهم — فصحبتهم زَيْن وخلطتهم غُنْم

ولا تَعْدُ عيناك عنهم فإنّهم — نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم [٣]

فوالله لولا الله ما اتّضح الهدى — ولا لاح من غيب السماء لنا رَسْم

ما أسلم ما قال :

تجاوزتُ حدّ الأكثرين إلى السّها — وجاوزتُ واستبقيتهم في المراكز

وخضت بحاراً ليس يدرك غَوْرُها — وألقيتُ نفسي في فسيح المفاوزِ

ولَجّجْتُ في الأفكار ثم تراجع اخ — تياري إلى استحسان دين العجائز [٤]

ما أرجى ما قال :

إلهي أنتَ تعلم أنّ عجزي — بعفوك من عذابك يستجيرُ

وأنّي يا غنيّاً عن عذابي — إلى أن لا تعذبني فقيرُ

وإنّما حبّرتُ هذه الأوراق ، من محاسن هذا الشعر بما رقّ وراق ، لميل القلوب إليها ، وما في النفس من الإقبال عليها ، كما قيل :

---

(١) الفدم : العيي البليد الاحمق .

(٢) الرحضاء : العرق لاسيما في أثر الحمى .

والعي : الاحصار في المنطق والعجز في الكلام .

(٣) الشطر الاول غير مستو ، ويمكن أن يكون :

«ولا تعد عين منك عنهم فإنهم »

(٤) مر سابقاً أن السها نجم صغير قرب النجم الثاني ـ ويسمى العناق ـ من بنات نعش ،وسيتحدث المصنف عن السها عندما يتحدث عن مروره بفرط كلال في عودته من استامبول . والسها لايراه الا حاد البصر ، ولذا يقولون : أريه السها ويريني القمر . والمفازة الصحراء المهلكة التي لاماء فيها ولا نبات . أما دين العجائز فيعني به الرضا والتسليم والاطمئنان مع بعد عن الشكوك والشبهات .

لا شيء أحلى في مسامع مُغْرَمِ يلهو بـه أبـداً سوى الأشعار
فَطروسها تَحكي الرياضَ وإنّها لِذوي المعاني لَـذّة الأبصار

قال ابن منير الثعالبي : وما زال السلف يحفظون الشعر حديثاً وقديماً ، ويتخذونه في الحوادث نديماً ، ويُنشدونه حالَ المجالسه، ويوردون دقـائقَه في أوقات المُخالَسَه ، والآثار المسندة ، والأخبار الممهدة ، في شأنه حجج قوية ، ومحجة ضوئية ، ويكفي في فضله أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، استنشَدَ بعضَ أصحابه من شعر أمية بن الصلت [١] فأنشده مائة قافية ، وأنّ عمر مـرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في المسجد ، فنظر إليه شَزْراً ، فقال له : كنت أنشده فيه ، وفيه من هو خير منك ، وهذا الخبر رواه البخاري وغيره ؛ وما نَقِل من استحباب الوضوء بعد انشاد الشعر ، فمحمول على الشعر الهجو ، وأمّا ما يترتب عليه من الثواب والعقاب ، فليس من جهة الشعرية ، وإنّما هو من حيث المضمون ، وقد قيل في قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) إنّ المراد به قبيحه .

هو الشعر لا شيء سواه وإنّه لأحسنُ ماقد قال قسّ وسَحْبانُ [٢]
يُغنّى به صَبّ ويُمدَح محسن ويُرثى به مَيْت ويُعْطَف غضبانُ

ونعود إلى ما نحن بصَدَدِه ، ونَنْدرج فيما نحن من عدده :

ولمّا طاب زمن الربيع وأوانه ، واخضرّت رياضه واخْضَلّت أغصانه ، تصمّم العزم على السفر ، وركوب البحر وإن كان فيه الخطر ، وقد أزهر جوانب تلك البقاع ، وغَرّدَتْ على دَوْح أفنانها في الاسحار بلابل الأطيار فلذّ السماع ، وكنتُ

---

(١) ليس «ابن الصلت» بل هو : امية بن أبي الصلت ـــ واسم أبي الصلت عبدالله بن ربيعة ـ شاعر ثقفي فصيح ، من المتألهين الموحدين الذين نبذوا في الجاهلية عبادة الاوثان ، وأدرك الاسلام فأبى أن يسلم حسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات في السنة الثانية للهجرة ، عقب بدر، كافراً .

(٢) قس بن ساعدة الايادي ، الحكيم المشهور ، من فصحاء العرب وخطبائهم ، ومن الموحدين في الجاهلية ، في كتب الادب والتاريخ أخبار كثيرة عنه ، يصعب التمييز فيها بين الأصيل والدخيل . مات قبل الاسلام أو قبيله .

أما سحبان ، فهو سحبان وائل ، كان على درجة من الفصاحة ، ويضرب بخطابته المثل فيقال أخطب من سحبان ، أدرك معاوية رضي الله عنه وقد شهد له بأنه أخطب العرب .

لا أبغي الرحلة عن تلك المدينة ، أو أشهد بها يوم الزينة ، ولكنْ ليس للإنسان ما تمنّى ، وربّما سعى المرءُ إلى ما لم ينل وتعنّى :

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدركهُ   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فبرزت من تلك الروضة ، وفارقت محاسن هاتيك الغَيْضة ، ولي طبيعة تسمو إلى زمن الربيع ، وتتشوّف إلى نُشُوّ النبات المريع ، أجِدُ من النفس نشاطاً في أيامه ، ويهيجني نشر رَنده وخزامه، وكان يقال : من لم تطربه نغمات الأوتار ، ولم يتحرّك لتغريد الأطيار ، ولم يَعْجَب لبديع الأزهار ، ولم يهتزّ لنسمات الأسحار ، فهو فاسد المزاج ، محتاج إلى العلاج . ولله درّ القائل :

ما مثل مصر في زمان ربيعها   ما بين ماء واعتلال نسيم

أقسمت لا تحوي البلادُ نظيرها   لمّا نظرتُ إلى جمال وسيم

وقال :

استنشقوا الهوى الربيع فإنّه   نعْمَ الصديق وعنده ألطاف

يغذي الجسومَ نسيمُه فكأنّه   رُوح حواها جوهر شفّاف

فكان البروزمن مصر المحروسة إلى بحر بولاق ، ذات البها والإشراق، في يوم الجمعة المبارك ، بعون الله تعالى وتبارك ، في تاسع ربيع الأوّل :

وخلفتُ مصر من ورائي وخاطري   بمصر ولكن أين من ناصري مصر

بلاد بها ما يُشتهى متيسّر   على جيدها يا حبذااللفّ والنشر

فأكملت ذلك النهار ، مع الأخلاّء الأخيار ، من أهل الحرمين الشريفين ممن نقلتهم يد الأقدار إلى هاتيك الديار ، ونحن نتشاكى البعاد ، ونجدّد عهود الوداد ، إلى أن آذنت الشمس للغروب ، وأشرقت كواكب الكروب ، فوقفت لهم موقف من ضلّ الرشاد ، وتَقَرّحتْ لفراقهم الأكباد ، واستودعتهم الله تعالى ، والمدامع تترادف وتتوالى ، وقد عزمت على الذهاب ، وأخذت في الاياب

ذهبت وقد سدّ الغرام مذهبي   وقلبي إلى نحو الأحبّة يُجْبَذُ (١)

ذُهِلْتُ فما أدري إلىأين قادني   قضاء على الإنسان يجري ويَنْفُذ

---

(١) يجبذ : يجذب .

ثم نزلت ذلك النيل في معاش صحبة رجل من الروم ، لا يجد لديه المؤمّل من الوفاء ما يروم ، وكنت أتوخّى فيه مكارم الأخلاق ، وأزعم أنه من أحسن الرفاق ، فوجدته بضدّ ما أملته :

وما كلّ وجه أبيض بمبارك — ولا كلّ جفن ضيّق بنجيب

أو هو كما قال :

أمّلْتُه ثم تأمّلْتُه — فلاح لي أن ليس فيه فلاح
وأنّ من يُنْزِل آماله — بحادث السعد قليل النجاح [1]

ولما أرخى الليل قِناعه ، ومدّ علينا شِراعه ، سَرَيْنا وقد ألقى البدر نُوره ، ونشر الرَوْض بالتعريف نَوْره ، فسرنا والليل يسري ، والكواكب تسير والنهر يجري ، وكأنّما النيل بحر لُجَيْن في تموّجه ، أو خدّ ذي دلال في تضرّجه [2] ، وقد قلبتنا أصابعه ، وتكَسّرَتْ بتلك الأمواج أضالعُه ، حتى أسفر الصباح ، وشَعْشَع ضياؤه ولاح ، فإذا نحن في سيران ما بين جنان .

والماء تلعبُ أطراف النسيم به — ما بين ماض وآت أيّ تَلْعاب
كأنّه زَرَد الدرع المضاعَفِ أو — نَقْش المبارِدِ أو تَفْريك أثواب

أو كما قيل :

النهر مولى والنسيم خديمه — هذا كلام ليس فيه تشككُ
لو لم يكن في خدمة النهر انبرى — ما كان يصقل ثوبَه ويُفَرّكُ

فائدة قال السيوطي عند قوله تعالى (فأخرجناهم من جنّات وعيون) : كانت الجنان بحافتي النيل من أسوان إلى رشيد ، وكلّها كانت تروى من ستة عشر ذراعاً ، فسبحان الحكيم الذي لم يزل .

---

(١) ما كان أجمله لو قال :
« وأن من ينزل آماله — بساحة العبد قليل النجاح »

(٢) سرينا : من السرى وهو السير ليلا .
واللجين : الفضة
وتضرج الخد : احمراره .

ولما ارتفعت الشمس اكتسى الجوّ بالغمام ، فاعتقدنا ذلك من تمام الإنعام ، ولم نزل كذلك ،نسلك هاتيك المسالك، وأنا في ألذّ نعيم ، ما خلا النديم، وفي ذلك أقول :

ليستْ على الحرّ اللبيب مشقة ... بأشقّ من أن لا يرى أمثاله

ذاك الغريب وإنْ يكن في أهله ... وارحَمَتْاه له لما قد ناله

ما أصدق ما قال الحسن بن شذقم :

وليس غريباً من نأى عن دياره ... إذا كان ذا مال وينسب للفضل

وإنّي غريب بين سكّان طيبة ... وإنْ كنتُ ذا مال وعلم وفي أهلي

وليس ذَهاب الروح يوماً مَنيّة ... ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل

يُحْكى أنّ سليمان عليه السلام ، لما أراد بالهدهد أشدّ العذاب ، أشار عليه وزيره آصف بن برخيا بحبسه في غير جنسه ، وما أعجب ما قال :

قد سمعتَ الصدا وذاك جماد ... كلّ شيء تقول ردّ عليكا (١)

وعلى ذكر الهدهد ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، أنّ الهدهد يرى الماء من تحت الأرض ، قيل له : فلم لا يرى الفخ إذا انقض عليه ؟ فقال : إذا نزل القضاء عمي البصر .

هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدر

ومن محاسن النواجي :

اركب النيلَ ما استطعتَ ففيه ... راحة للفتى وغاية بُغْيَهْ

كم تنزهتُ حين سافرتُ فيه ... في بلاد وكم ظفرتُ بمُنيَهْ

ابن تميم :

أنظر الى سير المراكب إذ بدتْ ... والماء يعلو حولها ويدور

---

(١) الصدى — وجمعه أصداء — مايرده الجبل أو غيره إلى المصوت مثل صوته .

نادى احبته ، وأصغى للصدى ... كيما يجيب ، فقال مثل مقاله

ناداه اين ترى محط رحاله ... فأجاب : اين ترى محط رحاله

وهو في الفيزياء : انعكاس الصوت على حاجز كجبل أو جدار أو صف من الاشجار وارتداده إلى المصوت ، ولا يحدث إلا إذا كان البعد بينهما ١٧ متراً على الاقل ، لأن الصوت يقطع هذه المسافة ذهاباً وايابا — اي ٣٤ متراً — في عشر الثانية ، ودون هذه الفترة تختلط الاصوات وتتصل فلا تميز الاذن البشرية بينهما .

مثل السحائب لا يـفرق بينها　　　نظر وكـلّ بالريـاح يسير

الفيومي :

في النـيل أعلام بـدتّ　　　بيض كأيـدي المحسنيـنا
وإذا خفقن من الهوى　　　تحكي قلوب العاشقيـنا

ابن قلاقس :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة　　　وانظر لمابعدها من حمرة الشفقِ
غابتْ وألقتْ شعاعاً منه يَخْلُفها　　　كأنّما احترقت بالماء في الغرقِ

وقال آخر :

الشمس فوق النيـل قد　　　ألقتْ شعاعاً كاللهب
فحكى مِسَنّا أخضـرا　　　وعليه حكّ من ذهب

وقال :

البـدر فـوق النيل قـد　　　ألقـى شعاعـاً يـأتلق
فحكى مسنّـاً أزرقـا　　　وعليه حكّ من ورَقِ (١)

ولما كان الفجر من اليوم الثالث ، نزلنا بمرسى رشيد ، المحفوفة بعناية الله وفيضه المديد ، فقلت إن كان سفر البحر كذلك ، فما هو إلا راحة من المشاقّ والمهالك ، ولم أدرِ أنه قياس مع الفارق ، وأنّ تشبيه الحُمَيّا بماء المُحيّا غير مطابق .

يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا　　　لقد حكَيْتَ ولكن فاتك الشَنَب (٢)

ولما أشرقت بها الغزاله ، قصدنا من روضها ظلاله ، فنزلنا من ساحتها بوكالة الوزير محمد باشا ، فاذا هي بناء محكم الأساس ، وبها وجوه من الناس ، مأمونة الخيانة ، أمينة على الأمانة ، مع كثرة ما يَرِدُها من غِمار البشر ، وبني الرذالة والأشَر ، فوضعت بها الأسباب ، وأقمت بها في ظل ذلك الجناب ، أقلب الطرف فيما رقّ وراق ، وأطوف بأكنافها البهية مع الرفاق .

حشايَ على جمر ذكيّ من النوى　　　وعيني في روضٍ من الحسن ترتع

---

(١) هذان البيتان، واللذان قبلهما ، مرا في صفحة «٤٠» .

(٢) الحميا : الخمر . والرقمتان : موضع ، والرقمة في اللغة : جانب الوادي . وحكيت — حكاية — : شابهت . والشنب : البرد ، واكثر مايستعمل في الريق .
أما الغزالة فهي الشمس عند ارتفاعها .

ثم نزلت بدار صادق الأخوّة والاعتقاد ، وكامل الفتوّة نور الدين العقاد ، جزاه الله خير الجزاء ، وأولاه عواطفه المتنوعة الأجزاء ، فلقد رأيت منه كما لاَ لا أحصيه ، وإفضالا لا أستقصيه ، ثم لا زلت اتفيّأ ظلال هاتيك البلاد ، وأسعى فيها لجوا مع العباد ، واتنزه في قصورها المونقة ، وبساتينها المورقة .

فيا حسنَ هاتيك الديار وتربهـا ... فكم قد حوتْ حسناً يجلّ عن العدّ
ولا سيّما تلك النواعير إنهـا ... تجدّد حزن الواله المدْنف الفرد
أطارِحها شجوي وصارت كأنّما ... تطارح شجواها بمثل الذي أبدي[1]
وفي شاطيء النيل المقدّس نزهة ... تجدد ما قد فات من سالف العهد
سماء من البلّوْر فيها كواكب ... عجيبة صنع اللون مصقولة الخد
ومِن مرَج البحرين أيّ عجائب ... تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
فكم قد نعمنا في ظلال رياضها ... بعيش هنيء في أمان وفي سعد
فمن لي بها لو أنّ صحبي بجبها ... ومن لي بها في غير بلوى ولا جهد

غريبة : دخلتُ يوماً الى الجامع الكبير ، فرأيت متكلماً وقد طال به البحث في مسألة الجوهر الفرد ، إلى أن انجرّ الكلام إلى القول بوحدة الوجود ، وقد كثر الهذيان ، فإذا بأشعث في هيئة المجانين ، وقد تناول كرّاساً من بين يدي الشيخ ، وكتب على حاشيته شيئاً ونهض كالمغضب ، فإذا المكتوب :

وتَكفيك من ذاك المسمّى إشارة ... ودَعْه مصوناً بالجمال محجّبا

وبالجملة فإنّ ههنا تتطاير الرؤوس من اجسادها ، والنفوس من موادّها ، أو كما قيل :

مَرَامٌ شطّ مَرْمى العقلِ فيه ... ودون مداه بيد لا تبيد

أو كما قيل :

أتيتَ بيوتاً لم تُنلْ من ظهورها ... وأبوابُها عن قَرْع مثلك سدّتِ

---

(١) الواله : الشديد الحزن البالغ الوجد .
والمدنف : الثقيل المرض .
والمطارحة : المناظرة والمجاوبة وعرض الامر .
والشجو : الهم والحزن .

مسئلة ، والحديث شجون : قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته (كشف الحجاب) : وسألوني عن الاتحاد ، الذي تشير إليه أهل الإلحاد ، هل المراد أن ترجع صورة العبد هي عين الحق ، أم المراد غير ذلك ؟ فأجبتهم : المراد بالاتحاد في لسان القوم : فناء مراد العبد في مراد الحق فلا يصير للعبد مراد مع الحق إلا بحكم التبعيّة [١]، وهذا الحق ليس به خفاء ، فدعني عن ثنيّات الطريق . وفي هذا الكلام كلام ، قلّما يخلو من الملام ، أنشد لنفسه ابن ابي الحديد المعتزلي :

أفنيتُ خمسين عاماً مُعْملاً نظري — فيه فلم أدرِ ما آتي وما أذر
من كان فوق عقول القايسين فما — ذا يدرك الفِكر أو ما يبْلغ النظر

وأحسن منه :

وما البحث في الآثار الا مبعّد — عن المقصد الأسنى إلى الغاية القصوى
فلا تقْتَنِع بالقشر دون لُبابه — ولا تحتجب بالباب عن حضرة النجوى

وما أحسن قول المتأدب :

تعشّقتُ ربّ الحسن لما رأيته — عيانا فجاهدت الهوى في سبيله
ومن حُجبت عنه محاسنُ وجهه — فغايته أن يهتدي برسوله

وقال : سئلت : إذا كان لا حلول ولا اتحاد ، فما القوّة الحاملة للعبد ، هل هي عين أم غير ، فإنْ قلنا هي غير ، فقد قام العبد بنفسه وهو محال ، وإنْ قلنا هي عين ، فهو عين القول بالحلول ، وما معنى «كنتُ سمعَه الذي يسمع به» ؟ فأجبت : هذه المسألة لا ترتفع الشبهة فيها بالكلية إلا بالكشف ، فاعملوا على جلاء مرآة قلوبكم بالأعمال السنية ، وإلا فالعقل في حيرة من ذلك ، ومعنى الحديث «وما رميت إذ رميت» وأكثر من ذلك لا يقال . كما قال :

فما كلّ معلوم يُباح مَصونهُ — ولا كلّ ما أمْلَتْ عيونُ الظِبا يُرْوى

وعلى ذكر الحلول ، فما أحلى قول أبي البركات الحاتمي :

لي حبيب لو قيل ما تتمنّى — ما تعدّيْتُه ولو بالنون

---

(١) ان كان مراده كثرة المجاهدة وطول المكابدة وملازمة التقرب الى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله ، وشدة السعي حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فنعم ، وان كان غير ذلك ففيه أكثر من كلام .

اشتهي أنْ أحلّ في كلّ طرْف ‏ فأراه بلحظ كـــلّ العيـــون

قال : وسئلت : هل وصل أحد إلى التنزيه المطلق الذي لا يشوبه تقييد ؟ فأجبت : لم يصل أحد إلى ذوقه ، وإنّما يصل الناس إلى العلم به ، لأنـّه سُمِـع في الشرع ولم يجد في العقل، وغاية الإطلاق تقييد، لأنـّك لا تطلق الحقّ إلا بعد تعقله تقابله من التقييد فافهم . والعجب من الذي وسع الأوّل كيف لا يسع الآخر[١] .

إذا لام فيها الشيخ طفلَ غرامهـــا ‏ على سكره فالشيخ كالطفل يلعب

ورأيت برشيد قبطياً قد جمع شتات الأدب ، وطُبِـع على محاسن الفصاحة ودَأب ، يقول من يَراه يميس في برد آدابه الجميلة ، تعالى فضل الله ان يؤخـذ بالحيلة ، سمعت منه للعتبي :

يا جاهلا قـدر المحبة ساءنـي ‏ ما ضاع من كَلَفي ومن تَبْرِيحي
سِيّان عندك مُغْرَم بـك وَالِـه ‏ وخَلِيّ قلب فيك غير جريح
لو كنت أعلم أنّ طبعك هكذا ‏ لم أعْص يوم نُصِحت فيك نصيحي
ما كان في عزمي السُلُوّ وإنّمـا ‏ ألْـزَمْتَنـيه لكـثرة التقبيح

وأنشدني للصفدي :

أنـا والحبيب ومـن يلوم ثلاثة ‏ لهم بديع الحسن أصبح ينتمي
فلي الجِناس لأن دمعي عن دمـي ‏ يجري ألست تراه مثل العَنْدَم
ولـه مُطابَقَـةُ التواصل بالجفا ‏ ولِعاذِليه لزوم ما لم يلزم[٢]

ومن كلامه :

هذي رشيد وكم حوت من روضة ‏ غَنّا وقصر في الرياض مشيّد
من لم يقل بصفاء بهجة نيلهـا ‏ وبهائها تلقاه غير رشيـد

ولم يكن في رشيد مما يعاب به ، إلاّ ما فيها من مظاهر الاسم القاهر ، وهم

---

(١) أي يسعنا ماوسع السلف من التسليم وترك الخوض .

(٢) العندم : شجر نبات يصبغ بـه ، وهو من فصيلة القطانيات ، ورقه كورق اللوز ، وساقه حمراء ، يكثر في امريكا الوسطى . وخشبه يحتوي على مادة ملونة تستعمل في الصباغة .
والعاذل — وجمعه عذال وعذل وعاذلون وعذلة — : اللائم .

الجند المستعبدون ، والعبيد المعتقون ، والقبط المستعربون ، والأحداث المستغربون ، ومن حِكَمِه : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك : المرأة والمملوك والقبطي من أهل مصر .

إنّ العبيد إذا ذَلّلتّهم صَلَحـوا على الهوان وإنْ أكرمتَهم فَسَدوا

وفي ذلك سر التسخير ، إذ لا تكون الطاعة إلا عنه . ومن كلامه : ثلاثة يُعَدّون من المجانين وإن كانوا عقلاء : السلطان والسكران والغضبان . والعبرة بعموم اللفظ عند العقلاء .

سَكَرات خمسٌ إن رُميَ المر ء بِها صار ضحكة الشيطان
سَكرة المال والحَداثة والجا ه وسُكر الشراب والسلطان

ومن أمثاله : لا يخلو المرء من وَدُود يمدح ، وحسود بَقْدَح ، فلا تبذل رِقّك ، لمن لا يعرف حقك ، وممّن تشرّفنا بحضرته ، وتملّينا بجمال طلعته ، مشيد أركان الشرع الشريف ، المورق غصن مجده الوريف ، مولانا مؤمن زاده ، لا زال يُفتح له من مكارم الأخلاق باب الزيادة ، فلقد أمدّني بجاهه الوجيه ، وحقق لي ما كنت ارتجيه .

سِم سِمَةً تُحْمد آثارها واشكرْ لمنْ أعطى ولوسِمْسِمَه[1]

ومما أنشدنيه المولى نور الدين سلمه الله تعالى :

أمَا والذي أصفاك منّي مودةً فأضحى لها في ساحة القلب مَغْرِس
لئن ظَلّ بي من فقد وجهك مُوحش لقد بات لي من فكرتي فيك مؤنس
أناجيك بالاضمار حتّى كأنّني أراك بعينيْ فكرتي حين أجلس

ومن املاه دام علاه :

يا ويح قلبي وكم جهدي أحمّله ما لا يطاق وقد رَثّتْ عَلائقه
في كلّ يوم لنا خُلّ نودّعه على الدوام ومعشوق نفارقه[2]

ثم ركبتُ النيل في نقيرة متوجهاً نحو الاسكندرية ، فأقمنا بالبرج نتحرّى الرياح ،

---

(١) سم : فعل الامر من : وسم يسم سمه ووسماً : جعل له علامة يعرف بها .
(٢) رثت ــ رثاثة ورثوثة ــ : بليت .
والخل : الصديق الودود . أما بكسر الخاء فهي المصادقة .

المؤذنة بالنجاح ، والبرج هذا على الساحل بين النخيل ، التي آخرها يتّصل بـه النيل بالبحر الرومي وفيه قيل :

كأنّ التقاء النيل بالبحر إذ همـا   مليكان سارا في جَحافِل من جند
وقد نزلا للحرب واصطدم اللقا   فلا طعن الا بالمثَقّفَةِ المُلْد [1]

وعلى ذكر البحر : قال رجل لرجل : ما اسمك ؟ قال : بحر . قال : من أبوك ؟ قال : أبو الفيض . قال : ابن من ؟ قال : ابن الفرات . قال : ينبغي لصديقك أن لا يلقاك إلا في زورق . انتهى .

فلمّا ارتفعتِ الشمس هبّت الرياح الشرقية ، فما سرنا يسيرا حتّى دخلنا البحر العجاج ، فإذا هو متلاطم الأمواج ، كثير الفزع والانزعاج [2] ، وكيف لا والداخل فيه مفقود ، والخارج منه مولود ؟

لا أركبُ البحرَ أخشى   عليّ منه المعاطِبْ
طينٌ أنا وهو ماء   والطين في الماء ذائب

وقال :

خلقتُ طيناً وماء البحر يُتلفني   والقلب فيه نفور عن مَراكِبه
البحر غير رفيق بالرفيق له   والبَرّ مثل اسمه بَرّ براكبه

وقال :

البحرُ مرّ المذاق صعب   لا رجعتْ حاجتي اليه
أليس ماء ونحن طين   فما عسى صبرنا عليه؟

وقال :

البحر : أهونُ من مَرارة مائه   أن تستقرّ بأضلعي الرمضاء
فعليه يومُ سرورنا بفراقه   من كل قلع رايةٌ بيضاء

فما زالتْ تفسّر لنا معاني الرفع والخفض أمواجه ، والريح يجزم بأن ينالنا من

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير .
والمثقفة : الرماح « ثقف الرمح : قومه وسواه » والملد — جمع أملد — : الناعم اللين المرن .
(٢) ليته قال : كثير الافزاع والازعاج .

نصب الشراع إزعاجه، والهموم على الجوانح جوّانح ، والجوارح لتلك الأحـــوال جوارح ، وكأنّما جَمْعُ الخاطر بالشّتات تَلَقّب ، والقلب في لهيب الوحل[١] يتقلب .

وقلما أبصرتْ عيناك مـــن رجل إلاّ ومعناه إنْ فكرتَ في لقبه

ولما غربت الشمس أرسَيْنا على ساحل الاسكندرية ، والمزاج متكَدّر لتلك الأهوال والأحوال الرديّة ، فبتنا تلك الليلة على ذلك الساحل ، إلى أن أصبحنـــا والضباب يمنع من رؤية تلك المنازل .

وطال عــليّ الليل حتّى كأنّـــه من الطول موصول به الدهر أجمع

فلما أضحى النار ، نزلنا بساحة تلك الديار ، فأقمت بها لا أملك فتيلا ، ولا أهتدي سبيلا ، وأنا أطوف بجوانبها ، فلا أرى إلا غِمار مغاربها ، فرحت أجوس خلالها ، وأتفيّأ ظلالها ، وقد أولتني مزيدَ الجفا ، وغلّقتْ أبواب الصفا .

وقـــد بَخُلَتْ عــليّ بكلّ شيء من المعروف حـــتّى بالسلام

وما ألطف قول من قال :

سلام عـــلى مصر ويـــا قلب إنني لقد كنت عن إسكندريةَ في شُغْلِ
وما شاقـــني يـــا مصر ثغرٌ ملثّم سوى من غزال فيك أعدمني عقلي

ولقد كنت أسمع من أولي التجاريب ، أنّ السفر مرآة الأعاجيب ، حتّى رأيت الزمان بأسره عجائب ، ولم يبق لي في الغرائب من رغائب .

من الغرائب فيما شاهدتْ مُقَلي أنّ الرّغائب عنها الناس قد رَغِبوا

وما زلتُ في الاسكندرية بلا نديم ، ولا صديق حميم ، مقيماً عــلى الوحشة والأسى ، متفكرا في حكم الباري صباحاً ومسا ، لا أجد بها من ذوي الكمال جليسا ، ولا ألتقي ممّن تحلّى بمحاسن الجمال أنيساً .

---

(١) لعلها الوجل ، وهو الخوف .
والجوانح — واحدتها جانحة — الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر .
وجوانح : موائل .
والشتات : التفرق .

فلا صديق إليه مشتكى حـزني ولا أنيس إليه منتهى جذلي[١]

فكنت اعتكف تارَة لمنادمة الوسواس ، وتارة أبرز فيما بين الناس ، فلا أجد على الساحل غير النصارى واليهود ، ولا أبصر غير الهمج والأتراك الوفود ، فأعـود إلى تلك الخلوة ، وأستعيد أسباب السلوه .

والبقّ والنامـوس حوليَ عسكر يتنادمون على مُدام دِمائـي

فلم أزل كذلك مدّة مديده ، وعدة مـن الأيام عديدة ، وحيد المقام ، شديد الأوام ، أتجرّع كؤوس النوى ، وأشتاق العَقيقَ واللّـوى ، وقـد تكامل الشوق وتضاعف ، وتواصل الشغف وترادف .

أبكي إذا ذكر العقيق بمثـلـه لعهود جيرته وحُسْن المعهد

فسقى الحيا تلك البقاعَ فتربُهـا لجلاء عين القلب مثلُ الإثْمِد[٢]

غـيره :

وقـال ليَ البـين لمّـا رأى لديّ الخطوب وعندي العويل

ترفّـقْ بدمعـك لا تُفْنـه فبـين يديـك بكاء طويل

فكنتُ كثيراً ما أتسلّى بالجامع المختوم ، وأعلّل النفس بالسلامة من هـذا الأمر المحتوم ، وأقول إنّ الصُروف تَتَصَرّف وتَنْصرف وتَكِفُ ثم تَنْكفّ وتنْحرف .

والدهر لا شكّ ذو ضيق وذو سعة ولـو أردتَ دوام الهمّ لم يدم

فأنا في تلك الأيام ، أتحاشى تداني الأنام ، فأتمشى بـين تلك الأشجار ، وأتسلّى بتغريد هاتيك الأطيار :

وربّ حمامة في الدَوْح صارتْ تُجيد النوْح فنّـاً بعد فـنِّ

أقاسمها الهوى مهمـا اجتمعنـا فمـنها النوح والعَبَرات مني

(١) الجذل : الفرح . والبيت مر فيما سبق ، وذكرنا انه من لامية العجم للطغرائي .

(٢) العقيق : قرب المدينة وهو منتزه أهلها .

والحيـا : المطر ، والخصب ايضاً .

والإثمد ـــ الأثمد ايضاً ـــ : حجر يكتحل بـه ، امـا في الكيمياء فهو احـد العناصر الكيميائية من رفاق الازوت والفوصفور والزرنيخ والبزموت ، وكلها ثلاثية في القيمة الاتحاديـة وخماسية ، ورمز الاثمد : Sle وعدده الذري : «٥١»اما وزنه الذري فـ :«٧٦و١٢١» .

وكنتُ في تلك الحال بحيث يقول الصلاح وإن كان نظميَ الدمع المنثور :

توقّـــد جَمْرُ القلب عند تـَغـرّبي ... فمن أجله دمعي أتى جيّد السَّبْك

وما حفظت عينايَ من سوء حظها ... على كثرة الأشعار إلا قفانبك [١]

وأمّا هـــذه المدينة ، فهي آخر مدن المغرب ، وهي على ضفة البحر الشامي ، بها الآثار العجيبة ، والرسوم التي تشهد لبانيها بالقوة والحكمة ، وهي منيعة الأسوار ، كثيرة الأشجار ، ليس في معمور الأرض كمثلها ، ولا في أقطـــار الأقاليم كشكلها وهي مقصد التجار ، من القفار والبحار ، يُحمل منها إلى سائر الأقاليم ، كما يحمل إليها في الزمن الحادث والقديم ، والنيل يدخل اليها من تحت أقبية إلى معمورها ، ويدور بها فينقسم في دورها ، بصنعة عجيبة ، وحكمة غريبة ، يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج في المثال ، وناهيك بمدينة جميع ما فيها عجب ، ولكم ستر حسنها محاسن غيرها وحجب ، وأحد عجائب الدنيا بها المنار ، الذي لم يـــرَ مثله في الأقطار ، وهي على ميل من المدينة ، كذا في « الخريدة » قلت : واعجب من هذه المدينة مدينة الهيكل الانساني .

فياعطشي والماء الزلال أخوضـــه ... ويا وحشتي والمؤنسون حضور

وحكى السيوطي في « المحاضرة » نقلاً عن « مباهج الفكر » أن من عجائب المباني منارة اسكندرية ، وهي مبنية بحجارة مهندمة مُضبّبة بالرصاص ، على قناطر من زجاج ، والقناطر على ظهر سرطان من نحاس ، وفيها نحو ثلثمائة بيت بعضها على بعض ، تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت ، وللبيوت طاقات ينظر منها إلى البحر ، واختُلف فيمن بناها ، ويقال إنّ طولها الف ذراع ، وكان في أعلاها تماثيل من نحاس ، منها تمثال يشير بسبابته اليمنى نحو الشمس ، أينما كانت من الفلك ، يدور معها حيث دارت . ومنها : تمثال وجهه إلى البحر ، متى صار مركب منه على نحو ليلة ، سمع له صوت هائل ، يعلم منه أهل المدينة طروق العدو . ومنها : تمثال كلما مضت ساعة من الليل ، صوّت

---

(١) يعني بقفانبك :

« قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل »

وهو مطلع معلقة امرىء القيس بن حجر الكندي .

والدوح في البيتين السابقين جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتسعة . وجمع الدوح : أدواح .

صوتاً مطرباً ، بأعلاه مرآة ترى منهاالقسطنطينية[١] ،وبينهماعرض البحر ،فكلّما جهّز الروم جيشاً رؤي . وفي« المرآة » حكى المسعودي: أنّها لم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فاحتـال ملك الروم في هدمها على الوليد بن عبد الملك،بأن أنفذأحد خواصه ومعه جماعة ، إلى بعض ثغور الشام ، وأظهر الرغبة في الإسلام ، وأظهر كنوزاً كانت بالشام ومن الدفائن ما َحمَل الوليد على أن صدقه بأن تحت المنارة أموالا ودفائن واسلحة دفنهـا الاسكندر ، فجهزه مع جماعة من خاصته الى الاسكندرية ، فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ، فعلم الناس أنها مكيدة ، فاستشعر ذلك فهرب في مركب كان له هنالك ، والله غالب على أمره ، وقد صارت أثراً بلا عين ، بل خبراً عن ذلك الأثر فلله درّ الليالي .

لنـا ملك ينـادي كـل يـوم ... لدوا للموت وابنوا للخـراب (٢)

وممـا قيل في المنار :

إن كنت تحسن تشبيه المنار فقـلْ ... كما أقولُ وصفها مثلما أصف

كأنّها غـادَة قـامتْ على شرف ... تأتي الجواري إليها ثم تنصرف (٣)

وقال :

وسامية الأرجاء تُهدي أخا السُرى ... ضياء إذا ما حندِسُ الليل أظلما

لبست بها بُرداً من الأنس صافيـاً ... فكان بتذكار الأحبـة معلَمـا

---

(١) المرآة تظهر فيها صور الاجسام الموجودة امامها بالانعكاس وبقدر ارتفاع المرآة يكون إتساع رقعة الارض التي ترسل الاجسام الموجودة فيها اشعتها اليها ، ويمكن أن يصل هذا المدى إلى عشرات الكيلومترات . فإن كان قصده برؤية القسطنطينية في المرآة رؤية السفن من بعد كبير فمعقول ، وان كان القصد رؤية القسطنطينية ذاتها فشطح قبيح ودجل وجهل ، فإن البعد الهائل بين الاسكندرية وقسطنطينية يجعل انحنـاء الارض يحول تماماً دون وصول الاشعة ــ وهي في الجو مستقيمة دائما ــ من احداهما إلى الاخرى ، عدا امتصاص الجو للاشعة على أبعاد أقل بكثير .

(٢) أنشد هذا البيت أمام أحد الظرفاء فقال : اسم هذا الملك أبو العتاهية ــ وهو صاحب أبيات اولها : «لدوا للموت وابنوا للخراب » ــ .

(٣) الجواري هي الإماء ، والسفن ايضاً .

وفي الابيات التي تليها :

الأرجاء : النواحي ، واحدتها : الرجا والرجاء .

والحندس ــ وجمعها حنادس ــ : الليل الشديد الظلمة .

والثوب او البرد المعلم : ماكان له علم وهو رسم الثوب ورقمه .

وقـــد ظللـّتني مـن ذُراهـا بقبـــة ... ألاحظ فيهـــا من ِصحابي أ ْنجما
أخَيـّل أن البحر تحـــتي غمـــامـــة ... وأني قـــد خيـّمت في كبد السمـا

ومن عجائب الاسكندرية عمود السواري ، قال المقريزي : هو حجر أحمر منقط من الصوّان المانع ، وكان حوله نحو أربعمائة عامود ، وكانت كلـّها سماقية ، كسرها فراجا والي الأسكندرية أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورماها بشاطيء البحر ليتـُوعر على العدوّ سلوكه . ويـُحكى أنّ هذا العامود أحد الأعمدة التي كان عليها رواق أرسطاليس ، وأنـّه كان يدرّس به الحكـْمة ، وكان دار العلم ، ويقال أنّ ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعاً ، وقطره خمسة أذرع ، وقيل طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعاً وسدس ذراع ، وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعاً ، والعليا سبعة أذرع ونصف ، كذا في « الخطط » وهذا العمود باق إلى يوم تخطيط هذه الاسطر ، وهو على نصف ميل من باب السدرة خارج السور ، وكثير من العمد السماقية في أكـْناف البلدة ، بعضها قائم وبعضها مطروح . وللحافظ الخزرجي :

نزيل سكندرية ليس بُقـْرى ... بغير الماء أو نـَعْـتِ السواري
ويـُتْحَف حين يُكرم بالهواء الـ ... ـملايـن والإشارة للمنـار
وذكرِ البحر والأمواج فيـه ... ونعتِ مراكب الروم الكبـار
وإنْ يـَطلبْ هنالك حرفَ خبز ... فما فيها لذاك الحرف قاري

وقـال :

يا ساكني إسكندريـة فيكم ... بات الـنزيل بليلة المَلْسُوع
تقـْرونـَه بهوائها وبمائهـا ... والنـّار في أحشائه بالجوع

نكتة لطيفة: قال السيوطي : وقد رأيتُ هذا العمود لمـّا دخلت الإسكندرية في رحلتي ، ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبراً ، ومن المتواتر عند أهلها ، أنّ من حاذاه من قريب وغمض عينيه ثمّ قصده ، لا يصيبه بل يميل عنه ، وذكروا أنـّه لم تحصل

إصابته لأحد قطّ ، مع كثرة تجربتهم لذلك[١] ، وقد جربت ذلك مراراً فلم أصبه ، قال في «المحاضرة» :

وأما خليجها فاختلف في بانيه ، فلا حاجة إلى خلاف لا ثمر له ، فهاك يسيراً من خبره : قال الأسعد في «قوانين الدواوين» : خليج الإسكندرية عليه عدة ترع ، وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة ، وعرضه قصبتان ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف ، ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل فإن كان عالياً أقام فيه ما يزيد على شهرين كذا في « الخطط » . وحَكى ابنُ الوردي أن الإسكندرية كانت سبع قصبات وإنّما أكلها البحر ولم يبْق منها إلا قصبة واحدة ، وأنّ مساجدها حصرت مرّة فكانت عشرين ألف مسجد . قيل بانيها الذي بنى الاهرام ، وقيل يعمر بن شدّاد ، وقيل الاسكندر الأوّل ، وهو ذو القرنين اليوناني ، الذي جال الأرض ، وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها ، وسدّ على يأجوج ومأجوج ، وقيل بناها الاسكندر الثاني ابن دارا الرومي ، وإنّما شبّه بالاسكندر الأوّل ، لأنّه ذهب إلى الصين والمغرب ، ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، والأوّل كان مؤمناً ، والثاني كان على مذهب أستاذه أرسطا ليس ، وبين الأوّل والثاني دهر طويل ، وقيل بنتها الجن لسليمان عليه السلام ، وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجباً عدّوه من صنعة الجن . قيل : وكان فيها اثنا عشر ألف حانوت يبيع البقل ، قال الكندي : أجمع الناس على أنّه لم يكن في الدنيا مدينة على مدينة ثلاث طبقات غير الاسكندرية ، قيل بناها الاسكندر اليوناني في ثلثمائة سنة ، وهل هو نبيّ أو ملك بفتح اللام أو بكسرها ؟ خلاف ، والأصحّ الأخير . وكان أهلها لا يمشون فيها نهاراً إلا بخرق سود في أيديهم ، خوفاً على أبصارهم من شدة بياضها ، وأقاموا على ذلك سبعين سنة ، وكان يقال إنّها (إرَم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد) . وقد أخْلَقتْ تلك الجِدّة ، وأسرعت في الذهاب إلى الدَمار مُجِدّة :

فمن لعين ترى ما حلّ ساحتها   من التلاف وكانتْ فوق ماتصف

---

(١) وليس ذلك لذلك العمود — وقد جاء في الصفحة السابقة عامود وعمود والاول خطأ من اصل الكتاب — بالذات ، وانما يحصل لأغلب الناس إذا وقف احدهم على بعد عشرة امتار مثلا من شيء ، ثم اقبل عليه مغمض العينين ، فيصعب عليه ان يصيبه ، ويرى نفسه قد مال عنه ، وما ذلك إلا لغلبة الاوهام على الناس .

ولله در القائل :

بني الدنيا أقلّوا الهمّ فيها فما فيها يؤول إلى الفوَات
بناء للخراب ، وجَمْعُ مال ليفنى ، والتوالد للممات

قيل : وهُبوب الصّبا في اهلها ، ممّا يُصْلح أمرَهم ، ويُرق طباعهم ، ويرفع همّتهم ، إلاّ أنّهم على ذلك موصوفون بالشحّ . وهذا فيما كان ، وأمّا الآن فلا نقص في معايبهم ، قال من لا قال في ساحتِهم :

رأيت في النوم أبي آدماً صلىّ عليه الله ذو الفضل
والناس يَشْكون بأنواعهم من حُمْق أهل الغرب والبخل
فقال حوّا أمّكم طالق إن كان أهل الغرب من نسلي

وقال :

لا تعتْبنّ على بخل مغاربةً طباع أنفسهم تبدي الذي فيها
فالشمس تبدو وفي الدنيا أشعتها حتىّ إذا وصلت للغرب تخفيها

وقال آخر يهجوهم :

يقولون أهل الغرب أهل فضيلة وكلّ امريء قد قال حسب مقاله
وما الغربُ إلا مُطْلع كلّ ناقص وبرهان ما قلنا طلوع هلاله

أبو حبان الاندلسي :

وأوصاني الوصيّ وصاةَ نُصح وكان مهذّباً شهماً أبيّا
بأنْ لا تُحْسِنَنْ ظنّاً بشخص ولا تصحب حياتَك مَغْرِبِيّا

قصة : وليست من باب المعاتبة ، ولكنّ الشيء بالشيء يذكر بالاستطراد وبالمناسبة : وبرزت يوماً من باب السدرة متنزهاً ، فرأيت جماعة من الناس حول عمود السواري ، فدنوت منهم ، فإذا بهلوان من أروام حلب ، رطب القوام ، عذب الكلام ، فوه ماء الحياة، شاربه أخضر لم يصل إلى الظلام ، قد نصب الحبال إلى رأس العمود وارتقاها ، وأظهر من فنون الصنعة وأعاجيبها ما أدهش به العقول وحير الأفكار ، ثم قال يا أهل الاسكندرية أعينوني على السفر وأنا أريكم عجائب هذه الصنعة ، فلما نزل اليهم ليجمع منهم شيئاً من الدنيا ، فرّوا كالعرب المأخوذة. فتذكرتُ قول القائل :

يا كحيل العيون إنّك ظـبي ‏ ‏ بلقاهُ قـد تُسْعِفُ الأقـدار
كلّ شيء يهون عنديَ إلاّ ‏ ‏ درهـم تـرْتَجيه أو دينـار

هذا وكان فيهم الرؤساء والتجار والعدد الذي لا يحصى ولكنه بلا مدد ، على أنّها كانت دار الكرام ، ومدار بلوغ المرام :

فتغيرتْ تلك البلاد وأهلُها ‏ ‏ وغدتْ حديثاً مثل أمس قد مضى

أستغفر الله الستار ، وإنّ نقل مثل هذا الكلام يدلّ على سخافة الناقل ، ويقضي على أنّه ليس بعاقل ، ولكنّ ذلك دَأب أهل القيل والقال ، ورواج آداب هذا المجال .

وكان البهلوان يلقي شيئاً من المواليات الرائقة وهو يمشي على الحبال ، فكتبتُ مِنْه هذا البيت لما اشتمل عليه من حسن الصنعة ، ويسمّى بالمنطق المردوف وذا الاشتقاق :

قَطَعتْ كَمْ بِيدْ أطْلُبْ مَنْ وِصَالُهْ بَادْ ‏ ‏ وْبالجَفَا بَادْ مَالي مَنْ أخذْ لي بيَدْ
والقَلْبْ قَدْ صِيدْ مَعْ محبوبْ لحْظُهْ صَادْ ‏ ‏ كَمْ منْ أسَدْ صَاد مالومنْ أسودْ وصيدْ
قُلْتْ الوَفَا عِيدْ أمْرَضْنِي وْلي مَاعَادْ ‏ ‏ والحُزْنْ لي عَادْ مِنْ هَجْرُهْ وقُرْبُه عِيدْ
أحْوى حَوى جيد للمُحسنْ المفُدّى جَادْ ‏ ‏ بِالوَصْلْ مَاجَادْ نَكِنْ كُلّ فِعْلُه جيدْ

وفي هذا الوزن الراجح :

أنفقتْ كَمْ عِينْ والمحبوبْ ما لي عَانْ ‏ ‏ وْأنَا الشجِيّ العَانْ أضْحى دَمْعْ عيني عِينْ
والحبّ مـا بين غزْلان النَقَا والبَان ‏ ‏ عنه العَنَا بانْ وانزاحتْ صروفْ البِينْ
محبّ لـو حينْ وَجْنَاتُهْ طَلاَ في حَانْ ‏ ‏ والصَبّ قد حانْ فيها شربْ كأسْ الحِينْ
لامَسّه شِينْ إلاّ دائمـاً نَشْوانْ ‏ ‏ قَدْ أمْنحو شانْ ما قارَنْ بسعْدُه شِينْ

وقد علمتَ أنّ هذا الوزن مبنيّ على التسامح ، واللحن يعذُبُ فيه إذا كان به ، أحسنُ من أن يكون معرباً ، بل قال السيوطي في « شرح الموشّح النحوي » : أنّه يجب فيه اللحن . وفي كتاب « منتهى الآمال من مشتهى الموال » شيء من أحكامه . قيل وإليه وقعت الإشارة على وفق (ما فرطنا في الكتاب من شيء) بقوله تعالى (والطير محشورة كل له أواب) (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا) كما قيل في استخراج اسم هود عليه السلام من قوله تعالى (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) بطريق التعمية .

وأصل هذا الوزن من بحر البسيط ، وسبب تسميته بالمواليا ، ما يحكى أنّ الرشيد لما قتل جعفر البرمكي ، أمرَ أنْ لا يرثى بشعر ، فرثته جاريةله بهذا الوزن ،حيث لم يكن

شعراً ، وهي تندب وتقول : يا مواليا . فسُمّي بذلك ، قيل وأوّل بيت قالته في هذا الوزن قولها :

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرسْ ... اين الذي قد حَمَوْكي بالقنا والترسْ

قالتْ تراهم رِمم ْتحت الأراضي دُرْسْ ... سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرسْ

فائدة : قال المقريزي : أهل الاسكندرية يستقبلون من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب ، فيجعلون الدبّ الأكبر خلف كتفهم الايسر وقت طلوعه ، ويكون الجدي[١] على الأذن اليسرى ، انتهى بمعناه .

فوائد : عن الامام الحافظ الشيخ أحمد المقري ، وكان يدرّس بجامع فراجا على الساحل خارج السور ، لأن البلدة تحوّل أكثرها إلى ذلك الموضع ولم يزل يتجدد بها البنيان (ومنها) : أنّ سورة الكوثر لم تشتمل على ميم ، وفي ذلك اشارة إلى أنّ هذا العطاء غير مرجوع فيه ، إذ الميم يرجع منتهاها إلى مبتداها من حيث انها دائرة . (ومنها) : أنّه قيل في تفسير قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) أنّ المراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنّه من أسمائه ، وإليه الاشارة بقوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وذلك أنّ لطه من العدد أربعة عشر ، وهو كمال البدر . (ومنها) : ما وقع في الحديث القدسي « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت خلقاً فبي عرفوني » وذلك أن لفظ : فبي له من العدد اثنان وتسعون وهو عدد لفظ محمد . (ومنها) : أن بعض الأدباء استخرج عدد الرسل عليهم السلام ، من اسم محمد صلوات الله عليه ، بحساب الجمل ، وذلك بتحليل الاسم الى ثلاث ميمات ، لكل ميم من العدد تسعون ، وعلى ذلك للحاء تسعة ، وللدال خمسة وثلاثون ، فالمجموع ثلاثمائة وأربعة عشر ، قال : وضمّنت ذلك منظومتي السنوسية حيث قلت :

وعدّةُ الرسلِ الكرام الكُمّلِ ... في اسم محمد بدتْ بالجملِ

ميم وحاء ثم ميم كُرّرتْ ... وبعدها دال كما قد قرّرت

(ومنها) : أنّ بعض الأدباء استخرج مدة عمره عليه الصلاة والسلام ، من

---

(١) الدب الاكبر مجموعة من النجوم أظهرها سبعة ، كانت العرب تسميها بنات نعش الكبرى ، تشابه بمجموعة الدب الاصغر ، وتفوقها في سعة الرقعة ، وتعاكسها في الوضع .
أما الجدي فجموعة أخرى من النجوم ، اطلق اسمها على احد بروج الشمس

لفظة نبيء بالهمزة ، لأنّ لها على ذلك من العدد ثلاث وستون [١] . (ومنها) : أنّ ابن رشد كان يقول : ما من مسئلة وإن كانتْ جليةً في ظاهرها ، إلاّ وهي مفتقرة إلى الكلام على ما يخفى من باطنها ، وقد يتكلم المرء على ما يظنّه مشكلا وليس بمشكل ، وبخلافه . (ومنها) : أنّ نسبة الفائدة إلى مفيدها ، من الصدق في العلم وشكره ، والسكوت عن ذلك ، من الكذب في العلم وكفره ، ولا ينافيه خبر « أنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال » :

إذا أفـــادك إنسان بفائدة ... من العلوم فجدّدْ ذكرها أبداً
وقل فلان جزاه الله صالحة ... أفادَنيها وخلّ الكِبْر والحسدا

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الرعونة ، وفيه كلام يحسن السكوت عنه. (ومنها) : أنّ كلاًّ من البسملة والحمدلة أمر ذو بال ، فيحتاج إلى سبق مثله ، ويتسلسل ، وأجاب بأن المراد ما يقصد في ذاته وليس وسيلة لغيره ، وبأنّ كلاّ منهما كما يحصل البركة لغيره ويمنع نقصه، يحصل ذلك لنفسه ، كالشاة تذكي نفسها وغيرها ، من الأربعين : (ومنها) : انّ ابن جنّي حكى أنّ سيبويه روُي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال خيراً ، وذكر كرامة عظيمة ، فقيل له : بم ؟ قال : بقولي إنّ اسم الله تعالى أعرف المعارف . (ومنها) : أنّ ثَعْلَباً قال في الرحمن إنّه اسم أعجمي بالخاء المعجمة عُرّب بالمهملة وهو غريب . ومن املائه :

الحدُ والموضوع ثمّ الواضعُ ... والإسمْ الاستمدادُ حكم الشارع
تصوّر المسائل الفضيلـه ... ونسبة فائـدة جليـلة
حقّ على طالب علم أن يحيط ... بفهم ذي العشرة منبزها ينيط
تخصّه قبل الشروع في الطلب ... كيما يكون عارفاً فيـما طلب

---

(١) طه = ٩ + ٥ = ١٤ ؛ في = ٨٠ + ٢ + ١٠ = ٩٢ ، محمد = ٤٠ + ٨ + ٤٠ + ٤ = ٩٢ ، محمد = ميم + حا + ميم + دال = (٤٠ + ١٠ + ٤٠) (٨ + ١) + (٤٠ + ١٠ + ٤٠) + (٤٠ + ١٠ + ٤٠) + (٤ + ١ + ٣٠) = ٩٠ + ٩ + ٩٠ + ٩٠ + ٣٥ = ٣١٤ ، نبيء = ٥٠ + ٢ + ١٠ + ١ = ٦٣ .

وهذا إذا أريد به ترويض الذهن ، وتمرين الفكر ، والتسرية عن النفس ، فلا بأس به فيما يبدو . واما أن يدراس ويدرس على انه علم ، ويورد على انه معارف وحقائق ، فذلك جهل وهذر ودجل .

غيره:

حياة وعلم قدرة وإرادة ... وسمع وابصار كلام مع البقا

صفات لذات الله جلّ قديمةٌ ... لدى الاشعريّ الحبرذي العلم والتقى

غيره:

أولو العزم خمس والشرائع خمسةٌ ... يُدانُ بها ربّ العباد ويُعبَد

فنوح وإبراهيم ذو الحلم والتقى ... وموسى وعيسى ثم جاء محمّد

غيره:

وكلّ نبيّ في القُران فإنّه ... لمن نسل إبراهيم ذي العلم والتقى

سوى خمسة لوط وهود وصالح ... ونوح وإدريس الذي فاز وارتقى(١)

غيره:

ألا إنّ قرّاء الأئمة سبعة ... بهم يهتدي في الذكر كلّ كبير

عليّ أبو عمرو وحمزة عاصم ... ونافعُ عبدُالله وابنُ كثير

ولبعضهم:

إنّ الليالي للأنام مناهل ... تطوى وتنشر دونها الآجال

فطِوالُهنّ مع السرور قصيرة ... وقِصارهنّ مع الهموم طِوال

ومنه:

نزيلُ سكَنْدَريّة ليس يُقرى ... بغير الماء أو نَظَر السَواري

فلا تطمع برؤية قرص خبز ... فليس اضيفها المحتاج قاري(٢)

وفي عاشر شهر ربيع الأوّل، جاء كتاب يشتمل على قتل المرحوم السيد أحمد بن عبدالمطلب أمير مكة المشرّفة، وبما وقع تحدث عامّة أهل مكة قبل الوقوع، وإرجاف العوامّ مقدّمات لأمر واقع لا شك فيه، فلنذكر طرفاً من خبر هذا السيد الشهيد، لما في ذلك من الفائدة التي تعود صلتها على أهل الاعتبار.

كن عالماً أخبار من عاش وانقضى ... وكن ذا اعتبار واغتنم أطيب العمر

---

(١) فأين آدم وشيت عليهما الصلاة والسلام ؟

(٢) سبقت بأكمل من هذا في صفحة ١١٧ .

ولنبدأ أولاً بنسبه الشريف ، فإنّ أنساب بني هاشم ، يقصر عنها طمع الطامع ، أو هم كما قال :

وما دخولهم في الناس أو مضر   إلا دخول كلام الله في الكَلِمِ
فاقْصِرْ فإنَك لا تحصي فضائلهم   لو كان في كلّ عضوٍ منك ألفُ فمِ

هو السيد المقدّس المبرور ، أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ، ذي المآثر المشهورة والنوادر المسطورة ، ابن ابي نمي محمد بن بركات ، وله الأخلاق الحسنة والشمائل المستحسنة ، قبض عليه التركي عام تسع وتسعمائة وذهب به الى القاهرة ، فتألم لذلك أهل مكة المشرفة ، وفي ذلك يقول ابنُ العليف :

عزيز على بيت النبوة والملك   مقام على ذل المهانة والفتك
وأعظم ما يلقى الكريم من الأسى   على النفس مايلقى من الضيم والضنك [١]
برغم العلى والمجد والسيف والندى   حصلتَ أبا عجلان في قبضة الترك
وتلك لَعمرُ الله أدهى مصيبة   أصمّ بها الحاكي عن الحادث المَحكي
فيا لك من دهر تناهت خطوبُه   نظمتَ حصاة القلب والهمّ في سلك
عدمتُ الليالي ما أمرّ صروفها   وأخلقَها باللوم في الفعل والترك
رحلتم فرَبْع الأنسِ ما زال موحشا   خليّاً وسِتْر العزّ أصبح في هتك
وأسلمتم كلّ القلوب إلى الأسى   فهذا الورى ما بين باك ومستبكي
وغادرتُمُ في الكرب جيرة طَيْبَة   كذا جيرة البطحاء والحرم المكّي
ولما استقلّتْ بالمسير خيولُكُم   وحادي النوى يشكو إليه كما نشكي
وسِرْتم وسار الجود يمشي أمامكم   وظلّت بنو الآمال من خلفكم تبكي
رأينا الجبال الشمّ والمجد والعلى   تسير بها بُزْل الجمال على وشك

وفي أيامه وأيام أبيه أبي نمي محمد ، استولى على الديار المصرية ملك الروم السلطان سليم ، وجهّز إليهما قاصدا بالاستقرار والاستمرار ، وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة .

فلا عَدِمَتْهم نعمة خلقتْ لهم   ودنيا بهم فيها الحياةُ تَطيبُ

(١) الضيم : الظلم . والضنك : الضيق .

وبركات المذكور ، هو ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ، الذي يقول في بنيه الشاعر :

لو لم يكن في بـني عجلان نافلة إلا سماحتهم في العزّ بالباس
لكان ذلك كاف في محبـتهـم وكيف لا وهم من أشرف الناس

وعجلان هذا ، هو ابن رميثة ابن أبي نمي بن حسن بن عـلي بن أبي عزيز قتادة ، الذي دخل مكة بالسيف ، ودعا اليها الضيف ، وطرد عنها الهواشم لأمر اقتضاه ، وحكم به الباري تعالى وقضاه .

ومن تكنِ الأسد الضواري جدوده يكن ليلُه صبحاً ومطعمُه غضّاً[١]

وذلك في سنة سبع أوتسع وخمسمائة [٢] ، ويقالُ لِعَقِبه القَتَادات ، فلا خلا الله منهم الوجود ، ولا زالت منازلهم مأوى المكارم والجود ، وكانت مملكته ممتدّة من اليَنْبُع إلى حلى ، وعدله فيها ظاهر جليّ ، وكان بطلا شجاعاً مهاباً مطاعاً .

ملك أبوه وأمـه مـن دَوْحَـة منها سراجُ الأمة الوهّـاجُ
شربـوا بمكة في ذرى بطحائها ماءَ النبوّة ليس فيـه مزاجُ

كتب إليه الناصر يستدعيه ، ويَعِده ويمنّيه ، فأجابه لذلك فسار من مكة إلى

---

(١) البيت من قصيدة للمتنبي احمد بن الحسين ، والذي نحفظه في ضبطه غصبا بدل غضا .

(٢) هكذا ، وهو عجيب ، ويبدو انه وهل من المؤلف او تحريف من الناسخ او الطابع ، فإن قتادة ابن ادريس العلوي اغتاله ابنه ، في جمادى الآخرة سنة ٦١٨ وعمره نحو ٩٠ سنة ، فيكون مولده نحو سنة ٥٢٨ .

وأعجب من هذا وأطرف ، مافي المنجد إذ يقول : « قتادة بن ادريس . أخذ مكة (نحو ١٨٠٦) وحكم البلاد بين ينبع وحدود المدينة ونجد واليمن ، أسس سلالة الأشراف أمراء مكة . » وسنة ١٨٠٦ الميلادية تقابل ١٢٢١ هجرية : فتأمل !

والخبر الذي أورده عقب ذلك ، ذكره الملك المؤيد مختصراً باختلاف قليل كما يلي : « . : وقيل أن قتادة كان يقول الشعر ، وطولب أن يحضر إلى أمير الحاج العراقي فامتنع ، وعوتب من بغداد ، فأجاب بأبيات منها :

ولي كف ضرغام أصول ببطشها واشري بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم ابتغي خلاصاً لها إني إذن لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة يضوع وأما عندكم فيضيع

العراق ، فلما وصل إلى المشهد الفروي ، خرج لملاقاته الأعيان ، وكان في جملة من خرج من غمار الناس شخص معه أسد مسلسل ، فتطيّر منه الشريف قتادة وقال : مالي وبلدة تذلّ فيها الأسود ؟ فرجع لوقته إلى الحجاز . فكتب إليه الناصر يعاتبه على قدومه عليه ورجوعه قبل وصوله إليه ، فكتب اليه الشريف قتادة :

بلادي وإن جارتْ عليّ عزيزة ... ولو أنني أعرى بها وأجوع

ولي كفّ ضِرْغامٍ إذا ما بسطتها ... بها أشتري يوم الوغا وأبيع

مُعَوّدة لَثمَ الملوك لظهرها ... وفي بطنها للمجدبين ربيع

أأتركها تحت الرهان وأبتغي ... لها مخرجاً ؟ إنّي إذاً لرَقيع

وما أنا إلاّ المسكُ في غير أرضكم ... يَضوع وأما عندكم فيضيع(١)

فكتب إليه الناصر : أما بعد فإذا نزع الشتاء جلبابه ، ولبس الربيع أثوابه ، قابلناكم بجنود لا قِبَل لكم بها ، ولنخرجنّكم منها أذلّة وأنتم صاغرون . فلما أحسّ بالشرّ ، كتب إلى بني عمّه أبناء الحسين من أهل المدينة ، يستنجدهم ، وكتب إليهم أبياتاً منها قوله :

بني عمّنا من آل موسى وجعفر ... وآل حسين كيف صبركم عنّا

بني عمّنا إنّا كأفنان دوحة ... فلا تتركونا تتّخذْنا العِدى قنّا (٢)

إذا ما أخ خلّى أخاه لآكل ... بدا بأخيه الأكلُ ثمّ به ثنّى

فلما أقبلت الكتيبة الناصريّة ، وقد أتته رجال النجدة من بني الحسين ، بدّد شمل تلك الكتيبة وكسرها ، واستأصل ساقتها (٣) وقهرها ، وضاقت عليهم الأرض ، حتّى إنّ هاربهم (اذا رأى غير شخص ظنّه رجلا) . فلمّا رأى الناصر شدّة بأسه ،

---

(١) ضاع المسك يضوع ضوعاً : انتشرت رائحته .
وضاع الشيء يضيع ضيعاً وضيعة وضياعا : فقد وهلك وتلف وصار مهملا .

(٢) أفنان مفردها فنن ، وهو الغصن المستقيم ، وجمع أفنان : أفانين .
والقن : عبد ملك هو وأبواه . وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وقد يجمع على أقنان وأقنة .

(٣) الساقة : مؤخر الجيش ، وإذا وصل إلى الساقة حتى استؤصلت فما دونها بالأولى .
إلا أن التعبير المألوف : استأصل شأفتها — ولعل الناسخ أو الطابع صحفها عنها — والشأفة الأصل ، وأيضاً القرحة في أسفل القدم ، يقال : استأصل شأفته ، اي ازاله من اصله .

وعدة لباسه ، مدحه على سرته ، وأولاه صفاء سريرته ، وأقطعه قرى متعدّدة ، وأكرمه بصلات متجددة ، فلم يزل أميراً على الحجاز ، وملكاً لها على الحقيقة لا المجاز . ولله درّ علي بن المقرب حيث يقول :

من سالم الناس لم تسلَم مقاتلُه   منهم ومن عاش فيهم بالأذى سَلِما
ما كلّ ساعٍ إلى الهيجاء يدركها   من حكّم السيف في أعدائه احتكما

وهكذا فلتكن الهمم العليه ، والشمائل العلويه ، وبالجملة فإنهم المعنيون بقول القائل :

فتيـة لم تلِـدْ سواهـا المعالي   والمعالي قليـلة الأولاد[1]

وفيهم يقول مادحهم :

ويكاد من كَرَم الطباع وليدُهم   يَهَبُ التَمائِمَ ليـلةَ الميلاد
وإذا امتطى مهداً فليس يُنيمُـه   إلاّ نشيدُ مدائـح الأجداد

أوهم كما قال :

وكم فيهمْ محاسنُ وهـي شتّى   وأوصاف ألذّ من المدامَـهْ
فـلا زالتْ عـلى الأيّـام تبقى   محاسنُهم إلى يـوم القيامَـهْ

وقتادة المذكور هو ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين ابن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن محمد بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله المحصن بن الحسن المثنّى بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وفيه قيل :

كانتْ قريشٌ بيـضة فتَفَلّقت   فالمـحّ خالِصُه لعبـد مناف
الرائِشون وليس يوجـد رائِشٌ   والقائلون هَلُمّ للأضياف[2]

وما أصدق ما قال :

أولئك الناس إن عُدّوا وإن ذُكروا   ومن سواهم فلَغْو غير معدود
لو خلّد الدهر ذا عزٍ لعزّتـه   كانـوا أحق بتعمير وتخليد

---

(١) القائل من شعراء الاندلس والمغرب ، لاأذكر اسمه الآن . وقبل هذا البيت :

من بني الاكرمين وهو انتساب   زاد في مجـدهـم بني عبـاد

(٢) الرائشون : المطعمون المعينون المغنون .

وأما سيرته [١] ، فإنّه كان شريف النسبين ، كامل الحسبين .

فيا نسباً كالشمس أبيض واضحاً ويا شرفاً من هامة النجم أرفع

وكان عزيز النفس ، صَدوق الحدْس .

تعرف من عينه نجابته كأنه بالذكـاء مكتحـل

محباً للفقراء ، ومستنزلَ الضيف للقرى ، متنزلا لأهل الأدب ، مولعاً بالمنادمة والطرب ، تأدّب بالأشعار والسِيَر ، ومشى في التصوّف على طريقة الشيخ الأكبر [٢] ، وكانت في خدمته كثير من المشايخ الكبار ، وسافر إلى اليمن فاجتمع برجالهـا ، وبشّرَ بولاية مكة المشرفة فكان لا يزال يتشوّفها ، ويكنى عنها بطلوع الشمس ، سمعت منه عام اثنين وثلاثين وألف :

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورةٍ فمسرح غزلان وديْـر لرهبان

أدين بدين الحبّ أنّى توجهتْ ركائبه فالحب ديني وإيماني

وكان من أموره أنّه لما قدِم الوزير أحمد باشا متوجها إلى اليمن ، انكسر مركبه بثغر جده ، فلمّا دخل البندر ، طلب من يغوص البحر لإخراج ماله منه ، فأخرجوا له البعض واعتذروا عن الباقي ، فاتهمهم ، وقتل حاكم البلدة وأمين قلعتها ، وذلك في شهر ربيع الأوّل سنه سبع وثلاثين وألف ، وشريف مكة إذ ذاك السيد محسن بن حسين بن حسن بن أبي محمد ، وقـد توجّه السيد أحمد المذكور إلى الوزير ، فأغراه على الشريف محسن ، وما زال به حتى وسَمَهُ بإمرة مكّة المشرّفة ، وكان لا يملك شيئاً في تلك الحالة ، فللّه درّ من قال :

إذا اصطفاك لأمـر هيّأتْك لـه يد العنايـة حتّى تبلغ الأرَبـا

لولم تُرِدْ نَيْل ما أرجـو وأطلبه من باب فضلك ما علّمتني الطلبا

---

(١) أي أحمد بن عبد المطلب .

وهامة الشيء : رأسه .

(٢) الشيخ الأكبر هو محي الدين بن عربي الاندلسي ، ولد في مدينة مرسية في الاندلس ٥٦١ هـ — ١١٦٥ م وتوفي في دمشق ٦٣٨ هـ — ١٢٤٠ م. أقام ثلاثين سنة في إشبيلية ثم رحل الى الشرق . كان من كبار الفلاسفة وعظماء المفكرين ، وألف كثيراً من الكتب كالوصايا والفتوحات المكية . . وجد فيها عبارات وأشعار لايتفق ظاهرها مع العقيدة السليمة ، اولها بعض محبيه ، وكفره بها كثير من العلماء . . وما لم تثبت نسبتها اليه بالتأكيد فالأولى أن نقول: ان الكلام كفر والله أعلم بقائله!

ولما قضى على الوزير ، نادى باسمه في تلك الجهات ، وأخذ العهود على أولئك الجند ، فأقبل عليه الشريف محسن ، وحاصره إلى سَلْخ شعبان ، ثم رجع إلى مكة وقد قتل جماعة ممن معه، وثلاثة من بني عمّه ، وكان في عسكر لا يظن انكساره.

وما يمنعُ الجيشُ الكثيرُ التفافُهُ ... على غير منصورٍ وغيرِ مُعانِ

فلما كان سابع عشر شهر رمضان ، قدم السيد أحمد في عسكره إلى مكّة المشرّفة ، وخرج إليه الشريف محسن في جمع عظيم الى ما وراء الحجون ، فوقع ما وقع ، ورجع الشريف محسن إلى الحيسنية ، وكان لا يُتَوهم رجوعه ، والله غالب على أمره ، متصرّف في ملكه ، يفعل ما يشاء وهو العليم الخبير .

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في فَلَك
إلاّ لينتقل السلطان من ملك ... قد زال سلطانه إلى ملك
ومالِك العرش لم يزل أبدا ... ليس بفان ولا بمشترك

ثم إن السيد أحمد دخل مكة المشرفة في ذلك الموكب الذي لم يسمع بمثله ، في قومه وأهله ، فاستقرّ به سلطانه ، وعظم مكانه وإمكانه ، وقد خلَت منازل الأشراف من سكانها ، ونَعَق غراب البين في أركانها ، وأصبحت تلك القصور ، كالممحوّة من السطور ، ومكة مستوحش فيها الأنيس ، ويرثي لمصابها إبليس .

كأن لم يكن فيها أوانسُ كالدُمى ... وأقيالُ مكّة في بسالتهم أسْدُ[1]
تَداعى بهمْ صرف الزمان فأصبحوا ... لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد

فلم يزل بمكة أميرا متغلباً على الأشراف ، منصورا بالرعب في سائر أقطار الحجاز ، حتى إنّ كثيرا من الناس توهّم أنّه القائم من أهل البيت ، وأسعد الله به من شاء من عباده ، وأمدّه بسنا إمداده ، وكان من أمره ما تناقله الركبان .

وكان ما كان مما لست أذكره ... فَظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولم يزل على ذلك الحال ، وملوك مكّة في أكناف الجبال .

ولقد وقفتُ على منازلهم ... وطُلولها بيد البِلى نَهْبُ
وبكيت حتّى ضجّ من لَغَبٍ ... نِضْوي ولجّ بعذليَ الرَكْبُ

(١) تقرأ مكه بالهاء الساكنة ليستقيم الوزن . والأقيال مفردها قيل وهو الرئيس المطاع ، وكان علماً على ملوك حمير .

وتلفتتْ عيـني فمـذ خفيتْ عنّي الطلول تلفّتَ القلب[١]

ولما كان العشرون من المحرم ، افتتاح سنة تسع وثلاثين ، قدم الوزير قانصوه ، فاختلى بالسيد أحمد ، وخنقه غدراً ، ودفنه في طاقـة ، فكَثُر اللغَط بـين الجند ، حتّى أدّى إلى نبش قبره ليعلم حاله ، وبقي مطروحاً على أعين الناس ، من الصبح إلى وقت الزوال ، ولسان الحال يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الـدمُ

ثم دفن ثانياً في تربة آل جدّه الحسن عليه الرحمة .

فإن دفنوا تحت التراب جمـاله فما دُفِنتْ أوصافُه وشمائله

فيا عين سُحّي لا تَشُحّي بوابلٍ على ماجد لا يعرف النهرَ سائلُه

ثم انعقد الرأي على ولاية الكبير الخطير السيد مسعود بن إدريس بن حسن ، حفظ الله تعالى أيامه من الأكدار ، ولا زالت داره أشرف دار ، وذلك في الخامس من صفر الخير من السنة القائل لسان حالها :

هـذا حباه الله ملكَ جـدودِه ولذاك جنّات النعيم تـزخرف

وفيه يقول الشيخ الفرفوري :

أمـيرنا السيّد المِفْضال مسعود مَن وصفُه العدلُ والانصاف والجودُ

توارثَ المجدَ عن إدريس والـده أكرمْ به والداً أحياه مولودُ

وما أقرب ما قال :

قـل للمقيم بغـير دار إقامـة آن الرحيل فودّع الأحبابـا

إنّ الذين صحبتَهم ولقيـتهم صاروا جميعاً في التراب ترابا

ولما كان سادس عشر ربيع الثاني هبّت الرياح الشرقية ، واعتدل حال البحر ،

---

(١) طلول جمع طلل وهو الموضع المرتفع البارز من الآثار .

وضج : صاح وجلب .

واللغب : شدة الإعياء والتعب .

والنضو : النحيل المهزول البالي .

والابيات الثلاثة للشريف الرضي (٣٥٩ — ٤٠٦) هـ (٩٧٠ — ١٠١٦) م . وكذلك البيت السابق : وكان ما كان مما . . أما البيت التالي : لايسلم الشرف الرفيـع . . فهو للمتنبي (٣٠٣ — ٣٥٤) هـ (٩١٥ — ٩٦٥) م .

فعزمتُ على ركوبه ، والنفس عندها إباء وامتناع ، لما شاع من قولهم: ما خفق الشراع ، ولكن أيّ عقل لمعقول ، وقد ورد في النقول : (لو كشف لأحدكم لرأى قائدا يقوده) فألجأتها إلى ركوبه وألزمتها ، واقتحمت بها لجّته وأنشدتها :

لقد خضت يا نفس بحرَ الهوى وأحرقت قلبي بنار النوى[1]
عَـلامَ نِفارك مـن مركب سرى في أمان شديد القوى ؟

فنزلت إحدى المراكب المتوجهة نحو الروم ، منشداً بيتي المفتي أبي السعود وحبر العلوم :

خلّ الديار بما فيـها لأهليـها وقلْ سلامٌ على الدنيا وما فيها
وألقِ معتصماً تلك العزيمة فـي بحر التوكل بسم الله مجريهـا

فسرنا تلك الليلة والليلة الثانية على أحسن حال وأنعم بال ، ثمّ اضطرب البحر وقامت فيه العناصل بحيث كادت لا تبقي شيئاً على وجه الماء ، وكان المدفع إذ ذاك ما يناهز الثلاثين سفينة ، فتفرّقتْ بجمعها حتّى لا ترى واحدة منها واحدة، ولا تظفر عنها بنبأ ، وقد عقد الغيم غمائم غمّه ، وأمطرنا الوَجَل سحائب همّه ، وأرسل الغمام علينا الأمطار كأفواه القُرَب ، ولقد شاهدت الأهوال من تلك الأحوال ولا عجب :

على أنّها الأيام قد صِرن كلهـا عجائبَ حتّى ليس فيها عجائبُ

وامتدّ الحـال ، وقلّ النوال ، وقد نفد ما كان معنا من الما ، واستولى علينا الظما .

ومـن العجائـب أنّـنـي في لج بحـر صرت راكب
وأمـوت مـن ظمـأ ولـ كن عادة البحـر العجائـب

غـيره :

وكم مات في البحر المحيط أخو ظما بغُلّتِه والمـاء جار وراكـد

---

(١) النوى : البعد ووجه السفر .

فلا تحسبنْ كلّ المياه شريعـــةً يُبَلّ الصدا منها وتُوكى المزاود[1]

كتب الحصري إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، وكان بعث إليه بخمسمائة دينار يتجهز بها اليه :

أمرتني بركوب البحر أقطعـــه غيري لك فاخصُصْه بذا الراء[2]
ما أنت نوح فتنجيـــني سفينتـــه ولا المسيح إذا أمشي على الماء

وكتب إليه أبو العرب الزبيري حين بعث له بمثل ذلك :

لا تعجبنّ لرأسي كيف شاب أسىً واعجب لأسود عيني كيف لم يَشِب
البحر للروم لا تجري السفين بـــه إلاّ عـــلى غَرَر والـــبر للعرب

لطيفة : دخل الشيخ عبد الرزاق فاتح البيت المعظم على السيد الحسن بن أبي نمي شريف مكة شرفها الله تعالى ، ليستأذنه في ركوب البحر لضيق حاله ، فأنشده الشريف :

فيم اقتحامك لجّ البحر تركبـــه وأنت يكفيك منه مصّةُ الوَشَل ؟

فأنشده على البديهة من القصيدة :

أريدُ بسطة كفٍّ أستعين بهـــا على قضاء حقوق للعلى قِبَلي[3]

فأمر له الشريف بألف دينار . وعلى ذلك في «التحفة السنية في الدولة الحسينية» أن السيد شكر بن الحسن الملقب بتاج المعالي ، رأى فرساً مـــع شخص من العربان ، فأعجبته ولم يمكنه طلبها منه ، فلما قضى مناسكه ، بعث وصيفاً بألف دينار يسأله

---

(١) الغلة : العطش الشديد . والشريعة : المورد لمن يريـــد الشرب . والصدى : شـــدة العطش . والمزاود : جمع مزود وهو مايوضع فيه الزاد ، وجمع مزادة ، يغلب أن يوضع فيها الماء . ووكي المزادة : شد عنقها بالوكاء ، أي الرباط .

وكان البيت في الاصل : وتوكى المراود ، بالراء بدل الزاي وهو تصحيف ، فصححناه حسبما ظهر لنا .

(٢) البيت غير مستقيم لافي وزنه ولا في معناه ، وكأنه قد أصابه نقص وتصحيف . أما التصحيف فبالراء الذي يبدو انها تصحيف الداء . وأما النقص فلم نهتد اليه ، غـــير أن الوزن اللازم كما يلي : « غيري لك اليوم فاخصصه بذا الداء» .

ويبدو أن البيت الثاني لم يسلم كذلك من التصحيف ، فالأجمل بـ : « إذا » أن تكون : « أنا » .

(٣) كلا البيتين للطغرائي من «لامية العجم» .

والوشل وجمعه أوشال : المـاء القليل في الفلاة .

قبولها في مقابلة الفرس ، فأمسى الوصيف على العربي فأضافه بالفرس ، فلما أصبح كلّمه في ذلك ، فقال : إنّك لما أمسيت علينا لم يكن عندنا ما نضيفك به فذبحنا لك الفرس ، فبُهِتَ الوصيف ، ثم إنّه دفع الألف إليه فامتنع من قبولها ، فبالغه الوصيف حتّى قبلها ، فلما رَجَع إلى سيّده قصّ عليه الخبر ، فقال له : ما فعلت بالألف ؟ قال : أعطيتها العربي بالمبالغة ، قال : نِعْمَ ما فعلت ولو لم تفعلْ ذلك لرأيت ما تكره ، وحيث فعلت ذلك فأنت حرّ . توفّيَ السيد تاج المعالي سنة أربع وستين وأربعمائة [١] ، وكان أميراً جليلا جواداً جميلا ، سارت بذكره الركبان ، وشهدت بفضله العربان ، وهو رابع من ملك مكّة من الدولة الحسينية ، فإنّه ملكها عن أبيه الحسن بن جعفر ، وملكها عيسى عن أبيه جعفر بن محمد الحسيني ، المستولي عليها بالسيف ، فإنّه دخلها وقتل من طوائف العرب الهذيلية والطلحية وغيرهم ، وأخلى الترك عنها ، وبقيت في يده إلى أن دعاه واجب الاجابة فلباه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، أيام العزيز بالله الفاطمي [٢] .

وما هـذه الأيام إلا صحائف ... نؤرّخ فيها ثم تُمْحى وتُمْحق
وأعجب شيء أنّ دائرة المُـنى ... توسّعها الآمـال والعمر ضيق

---

(١) لعل هذا وهل من المؤلف ، أو تحريف ممن بعده ، فقد ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ثلاث وخمسين واربعمئة : وفي هذه السنة توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة ، وله شعر حسن ، فنه :

قوض خيامك عن أرض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب

(٢) وكأن المؤلف وهم في هذا أيضاً فسنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ليست في أيام العزيز بالله ، بل في عهد أبيه المعز لدين الله الفاطمي الذي ولد بالمهدية في إفريقية حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمئة ، وتولى الامر بافريقية سلخ شوال من سنة احدى واربعين وثلاثمئة ، واستولى على مصر في شوال سنة ثمان وخمسين وثلثمئة ، وتوفي بمصر في سابع عشر ربيع الاول سنة خمس وستين وثلثمئة . أما ابنه العزيز بالله الذي ذكر المؤلف أن سنة ثمان وخمسين وثلثمئة كانت في عهده ، فقد تولى يوم موت أبيه سنة خمس وستين وثلثمئة ، وتوفي لليلتين بقيتا من رمضان سنة ست وثمانين وثلثمئة وعمره اثنتان واربعون سنة وثمانية اشهر .

اما امراء مكة من الحسينيين في هذه الفترة فهم : جعفر بن محمد ، الذي خطب للفاطميين سنة ٣٥٨ . وبعده ابنه عيسى بن جعفر ، نحو سنة ٣٨٠ . وعلى اثر وفاة عيسى سنة ٣٨٤ تولى اخوه ابو الفتوح الحسن بن جعفر ، الذي توفي عام ٤٣٠ ، فخلفه ابنه شكر بن ابي الفتوح ، وكانت وفاة شكر – آخر الأمراء الحسينيين – في سنة ٤٥٣ . وتجد تفصيل ذلك في تاريخ مكة ، والجزء الرابع من سمط النجوم العوالي .

مجير الدين بن تميم :

عجبتُ للبحر لما أنْ رأيت بــه — تلك الصواري وقد أرْبَتْ على الحُبُك
أظنّها لم تَطُلْ إلا وقد وَليَــتْ — حمل الرسائل بين الفُلْك والفَلَك[١]

وقــال :

ولما ركبتُ البحر والبحرُ قد طَما — وهاجَ علينا موجه يتلاطم
تَمشّت بنا في لجّة ببطونها — كما يتمشّى في الصعيد الأراقِمُ[٢]

وقــال :

وركبتُ بحر الروم وهو كحَلْبَة — والموج تحْسَبه جواداً يركض
كم من غرابٍ للقطيعة أسودٍ — فيه يطير له جَناح أبيض[٣]

وقال آخر :

سفر البرّ كيف كان جميــل — ليس لي في البحار من أوْطار
است ممــن يلقى الهلاك بنفس — طمعاً في غنــائم الأخطــار

حكى الشيخ الأكبر[٤] : انّ رجلا من علماء المغرب قصد الحجّ ، ثم تردّد بـين أن يسافر بــرّاً أو بحراً ، فعقد النية على مشورة من يلقاه ، فلما برز من داره

---

(١) الصواري جمع صاري وهو عمود يركز وسط السفينة يعلق به الشراع . والحبك جمع حبيكة وهى الطرق في السماء ، ومدارات النجوم . والفلك السفينة « تذكر وتؤنث » . والفَلَك ــ وجمعها فُلُك وفُلْك وافلاك ــ مدار النجوم .

(٢) طما يطمو طمواً : ارتفع وامتلأ . واللجة ــ واللج ــ معظم السماء . والاراقم ــ جمع ارقم ــ اخبث الحيات .

(٣) سيعود في صفحة ١٤٢ فيذكر هذا البيت على الوجه التالي :

كم مـن غراب للقطيعة اسود — فيه يطير بـه جناح ابيض

والحلبة : الخيل تجمع للسباق . اما القطيعة فهي الهجران .

(٤) سبق ان ذكرنا انه يعني بالشيخ الاكبر ابن عربي . ولا ندري ما الذي يريد بما حكاه ــ ان صح ــ عن استشارة اليهودي ، وقد جاء الحث على الإستشارة في الكتاب العزيز والهدي النبوي الكريم ، ولكن لمن هم اهل للإشارة « وشاورهم » . فهل اذا اختلط الامر على المسلمين يجدون الهدى عند المغضوب عليهم والضالين؟ وقد وجدنا تعليقاً على النسخة بغير خط الشيخ محمد نصيف مايلي : ولا يستغرب هـذا عـن اصحاب وحدة الوجود ، فـإن مما يـدعون اليه ، وحدة الوجود ، ومدح الذين ذمهم القرآن ، كفرعون وامثاله ، وان الكثير من هذه العقائد الفاسدة قد دسها اليهود بين المسلمين عن طريق اتباعهم من الباطنين .

لم يلقه إلا يهودي ، فاغتمّ لذلك ، ثم عزَم على أن لايَحُلّ ما عقده مع الله تعالى ، فاستشار اليهودي فقال له : إنّ الله تعالى يقول (هو الذي يسيّركم في البر والبحر) فلولا أنّ البرّ أفضل من البحر لما قدمه عليه ، فرجع الشيخ مسروراً بذلك ، والله وليّ التوفيق . الشيخ الفرفوري :

أبا خالد أحسنتَ لا زلتَ محسناً ... رفيقاً بمن يهوى جَواريك هاديا
ثَنيْتُ عِنان الفُلْك عنك مودّعاً ... وَداع امرىء لا يرجع الدهرَ ثانيا

وقال آخر :

ولقد ركبتُ البحر أرجو راحة ... فشهدتُ فيه مواقعَ الأهوال
وعزمتُ أن لا عدتُ فيه ثانيا ... وهجرته في سائر الأحوال

فائدة . — يقال: من خواصّ الفَيْروزَج أنّه ما رُؤيَ في أصبع غريق قط ، قال بعض فقهاء اليمن : وكان في نفسي شيء من ذلك ، فاتّفق أنّا وجدنا غريقاً في نهر ، وقد بقي فيه رمق ، فحملناه الى اليبس ، فلمّا سكن جأشُه قال : ما هذا الموضع ؟ فسمّيْناه له ، فقال : إنّي وقعت بأرض كذا ، فإذا بين الموضعين سفر خمسة أيام ، ثم إنه طلب مأكولاً ، فذهبنا لاحضاره ، فانقضّ عليه الجدار الذي كان تحته فقضى عليه ، فعجبنا من مسامحة البحر وتعدّي الجدار ، فلما أخذنا في تجهيزه ، رأينا في يده خاتم فضة فيرزوج ، فعلمنا صحة خاصّيته[1] ، ثم بعناه وجهزناه به ، انتهى بمعناه من كتاب «عقود النحر في نوادر البحر» ولا يخفى عليك أنّ الخاصية قد تتخلف ، وهي طبيعة مجهولة ، ولله درّ القائل :

لي مدّة لا بدّ أبلغها ... مَحْتومة فإذا انقضتْ مُت
لو ساوَرَتْني الأسدُ ضاريةً ... لغلبتها إن لم يجىء وقت[2]

---

(١) ذكرنا سابقاً ان الفيروزج من الاحجار الكريمة .
اما انه يمنع الغرق ويؤجل الاجل ، فواضح انه من الترهات ، والعاقل يعلم ان البحر ليس بعاقل، وان الجدار ليس بظالم ، فلا يسامح بحر ولا يتعدى جدار . فكل المخلوقات تخضع لله وتعمل بأمره ، وكل شيء بقضاء وقدر . وليس من التوحيد أن يعدل الإنسان عن الخالق الى المخلوق ، ويرى ان له ضراً ونفعاً ، ويجعل توكله واعتماده — او بعضه — عليه ، وهذا الشطط الى اليسار ، هو الذي ادى الى شطط بعض جهلة الصوفية شططاً تجاوزوا به اليمين ، حتى تعدوا الحدود ووقعوا في وحدة الوجود .

(٢) اورده القاضي التنوخي : لغلبتها ان لم يجي الوقت . وهو احسن .

ومن كتاب «البحر» : ينبغي لراكبه أن يكون ممتلئاً من الطعام عند ركوبه ، فاذا حصل له القيء كان في معدته ما يستخرجه ، ويستحب له مسح ظاهر الأنف وباطنه بالإسْفيداج ، وشمّ الصنْدل والمَاوَرْد ، واستعمال شراب الحِصْرِم[١] . ثم لم نزل كذلك ، نجوب فيافي المهالك ، حتّى نظر الباري تعالى الينا بعين الرحمة ، وكشف عنا بمنّه غمائم الغُمّة ، ونحن في موج يرفع ويخفض ، ويُجَرجرنا الى ما يُسْقِم ويُمْرِض ، والريح تضرب الشِراع ، وتمزّق القِلاع .

فيا ليتَ ما بيني وبين أحبتي   من البعد ما بيني وبين المراجع

فأقمنا على الماء تجاه جبال رودس أياماً لوقوف الريح .

ونحن في مركب كالنون يُذْكرنا   موسى بن عمران في يَمّ بتابوت

ما كان أغناك عن بحر وعن خطر   وبُعْد أهل وتغريب وتشتيت

قد شابت رؤوس الجبال ، واكتست عمائم الثلج ، وخاضت آراء الرجال في الهَرْج والمَرْج ، وتمزقت بالأهوية القلوب والأستار ، والبارق يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار .

هذي خُفوق البرق والقلب الذي   ضُمّتْ عليه جوانحي خَفَقَان

ولما أمسينا ذات ليلة ، هبّت علينا نسمة سارت بها الركبان ، فوصلنا إلى رودس أقل ما كان يتوقع ، بل وربما كان ذلك في الواقع .

كعرش بَلْقيس لما جاء مُخْتَطَفا   إلى سليمان يسعى من رُسوم سَبا

فنزلنا من تلك المينا الأمينه ، إلى هاتيك المدينه ، وقد أسفر الصباح عن اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل ، فإذا هي بلدة لطيفة الشمائل ، وريفة المنازل ، ذات أسوار مانعه ، وأشجار يانعه ، وطيور مختلفه ، وقصور موتلفه ، إلا أن ماءها أثقل من الرصاص ، والإقامة بها تقوم مقام القِصاص ، وقد قامت بها سوق الفسوق

---

(١) الحصرم : العنب قبل ان ينضج اذ يكون حامضاً . والماورد : ماء الورد الحاصل بتقطيره . والصندل : شجر هندي ابيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة ، يحمل ثمراً في عناقيد ، وله حب اخضر . وخشب الصندل من الادوية القلبية ، احره الاحمر ثم الاصفر ، وابرده الابيض . اما الإسفيداج او ابيض الرصاص ، فهو ملح ابيض اللون غير منحل من املاح الرصاص يدعى : فحمات الرصاص ، صيغته الكيميائية : CO^3Ple ووزنه الجزيئي : ٢٦٧ .

على ساق ، وتجاهر بالمعاصي فيها الفسّاق ، فلم يُفرّق فيها بين الراح ، والماء القَراح ، والله غالب على أمره ، وهو المسؤول في السلامة من كيد الزمان وقهره .

فائدة في معرفة ثقيل الماء وخفيفه : تبلّ قطنتان متساويتان ، وتجففان في الظل ، والمـــاء الذي قطنته أخفّ ، فهو أخف[1] ، كذا في « تذكرة » الشيخ جمال الدين العصامي .

ثم إنّي دخلتُ خاويَ الوفاض ، بادي الانفاض ، لا أملك بُلْغه ، ولا أجد في جرابي مُضْغَه ، فطَفِقْت أجوب طرقاتها كالهائم ، وأجول في حوماتها جوَلان الحائِم ، أرود في مسارح لَمَحاتي ، ومسانــح غَدَواتي ورَوْحاتي ، كريماً أخْلِق له ديباجتي ، وأبوح إليه بحاجتي ، وأديباً تُفَرّج رؤيته غُمّتي وتُروي روايته غُلّتي ، فانصرفت من حيث أتيت ، وقضيت العجب مما رأيت ، وهكذا شأن من لَفَظَتْه معاول الارفاق ، إلى مفاوز الآفاق ، ومن اقْتَعَد غارب الاغتراب ، وأنْأتْه المَتْرَبَة عن الأتراب[2] ، رأى من تقلب حاله ، مالا يجري في خياله .

وإنّ اغتراب المرء من غير فاقَة ⁂ ولا حاجة يسمو لها لعجيب
وحسب الفتى ذُلاً وإنْ أدرك الغنى ⁂ وإنْ نال مجداً أنْ يقال غريب

فأقمت بها مدة تناهز مدّة الهلال ، وعِدّة لم تُسْفِرْ فيها وجوه الآمال ، فلا مُسامر في تلك المَسامر ، ولا منادم بوجهٍ سافر .

مِدادي مدامي والكؤوس محابري ⁂ نَداماي أقلامي وفاكهتي شِعري
ومُسمعــتي وَرْقاء ضنّت بحسنها ⁂ فأسدلتِ الأستار من وَرَق خضر

---

(١) وذلك ان الماء توجد فيه أملاح ذائبة متعددة ، كما ينحل فيه بعض الهواء ، فإن خلا منها ، لم يستسغ طعمه ولم يتم نفعه ، وكذلك إذا زاد مافيه من الاملاح أدى إلى صعوبة في استعماله ، فتعسر نضج الخضار فيه ، وتعذر أن يرغوفيه الصابون ، كماء البحر ، وهو الماء الثقيل ، أما الماء المستساغ الملائم ، فهو الماء الخفيف ، الذي يحوي قدراً معتدلا من الأملاح .

فإذا بلت قطنة بماء ثقيل ، وأخرى تماثلها بماء خفيف ، وتركتا حتى جفتا ، كانت الاولى أثقل ، لأن الاملاح التي ترسبت فيها بعد تبخر الماء اكثر ، اذ أن قسمي الماء متساويان .

(٢) الإنفاض : المجاعة والحاجة . والبلغة ــ والبلاغ والتبلغ ــ : مايكفي من العيش ولا يفضل . والحائم : العطشان . وأرود : أطلب وأبحث . والغدوات تكون صباحاً في اول النهار ، اما الروحات ففي العشي . واخلق له ديباجتي : أطلعه على دخيلة أمري الذي أستنكف من كشفه . والمتربة الفاقةوالفقر . والاتراب : المتساوون بالعمر .

وأنا من سكّانها ما بين خلق في صورة البشر ، وأعيان جمعوا بين الحماقة والأشَر ، فما أولاني في تلك الحال ، بقول من قال :

يا ضيْعة العمر في قوم تخالهم ناساً ولا غير أثواب على صوَر
لو أنّ ذا الحلم قسّاً[١] حلّ بينهم لودّ فيهم ذهابَ السمع والبصر

لهم كلام تقشعرّ منه الآذان ، بأصوات مقلوبة ، ما دقّت باب الدخول ، ولا فرّقتْ بين الفروع والأصول ، فكم أطربت ولا أطربت ، وكم أغربت ولا أغربت .

وكم حوتْ رودس مع حسن بهجتها من كل فَدْم بليدِ الطبع فاسده

فكنتُ كما قال :

أصبحتُ في بلدة غرّاء تجهلني وكلّ ناوٍ بدار الجهل مجهول
في معشر ما لأهل الفضل عندهم قدْر ولا لبني الآداب تفضيل
دار مزخرفة الأركان ليس بها إذا سلكت الهدى إلاّ التماثيل
فحق أن أذكر الزورا و جيرتها وروضة الطهر فهي القصد والسُول
لا أبعد الله هاتيك الرياض ولا زالت لها من سحاب الخير تظليل

فلا غَرْوَ[٢] أن أذكر معاهد الفضل ومواطنه ، وأمتدح موارد الأدب ومعادنه ، وأبوح بهوى تلك البقاع البهية ، وأنوح متشوقاً إلى هاتيك الرباع الحرمية .

بلاد بها نِيطتْ عليّ تمَائِمي وأول أرض مَسّ جلدي ترابُها
فلا برحت تزهو على الأفق بالبَها ولازال يَهْمي في الرياض سحابُها[٣]

ورودس هذه جزيرة في البحر الرومي ، ساحتها ثلاثة فراسخ ، وعمارتها فرسخ ، وعليها ثلاثة أسوار منيعة ، وثلاثة من الخنادق ، وتمشي في عرض السور ثلاث عربات ، وهو مُخرّق من أعلاه إلى أسفاه ، في كلّ كُوّة مدفع يضرب ما يحاذيه ، ولا يؤثر في هذا الحصار شيء من المدافع ، وفي بابه سلسلة عظيمة في وسط

---

(١) قس بن ساعدة الايادي الحكيم المعروف ، كان حكيماً . الا أن المشهور بالحلم هو قيس بن عاصم ، فلعله تصحيف .

(٢) لاغرو — وكذلك لاغروى من كذا — اي لاعجب .

(٣) نيطت : علقت . تمائم : جمع تميمة وهى مايعلق على الوليد لدفع الاذى عنه ، والدجل فيه اكثر مما له اصل . تزهو : تتيه وتتكبر وتعجب بنفسها . يهمي : يسقط وينصب .

البحر ، تمنع وصول شيء من المراكب إلى الباب ، وهو قديم البناء ، محيط به البحر من جانب وبر الجزيرة من جانبين ، وفيها بساتين ، وكنايس عظيمة صارت مساجد ، وحمام ، وسوق كبيرة ، وهي الآن في ثوب البهاء ، وخارج العمارة بساتين مختلفة الثمار والأزهار ، ولها خبر طويل في الفتوحات السليمانية ، افتتحها السلطان سليم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ، فحصل بذلك لأهل الاسلام كمال المسرة ، وعملوا تواريخ منها (يفرح المؤمنون بنصر الله) [1] قاله القطبي ، في «الاعلام» .

وأما البحر الرومي ، وهو بحر الشام والقسطنطينية ، فهو يخرج في الاقليم الرابع من المحيط ، فيمرّ مشرقاً بشمال الاندلس إلى القسطنطينية ، ويمتدّ ببلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل الشام وإلى انطاكية ، قال المقريزي : وطول هـــذا البحر خمسة آلاف ميل ، وعرضه من سبعمائة إلى ثلثمائة ، وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة ، فيها أمم كثيرة معروفة ، وحكى بعض الفلاسفة أنه كان ما بين الاسكندرية والقسطنطينية في قديم الزمان ، أرض تنبت الجُمّيز ، وكانت وخيمة ، وسكانها من اليونان ، الى أن خرق الاسكندر إليها البحر ، فغلب على تلك الارض .

ولما كان آخر جُمادى الأولى ، ركبت البحر صحبة أمير لواء البحر السكندري جمال الأمراء محمد بن سويدان ، لا زال في كلاءة الملك الديّان ، فظفرتُ منه بما شغلني عن السكن ، والاهل والوطن ، ولم أزل من مسامرته، مدة مسايرته ، فيما أنساني باحسانه شتَات الليالي ،وأوْلاني من منثور فوائده ما هو أشرف من عقوداللآلي، فيا له من بحر يسير على بحر ، وواسِطة عقد محله من جيد المعالي ما بين السحروالنَحْر ، وقد اختصرت فيما سطّرت ، واقتصرت على ما ذكرت ، فاقنعْن من صفات مجد طويل بمقالي ، فانالكتاب قصير . ولمّا رآني وجهت إليه آمالي ، وعوّلت فيما قصدت عليه ، حقّق لي أملي ، ولم ينظر الى عملي ، وأذكرني ما حكى المدايني ، أن رجلا

---

(١) يفرح =١٠+٨٠+٢٠٠+٨=٢٩٨ المؤمنون =١+ ٣٠ + ٤٠ + ٦ + ٤٠ + ٥٠ + ٦ + ٥٠ = ٢٢٣ بنصر = ٢ + ٥٠ + ٩٠+٢٠٠=٣٤٢ الله : ١+٣٠+٣٠+٥=٦٦«٢٩٨+٢٢٣+٣٤٢+٦٦=٩٢٩»

دخل على الملك المعظم عيسى[١] ، فأراد ان يعاقبه ، وكان عنده ابن شبرمة ، فقال له الملك : أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم إنّ له بيتا وشرفا وقدما ، فأمر باطلاقه واحسن اليه ، فقيل لابن شبرمة : هل عرفته قبل ذلك ؟ قال : ما رأيته قبل هذا الوقت ، ولكن لما نظر إلي فأمّل فيّ الخير ، كرهت أن أخذله.قيل : فكيف نعتّه ؟ قال : أعلم أن له بيتا يأوي اليه ، وشرفه أذناه ومنكباه ، وقدمه الذي يمشي عليه . فلله هـذا الاشتراك الذي لولاه ما تهيأ لمستترمراد . ما أحسن ما قال :

إنّ لله غـير أرضك مـرعى　　نـرْتعيـه وغـير مائك ماء

إنّ لله فـي الخلائـق لطفـا　　سـبق الامهـات والآبـاء

ثمّ إنّي سرت في صحبة.هذا العزيز ، محفوظاً بجنابه الحريز ، وقد طار بنا ذلك الغراب ، الرحب الجنّاب ، وقد أقبل الشتاء وجنوده ، وزمجرت رعوده ، وأشْهَر لَوامعَ البرق ، ورَمى بسهام أمطاره ما بين الغرب والشرق :

بسحاب إذا هَمى المـاء منـه　　ألهبَ الرعدُ في هواه البروقـا

مثل مـاء العيون لم يجـر إلا　　ظـلّ يُذكي على القلوب حريقا

ونحن نسأل الله تعالى السلامه ، وأن يخرجنا من هذا البحر وقـد شملتنا منه كل مِنّة وكرامه ، وعلى ذكر الشتاء فما ألطف قول القطب ورياً بالبرد :

تَوَقّ مـن الشتاء ولا تُخاطر　　بنفسك قائـلا إنّي جَليـد

فرضنـا أن جسمك مـن حديد　　فهل يقوى على البرد الحديد[٢] ؟

---

(١) كانت وفاة عبدالله بن شبرمة سنة ١٤٤ هـ . والملك المعظم عيسى ، ابن اخي صلاح الدين الايوبي ، ملك دمشق في جمادى الاخرة سنة ٦١٥ وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٢٤ ، ومعنى ذلك ان ابن شبرمة لم يدرك الملك المعظم عيسى الذي توفي عن تسع واربعين سنة . وانما ادرك امير الكوفة زمن السفاح والمنصور الامير عيسى بن موسى ابن اخي السفاح والمنصور ، ولاه عمه السفاح على الكوفة سنة ١٣٢ . وتوفي في خلافة المهدي سنة ١٦٧ عن خمس وستين سنة .

(٢) ورى بالبرد الذي يبري الحديد عن البرد الذي تقشعر له الابدان :

لكـل شيء آفـة مـن جنسه　　حتى الحـديـد عـدا عليه المبرد

وفي السطر التالي : العود أحمد . وهـو مـن أمثال العرب ، يتمثلون بـه في النثر والشعر :

وأحسن عمرو في الـذي كـان بيـننـا　　وإن عـاد بالإحسان فـالعود أحمد

ثم لم أزل كذلك على ظهر ذلك البحر الأسود ، وأنا أتمنّى فراقَه ولاأقول: العَوْد أحْمد ، ولولا ما حصل للخاطر في ذلك المقام ، من الجمع التامّ ، لدى ذلك المقام العالي ، الأعزّ المتلالي ، فإنّي وجدت في خزانته من الكتب المفتخرة ، والدفاتر المعتبرة ، ما وقعت به على ضالتي المنْشودة ، وبقية روحي المفقودة ، فكنت أسَرّح طرفي في طُرَفِها ، وأسْرَح في رياضها فأجْتني اللطائف من مبسوطها ونتفها :

إذا ما خلوتُ من المؤنسين ... طلبتُ المؤانسَ في الدفتر
فلم أخْلُ من شاعر محسن ... ومن فاضلٍ ناصح منذر
ومن حِكَم بين أثنائها ... فوائدُ للناظر المُفْكِرِ
فلست أرى موثراً ما حييت ... نديماً عليها إلى المحشرِ

ومن إملاه دام علاه :

لا تَقْعُدَنّ على ضَيْم ومَسْغَبَة ... لكي يقال عزيز النفس مُصْطَبِر
وانظرْ بعينك هل أرض مُعَطّلَة ... من النبات كأرض حَفّها الشجر
فَعَدّ عما يشير الأغبياء به ... فأيّ فضل لعود ما له ثمر
وانقل ركابك عن ربع ظَمِئْتَ به ... إلى الجَناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الريّ من درّ السحاب فإنْ ... بُلّت يداك به فَلْيَهْنك الظفر
وإن رُدِدْت فما في الرد منقصة ... عليك،قد رُدّ موسى قبل والخضِر[1]

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من جُمادى الآخرة ، وصلنا إلى صاقص ، وهو بالتركية اسم للمصطكي ، سمّيتْ به تلك الجزيرة ، لأنّه لا يوجد إلاّ بها ، قيل : يخرج منها مائة صندوق في كلّ عام ،فتوزع على سائر البلاد ، في كل صندوق مائة أقة بوزن تلك البلاد ، وما زاد على ذلك رُمِيَ في البحر كيلا يرخص

(١) كان يمكن أن يقول : « . . قد رد موسى قبلك الخضر » إشارة للآية الكريمة (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) إلا أن ماذكره الشاعر أحسن وفيه اشارة إلى الآية الكريمة (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) والضيم — وجمعه ضيوم — : الظلم . والمسغبة : الجوع . والجناب : الناحية .

وموسى عليه الصلاة والسلام من الرسل أولي العزم . والخضر عليه السلام اختلف فيه أهو نبي أو ولي والاشهر الأول ، كما اختلف في وفاته ، أهو حي أم مات ، واكثر العلماء على انه توفي .

عن قيمته ، وهو عجيب . «قال البصير» في «التذكرة» : المصطكي وهو العِلْك الرومي ، ولا يوجد إلا بصاقص من أعمال رودس في الخامس ، وقيل: يوجد بإشبيلية من الاندلس ، إلاّ أنّه غير جيد ، وشجره في البساطة ولطف العود والورَق كشجر الأراك ، يؤخذ صمغه في شمس الجوزاء ، فتبقى قوّته نحو عشرين سنة ، وهو حارّ في الثانية يابس في الثالثة ، أجوده الأحمر البراق والأبيض المُفْرِط في اليبس الهين الانفراط ، ومن خواصّه تسهيلُ البلغم مضغاً وإذهاب الصداعِ وحديثِ النفس ، وإذا بُخّر به قطن بلّ بماء ورد وجُعل على العين سكن الرمد والوجع ، قال : وهو مجرب .

ثمّ قمنا منها ، وقد أغرقتنا الأنواء بالغمام ، فتوقّعْنا قبل الوصول للْحِمى وِصَال الحِمام ، وبُلينا من خَفَقْ الغراب ، بأليم العذاب ، وقد اسودّ السحاب فشابت منه ناصِيَة البحر ، وبات الثلج منّا ما بين السحر والنَحْر ، وقد تطايرت القلوب من ليل هو أشد سوادا من الغراب ، وغراب هو أعظم في تقلّبه من الطائر النعّاب ، فكنت كما قال :

وركبتُ بحرَ الروم وهو كحَلْبَة والموْج تَحْسَبُه جواداً يركض
كم مــن غراب للقطيعة أسود فيه يطير به جناح أبيض [١]

فلم نزل كذلك حتّى نزلنا على مَرْمَرَة ، وهي قرية لطيفة ، يُحْمل منها أحجار المرمر إلى تلك البلدان ، ثمّ أتينا إلى البُغَاز ، وهــو في اللغة الترْكية بمعنى المأزمين في العربية ، وهو مضيق بين جبلين ، تحت كلّ منهما قصبة وقاض ، وفيهما عُمّال السلطنة ، فلا يخرج عنهما مركب إلا بتمسك .

ولمـّا كان يوم الثلاثاء الثاني والعشرون من جُمادى الآخرة، اقبلنا على القسطنطينية المحمية ، ولاحت لنا بهجة تلك الأراضي السَنِيّة ، وارتفعت أعلام تلك الديار العثمانية ، وأضاءت أنــوار القباب الخاقانية ، فإذا هي بلدة تعطرت أرجاؤُها عَبْهرا وعبيرا [٢] ، وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا ، قــد تفردت بالكبر

---

(١) مــر هــذا البيتان في صفحة ١٣٤ ببعض التحريف ، وتـوجـه لنا أن هــذا الوجه أوجه . وسيذكر بعدقليل المأزمين ، مثنى مأزم ـ بكسر الزاي ـ وهو المضيق وجمعه مآزم . ويغلب على من يحج أن يمر بالمأزمين .
(٢) العبهر : النرجس والياسمين . والعبير : أخلاط من الطيب .

وحسن العمارة وسعة المكان ، وقال لسان النظر لما شاهد جمالها الباهر وجلالها القاهر : مافي الامكان أبدع مما كان ، وكيف لا وقد تزينت بحلول من رتّع العالم في ظلّ عدله بالامان ، صاحب البَنْد والعَلَم ، والسيف والقلم ، سرّ الله تعالى في الوجود ، المشرق بدرْه في أفُق السعود ، الملك الموفّق للسداد ، السلطان مراد ، علا على كل سلطان بسطوته ، وقدمته ملوك الأرض بصولته ، وكيف لا وهـو الخليفة على الخليقة ، وصاحب السلطنة العظمى في الحقيقة ، فلا زالت أصول دوحته الشريفة ثابتة ، وفروعها بأنواع ثمار اللطائف المنيفة نابتة ، وأفلاك زهر العدل بدولته القاهرة مشرقة الأنوار ، ورياض زهر الامن بآياته الباهرة مونقة النُوار ، ولا برحت اركان البيوت العلوية بشرف همته العلية قائمة ، وله من مسك الثناء على مكارم أخلاقه حسن الخاتمة :

مليك إذا مـا رُمت ذكر مديحه   يقول لسان الحال وهو صواب

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّـه   بأحسن ما يثنى عليه يعاب[1]

ولمّا أحلّتنيها الحظ ، وسرّحت فيها اللحظ :

رأيتُ بها ما يملأ العينَ قـرة   ويُسْلي عن الأوطان كلّ غريب

غير أنّي أقول كما قيل :

كيف يلـذّ العيش فـي بلدة   سكان قلبي غير سكّانهـا

لو أنهـا الجنة قـد أزْلِفتْ   لم أرْضها إلاّ بـرضوانهـا

فأوّل مولى تشرّفتُ بالمثول بين يديه ، وتحققت أنّ السيادة قد طنبتْ لديه ، المولى الذي تَطرّزتْ ديباجة هذه الرسالة ، ببعض ألقابه التي هي لبدر محاسنه هالة :

أتيتُه فرأيت الناسَ في رجـل   والدهرَ في ساعة والأرضَ في دار

فلا زال سعيُه الطالعُ مسعودَ الجَناب ، ولا بَرِح يحيا في سعد ممدود الأطناب ، فقابلني بالقبول التام ، وعاملني بالبرّ والاكرام :

بشاشةُ وجه المرء خير من القِرى   فكيف الذي يأتي به وهو ضاحك؟

---

(١) ويشرح هذا قول المتنبي :

وكـان من عـدد إحسانه   كـان كمـن أفـرط في سبه

ولقد كنت أسمع بمحاسنه التي سارت بها الركبان ، وشمائله التي تعطر بها شَمِيم البان :

حتى التقينا فلا والله مــا سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وبالجملة فإنّه المولى الذي حازَ من الفضل منيعَ صفاته ، وكأنّه المَعْنِيّ بقول القائل في بديع أبياته :

لــو كَفَرَ العــالمون نعمتَــه لما عَدَتْ نفسُه سَجاياهــا

كالشمس لا تبتغي بمــا صنعتْ منزلــة عندهــم ولا جاهــا

أو هو كما قال :

ولقد سألتُ الناس عن أخلاقــه وكمالــه وعُلا نَباهَة قــدره

فوجدتّهم صنفين فيه فَقَاصِــرٌ عن مدحه ومُقصّر عن شكره

فلله جمالــه الذي به قد تفرّد ، وكماله الذي انفرد به وتوحّد ، فلقد رأيت منه الأحنف وأبا حنيفة ، وما عسى أن أودعه هذه الصحيفه ؟

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتــتْ لدى المجد حتّى عُدّ ألف بواحد

وقــال :

وإنّي وإنْ أعطيتُ في القول بسطة وطاوعني فيه الكلام المُحَبّرُ

لأعلمُ أنّي في الثناء مقصّــر وأنّ الذي قد نال أوفى وأوفر

ولكنّني ما دمتُ حياً لشاكــر ويشكره بعدي كتابي المسطّر

وقــال :

فيا كتابي اذا ما جئت منزلَــهُ وزرتَ ذاك المقام المرتضى الحنفي

فحيّه وانتشِقْ من عرْفِه أرَجا واشرحْ لديه اشتياقي نحوَه وصِفِ

ورأيت في مجلسه الشريف من الأفاضل والأعيان ما ذكرت به قول أبي الطيب :

مَنْ مخبر الأكوان أنّي في الورى لاقيتُ رَسْطا ليسَ والإسكندَرا

ورأيت كلّ الفاضلين كأنّمــا ردّ الإلــه زمانَهم والأعْصُرا

وكنت استأذنتُ في الدخول على حضرة المولى المأمول بهذين البيتين :

أيّهــا الماجــد المعظّم يحــيى بك يحيا بيت الحيا والمعــالي

إنّ عبداً بالباب يطلب إذنــا لينال المُنى برُؤيــا المــوالي

ثمّ إنّي اجتمعت بفخر الأغاوات ، وسردار السلطنة ، المولى إدريس آغا ، وكان لي إليه مطلب ركبت له المهالك ، فامتنع من ذلك ، وكنت أعتقد أن الله تعالى سيجري على يديه أنواع المبرّات ، ويُسْدي إليّ من جميل لطفه أصناف المسرات :

وما كلّ ما يَحكي التوهّمُ صادقا ولا كلّ ما تحوي الظنون محصّلا

مع أن أوْلى من لُحِظ من الصدقاتِ السلطانية ، دام نصرها بعين اللطف والاقبال ، وأحق من شملَتْه العواطفُ الخاقانية ، لا انقضى خيرها على كلّ حال ، وفي كل حال ، العصابةُ العلوية التي اختصت من الزمان بالحرمان ، والعترة النبوية التي لم تظفر من نوائب الحدثان [1] بالأمان .

وإنْ لم أفُزْ حقاً إليك بنسبة لعزّتها حسبي افتخاراً بهمّتي

هذا وهو النفس الناطقة للسلطنة ، والعين الناظرة لأهل الحرمين ، وذلك بعد المعرفة والتعريف ، والوقوف على ذلك الباب الشريف ، وكان يقال : من أمّ الماء وجد الماء ، وما وقع العتاب إلاّ على الشراب :

لنا عَتَبٌ على سلمات سَلْعٍ وحاشا العامرية من عتاب

وقال :

وقد صدرتُ ولكنْ بعد مهلكة كما وردتُ لأمر خُطّ في الكتب
وهذه الشمس تَلْقى عكس مَقْصِدِها في كل يوم ولولا ذاك لم تَغِب

وقال :

وما هو إلاّ الحظّ يعترض المُنى ولولاه كان الدهر أطْوَعَ مأمور
وكم في البرايا بين عَانٍ ومُطْلَق وسالٍ ومحزونٍ ودانٍ ومهجور

وقال :

فاذا سمعتَ بأنّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فصدق [2]

---

(١) العترة : ولد الرجل وذريته او عشيرته ممن مضى . حدثان الدهر وحدثانه : نوائبه ومصائبه .

(٢) في الأصل ففاض بدل فغاض ، والخطأ فيه بين . والبيتان من أبيات تنسب للشافعي . وروايتنا لها .

وإذا علمت بأن مجدوداً حوى عوداً فأثمر في يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماء ليشربه فغاض فحقق

وبعده :

←

أو أن محظوظاً حوى في كفه ... عوداً فأثمر في يديه فحقق

وقال :

وليس رزق الفتى من حسن حيلته ... لكنْ حظوظٌ وأرزاق بأقْسامِ
كالصَيْد يُحْرمُهُ الرامي المجيد وقد ... يَرمي ويُرْزَقُهُ من ليس بالرامي

وقال :

فلو أنّ السحاب همى بعقل ... لما أرْوى مع النخل القتادا
ولو أعْطى على قدْر المعالي ... سقى الهضبات واجتنب الوِهَادا [١]

وقال :

وأعظمُ ما بي أنّني بفضائلي ... حرمت ومالي غيرهن ذَرَائع
إذا لم يردْني مُورِدي غيرَ غلّة ... فلا صدرتْ بالواردين شَرائع

وقال :

علمي بسابقة المقدور ألزمني ... صبري وصمتي فلم أحْرِصْ ولم أسَلِ
لو نيل بالسعي مطلوب لما حرم الر ... ويا الكليمُ وكان الحظّ للجبل
وحكمة العقل إنْ عَزّتْ وإن شَرُفَتْ ... جَهالة عند حُكْم الرِزْق والأجل

وقال :

الرزق يأتي ولو لم يَسْعَ صاحبُه ... حتماً ولكنْ شقاء المرءِ مكتوب
وفي القناعة كنز لا نَفادَ له ... وكلّ ما يملك الإنسانُ مسلوب

وقال :

مالي وللمجد والأيّام عابسة ... والحظّ واللحظ طول الدهر في عتَب

← لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ... ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

(١) القتاد : شجيرات صلبة صحراوية ذات شوك قاس كالابر . والوهاد — وكذلك الوهد — جمع وهدة وهي الارض المنخفضة . والذرائع : جمع ذريعة، وهي الوسيلة . والغلة : العطش الشديد . والشرائع : جمع شريعة وهي المورد إلى الماء . أما الكليم فهو موسى عليه الصلاة والسلام الذي كلمه ربه .

ما أصعبَ الشيء ترجوه فتُحرَمه ُ   لا سيّما بعد طول الجهد والتعب

وقال :

يا بانة الوادي التي سفكتْ دمي   بلِحاظِها بل يا فتاة الأجْرَعِ

لي أنْ أبُثّ إليك ما ألقاه من   ألم النَوى وعليك أنْ لا تسمعي

حكى القاضي شهاب التبريزي في كتاب « الفوائد السنية ، في محاسن القسطنطينية » وهو القائل فيه :

فوائدي في مَغاني الروم وافيــة   وحسنها يَجْتَليه مــن تَأمّلـه

سنية جمعتْ منهــا محاسنها   إنّ الفوائدَ جمع لا نظير له

قال : قصد بعضُ أهل الأدب الوزيرَ علي باشا ، وكان من وزراء السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ، في سنة سبعين وثمانمائة ، فلم ينل منه طائلاً ، فهجاه هجواً بالغاً ، فلما بلغه الهجاء بعث إليه بعطاء لم يتوقع منه ، فقيل له في ذلك فقال : إن الحسنات يذهبن السيئات . وأنشدوا :

إنّ العـداوة تَستحيلُ مـودةً   بتَداركُ الهَفَوات بالحسنات

ثم قال : رُويَ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال : مَن عظمت نعمة الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه . فمن شكر الله تعالى تَحمّل تلك المؤنَ عنهم ، وزاد الله في نعمته ، ومن لم يتحملها فقد عرّض النعمة للزوال في الدنيا وللنكال في الآخرة (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عباديَ الشكور) .

ما أحسن ما قال :

إذا كنت في أمر فكنْ فيه محسناً   فعمّا قريب أنتَ ماضٍ وتاركه

فكم زاحت الأيامُ اربابَ دولة   وقد ملكوا أضعافَ ما أنت مالكه

وقال :

إنّ الولاية لا تدوم لواحــد   إنْ كنت تنْكر ذا فأيْن الأوّل ؟

فاغرس من الفعل الجميل كَرائماً   فإذا عُزِلتَ فإنّها لا تعــزل

ومما تدوّن في محاسن الملك الكامل بن العادل ايوب ، أنّه كتب إليه بعض عماله رُقعة ، يخبره أنّ المرتّب على بيت المال في كل سنة ، مائة ألف دينار وسبعون ألف

دينار صدقة ، وذلك خلل في بيت المال ، فكتب على ظهر الرقعة ، الغربة تذل الأعناق ، والفاقة مرّة المذاق ، والمال مال الله وهو الرزاق ، فأجْر الناس على عادتهم في الاستحقاق (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وإنّا لا نحبّ أنْ يؤرّخ عنا المنعُ وعن غيرنا الإطلاق ، والآثار الحسنة من مكارم الأخلاق . وإليكم هذا الحديث يساق ، وكان كثيراً ما يتمثّل ببيتي حاتم :

شربْنا بكاس الفقر يوماً وبالغنى   وما منهما إلاّ سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة   غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ونظير ذلك ، لمّا كثُرت إنعامات الحاكم بأمر الله ، توقّف في إمضائها أمين الأمناء حسين بن ظاهر الوزّان ، فكتب إليه الحاكم بخطّه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتّقي   إلاّ إلهي وله الفضل
جدّي نبيّ وإمامي أبي   وديني َ التوحيد والعدل [١]

المال مال الله ، والخلق عيال الله ، ونحن أمناؤه في الأرض ، أطلِقْ أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام .

كلّ الأمور تبيد عنك وتنقضي   إلاّ الثناء فإنّه لك باقي
لو أنّني خيّرت كلّ فضيلة   ما اخترتُ غيرَ مكارم الأخلاق

حكى المقريزي أنّ المرتّبات في أيام كافور الاخشيدي بلغت خمسمائة ألف دينار في السنة ، لأرباب النعم والمسترفدين وأجناس الناس ، ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ، فحسّن له ابن الصلاح الكاتب أن يوفّر من مال الرواتب ، فلما جلس لذلك حكّه جبينُه ، فحكّه بقلمه ، والحكاك يزيد ، إلى أن قطع العمل لما به وقام ، فعولج بالحديد ، حتى مات ، في سنة سبع وأربعين وثلثمائة [٢] ، وفي ذلك

---

(١) القائل هو الحاكم بأمر الله ، من الفاطمين ، الذين يزعمون انتهاء نسبهم إلى فاطمة رضي الله عنها ، ولذلك قال : جدي نبي . كما يقولون بالإمام المعصوم ، وهذا معنى : وإمامي أبي ، يعني به أباه القريب العزيز بالله الفاطمي ، او البعيد –حسب زعمهم– الإمام علي كرم الله وجهه . ويروى البيتان في « النجوم الزاهرة » للآمر حفيد حفيد الحاكم إلا أنه قال : « ومذهبي » بدل : « وديني » .

(٢) وهذا أيضاً من أوهام المؤلف او تحريفات النساخ ، فإن كافورا توفي يوم الثلاثاء لعشربقين من جمادى الاولى سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وقيل كانت وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمئة ، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة . إلا إذا كان المقصود ابن الصلاح الكاتب .

موعظة لمن توسّط للناس بالسوء ، كما قال تعالى : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)
وما أحسن ما قيل على لسان حال المِحْبَرة :

حلفتُ من يكتب بي بالواحد الفرد الصمدْ
أنْ لا يمدّ مدّة في قطع رزق لأحدْ

حكى الشيخ عبدالرحمن البسطامي في كتاب « مباهج التوسّل في مناهج الترسّل »
أنّ شخصاً كتب إلى الصاحب [1] يخبره أنّ رجلاً مات عن ولد ومال له صورة ،
فكتب إليه الصاحب : النميمة قبيحة ، وإن كانت صحيحة ، والمال ثمره [2] الله ، والساعي
لعنه الله .

قيل : وُجد مكتوب في خزانة الإسكندر ، بالذهب الأحمر على الحرير الأخضر ،
ما نصه : حركات الأفلاك أجلّ من أن تُبقي على أحد نعمة ، أو تديم عليه نقمة ،
فمن وَليَ منكم الأمر ، فلتكن همّته تقليدَ المِنَن أعناقَ الرجال ، فإنّ الدولة تزول
إما بشكر جميل ، أو بذمّ طويل . والأيام صحائف الدهر (فاعتبروا يا أولي الأبصار)

فإن كنتَ لم تسمعْ بأخبار من مضى ولم ترَ في الباقين ما يصنع الدهر
فلا بدّ تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

ورأيت بدار السعادة من الأغوات خلقاً جعلهم الله تعالى سبباً للرحمة على من
سلف ، وخدماً لو أراد اليراع أن يصفهم لكَلّ متْنُه ووقف :

ولكلّ رأيتُ منهم مقاماً شرحه في الكتاب ممّا يطول

---

(١) الصاحب هـو ابو القاسم اسمعيل بن عباد ، أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كـان يصحب أبا الفضل بن العميد ، فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقي علماً عليه ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة ، وكـان أولا وزيراً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة ، فلما مات مؤيد الدولة واستولى أخوه فخر الدولة على مملكته ، أقر الصاحب بن عباد على وزارته ، وعظمت منزلته عنده . وكان الصاحب ذا علم ونضل وتدبير وكرم ، وجمع من الكتب مالم يجمعه غيره ، وصنف عدة كتب ، منها : المحيط في اللغة ، والكافي في الرسائل ، وكتاب الامامة يتضمن فضائل علي رضي الله عنه وصحة إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزارة ، وله نظم جيد . ولد بأصطخر وقيل بالطالقان في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمئة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمئة . وكـان ابـوه عباد وزير ركن الدولة ، وتوفي عباد سنة أربـع او خمس وثلاثين وثلاثمئة .

(٢) في الأصل : « ثمرة » .

وقال :

وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان

وقال :

وقد ساقني دهري المُليمُ لفتية فتاهم ومن فيهم عزيز مكرّم
تَحلىّ بأسماء الشهور فكفّه جُمادى وما ضمّت عليه المحرّم

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من جُمادى الآخرة ، برز صاحب الوقت في موكبه لأداء صلاة الجمعة ، في جامع أبيه المرحوم السلطان أحمد ، فإذا هو كما قيل :

مَلِك إذا عاينتُ نورَ جبينه فارقته والنور فوق جبيني
ولو التثمتُ يمينَه وبرزت من أبوابه لثم الأنام يميني

فلا زالت سيوف الشريعة في أيامه الشريفة مسلولة ، وبقاع الأرض بندى عدله مطلولة [١] ، ولا بَرِح في سيادة يخدمها الملَوان ، وسعادة يثني على حسن حالها الأطيبان ، والله تعالى يحسن ختام أموره ، ويديم إشراق سعوده وبدوره .

ذكر نسب المولى المذكور

هو الملك المنصور السلطان مراد بن السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم الثاني ابن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد بن محمد خان بن بايزيد يلْدُرُمْ خان بن مراد الغازي بن أورخان بن عثمان [٢] ملك الروم الغازي ، الذي يُنْسَبون إليه .

---

(١) البقاع المطلولة هي التي أصابها الطل، وهو الندى او المطر الضعيف . والملوان ــ مثنى ملا ــ : الليل والنهار .

(٢) سلاطين آل عثمان امتد حكمهم ستة قرون ونصف وهم :
عثمان (٦٩٩ ــ ٧٢٧) أورخان (٧٢٧ ــ ٧٦١) مراد الاول (٧٦١ ــ ٧٩٢) بايزيد الاول يلدرم ــ أي الصاعقة ــ (٧٩٢ ــ ٨٠٨) محمد الاول (؟ ــ ٨٢٥) مراد الثاني (٨٢٥ ــ ٨٥٦) محمد الثاني (٨٥٦ ــ ٨٨٧) بايزيد الثاني (٨٨٧ ــ ٩١٩) سليم الاول (٩١٩ ــ ٩٢٧) سليمان القانوني (٩٢٧ ــ ٩٧٤) سليم الثاني (٩٧٤ ــ ٩٨٣) مراد الثالث (٩٨٣ ــ ١٠٠٤) محمد الثالث (١٠٠٤ ــ ١٠١٣) أحمد الاول (١٠١٣ ــ ١٠٢٦) مصطفى الاول (١٠٢٦ ــ ١٠٢٨) (١٠٣٢ ــ ١٠٣٣) عثمان الثاني (١٠٢٨ ــ ١٠٣٢) مراد الرابع (١٠٣٣ ــ ١٠٥١) إبراهيم (١٠٥١ ــ ١٠٥٩) محمد الرابع (١٠٥٩ ــ ١٠٩٩) سليمان الثاني (١٠٩٩ ــ ١١٠٣) أحمد الثاني (١١٠٣ ــ ١١٠٨) مصطفى الثاني (١١٠٨ ــ ١١١٦) أحمد الثالث (١١١٦ ــ ١١٤٣) محمود الاول (١١٤٣ ــ ١١٦٨) عثمان ←

قال القطبي : وهم من الترك التراكمة الرحالة النزالة ، من طائفة التتار ، ويتصل نسبه بيافث بن نوح ، وهو الجد الأربعون لسليم ، وأنشد فيهم لغيره :

ملوك بني عثمان إذ كان أصلهم كريماً لهم في المكرمات مفاخر
إذا وُلد المولود منهم تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر

تولى السلطان مراد ، الموفق للسداد ، سنة اثنتين وثلاثين وألف من الهجرة ، وقال فيه صاحبنا بكري الصراف :

لما أراد الله نفع عباده وَلَّى مراداً مُلك خير بلاده
وأمده من فضله بعناية جعلت عداه تحت نعل جواده
وشدا لسانُ الحال في تاريخه بشرى له قد نال كل مراده

وكانت ولايته بعدوفاة أخيه الشهيد ، السلطان عثمان ، وفيه يقول بعض أدباء الشام

قضى عثمانُ سلطانُ البرايا بأسياف العساكر والجنود
ووافته المنية في السرايا مؤرّخة : كعثمان الشهيد (1)

فائدة : سبب قيام آل عثمان عند ضرب النوبة ، أن السلطان علاءالدين السلجوقي ، لما شاهد عزم السلطان عثمان ، وعلم قابليته في فتح أطراف تلك البلاد ، أكرمه وأمده ، وبعث إليه الراية السلطانية ، والطبل والزمر ، ووسمه باسم السلطنة ، تقوية ليده ، وشداً لعضده ، فلما وصل إليه ذلك ، وضربت النوبة بين يديه ، قام عند أول سماعه لها على قدميه ، تعظيماً لذلك ، فهم يقومون عند ضرب النوبة ، إحياء

← الثالث (١١٦٨ — ١١٧١) مصطفى الثالث (١١٧١ — ١١٨٨) عبدالحميدالاول (١١٨٨ — ١٢٠٤) سليم الثالث (١٢٠٤ — ١٢٢٣) مصطفى الرابع (١٢٢٣ — ١٢٢٤) محمود الثاني (١٢٢٤ — ١٢٥٦) عبد المجيد (١٢٥٦ — ١٢٧٨) عبد العزيز (١٢٧٨ — ١٢٩٤) مراد الخامس (١٢٩٤ — ١٢٩٤) عبد الحميد الثاني (١٢٩٤ — ١٣٢٨) محمد رشاد (١٣٢٨ — ١٣٣٧) محمد السادس (١٣٣٧ — ١٣٤٣)

(١) بشرى = (٢ + ٣٠٠ + ٢٠٠ + ١٠) = ٥١٢ ، له = (٣٠ + ٥) = ٣٥ ، قد = (١٠٠ + ٤) = ١٠٤ نال = (٥٠ + ١ + ٣٠) = ٨١ ، كل = (٢٠ + ٣٠) = ٥٠ ، مراده = (٤٠ + ٢٠٠ + ١ + ٤ + ٥) = ٢٥٠ (٥١٢ + ٣٥ + ١٠٤ + ٨١ + ٥٠ + ٢٥٠) = ١٠٣٢

كعثمان = (٢٠ + ٧٠ + ٥٠٠ + ٤٠ + ١ + ٥٠) = ٦٨١ ، الشهيد = (١ + ٣٠ + ٣٠٠ + ٥ + ١٠ + ٤) = ٣٥٠ ، (٦٨١ + ٣٥٠) = ١٠٣١ .

لتلك السُنّة . وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة تسع وتسعين وستمائة ، كذا في « الإعلام » للشيخ قطب الدين الحنفي . وكانت وفاة القطب النهرواني عام تسعين وتسعمائة بمكة المشرفة ، وكان إمام المنثور والمنظوم ، بارعاً في المنطوق والمفهوم ، له « البرق اليماني في الفتح العثماني » وله « الإعلام بأعلام بلد الله الحرام » وله « الكنز الأسمى في فنّ المعمّى » وله « تذكرة » جامعة ، ورسائل في مسائل شتّى ، ورحلة اسفرت عن محاسن الوجوه ، أخبرني بها الأمير محمد بن سويدان ، ولم أقف عليها ، وكانت رحلته سنة خمس وستين وتسعمائة ، لقي بها الأفاضل ، ونال الرياسة ، وربّما شكى فيها أو بكى ، كما قال :

إذا حَمِدَ امرؤٌ يوماً صباحاً — وأنّى ذاك — لم يَحْمَد مساء

وله ديوان شعر لطيف ، تقبل عليه القلوب ، لرقة ألفاظه ، ولطافة معانيه ، ومن نظمه :

الملح والكُرّاث أشهى عندنا — من أكل مأمونيّة بالسكّر
ومشاهد الحرمين أعلى رتبة — من أن نقيم بدار ملك أكبر

ومن غُرَر قصائده قوله :

بسيف الحِجى عند اشتداد النوائب — تَقَلّدت فاستغنيت عن كلّ ناصِب

قال القاضي شهاب في « الفوائد السنية » : اشتهر أنّ ملك الروم لا يموت بالطاعون كما أنّ صاحب مصر لا يموت بالفصل ، كما أنّ بغداد لا يموت بها خليفة ، وفي ذلك يقول عُمارة :

قضى ربّها أن لا يموت خليفة — بها ، ما يشاء الله في خلقه يَقضي

وعلى ذكر الفصل ، لأبي عبدالله الفيومي :

أرى الفصل داءوالرحيل دواؤه — فلا تسكنوا في بلدة قد حوت فصلا

وأملي لكم أن ترحلوا ببنيكم ... ولا تقتلوا اولادكم خشية الإملا[١]

فمن يترحّل عنه يكفى شروره ... ومن يتثبّت يكْسِب الأجر والفضلا

رأيت في بعض التعاليق نقلاً عن العلامة بدر الدين الغزّي ، أن حمل كتابة : خلاق عليم ، يدفع الطاعون ، وانه مجرّب . ويقال : التختّم بالعقيق اليمني يمنع من الطاعون .

فائدة صحيحة مجربة : اذا انقضت المدة ، لم تنفع العُدّة !

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارها ... ألْفَيْت كلّ تَميمَةٍ لا تنفع

حكى الخطيب عليّ بن عراق « في التذكرة » أنه ظهر الطاعون بدمشق أيام عبد الملك بن مروان ، فخرج عبد الملك من البلد ومعه غلام له ، فكان يغلبه النوم والفرس يعْدِل به عن الجادّة ، فقال لغلامه : ويلك حدثني بما تحدث به أمثالك ، فقال : بلَغني أن ثعلباً صادق أسداً على أن يجيره من السباع ، فكان أبداً بين يديه ، فظهر في يوم من الأيام عُقاب في الهواء ، فخافه الثعلب ووثب على ظهر الأسد ، فانحطّ العقاب واختطفه ، فقال الثعلب : يا أبا الحارث ، العهد ! فقال : إنّما عاهدتك على أن أحفظك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا قدرة لي عليهم . فقال عبد الملك : لقد وعظتني يا غلام ، ورجَع إلى الشام وهو يقول : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) توفي سنة ست وثمانين . وفيها كان طاعون الفتيات ، وسُمّيَ بذلك لأنّه بدأ بالنساء . ما أحسن ما قال :

---

(١) يشير الى الآية الكريمة (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) واجتزأ عن الاملاق بالاملا ، فإن للشعر ضرورات .

وماذكر من القواعد ، عمن يموت ومن لايموت ،فلم يرد منها قوانين كونية للمستقبل ،وانما ملاحظات استقرائية عن الماضي ، وعدا عن ذلكفليس المراد منها الشمول بل الغلبة ، فإذا قال ان بغداد لايموت بها خليفة فليس المعنى أن ذلك على الاطلاق ،فإن الأمينوالمعتضد وكثيرون ماتوا بها ، بل القصد ان اغلب خلفاء بغداد لوحظ موتهم فيغيرها ، فالسفاح في الانبار ، والمنصور في بئر ميمونة — في طريقه للحج — ، والمهدي في ماسبدان ، والهادي بعيساباذ ، والرشيد بطوس ، والمأمون بطرسوس ، والمعتصم بسامرا . . وهكذا .

واما التحصن من الموت بالعقيق اليمني وغيره فقد اعقبه المؤلف بما حسم به للمغفل السخف واثبت لنفسه الظرف .

ما قد قُضي يا نفس فاصطبري له　　ولك الأمان من الذي لم يقدر
وتيقّـني أن المقـدّر كائـن　　حتماً عليك صبرتِ أم لم تصبر

وقـال :

لو كنتُ أعجب من شيء لا عجبني　　سعيُ الفتى وهو مخبوء له القدر
والمرء ما عاش ممدود له أمـل　　فالنفس واحدة والهمّ منتشر[١]

ما أوعظ ما قال :

ملكنا أقالـيم البلاد فأذعنت　　لنا رغبة أو رهبة عظماؤهـا
فلمّا انتهتْ أيامنا علِقت بنا　　شدائد أيام تولّى رخاؤهـا
إذا ما دهمنا أن نبوحَ بما جنتْ　　علينا الليالي لم يدعنا حياؤها[٢]
وكنّـا نلاقي النائبات بأوجـه　　رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها

الطاعون يوناني ، قال البصري : وهو كل ورم يظهر للحسّ ، ثم خُصّ بالحار القتّال السريع التعفّن ، ويطلق على الوباء ، للتلازم الحاصل بينهما غالباً ، وإلاّ فبينهما عموم وخصوص .

وأما بغداد ، فهي قاعدة أرض العراق ، بناها المنصور العباسي ، في الجانب الغربي عـلى الدجلة ، وبلغت النفقة عليها أربعة آلاف ألف دينار ، وحُصِرت حماماتها فكانت ستين ألفاً ، حكاه الطبري في «تاريخه» .

يقال إنّ المنصور بنى أربـع مدن على أربع طوالع ، فلا تخرب إلا بخراب الدنيا ، وهي الرافعة بأرض الجزيرة ، والمصيصة بكسر الميم على بحر الشام ، والمنصورة بالسِنْد وطولها ميل في ميل ، وبغداد بالعراق ، وهي مدوّرة الشكل ، وتسمّى الزوراء لازورار قبلتها ، وفيها يقول بعض واصفيها .

بلـد طيـب ومـاء معـين　　وترى طينه يفوح عبيرا
وإذا المـرء قدّر السيْر منـه　　فهو ينهاه باسمـه أن يسيرا

---

(١) البيتان لكعب بن زهير رضي الله عنه .

(٢) هكذا في الاصل ، وانما البيت : اذا ماهممنا ان نبوح .

واذعنت : خضعت .

وقــال :

لهــفي عــلى بغداد من بلــدة   كانتْ من الأسقام لي جُنّهْ [١]

كأنّــني عنــد فــراقي لهــا   آدم لمــا فــارق الجنّــهْ

هذا ، والقاضي عبد الوهاب المالكي ، لما نبت بــه تلك الديار ، وخرج منها طالباً مصر ، قال بحسب حاله ، والحكم يدور مــع العلة :

بغداد دار لأهل المــال طيبــة   وللمفاليس دارُ الضَنْكِ والضيق

ظللت حيران أمشي في أزقّتهــا   كأنــني مصحف في دار زِنديق

وممن تشرفت بحضرته ، وتمليّت بسنا طلعته ، فخر قضاة العساكر ، وليث القضاء الكاسر ، المولى أبو سعيد محمد بن أسعد ، لازال هام الفراقد يصعد ، فاذا هو أعزّ الله تعالى قدره ، وأطلع في أفق المعالي بدره ، قرّة عين الأعيان ، وغرّة جبهة الزمان ، وهو القائل فيه :

علَتْ به درجات الفضل واتضحتْ   دقائق من معاني لفظــه البَهجِ

هذا وليْل الشباب الجوْن مُنْسَدِل   فكيف حتّى يضيء الشيب بالسرج [٢]

يا حبذا أعين الأوصاف ساهــرة   بين الدقائق من علياه والدرج

كيف لا وهو الذي أثنت علوم الأوائل على طبعه السليم ، وذوقه المستقيم ، وشهدت بفضله رواة الحديث النبوي ، فما أعلى قدر من شهد بفضله الحديث والقديم .

فالدهــر يرقص والأيام تنشده   هــذا هو العيش إلا أنّه الهاني

فلا زال متفقها في الخيرات ومدرساً ومعيداً ، وكما أسعد براعة ابتدائه يجعل ختامه سعيدا .

فإني وإن بالغت في الشكر والثنــا   عليه مقرّ بالقُصور وبالعجــز

---

(١) الجنة : السترة « الترس » .
والمــاء المعين هــو المــاء الجــاري .

(٢) الجون : الأسود .
والفراقد التي ذكرها قبل قليل جمع فرقد وهو المستوي الصلب من الارض ، وهو ايضاً ولد البقرة الوحشية ، وليس هذا طبعاً هو المراد ولا ذاك ، وانما المراد به النجم ، وهما نجمان في مجموعة بنات نعش الصغرى « الدب الأصغر » التي تبدأ بالقطب الشمالي ، فهما فرقدان فحسب ، لافراقد .

ولكنني أرجو الذي عَمّ فضلُه يجازيه عني فهو أكرم من يجزي

من لطائفه زاد الله في عواطفه : أني قصدت زيارته ، فرأيت على اعتابه الشريفة ، من القضاة وطالبي المناصب ، خلقاً قد تسربلوا بأنواع القماش ، ونفخوا روح العظمة في هيكل الشاش ، فأردت الدخول فلم يُؤْذن لي ، فتصاغرتْ نفسي ، وفَقِدت بالوحشة أنسى ، وقلت هذه أثمان المطامع ، خصوصاً بغير الطالع ، فكتبت هذين البيتين :

إنّي أتيت لبابك العالي لكي أحظى بتقبيل الايادي العاليه

فمنعت من حجّاب حضرتك التي هي للوفود مكارم متواليه

وبعثتهما مع غلام له ، توسّمت فيه جمال اللطف ، ولطف الجمال ، فجاء الاذن فدخلت ، وأخذت حظا من مكاوم أخلاقه ، فلما أردت الخروج ، وضع في الرقعة شيئاً من فاقع اللون الذي يسر الناظرين ، بحيث لم يفهم ذلك ، من كان هنالك، وقال : احتفظ[١] الرقعة لتعود بها ، فخرجت وأولئك القوم بحالهم على تلك الأبواب ، وأظنّ العرق فيهم على مراتبهم ، لشدّة الحر والزحام ، والانتظار الذي حيل بينه وبين المرام .

يقولون عيش البرمكيين طيّب فقلت وعيشي بالسلامة أطيب[٢]

لطيفة : كتب المولى جمال الدين العصامي ، إلى الشيخ قطب الدين المكي ، يهنّيه بشهر رمضان :

يا قطب أهل العلم في أمّ القرى رمضان هلّ ببهجة لا توصف

فتهنّ وحدك إنّ ذاتك أصبحت هي أشرف في أشرف في أشرف

فكتب اليه الجواب ، وجعل في القرطاس أشرفياً :

يا ألطف الفضلاء أنت جمالنا فتهنّ بالشهر الشريف الأشرف

---

(١) السديد أن تكون : احفظ الرقعة ، أو : احتفظ بالرقعة، ولا ندري ماالذي أصارها إلى هذا . وواضح أن فاقع اللون هو الاصفر الرنان .

(٢) البرمكيون هم البرامكة نسل خالد بن برمك — الذي ولاه المنصور الموصل سنة١٤٨ — ولا سيما أولاد يحيى بن خالد : الفضل وجعفر ومحمد وموسى ، بلغوا في الدولة أعلى المراتب ، وكان لهم في الكرم الذكر الواسع ، ونكبهم الرشيد نكبتهم المشهورة سنة ١٨٧ .

شِعر بشِعر ليس فيه رباً وقــد زاد العيار بوزن هذا الأشرفي

وحَكى النواجي في « حَلْبَة الكُمَيْت » أن اعرابياً قصد المأمون وقال له : قلت فيك شعراً ، قال : أنشده ، فأنشد :

حيّاك رب الناس حياكا إذ بجمــال الوجــه رقّــاكا
بغــداد من نــورك أشرقت وأورق العود بجدواكا [1]

فقال المأمون : يا أعرابي وأنا قلت فيك شعراً ، وأنشد :

حيّــاك ربّ العــرش حيّاكا إنّ الذي أملت أخطــاكــا
أتيتَ شخصا قــد خلا كيسُه ولــو حوى شيئاً لأعطاكــا

فقال الاعرابي : يا أمير المؤمنين ، إن بيع الشِعر بالشِعر ربا ، فاجعل بينهما شيئاً حتى يستطاب ، فضحك المأمون وأمر له بصلة .

وكان ظافر الشاعر حسن البديهة ، قــال القاضي أبو عبد الله الآمدي حاكم الاسكندرية قال : دخلت على الأمير ابن طقز في أيّام ولايته للثغر ، وفي يده خاتم قد ضاق على يده حتى ورمت أصبعه جدا ، فاستدعى الحداد وقطع الحلْقة ، فأنشده ظافر على البديهة :

قصّر في أوصافــك العــالِــمُ وكــثّر النــاظم والنــاثــر
مــن يكن البحر لــه راحــة يضيق عن خنصرهــا الخاتــم

فاستحسن الامير ذلك ووهب له الخاتم ، وكان من ذهب ! وكان عند الامير غزال مستأنس بــه ، قد ربض ثم جعل رأسه في حجر الأمير ، فقال ظافر المذكور :

عجبت لجــرأة هــذا الغــزال وأمن تخطّىمع بــه واعتمــد
وأعجبــه إذ بــدا جاثمــا وقــد اطمــأن وأنت الأسد

فزاد الأمير والحاضرون فياستحسان ذلك،ثم انصرف وتركنا متعجبين من بديهته .

اقتباس لبعضهم :

---

(١) كانت في الأصل : بجدواك ، وهو تحريف جلي فقومناه .

قنـاعـة المـرء بمـا عنـده   مملكـة مـا مثلهـا مملكـه
فارضَوْا بما قد جاء عَفواً ولا   تلقوا بأيديكم إلى التهـلكـه

مثـلـه :

ولا تطلبوا مـا بـأيـدي الأنا   م تصيروا بذلـك أعـداءهـم
لذلك قـد قال ربّ العـبا   د ولا تسألوا الناس أشيـاءهم[1]

ما أصدق ما قال :

لا تحسبنّ الشعر فضلا بارعـاً   ما الشعر إلا مِحْنة وخَبال
الهجو قَذْف والـرثاء نياحـة   والعتب ضغن والمديح سؤال

ابن تميم :

وما الشعر مما أرتضي نسبتي بـه   لعمري ولا وصفي به في المحافل
ولا قلته كـي أبتغي بمقـالـه   ثناء ولا أجزى عليه بنائـل
ولكنْ دعتـني شيمة عربيـة   إلى قوله معروفة فـي القبائل
فأبديت ما قد حاك في النفس سالكا   بإبداء ما أبديت سُبْل الأفاضل
فلا تنكروا ما أبْرَزَتـه سجيـة   طُبِعت عليها من سجايا الأوائل
فما تنكر الأقوام سجع حمامة   إذا هتفت في صبحها والأصائل

ابن دقيق العيد :

وزهّدني في الشعر أن سجيّـتي   بما تستجيد الناس ليس تجـود
وتأبى طباعي أن أصوغ رَديّـهُ   فأصرفـه عـن خاطري وأذود

الشهاب الفاضل :

وما الشعر فخر للفتى ومـزيّة   إذا لم يكن عن كل فضل يُترجم
ولكنّـه عنوان ذوْق وفطنـة   ورِقّـة طبع وهو للفضل أسلم

وممن تشرّفت بالاجتماع به ، وتحلّيت بمحاسن أدبه ، المولى محمد أفندي الحياتي ، فإنّي وجدت منه نديماً للسُرور مديما ، ونفس حرّ قـد لبس من مكارم

---

(١) الآية — الاعراف : ٨٥ ، وهود : ٨٥،والشعراء: ١٨٣ — : (ولا تبخسوا الناس اشياءهم).

الأخلاق أديما ، فأزلت بطلعته السنية عن مرآة القلب صدأ القسوة والغمّ ، وسمعتُ من حديثه ما يَسلو به الخاطر وينجلي الهمّ .

قــال :

وكنتُ إذا حدّثتــه أو رأيتــه تزول حرارات الصبابة والجَوى(١)
ولا سيّما إن ظلّ يتلو لمسمعــي أحاديث أرباب المحبّة والهــوى

وقــال :

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة يروج بها فضلي لديك وأسلك
سوى اليأس مما في يديك وان يكن رجاء ففي الأخرى التي لست تملك

وقــال :

ألا قل لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا في مجلس هــي فيه
وما ذاك عن بغض ولا عن كراهة ولكن غدتْ مشروبَ كلّ سفيه

وكأنه مأخوذ من قول القائل :

إذا وقع الذباب عــلى طعــام رفعت يدي ونفسي تشتــهيه
وتَجْتنِب الأسودُ ورودَ مــاء إذا كان الكلاب ولغن فيه(٢)

وأين ذاك من قول الآخر :

إذا شورِكت فــي أمــر بدونٍ فــلا يلحقك عــار أو نفــور
ففي الحيوان يشترك اضطــرارا ارسطاليسُ والكلب العقور

حُكِيَ أنّ الوزير مسيح باشا أمر بإبطال القهوة ، فقال له بعض الفقراء : إنّ القهوة لا تبطل ، قال ولمَ ؟ قال: لأن حِسابها موافق اسم الله تعالى قوي ، بمعنى أنّ كلا منهما له من العدد مائة وستة عشر ، فلها منه الاستمداد ، فأمرها وشأنها

---

(١) الصبابة : الشوق ورقة الهوى وشدة الولع . والجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .

(٢) الـذي نحفظـه : إذا كــان الكلاب يلغن فيه .

قوي ، فلم يسعه التأخر لأمر السلطان مراد ، فما أفاد المنع ، وكان الأمر كما قيل [١].

واشتهر استعمال لفظ جبا عند تقديمها ، ولا أعلم ما أصله ، إلا أنه ورد مَوْرِد الهيبة ، ولا يخفى ما فيها من الفرح الذاتي ، وثمّ لطيفة حسابية ، وهي أن عدد جبا ست فكأن القائل يقول : جلبت لك المسرّة والصفا من الست الجهات

توفي العلامة المفتي أبو السعود سنة أثنتين وثمانين وتسعمائة ، وتاريخه للفاضل أحمد الرومي «قد مات أبو السعود مولى العلم» [٢] وأنشدني لغيره :

وللناس عادات وقد ألفوا بها ... لها سُنَن يدعونها وفروض

فمن لم يعاشِرْهم على العُرْف بينهم ... فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وأنشدني لنفسه في مرج دمشق :

بصبا المرج المبلل ذيلُه ... علّل القلبَ علّ يبرد وَيْله [٣]

ومُرِ الروح أن تسيل دموعا ... إنْ أبي الجفنُ أنْ يُغيثك سيْله

وادّكِرْ بالرياض يوميْ حبيب ... سلما والسلاف تربع خيْله

---

(١) قهوه = ١٠٠ + ٥ + ٦ + ٥ = ١١٦ ، قوي = ١٠٠ + ٦ + ١٠ = ١١٦

وكان الأمر كما قيل ، لابسبب هذا الهذر ، وانما لأن ماحرم الله حرام إلى يوم القيامة ، وماأحله حلال إلى يوم القيامة وليست القهوة مما حرمه الإسلام ، وإن كان ينصح بعدم الاكثار منها لما تلحقه حينئذ من ضرر وما تؤدي إليه من تبذير .

وبعد هذا فما ذكره من ترهات مما لايستقيم حتى مع ميزانه ، فقوي ليست ١١٦ لأن الياء كما هو ظاهر مشددة فتكون : قوي = ١٠٠ + ٦ + ١٠ + ١٠ = ١٢٦ و١٢٦ لاتساوي ١١٦ أو على الأصح لاتساوي ٥١١ لأن الحرف الاخير تاء يستعاض عنه بالهاء حين الوقف فقط ، الاترى أنك تقول شربت قهوته ولا تقول شربت قهوهه . وعلى هذا يكون قهوة = ١٠٠ + ٥ + ٦ + ٤٠٠ = ٥١١ .

(٢) لم نعرف صدر البيت ، ولكن لك أن تقول :

فقلت في تاريخ موت الشيخ : قد ... مات أبو السعود مولى العلم

وإن كان الشطر المذكور من المواليا ، فيكون على نمط :

العين دموعها تظل تهمي ... والنفس غدت مليئة بالهم

لما سمعت تاريخ يوم الغم : ... قد مات أبو السعود مولى العلم

(٣) لكي يستقيم الوزن تلفظ ألف « المبلل » كهمزة قطع .

وتمسّك بسالفيْه على البعـ ـد عسى الكرب ينجلي عنك ليله

ومن ذلك ايضاً .

تـأنّ ولا تجزعْ لأمر تحاولُـه فخير اختيار المرء ما الله فاعله
وما ضَمِن الرحمن لا تخشَ فَوْتَه ومالا فلا تجهد فما أنت نائله
دع السعيَ فالمسعود تطلبُه المنى وسعيٌ بلا سعد محـال تحاوله
هو السعد يدعو آخر الأمر ساعياً وحسبك سعياً في المَرَام تناوله
ولا تبتئس إن أخلفُ المجد واصطبر هو الشَهْد قد شيبت بصَبْر أوائله
وما المجد إلاّ الصبر فهو أبو التقى وكم خامل بالصبر عزّت منازله
تفيّأ بظلّ الله من روض قوله : (أليس بكاف) تَلْحَقَنْكَ فواضله
وعِزّتَهُنْ دنياك واغْنَ بتركها ولا تَحْفَلَنْ بالرزق فالله كافله
تحلّ بتاج القَنْع تغْدُ مملّكاً تطول على هام الرجال كواهله (١)

وسمعت منه قصيدة رأيته امتدح بها عزمي زاده ، ، وقد تضمنت من الحكم والأمثال ما يعجز الفكر الثاقب عن إبداء مكنونها ، فلو رآها المتنبي لتبرأ من دعواه ، وقال إنّه صاحب المعجزة . ورأيت حاشيته على البيضاوي ، أتى فيها بالأبحاث الرائقه ، والتحقيقات الفائقه ، وله رحلة جامعة لفرائد الفوائد ، سمّاها الإسفار عن الأسفار ، وديوان شعر جيد اللفظ والمعنى ، وله تعليقات على فنون من الحكمة ، ورأيت بعض أهل الشام يقدح في شأنه وشرف مكانه ، على قاعدة المرضي من علماء الظاهر ، وكان الأوْلى بالإنسان ان يمنعه من الوقوع في غيره ما يعلمه من نفسه ، وما أظن الحال معهم إلا كما قيل في هذا الإبتلاء العام (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

---

(١) الشهد ، بفتح الشين وضمها ، العسل مع شمعه .

وشيبت : خلطت .

وتفيأبه : استظل به والتجىء إليه .

و (أليس بكاف) يشير به إلي قول الله عز وجل : (أليس الله بكاف عبده) والقنع — بفتح القاف والنون — كالقناعة ، وسكنت النون لضرورة الشعر . وكواهل ، جمع كاهل ، وهو أعلى الظهر مما يلي العنق .

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه والقوم أعداء له وخصوم[١]
كضرائر الحسناء قلنَ لوجهها حسداً وبغضاً إنّه لدميم

وأنشدني للحلّي ، وكانت له لغات متعددة :

بقَدْر لغات المرء يكْثُر نفعه وتلك له عند الملمّات أعوان
فهافت على حسنِ اللغات مجاهداً فكلّ لسان في الحقيقة إنسان

وبحسب الحال أقول :

لا تقصد الروم خالٍ من لغاتهم ولا تظنّ الغنى في منطق العرب
فلو أتيت بمضمون الصحاح فما أتيت فيهم بما يدني من الأرب[٢]

وبالجملة فإنّه لا فرق بين الجماد وبين من لم يفهم ما تقول ، حتّى في المغاني[٣] ، وإذا دارت الأمور في العتاب ، فالعبرة باليد العليا (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) .

إذا كان قدر المرء إن جاء طالبا أقلّ قليل كيف يطمع في الفضل
وبالله إن الذلّ في وجه سائل أمرّ من المرّان ناهيك بالذل

حكى السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أنّ عبد الله بن الزبير ، كان له مائة غلام ، يتكلم كل غلام بلغة أخرى ، وكان يكلّم كلّ واحد منهم بلغته — عبد الله السواكني المدني :

رأيتُ بلادَ الروم لا عيش عندهم يطيبُ ولا صَفْوٌ يعادل أكداري[٤]
وكيف يطيب العيشُ لي بين فتية نهارا وليلاً يعرضون على النار

فقلتُ محوّلا للمعنى بتغيير يسير :

رأيت بلاد الروم عيشي عندهم يطيبُ وصفوي لا يشاب بأكدار

---

(١) المنقول والمعقول : فالقوم اعداء له وخصوم .

(٢) الصحاح : هو المعجم العظيم الذي وضعه ابو نصر اسمعيل الجوهري — النصف الثاني من القرن الرابع — جمع فيه نحو اربعين الف كلمة رتبها على أواخر الكلمات .

(٣) هكذا ، ولم نهتد لوجهها ، والاقرب ان تكون مصحفه عن « المعاني » او «المتغابي» .

(٤) المقصود ببلاد الروم هنا بلاد الغرب أي إوربا وامريكا .
أما في البيتين التاليين فقد عنى بها بلاد الاتراك أي تركيا .

فقد ضلّ من قد قال فيهم بأنّهم   نهاراً وليلاً يعرضون على النار

فلمّا كان يوم الخامس والعشرين من جُمادى الآخرة ، قدِم علينا الشيخ العارف شيخ القادرية بمدينة خير البرية ، فسمعت منه حديث طيْبَة طيباً كأنّه في صفحات فكري رَقيم ، وظفرت من أخلاقه بمحاسن يجد السلوّ بها الفؤادُ السقيم ، أنشدني للخطيب يوسف الثقفي قال : أنشدنيها لما قدمت عليه بدمشق :

من رام يحظى بالمسرّة والهنا   فليصْحبَنّ العارف المدنيّا

فحديثه يشفي السقام وشكله   في أيّ زيّ شئته يتزيّا

وأنشدني لما نزل بدار مصطفى جلبي قصاب باشي :

إن في الروم سادة بلقاهم   زال ما اشتكيه من أوْصاب

فاعذروني إذا انتميتم لأسد   فأنا كلب مصطفى القصّاب[1]

وأنشدني فيما يناسب الحال :

إنّ الغنى يُستهاب كلما اعتكَرَتْ   دجى الكُروب جلا عنها حنادسَها

لا تنفع الخمسة الأشياء مُحْدقة   لديك إلا إذا ما كان سادسَها

وفي اول ليلة جمعة من شهر رجب الفرد اوقدت المناير ، وعمرت المساجد بصلاة الرغايب ، وهي غير معروفة بالحرمين الشريفين ، قال ابن الأثير في «جامع الأصول» : وهي أوّل ليلة جمعة من رجب ، تصلّى فيما بين العشاءين ثنتي عشرة ركعة بست تسليمات ، كلّ ركعة بفاتحة الكتاب مرّة والقدر ثلاثاً والاخلاص ثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته قال : اللهم صلّ على محمد النبيّ الاميّ وعلى آله ، بعد ما يسلّم ، سبعين مرّة ، ثم يسجد سجدة ويقول فيها : سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح ، سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه ويقول : ربّ اغفر وارحم ، وتجاوز عمّا تعلم ، إنّك أنت العليّ الأعظم ، وفي الأخرى : الأعز الأكرم ، سبعين مرة ، ثم يسجد ويقول مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله تعالى .

---

(١) سبحان الله ، لو جعل نفسه تلميذاً له ، أو حتى خادماً . . أما كلب ! فإنا لله . بالغ في الرقة حتى انخرق ، وما المرء إلا حيث يجعل نفسه !

والحنادس — في البيت التالي — جمع حندس وهو الليل الشديد الظلام .

وهو مَرْويّ عن أنس ، ولم يوجد في الستة ، والحديث مطعون فيه ، انتهى كلامه[١] .
وهذه الليلة عندهم من قبيل الأعياد ، يتهادون فيها ويتزاورون ، وتفتح لها الأسواق ،
وابن الاثير هذا هو المحدِّث العلاّمة مجد الدين أبو السعادات :

وبنو الأثير ثلاثة قد حاز كلّ مفتخر
فمؤرّخ جمع العلوم وآخر ولي الوزر
ومحدّث كتب الحديث له النهاية في الأثر

وممّن تشرّفت بحضرته ، المولى الأجلّ نقيب السادة الأشراف ، واسطة عقد نزار في آل عبد مناف ، مولانا شيخ أفندي العلامة ، رفع الله على منار الشرف أعلامه ، ولا زالت تتناسق الألفاظ في ميادين مدحه المطابق للواقع ، بذكر شمائله الشائقة ونوافله الفائقة وإحسانه المتتابع .

وإن أحسن قول أنت قائله قول يقال إذا ماقلته صدقا

ولا َغروَ اذ كان من دوحة أثمرت ملوكاً ، نتجوا من عنصر النبوة والرسالة ، وأنتجوا مكارم الفتوة والبسالة .

لكم يا بني الزهراء في الذكر آية فجاحدها في الناس لاشك ملحد
إذا الله اثنى في الكتاب عليكم فما قدر ما تثني الأنام وتنشد ؟

رفعت يوماً إلى معاطفه الرحيمة قصّة وضمّنتها هذا النظم :

يا ابن خير الخلق كن لي شافعاً في بسط قبضي
فأولو الأرحام نصاً بعضهم أولى ببعض

فعطف علّي باحسانه ، وتعطّف بتلطفه وامتنانه ، فما زلت في ظل مجده الوريف ، منشداً في شأنه الشريف :

إذ ذكر الراوي أحاديث فضله يقول الورى هذا الحديثُ المُصَدّق

وممن تشرفت بطلعته السنية في تلك الديار ، وساعدت بلقائه الأقدار ، مولانا عبدالرحمن

---

(١) وأوفى ماذكر في صلاة الرغائب موجود في مساجلة جرت بين العالمين الكبيرين ابن الصلاح والعز بن عبد السلام الذي أثبت أنه لم يصح فيها شيء وأنه لايتقرب بها .
والمساجلة طبعها المكتب الإسلامي في رسالة لطيفة قبل سنوات .

أفندي العشاقي ، لا زال في كلاءة القدير الباقي ، فرأيت منه متع الله بحياته ، وأمدّه بسنيّ صِلاته ، مولى،قد استغنى عن الألقاب ، بما حواه من شرف الجناب :

وليس يَصِحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دنيل

ولم أكن اعرف ذاته الشريفة ، ولا استنشقت عرف شمائله الوريفه ، حتى دعتني إليه مكارمه ، وأمدّتني بمعروفه مراحمه ، وأنشد في شأنه ، عندليب إحسانه :

لا عيْب في جُوده إلا ترادفه قبل السؤال فراجيه كخجلان

ومما جرى به القلم ، في شأن هذا المفرد العلم :

قد قلت للمجد من تهوى تواصله وكلّنا لك ذو وجْد وأشواق
فقال لي بلسانٍ غير معتذر : لا أشتهي أن أوافي غير عشّاقي

ولعلّ هذه معرفة نشأت عن العهد القديم ، فانتشرت روائح عرفها الشميم ، حتّى أقول هذا مبتدأ وداد لا بد وان يُرْفع خبرُه ، وصِدق وَلاء لا غرْوَ أنْ يبدو على باب الصفاء أثره .

فأبقِ لي ودّه يا دهر متصلا وخذ بقيةَ ما أبقيت من أملي

ذكر القسطنطينية العظمى :

حَكى الشيخ الأكبر في كتاب «محاضرة الابرار ، ومسامرة الأخيار» في غَزاة مَسْلَمَة بن عبد الملك بلاد الروم،ودخوله فيها ، أنّ جزيرتها ثمانية فراسخ ، في المدينة منها أربعة فراسخ ، ولما قَدِم مسلمة على عمر بن عبد العزيز وأخذ يصفها له قال : ما رأيت بلاداً تَحكيها ، هي مدينة بريّة بحرية ، كثيرة الفاكهة والطعام واللباس ، سورها من الحجر ، وعرضه يسير عليه مائة فارس عرضاً ، وأمّا الأبواب فإنّها حديد ، وعرض ما بين كلّ بابين ميل ، انتهى . وفي «الخريدة» هي مثلثة الشكل ، منها جانبان في البحر وجانب في البر ، وفيه باب الذهب ، وطولها تسعة أميال ، وعليها سور حصين ارتفاعه أحد وعشرون ذراعاً ، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، وارتفاعه عشرة أذرع ، وله مائة باب أعظمها المُمَوّه بالذهب ، وبها منارة بالقرب من دار الشفاء ، قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم الصنعة والتحزيم ، وعليها قبر قسطنطين ، وعلى قبره صورة فرس من نحاس عليه

شخص على صورة الملك ، وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فانها موقوفة في الجو ، وقد فتح يده اليمنى مشيرا بهـا نحو بلاد المسلمين ، وفي يـده اليسرى كرة ، قيل في اليمنى طِلّسْم يمنع العدوّ ، وعلى اليسرى مكتوب : ملكت الدنيا حتى صارت في يدي مثل هذه الكرة وخرجت هكذا لا أملك منها شيئاً .
وفي المعنى :

وفي قبض كفّ الطفل عند ظهوره دليل على الحرص المركّب في الحيّ
وفي بسطها عنـد الممـات إشارة ألا فانظروني قد خرجت بلا شيّ

وبلفظ آخر :

دليل عـلى حرص ابن آدم أنّـه ترى كفه مضمومة عند وضعه
وفي بسطها عنـد الممـات إشارة إلى صفرها مما حوى بعد جمعه

حكى القاضي شهاب في «الفوائد السنية» أنّ قسطنطين مـن أبناء الملك الأعظم الملقب قيصر ، نشأ بمدينة الرها ، ونقل العلوم ، ولم يزل في غاية من السعادة والظفر منصورا على من ناواه ، وكان في أول أمره على دين المجوس ، شديداً على النصارى ، ماقتاً لدينهم ، ثم رجع إليه ، وسببه أنه ابتلى بجُذام ظهر عليه ، فاغتم لذلك ، وجمع الحُذاق من الأطبّاء ، فاتفقوا على أدوية دبّروها له ، وأمروه أن يستنقع بعد أخذ تلك الأدوية في صهريج مملوء من دماء أطفال رُضّع ساعة ، فأمر بجمع جملة من أطفال الناس وذَبْحِهم ، ليستنقع في دمائهم وهي طرية ، فَجُمِعَت الأطفال لذلك ، وعَظُم ضجيج أمهاتهم ، فرحمهنّ وقال : احتمال علّتي أولى وأوجب من هلاك هذه العدّة العظيمة من البشر ، فأمر برد الأطفال إلى امّهاتهم ، فانصرف النساء بأولادهن ، فلما صار من الليل إلى مَضْجِعه ، رأى في منامه قائلا يقول له : إنّك رحمت الأطفال وأمهاتهم ، ورأيت احتمال عِلّتك أولى من ذبحهم ، فقد رحمك الله تعالى ووهبك السلامة ، فابعث الى رجل من أهل الايمان يدعى شلبشته وقف عند ما يأمرك به ، فانتبه مذعوراً وبعث في طلب الرجل ، فلمّا أتيَ به إليه أخبره بما رآه في منامه ، فقصّ عليه دين النصرانية فالتزمه ، وشفاه الله تعالى ، فأعلن بدين المسيح عليه السلام ، فخلع طاعته أهل رومية ، فخرج عنها وبنى مدينة القسطنطينية فعُرِفت به فسكنها وصارت تخت الملك ، ثمّ خرج إلى رومية ، فلما دنا منهم

أذعنوا له والتزموا طاعته . وفي «القاموس» : رومية سوق الدجاج ، بها ثلاثة فراسخ . حكى المقريزي أنّ القسطنطينية من الإقليم السادس ، وهو حيث يكون النهار الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ، خمسا وأربعين درجة وخمس درجة ، ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة أميال ، وفيه من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ، ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون نهراً ، ومن المدن الكبار تسعون مدينة ، والغالب على ألوان أهلها الشُقْرة والبياض .

فائدة : أوّل مَن ملك القسطنطينية من آل عثمان أبو الفتح السلطان محمد خان ، وساق إليها السفن في البرّ والبحر ، وحاصرها خمسين ليلة أشد الحصار ، وكان الفتح في سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وصلّى الجمعة في أكبر كنائسها وهي أيا صوفيا ، وهي قبّة تسامي قبة السّماك ، كأنّ أبراجها الأفلاك ، ومسامير أبوابها نجوم السماك[١] . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة ، ووليَ بعده السلطان بايزيد ، قاله القطبي ، وموضع قبره مع ما يليه من جانب المرحوم شاه زاده ، يكاد يكون قاعدة تلك الديار ، لما اشتمل عليه من المحاسن ، وفي أيام السلطان بايزيد المذكور كان المولى شمس الدين الفناري ، من أخباره أنّ الطلبة كانوا يعطّلون يومي الجمعة والثلاثاء فأضاف إليهما يوم الاثنين ، والسبب في ذلك أنّه اشتهر في زمانه تصانيف السعد التفتازاني ، ورغب الطلبة في قراءتها ، فلم توجد تلك الكتب لعدم انتشار نسخها ، فاحتاجوا إلى كتابتها ، فلذلك أضاف اليها يوم الاثنين ، لضيق الوقت عن الكتابة . كذا في «الشقائق النعمانية ، في علماء الدولة العثمانية» ومن محاسنها جامع المرحوم السلطان أحمد ، فإنّه ناطق بألسن الآثار كما قيل :

همَم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسُن البنيان
إنّ البناء إذا تعاظم شأنه أضحى يدلّ على عظيم الباني

وبالجملة فإنّ ما اشتمل عليه من الاشراق وكمال الصفاء لا يكاد يوجد في غيره ، فلقد كنت أراها مظلمة من سائر الجهات آخر النهار ، ما خلا هذه البقعة المباركة ، فإنّي كنت أصلّي المغرب في الجامع المذكور وأبرز الى الميدان فأظنّ

---

(١) لعلها « السماء » أما السماك — في الجملة السالفة —فهو نجم في السماء لامع، وهما سماكان : السماك الرامح والسماك الأعزل .

الوقت صباحاً ، لما أجده من الاشراق والسرور الذي لا اعلم له سبباً ، مع ما كان في الخاطر مما لا يليق ذكره ، وعلى ذلك أقول :

قد قلتُ للميْدان أحرزت البها ... وأراك عن تلك البقاع بمعْزِل
ما ذاك إلا من جوارك أحمدا ... والسرّ في السكان لا في المنزل

وقيل في تاريخ بناء هذا الجامع :

تاريخ جامع أحمد ... من نص قرآن مبين
قد جاء فيه قوله ... لنعم دار المتقين[1]

توفي السلطان أحمد سنة ست وعشرين وألف :

فقل للدهر أنت أصِبت فالبَس ... برغم منك أثواب الحِداد

ومن محاسنها ، بل من محاسن الوجود ، السليمانية ، فلا زالت أثرا لمحاسن الدولة العثمانية :

الملك لله الذي لم يزل ... يُودعه في آل عثمان
من شكّ فيما قيل في شأنهم ... فلينظر الوضع السليماني

وهذه شذور من فرائد «الفوائد السنية» للقاضي شهاب ، فمِن ذلك هذا الغزل الذي تَحِنّ إليه الجوارح ، ويتحرّك له ساكن الغرام :

إنّ في الروم للحسان عيونا ... ذكّرت صبّها بحرب البَسوس[2]

---

(١) لنعم = ٣٠ + ٥٠ + ٧٠ + ٤٠ = ١٩٠ ، دار = ٤ + ١ + ٢٠٠ = ٢٠٥ ،
المتقين = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٤٠٠ + ١٠٠ + ١٠ + ٥٠ = ٦٣١ ، (١٩٠ + ٢٠٥ + ٦٣١ = ١٠٢٦)
وأثواب الحداد في البيت التالي هي الثياب السود ، يلبسها بعض الناس إظهاراً لحزنهم على موتاهم ، وهذا من البدع الدخيلة .

(٢) الصب : المشوق ذو الوجد والهوى والحنين .
وحرب البسوس : حرب في الجاهلية بين بكر وتغلب إبني وائل ، مدتها أربعون سنة ، فيها خمس وقعات مزاحفات ، بينها مغاورات ، سميت باسم البسوس خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، التي قتل ناقتها كليب بن ربيعة سيد تغلب ، وكانت بكر خضعت له أيضاً .
والعوارض جمع عارض وهو صفحة الخد .
والعاج : أنياب الفيل ، القطعة منه عاجة .
والابنوس ، والآبنوس : خشب ثمين شديد الصلابة أسود اللون من أشجار البلاد الحارة .
الرضاب : الريق المرشوف .
والحميا : الخمر . والراح أيضاً الخمر . وكذلك الشموس ، لانها تجمح بصاحبها .

وقدودا هـي الرمـاح تبـدّت مُرْخِصات لغاليـات النفوس
أسبَلوا الشعر فوق مَرْمَر جيـد مخجِل نوره ضياء الشموس
وأبـانـوا عـوارضا وخـدودا مشبهات للعاج في الأبنـوس
وأداروا من الـرُضاب حُمَيّـا فعلها أيـن منه راح الشَموس

وقـال :

لم تترك الترك في شمس ولا قمـر حسناً لغيرهم يـُعْزى وينتسب
لكنهم لم يفوا إن عاهدوك عـلى وُدّ وما هكذا في فعلها العرب

وقـال :

فتنت بظبي من بني الترك، أدمعي لهجرانه تنهلّ عسفا على خدّي
تملّك رقي وهـو ملكي برقّـة فوارحمتا لي إذ غدا سيدي عبدي

وقـال :

بحمّـام السَراي غـزال سرب رقيق الطبع لا يصغي لواشي
يقـول لعاشقيـه يفوز مـني بوصل من طواشي للطواشي[1]

وقـال :

إيّـاك والأتـراك إن لبعضهم أشخاص غزلان وفعـل أسود
أجسامهـم كالمـاء إلاّ أنّهـا حملت قلوباً من صفا الجلمود

ومن الوصايا المليحة عن الاخلاق القبيحة :

إذا كنت والمحبوب يومـاً بخلوة ودارت لك الكاسات واكتمل البسط
فإيّـاك والفـعل المحـرّم إنه به المرء من أوج السعادة ينحَطّ
فإنّ عفاف الذيل في شرعة الهوى لمن شاقه وصل الحبيب هو الشرط

(١) في الاصل يوصل . وهو خطل في المعنى وخلل في الوزن . والتصحيف فيها واضح فقومناه .
وطواشي ـ الاولى ـ حقها أن تكون طوى شيئاً، ولكن باب المسامحة في الشعر واسع . أما الطواشي ـ الثانية ـ فهو الخصي ، وقد بلغ الطواشية في ذلك العهد مراتب عاليةوسموا بالاغوات.
والصفا ـ في البيتين التاليين ـ : الصخر الاملس ، جمع صفاة ، أما الجلمود ـ وكذلك الجلمد ـ فهو الصخر، لاسيا أقساه .

وما أصدق ما قال :

بالروح يلعب في بدايــة أمــره   وسوى الغرام به فغير غــرام
ماذا تكون نهايــتي في عشقـــه   والبـــدء فيــه تحلّل الأجسام

وقـــال :

تَعِسَ القياس فللغــرام قضيــة   ليست على نهج الحجى تنقـــاد
منها بقاء الشوق وهـــو بزعمهم   عرض وتفنى دونـــه الأجساد

وقـــال :

تعلّمت أسباب الرضا خوف هجره   وعلّمه حبّي له كيف يغضب
ولي ألف وجه قد عرفت طريقـــه   ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

وقـــال :

تعشّقت منـــه حالة لست قادرا   على وصفها إذ لم يذقها سوى قلبي
تيقّنت أنّي فيه أصبحت مغرمـــا   ولكنني لم أدرِ ما سبب الحبّ

وقـــال :

إذا دعـــا باسمـــه داع يحدثـــني   كادت له شعبة من مهجتي تقع
لا أحمل اللوم فيه والغرام بــــه   لا يكلف الله نفسا فوق ما تسع[1]

وقال :

زعمت بأني قد بلغت من الهـــوى   إلى غاية ما بعدها ليَ مذهـــب
ولمـــا تفرّقنا تذكّـرت ما مضى   وأيقنت أنّي إنّما كنت ألعب

وقـــال :

وبدا له من بعد ما اندمل الهـــوى   برق تألّق مَوْهِـنـــا لمعانـــه

---

(٢) هكذا في الأصل ، ولا يستقيم به الوزن فلابد من استبدال «لا يكلف» بـ : «ما كلف» . والذي نرويه :

اذا دعـا باسمها داع ليحزنني   كـادت له شعبة مـن مهجتي تقـع
لا أحمل اللوم فيها والغرام بهـا   ما كلف الله نفساً فوق ما تسع

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعــه   والماء ما سَحّت به أجفانه[1]

وقــال :

سكنوا بقلب آنسوه وأوحشـوا   لحظا جرى من بعدهم وتدفّقا
هذاك عنــدهم وذاك محجّــب   سبحان من كتب السعادة والشقا

وقــال :

أبكي إلى الغرب إن لاحتْ منازلهم   من جانب الشرق خوفَ القيل والقال
أقول في الخدّ خال حــين أنعته   خوف الرقيب وما بالخدّ من خال

وقــال :

في خــدّه عــرق بــدا   ذا حمــرة لصــفائـه
هــذا يصدّق قــولهـم   المــاء لــون إنــائـه

وقــال :

عــليّ لِرَبــع العامريّة وقفــة   ليملي علي الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حبّ الديار لأهلهــا   وللناس فيما يعشقون مــذاهب

وقــال :

وفي الحبّ تعذيب وفيه عُذوبــة   فسلْ عنه صبّاً حَكّمَتْه التجارب
وكلّ امرىء يهوى على قدر عقله   وللناس فيما يعشقون مذاهب

---

(١) لإدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط :

طرب الفؤاد وعــاده أحزانــه   وتشعبت شعبا بــه اشجــانه
وبدالــه مــن بعد مااندمل الهوى   برق تــألق مـوهنا لمعانــه
يبــدو كحــاشية الرداء ودونــه   صعب الذرى متمنع أركانه
فدنــا لينظر اين لاح فلم يطق   نظراً اليه ورده سجـانــه
فــالنار مااشتملت عليه ضلوعــه   والمــاء مــاسحت به أجفانه
ثم استعــاذ مــن القبيــح ورده   نحو العزاء عن الصبا ايقانه
وبـدا لــه ان الذي قــد نالــه   مــاكــان قدره لــه ديانه
حتى اطمــأن ضميره وكــأنمــا   هتك العلائق عامل وسنانــه

وقـــال :

وما العيش إلا ما يُلذّ ويُشتهـــى وإن لام فيه ذو الشّنان وفنّدا[١]
بكيْت الصّبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وقـــال :

يا كامـــلا شوقي إليـــه وافـــر وبسيط وجدي في هواه غريـــز
عاملتَ أسبابي لديك بقطعهـــا والقطع في الاسباب ليس يجوز

وقـــال :

يـــا كتابـــي إذا وصلت إلى من حبّـــه صيّر الفؤاد جـــذاذا
قلْ له ما عليك في البعد عـــتب سوء حظي أنالني منك هـــذا

وقـــال :

إنـــي أبثّ إليـــك بالعلم الـــذي يقضي عليك بحرمتي وذمامي[٢]
وقرابـــة الأدبـــاء يقصر دونها عند الكرام قرابـــة الأرحام

وقـــال :

ما بـــال عينك حـــين تلحظـــني يا ابن الكرام تعدّني همـــلا
لـــو كان لـــي ذنب لبحت بـــه كيلا يقـــال هجرتني ملـــلا

---

(١) الشنان تسهيل الشنآن وهـــو البغض مـــع عـــداوة . وفنده : لامه وضعف رأيه .
وهذه القاعدة في جعل اللذة والشهوة أساس العيش، إنما هي على مذهب العبيد من أبناء الدنيا :

الموت والحرية ال شهاء والشرف المكين
هي خير مانحيا له وهـــو الغني للمؤمنين

أما المذهب والمفض ض والمفوف والنضيد
فلقد تركناهـــا لعب بـــاد الحطـــام وللعبيـــد

واتباع الشهوات ــ الذي ذم القرآن أهله ــ يؤول بصاحبه إلى الدمار والعار والنار :

إذا المرء أعطى نفسه كل مـــاشتهت ولم ينههـــا تـــاقت إلى كل بـــاطل
وسـاقت إليه الإثم والعـــار بـــالـذي دعته إليه مـــن حلاوة عـــاجل

وفي البيتين التاليين تورية بالكامل والوافر والبسيط من بحور الشعر .

(٢) « أبث » في البيت صحيحة ، لانكر فيها ولا لوم ، غير أن « أمت » أحلى وأكثر ملائمة .

وقـــال :

لا تعتب الدهر في خطب رماك به | إن استردّ فقل يا طالما وهبــا
وانظر زمانك في حاليْ تقلّبــه | تجده أعطاك أضعاف الذي ذهبا

وقـــال :

شاد الملوك قصورهم وتحجّبــوا | عن كلّ طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن | يا ذا الضراعة طالبا من طالب

وقـــال :

وقائـــل ما الملك قلــت الغــنى | فقال لا بل راحــة القلــب
وصون ماء الوجــه عــن بذلــه | في نيل ما ينفد عن قـــرب

وقـــال :

لا تصحبنْ ملِكا أو مــن يلوذ به | وإنْ تنل منهم عزّا وتمكيــنا
يستخدمونك فـــي لذّات أنفسهم | فيذهب العمر لا دنيا ولا دينا

وقال آخر :

إذا صحـــبت المــلوك فــالبسْ | من التوقّـــي أجــلّ ملبس
وادخل إذا مـــا دخلت أعمـــى | واخرج إذا ما خرجت أخرس

وقـــال :

ومصاحبُ السلطان مثـــل سفينة | في البحر ترجف دائماً من خوفه
إنْ أدخلت في جوفها من مائـــه | أدخلها وماءهـــا في جوفـــه

وقـــال :

لا بــد للكامــل مــن زلّـــة | تخــبره أنْ ليس بالكامــل
بينا يُرى يضحك مــن جاهل | حتّى يُــرى مضحكة الجاهل

ومن النصائح :

لا تقعدنّ بمجلس فــي صــدره | إلا إذا ما كان ذلك منزلَكْ
واتركْ لمن هو فوق قدرك موضعا | فلقد أحطّك رتبة من أنزلَكْ
وإذا جلست فخلِّ فوقك فسحة | إن جاء صاحبها وإلا فهي لك

وقـــال :

أقــول للقلب لا تجـزع لفائتــة   أخلِتَ باب التمنّي غير مفتوح؟
فقال حقا ولكن عند ذي أدب   لا شيء أوجع من ترجيح مرجوح

وقال آخر :

نُــوب الزمــان كثــيرة وأشدّها   شمل تحكّم فيــه يوم فراق
يا قلب لمْ عرّضْت نفسك للهــوى   أوَ ما رأيتَ مصارع العشّاق ؟

فائدة : كتاب مصارع العشاق كتاب في الأدب ، مؤلّفه أبو محمد جعفر السراج ، وهو اثنان وعشرون جزءاً ، رأيت منه الجزء الأوّل بالديار الرومية وعليه ما صورته :

هــذا كتــاب مصارع العشّاق   صرعى أيادي البَيْن والأشواق
فإذا تصفّحه اللبيب رثــى لــهم   أسرى هوى أيِسوا من الإطلاق

ومادته لابن أبي حجلة ، ومنازل الاحباب للشهاب محمود .

يا خاطري كم ذا تكون مخاطراً   متــولّعــاً بالجيد والأحــداق
إن شئت تعلم ما نهاية مــا تــرى   فانظر كتاب مصارع العشاق

وقال آخر :

تأمّلْ ذا الوجود بعــين فِكــر   تــرى الدنيا الدنيّة كالخيــال
ومــا فيهــا جميعــاً سوف يفنى   ويبقى وجــه ربك ذي الجلال

وقال آخر :

دعِ المقادير تجري في أعنّتــها   واصبر فليس لهــا صبر على حال
يوماً يريك وضيع القدر مرتفــعا   إلى السماء ويوماً يخفض العالي

وقال آخر :

ومن يَحْمَدِ الدنيا لأمــر يسرّه   فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة   وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال آخر :

ومــا هــي إلا جيفــة مستحيلة   عليها كلاب همّهنّ اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلهــا | وإنْ تجتذبها نازعتك كلابهــا

وقال آخر :

ومــا شيء بأثقل وهــو حــقّ | على الأعناق من مِنَن الرجال
فــلا تفــرح بشيء تشتريـــه | بوجهك إنّــه بالوجــه غالي

وقال آخر :

من كنت عن مالــه غنيّاً | فــلا أبالي إذا جفانــي
ومن رآنــي بعين نقص | رأيتــه بالــذي يراني

وقال آخر :

لا تقطعنْ عادة الإحسان عن أحد | ما دام يمكن في الامكان تارات
واشكر صنائع لطف الله إذ جعلت | إليك لا لك عند الناس حاجات

وقــال :

لَنَفعي للصديق أحــقّ عنــدي | وحقّ أبيك من خيلي ورَجــلي
ولكنْ لانكماشي فــي معاشي | على قدر الفراش مددت رجلي

وقــال :

إن أوصل الدهر أيدينا لمكرُمــة | ثم امتنعنــا فــلا نلنا أمانينا
أو مانع الدهر إذ بالعجز أقعدنــا | فالذنب للعجز كفّ العجز أيدينا

وقــال :

محن الزمــان كثيرة لا تنقــضي | وسروره يــأتيــك كالأعياد
ملك الأماجد فاسترقّ رقابهــم | وتــراه رقّــا في يــد الأوغاد

ابن جابر الاندلسي :

لا تعــادِ الناس في أوطانهــم | قلما يُرعى غريب الــوطنِ
وإذا مــا رمتَ عيشاً بينــهــم | خالــق النــاس بخلق حســن

وقال آخر :

قيامــي للعزيــز عــليّ فــرض | وترك الفرض مــا لا يستقــيم
فهــل أحــد لــه عقل ولبّ | ومعــرفــة يــراك ولا يقوم

انتهى ما نقلته من الفوائد ، مضافاً إليها ما تستعذب به موارده الهنيّة ، وهذه الأبيات مما جرى بها القلم ، وتطفّلتُ بهـــا على حضرة مولانا شيخ الاسلام ، وإنّما أثبتها لما اشتملت عليه من ذكر بعض مناقبه الشريفة ، بل على وفق ما قيل :

ما إنْ مدحتُ مكمّلا في ذاتـــه   لكنْ مدحت مقالـــتي بصفاتـه

وإلا فالحال كما يقال :

لـــو أنّ في بابـــه للنظم مفخـرة   ألّفتُ في مدحه ألفا من الكتب
لكنّه البحر في كل الفنون فمـــا   إهداء درّ إلى بحـــر من الأدب ؟

وفي اليوم السادس من شهر رجب الفرد ، برزت صرّة الحرمين،في موكب لطيف ، وكان يوماً مطيراً ، وبالنسبة إليّ يوماً عبوساً قمطريرا .

وقد هاج لي شوق ليثرب ليتـــني   قضيت ولا يقضى عليّ بعادهـا
فيا ربّ جُد لي قبل موتي بقربهـــا   ففي حبّها تحلو لعيني سعادهـــا

وهو يوم مشهود ، ووقت معهود ، يجتمع له البادي والحاضر ، (وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر) ، وفي ذلك اليوم حصل لأبناء الحرمين ومن هو في زيهم من الإهانة أقل ما يستوجبون ، وذلك لازدحامهم على الصدقات ، وكانت تأتي إليهم الدراهم بعد التفاصيل بالجمل، وطالما قال جود السراي لكل حاتم هذه التي لا ناقة لك فيها ولا جمل ، وكم أنشد لسان حالها في بهجة جمالها :

لله كـــم حال امريء معـــدم   قضيت فـــي الروم بتنفيســـه
ودرهـــــم ولـــى ولكنّـــه   قـــد أخـــذ الأجر على كيسه

فسبحان من قام على التناقض ملكه[١] ، وجرت بخفيّ تدبيره نيرات افلاكه ، كما سبحت باللطف في بحار حِكْمته فُلْكُه ، وما زلت مقيماً بها الى العشرين والتردد شعارى ، والتعهد دِثاري ، وأنا في تلك الحال ، على أثر تمنّي المحال :

أقطع الوقت بالـــرجـــاء وناهيـ   ـك بقـــلب غـــذاؤه التـــعليـــل

---

(١) هذا إذا أخذ على ظاهره كفر وسوء أدب ، وقد علق الشيخ محمد نصيف على ذلك على هامش الكتاب بأن « ليس في ملك الله تناقض » . وكأن المؤلف يريد ان هذا فيما يبدو لبعض السذج والبسطاء ، وإلا فلله الحكمة البالغة .

كلما جاء كأس يأس مرير   جاء كأس من الرجا معسول

وقد رمتني الحوادث بسهامها ، وعبست الأيام بعد ابتسامها ، فلّله ما لاقيته من المتاعب في تلك المطالب ، ولقد كنت في سعة عن مطالب هاتيك المتاعب :

ولكنّ أسباب الضرورات لم تزل   إلى غير ما تهوى النفوس تقود

مثله :

أقمت بها شهرين في حال غربة   أرجّي نداها والجنون فنون
وما نلت منها طائلا غير أنّني   تعلمت طعم الذلّ كيف يكون

غيره :

لي كلّما ابتسم النهار تَعلّة   بمحدّث ما شان قلبي شانه
فإذا الدجى وافى وأقبل جُنْحُه   فهناك يدري الهم أين مكانه

غيره :

غنى في يد الآمال لا استفيده   وديْن على الأيام لا اتقاضاه
يرى الصبر محمود العواقب معشر   وما كلّ صبر يحمد المرء عقباه

فكنت كمن ترك الوقار وكان من أهله ، وسُلب القرار لذهاب عقله ، وغدا يساور الهموم ، ويسامر النجوم ، فلا يَطيب له المقيل ، والحال كما قيل :

يبيت كما بات السليم مسهّدا   وفي قلبه نار يشبّ لها وَقد
وقد هجر الخُلاّن من غير ما قلى   وأفرده الهمّ المبرّح والوجد[١]

فلم يَرْثِ لي دهري الخؤون ، ولا رقّ لي زماني المفتون ، حتّى كأنّي في

---

(١) السليم : الملسوع ، سمي به تفاؤلا . وفيه تضمين لقول النابغة الجعدي :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وبت كما بات السليم مسهدا

ويشب بكسر الشين وتشديد الباء — : يرتفع ويتقد . الوقد : النار ، ولهيبها ، وحرها .

والخلان — بضم الخاء — : جمع الخليل وهو الصديق المختص . والقلى : البغض .

والمبرح — بكسر الراء المشددة — : الشديد المتعب المجهد — بكسر العين والهاء — .

والقذى : مايقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها .

والشجا : مااعترض في الحلق من عظم ونحوه .

جفن الدهر قَذىً، أو في حلقه شجا وأذى ، يدافعني نيل الأمنيّة ، ويكاد يسلمني إلى المنيّة ، قلت :

وكادت ديار الروم من فَرْط محنتي بما رَحُبَت غماً عليّ تَضيق

وأنا مع ذلك أدافع الأيام ، وأعلّل النفس ببلوغ المَرام ، مُتَلَفّعاً بالقناعة والكَفاف ، متقنعاً بالنزاهة والعفاف ،

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما

فما كل برق لاح لي يستفزّني ولا كلّ من لاقيت أرضاه منعما[1]

وقد ذكرت بتلك الأبواب ، الفسيحة الرِحاب ، المنيعة الجناب ، بيتين لبعض الفضلاء وهما قوله :

وأكرم من يدقّ الباب شخص ثقيل الحمل مشغول اليدين

ينوء إذا مشى ثقلا وحملا ويدفع بابه بالركبتين

وما أصدق ما قال الزمخشري :

وإذا رأيت صعوبة في مطلب فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فإنّه حجر يُلَيّن سائر الأحجار

وما أحسن ما قال :

دع السحر يا من تيّم الحبّ قلبه فما السحر إلا في نقوش الدراهم

إذا ما دعوت الطير لبّاك مسرعا بدرهمك المنقوش لا بالعزائم

---

(١) للقاضي الجرجاني من قصيدته في أنفة العالم وترفعه عن الدنيا ، والتي منها :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من في الارض أرضاه منعما

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما

انهنهها عن بعض ما لايشينها مخافة اقوال العدى فيم أولما

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لاخدما

أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان احزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

وقلت :

إذا عــزّ من تهوى ولم ترحيلــة فليس سوى الدينار أرجى وأرجح
يهوّن صعب الأمر في كلّ معضِل وفي كلّ أمر فهو أنجى وأنجح

ولقد كنت أزعم أن أصير باختلاطي بالروم بعد العرب جامع الفضيلتين ، ولا أقول القياس إنّما يتبع أخس المقدمتين ، إلا أنني حصلت من الفقه على مسائل الطهارة ، وفي الاشارة ما يغني عن العبارة ، وصرت لا أعرف من النحو بعد ذلك الثبوت ، إلاّ كثر شربي السَويق وهو ملْتوت ، ولا أفهم من التصريف مقالا ، إلا قاتل يقاتل مقاتلة وقتالا ، ولا من المنطق بعد بذل المجهود ، إلاّ إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ، ولو شرحت مطوّل جهلي بالأصول ، وقلة ما لي فيه مــن المحصول ، لتلخّص للطالب من مختصر التلخيص تخليص ، وتخصّص من تهذيب الكلام بأوفى تخصيص .

ولــرحمــة المتوجعــين حرارة في القلب مثل شماتة الاعــداء

وقــال :

وحــار لبّــي لمــا بُليت بــه مــن الليالي وصرفهــا عَجَب

وقــال :

وضاق ذَرْعي لضيق ذات يــدي وساوَرْتــني الهمــوم والكرَب
وقــادنــي دهــريَ المــلوم إلى سلوك مــا يستشينــه الحســب

ولقد كان يخطر مثل ذلك بالبال ، ويُرسم في لوح الخيال ، لما اشتهر من مذلّة السؤال ، وقلّة الإحتفال ، ولقد سلمت من المصائب ، لو تحققت بقول عليّ بن أبي طالب ، وذلك في وصيته لابنه الحسن عند انصرافه من صفين ، والله تعالى الموفق والمعين : يا بنيّ إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله تعالى ذو نعمة فافعل ، فإنّك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وإنّ اليسير من الله تعالى سبحانه ، أكرم وأعظم من الكثير من خلقه ، وإن كان كلّ منه . قلت لله مــا أحلى هذا الوصل فليتني تحققت به أو أخذت بسببه .

وإذا جــرّب المجرّبَ غمْــرٌ فعلــيــه إذا أصيب المَــلام

فأقمت ، لا منقول لي في المنقول ، ولا مُعوّل في المعقول ، وأنا لا أفصح عنّي ، ولكنّي أكَنّي :

وصرت أذلّ من معنى دقيقٍ　　به فقر إلى فهم جليل

هذا والحديث شجون ، وما أتلوه من الأقوال ، نوع من ضرب الأعمال ، وما يعقلها إلا العالمون :

إنّ الليالي والأيّام لو سُئلت　　عن عيب أنفسها لم تَكْتُمِ الخبرا

فكنت أخالطهم مخالطة مسالمه ، وأجالسهم مجالسة مباسمه ، لعلمي أنّ من لَزِمَ اليأس من الناس ، فقد سلم من البأس ، وأنّ الاجْمال في الطلب ، والانتقال عن مظانّ العطب ، يُومِيان إلى النجاح ، ويؤمنان من الإفتضاح .

مجاملة الإنسان تُكْسِب عيشه　　صفاء وتَحْبوه الجميل من الذِكْر

على أنّ صبري للذي قد لقيته　　وإردافه بالعذر قبض على الجمر

وقد تحجّب أهل الكرم في الأبنية ، فلم أر من السعودات إلاّ سعد الأخبية ، ولعمر الله إنّهم معذورون في ذلك ، فلقد رأيت فيما هنالك ، من الطوائف القدسيين والشاميين وغيرهم ، ذوي عمائم كالأبراج ، وأكمام كالأخراج ، وقد لزموا تلك الأبواب لزوم الكاتبين ، وصار أحدهم مع الرئيس كالخصمين المتحاسبين ، يطالبه بجائزة شعر لو شعر بحقيقة أمره ، لاستحي منه ولزم حدّه بقية عمره :

قد بان لي عذر الكرام فصدّهم　　عن أكثر الشعراء ليس بعار

لم يسأموا بذل النوال وإنّما　　جَمِد النّدى لبرودة الأشعار

أو كما قال الشريف العبّاسي :

رَبّ خذ للشعر من زُمَر　　أسمعونا فيه ما أضنى

مثل مَضْغ الماء ليس له　　في فمي طعم ولا معنى

فلذلك انقطعت السُبُل عن أهل الحياة ، ونفق في سوق النفاق عروض أهل الرياء ، فلم يجر باسم الفضلاء قلم الباري ، ورضى العالم غاية استأثر بها الباري ، ولله درّ القائل

لا تغضبنّ على امرىء　　لك مانع ما في يديه

واغضب على الطمع الذي اسـ　　ـتدعاك تطلب ما لديه

وقال :

لا تكن طالباً لما في يد النا … س فيزْوَرّ عن لقاك الصديق
إنّما الذلّ في سؤالك للنا … س ولو في سؤال اين الطريق

وقال :

لا أبتغي بالشعر رزقاً ولو … كنت عـل جيّده أقـدر
كيف وعلمي أنّ لي رازقاً … يرزقني من حيث لا أشعر

وقال :

من عفّ خفّ على الصديق لقاؤه … وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفّرت ما في كيسه … فإذا اعترضت له فأنت ثقيل

فها أنا أخفض لهم الجَناح ، وأرفع عنهم الجُناح ، لأنّ الأمر مراحمة لا مزاحمة ومحاسنة لا مخاشنة ، ومناسبة لا محاسبة .

وعنّي بالتلويح يفهم ذائق … غنيّ عن التصريح للمتعنت

فمشيت على هذا السَنن القويم ، والمسلك المستقيم ، متحاشياً عن المباراة ، متجنباً ما استطعت عن المماراة ، فإنّهما يهدمان الدين ، ويعدمان اليقين .

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا … ولا موجِعات القلب حتى تولّت
فإنْ أجْنِ من غرس المُنى ثمر العنا … فللّه نفس في مناها تعنّت

ولست بالمتصدّي للقيل والقال ، ولا المتعدّي بالجدال إلى المحال ، وكم من متشبه لم يحْكِ المثال وناقل لم يحك عن النوال ، وأين الماء من السماء ؟ وموقع السيل من مَطْلِـع سُهَيْل[١] ؟

تعرّض قوم للغرام وأعرضوا … بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم … وخاضوا بحار الحبّ دعوى فما ابتلوا

هذا ومن أجاب داعي الهوى ، يوشك أن لا يجاب إذا هو في هوّة الهوان هوى ، لا جرم إنّ العِثار سابق إلى قَدَمه ، والاغترار سائق إلى ندمه ، ألا يرى إلى حسن

---

(١) سهيل : نجم اولـع به الشعراء .
وسهيل كوجنة الحب في اللو … ن وقلب المحب في الخفقان
لا يرى من البلاد الشمالية بل يطلع في سماء اليمن : « وسهيل إذا استقل يماني »

اخضرار العود ، فإذا فارق مَنْبته استعدّ للوقود ، ولا يزال المرء حَسَن الظن في نفسه قليل التفحّص عن روئية حدسه ، يتستّر بالمحال ، على غير العلم بالحال .

والمرء تلقاه مضياعاً لفرصتـــه حتّى إذا فات أمر عاتب القدرا

فها أنا استغرق تارة في الجهل والطيش ، فأراني في لذة العيش ، وتارة تلاحظني بقايا العناية ، فأعلم أني من الجهل في غاية ، فمن شاهدني قال الجنون فنون ، ومـــن تحققني انشدني كأن لم يكن بين الحجون [١] .

فليت أيّام هذا الدهر تمدحني ببيت شعر قديم سار في الناس
دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنّكأنت الطاعم الكاسي

وقال :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكنّ قلباً بين جنبيّ ماله مدى ينتهي بي في مرام أحدّه

وقال :

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأيتصبري على الذلّ ذلّت
فقلت لها يا نفس موتي كريمـــة فقد كانت الدنيا لنـــا ثم ولّت

هذا وشريف النفس هو الذي لا يرى الدنيا لها ثمنا ، ولا يرتضيها لنفسه سكناً ، حيث لم يبسطها الباري تعالى إلا اختياراً ، ولم يقبضها إلا اختباراً ، على أنّها كزيارة ضيف ، وسحابة صيف :

---

(١) من قصيدة لمضاض بن عمرو الجرهمي اولها :

وقـــائلة والدمـــع سكب مبـــادر وقـــد شرقت بـــالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكـــة ســـامـــر
بلى نحن كنا أهلها فـــأبـــادنـــا صروف الليـــالي والجدود العـــواثر

والبيت الثاني المضمن في البيتين التاليين « دع المكارم . . » للحطيئة .

والبيتان التاليان لهما « وفي الناس من يرضى . . » للمتنبي من قصيدة أولها :

أود مـــن الايـــام مـــالا توده وأشكو إليها دهرنـــا وهى جنده

ورواية الديوان « الجزء ٢ الصفحة ٢٣ » : « مراد » بدل : « مرام » .

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغداً
ما كان في حقّ حرّ أن يذلّ لها فكيف وهي متاع يضمحلّ غدا؟

أبو السعود المفتي :

سل الأيام ما فعلت بكسْرى وقيصرَ والقصور وساكنيها
أما استدعتهمُ للبين طرّاً فلم تدعِ الحليم ولا السفيها

أقول : ويعجبني في هذا المقام قول من قال : ما زهد الزاهدون فيما كتب لهم . قال الشيخ الشعراني : إذا كان الزهد حقيقته ترك شيء ليس هو له فالزاهد جاهل ، لأن زهده ما وقع إلاّ في عدم لا وجود له ، وهذا مبني على توهّم صحّة الاختيار ، وهو كلام لا معنى له ، انتهى كلامه . وكيف يصحّ للمرء ترك شيء لم يقدر عليه ؟ فيه كلام للامة فتأمله .

يذمّون دنياهم وهم يطلبونها ولم أر كالدنيا تُذمّ وتُمدح

قال المثلي :

وبروحي فديته ذا جمال غَنِجِ اللحْظِ كالقنا الأمْلود[1]
لقّبوه بحامض وهو حلو قول من لم يصل إلى العنقود

وقال :

صرفت نفسي عن الدنيا وزخرفها لا فضة أبتغي فيها ولا ذهبا
نفسي التي تملك الأشياء ذاهبة فكيف آسي على شيء اذا ذهبا ؟

ثم إنّي لم أزل مع الزمان في تَفْنيد وعِتاب ، حتّى رضيت من الغنيمة بالاياب ، وأنا أنادي حظاً غير سميع ، واستعطف طالعاً غير مطيع :

وقد ضقت بالاحوال ذَرْعا وحيلة فحتّى متى أشكو ولا تنفع الشكوى

وقد اشتدّ بنا الأمر في الملازمة ، وسايرنا سير مخازمة ، حتّى انثنيت مما أردته ، وجعل كلما طرق طارق طردته .

---

(١) غنج : ذو دلال .
والقنا : الرمح .
والاملود : الناعم اللين .

فلا أنـــا من هوى الفيحاء خالٍ ولا ممّن أحبّ قضيْت دَيْــني

وقـــال :

أقول غدا أفوز ببعض سُؤلـــي فيأتي في غــد ما لا أشاء
فيـــا لله من عكس الليـــالـي مقاصدي التي فيهـــا الثنـــاء

ولما وقفت على الجملة بالتفصيل ، وتحققت أن الآمال سوّفت بالأباطيل ، أغمضت عما هو بيد الزمان ، وقبّحت للنفس ما كان قد زان ، وقد نبذت المرام إليه ، وقلت خذه غير مأسوف عليه ، فَسَخَت النفس بمـــا زاد على الزاد ، ولم يبق لي من الاماني ، سوى الرجوع إلى أوطاني ، وقد تجاوزت من التمنّي حدّه ، وما فاتني شيء سوى الحظّ وحده .

وإذا نظـــرت إلى الوجـــود بعينه فجميع ما في الكائنات مليـــح

ولكن أين أنا من تلك المعاهد ، وبماذا أتوصّل لمشاهدة هاتيك المشاهد ، وقد حالت من دونها تلك البحار ، وأحوال هاتيك المفاوز والحِرار ؟

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلَلُ الجبال ودونهنّ حتُوف
الرِجل حافيـــة ومـــالي مَرْكب والكفّ صِفْر والطريق مَخوف

ولا أقول هذه رحلة تشدّ إليها الرحال ، حيث لم تسفر بمحاسنها عـــن وجوه الرجال ، فيا ناظراً إلى ما جرى به القلم ، من تسطير المشقّة والألم ، ليس من شِرعة العقل سُرعة العَذْل ، فإنّ من عَيّر شخصاً ابتليَ بدائه ، ومن حكم الأقضية فقد أزْرى برأيه ، وإنّما هـــذه نَفْثَة مصدور ، جواباً لسؤال مُقدّر أو مذكور ، حيث الأيام فُرص مغتنمه ، وغصَص مقسّمه ، نسائمها سمائم ، ومغانمها مغارم .

هي الدنيا تقول بمـــلء فيهـــــا حَذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
ولا يغـــرركـــمُ منّـــي ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكـــي

وما حال من فارق الحياة ونأى عنها ، وكان في الجنّة فأخرج الى النار منهـــا ، وقد دَهَمَت بشُهُب صروفها الليالي ، وذلك وِفاق من كانت السعادة في يديه فلم فلم يصُنها غير مبالي .

عجباً لمثلي وهـــو يبصر رشـــده في الأرض كيف تقلّبت حالاته

ثم نادى منادي التدبير من عالم التقدير ، بأنّ الخير في الواقع ، والأمن في قطع المطامع ، وقال لسان الحرمان : عليك الأمان ، إذا حصل ما فاتك ، فلا تندم على ما فاتك .

إذا رُمت المطالبَ قبل وقت ... فلستَ بواجد إلا الأماني
فقبل الوقت كان سؤال موسى ... وكان جواب ذلك لن تراني[1]

فعند ذلك اشتدّ الهيام ، وتضاعف الوجد والغرام ، شوقاً لساكن الزَوْراء وزيارته السنيّة ، وتوقاً إلى التملّي بتجلّي جماله قبل تحكّم المنية :

وما اشتياقي حمى الزوراء من عجب ... وجرح قلبي إليها غير مندمل
وقد حوى سفحها بدراً منازلُه ... صميمُ قلبي في حِلّي ومرتحلي
سقى بها مربعا تزهو جوانبه ... بوبل غيث بذاك الحيّ مُنْهمِل
وعطّر الجوّ أنفاس الشَذى وقضتْ ... يد النسيم على الأغصان بالمَيَل[2]
ويا رعى الله أوقاتا بها سَلَفت ... ما ضرّها لو مشت فينا على مَهَل
سُقيا لها من ليال مذ مضت تركت ... أحشاءنا ولهيب النار في شُعَل
أشتاقها بفؤاد غير مصطبر ... عنها وأبكي بدمع هامل هَطِل
لعلّ إلمامة بالجزع ثانية ... يَدِبّ منها نسيم البرء في عِلَل

ولما جعلتني المقادير نُهْزَة الأسفار ، ولم ترني نزهة الأسفار ، بل كنت غَرَضا لمتاعب البحار ، وعَرَضاً لمصائب القِفار ، وقد تزايد ما بي من الألم ، ولم يبق مني عضو إلا وبه ألمّ ، توسّلت في تلك الحال ، إلى العليّ المتعال ، أنْ يردّني إلى حَرَمه ، بمنّه وكرمه ، وكثيراً ما كنت أتوسّل بهذه الأبيات :

إلهي طال بعدي واغترابي ... وفي جُنْح الدجى طال التهابي
ونحو أحبتي قد زاد شوقي ... لأهلي والأقارب والصحاب

---

(١) الآية ١٤٣ من سورة الاعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني . . » .
والهيام : شدة العشق المفضي الى الجنون .
(٢) الوبل : المطر الشديد .
والشذا : قوة زكاء الرائحه .

إلهي قد وَهَى جَلَـدي وصبري لميلي نحو هاتيك الشِعاب[١]
إلهـي من سواك بنـا رَحـيم يوفّقـنـا إلى سَنَـن الصواب
إلهـي أنت أولى مـن عفا عـن ذنـوب مثل أعـداد التراب
إلهي جُدْ بقرب عـن قـريب ومُـنّ على ذَهابي بالإياب
إلهـي واقض لي يـا خير قاض بروْيا سفح هاتيك القِبـاب

فصادف الدعاء الإجابة ، وتحققت هذه الطلابة ، وقد أخذ الشوق بزمام الفؤاد ، وأذكرني طيبَ وادٍ أفديه بألف واد :

واد سما قـدره بالساكنين بـه وطالِـعُ السعد في آفاقه طَلَعا

وقـد تهيّأت أسباب الرحيل ، وقرأ الطالع للمطامع « وحيل »[٢] ، وهبّت نسَمَات القبول ، بالقرب والوصول من حضرة السيد الرسول ، صلّى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم .

أيا ساكني أكناف طيْبَة حسبكم من السعي للعلياء جيرة أحمد
فمن يبتغي عنها بلاداً وإنْ سَمَت لأمر من الدنيا فليس بمهتـد

وكان ذلك بإسعاف ذي القدْر والمقدار ، وقطب القسطنطينية الذي عليه المدار ، وهو مولانا شيخ الاسلام ، لا زال في فم الدهر ابتسام .

فلولاه لم أبلغ مـن الروم بُلْغَة ولولا نداه ما رجَعت إلى أهلي

وبالجملة ، فلولا ما أسداه مـن الإحسان ، وتفضّل به وأعان ، لحالت المنيّة دون الأمنيّة ، ولم أرِدْ مشارِع تلك الديار السنيّة :

ولما رماني الدهر من كلّ جانب بكلّ ملمّ ٍ ضاق عن حمله الصدر
لجـأت إليه لا فقَدت وجـوده وناهيك من شخص هو البرّ والبحر

---

(١) وهى : ضعف وبلي .
والشعاب : جمع شعب وهو ماانفرج بين الجبلين .
والسنن — بفتح السين — : الطريقة .
(٢) اشارة الآية الكريمة : « وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل . . » .
وأكناف : جمع كنف وهو الجانب والناحية .

فحمداً لأياديه ، وخواتيم أمره ومباديه ، وشكراً لمنّته البهيّة ، وهمّته العليّة ، فإنّها ما أرادت أمراً إلا أدركت غايته ، واستدركت فائته .

على أنّها عند الملمّات لم تــزل إذا جُرّدت كالمشْرَفيّ المهنّــد
بها يأمن اللاجي خطوب زمانــه كما يبلغ الراجي بها كلّ مقصد

غيره :

أطلق لسانك بالثناء عــلى الــذي أولاك حسن رغائب وغرائب
واشكره شكر الروض باكره الحيا كيما تقوم له ببعض الواجب

فأخذت في الرحيل وودّعت ، وعزمت على أن لا أعود وأزْمَعت ، فرجعت كثير الشَغَف ، ولي قلب كليم بالأسف .

ولقد نثرت مدامعي ودمــي معاً يوم الوداع وخاطــري مكسور
لا تعجبــوا لتلوّن في أدمعــي لا بــدّ أن يتلوّن المنــثور

فلا غَرْوَ أن أقول بلسان الحال ، إذا كنت كرة لصَوالِجَة الليال :

كأنّــي في الزمان اسم صحيح جرى فتحكّمت فيــه العوامل
مزيــد في بنيه كواو عمــرو وملقى الحظّ فيه كراء واصِل

فصمّمت على رحيلي ، وجمعت للرحلة ذيلي وأخذت لا من الذهب بل في الذهاب ، وعزمت على عدم تمنّي الإياب ، فقوّضت خيام الغيبه ، وأسرجت جواد الأوبه :

إلى بلدة نيطت عــليّ تمائمــي بها في جــوار الهاشميّ محمد

فنزلت الخليج السكندري ، حتى أتيت على أسكدار ، وهي بلدة عظيمة المقدار ، بها الجوامع الجامعة ، والمدارس الساطعة ، والمباني المشيّدة ، والأسواق المتعدّدة ؛ وعرْض هذا الخليج مقدر بستة أميال ، والميل البحري مقدّر بمسافة لو وصل غايتها البصر وكان ثمّة شخص ، عرَف كونه قائماً أو قاعداً . والبريد مقدّر بألف باع ، وقيل بأربعة آلاف خطوة ، والخطوة ذراع ونصف ، وفي ذلك قالوا :

إنّ البريد من الفراسخ أربـــع ولِفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قــل والبــاع أربــع أذرع فتتبعوا

ثم الذراع من الأصابع أربـــع　　من بعدها عشرون . ثم الأصبع
ستّ شعــيرات فبطــن شعــيرة　　منها إلى ظهر لأخــرى يوضع
ثم الشعيرة ست شــعرات غــدت　　من شــعر بغل ليس فيه تضعضع

(غريبة) : حكى القزويني عن صاحب « تحفة الغرائب » أن في حدّ خليج القسطنطينية قرية فيها بيت من الحجر ، وفي البيت صورة الرجال والنساء والخيل والبغال وغيرها من الحيوانات ، فمن أصابه وجع في عضو من اعضائه ، يدخل ذلك البيت ، ويدنو من مثل صورته ، ويمسح بيده مثل العضو الموجع من الصورة ، ثم يمسح العضو الموجع ، فإن وجعه يزول في الحال ، قاله في « الآثار ». ومن العجائب المشهودة بهذا الخليج : البرج القائم في وسط مائه التيار .

ثم إنا سرنا ، وقد زمجرت تلك الرعود ، فشهدنا ذلك اليوم الموعود .

في يــوم بــرد تــرى أنفــاسه　　تشوّه الأوجه من قَرْصها[1]
تــودّ فيــه الشمس مــن برده　　لــو جرّت النار إلى قُرْصها

وقــال :

قالوا أضرّ بنــا السحاب بقطره　　لمــا رأوْه لعبرتــي يَحكــي
لا تعجبــوا ممــا ترونْ فإنّمــا　　هذي السماء لعبرتــي تبــكي

ثم أتينا على قبيزه ، وهي بلدة بديعة المعاني ، آهلة المغاني ، فنزلنا بخانها الأمين المأمون ، وقد رمينا بسهام بردها الميمون ، وقد أوقدوا الحطب بذلك الخان ، حتّى كادت الانفس تزهق لتكاثف الدخان .

وهكذا المــرء في أيّــام غُربتــه　　يلقى من الضَيْم ما لم يجْرِ بالبال

ولما كان آخر الليل ، قمنا منه حتّى أتينا على خليج الديل وقت الشروق ، وهو أوسع من خليج اسكدار ، فقطعناه في مركب صغير ، ثم مَرَرْنا بالديل ، وهو اسم لقرية لطيفة ، فلما كان بعد الظهر ، أتينا على جاور كوى ، ومعناه قرية نصارى ، وفيها نهر عظيم يدور بتلك الشعاب ، وفيها اجتمعنا بأمين الصرّة الأمير محمود أغا ، ولما هدأ الليل قمنا نقطع هاتيك القِلال ، وأنا بحال من قال :

---

(١) ماذا ترى في « ترى » ؟ لو كانت بري او لسع او نحو ذلك لكان بها أحرى .

قلبي الخَفُوق ومدمعي الجاري دما مهما جرى ذكر العَذيب أو اللّوى
وإذا تألّق بارق من بارِق فهناك يُنْشر من هواه ما انطوى[١]

فلما كان الضحى أتينا على ازنيق ، وهي بلدة مسوّرة ، بها الجداول والأشجار المختلفة الثمار ، وإليها ينسب الفخار الازنيقي ، لأنّ بها مصانعه وأحجاره ، ثم أتينا على لفقة ، وهي قرية لطيفة ، ذات أشجار يانعة وريفة ، ثم أتينا على سقوت ، وهي بلدة رحيبة الجناب ، مخضّرة الأرجاء والرحاب ، ثم أتينا على أسكي شهر ، ومعناه بلدة قديمة ، وقد حفّت بالأشجار ، وجرت بين رياضها الانهار ، ومن العجائب بها حمامها الذي ماؤه أحرّ من الجمر ، من غير صنعة بشرية ، لأنّ منابعه من معادن كبريتية ، وبها النهر التيار الذي لا يجاز إلا من جسره .

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثا ويوماً له يوم الترحّل خامس

وعلى ذكر الجسر :

خطّ على ماء الشباب الذي بخدّه جسر من الشعر
صار طريقاً لي إلى سلوتي وكنت فيه موثق الأسر

وقال :

ومّما قضى الدهر الملمّ بنَزْلة على الفرس الميمون يبقى بها كَسْري
ولما قضى لم أقض غير تعجب ولكنْ رأيت اليسر يدنو مع العسر

فاكتَريْت بها بغلا لا نَقْص في معايبه ، ولا يوجد ما يدانيه في مَثالِبِه[٢] ،

---

(١) الخفوق : المضطرب الكثير الخفقان .
والعذيب واللوى وبارق الثانية مواضع يكثر الشعراء من ذكرها والحنين اليها .
أما بارق فهو ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهناك بارق آخر بتهامة او اليمن ، وهذا انما هو جبل ، كماأن باليمامة جبل يدعى بارقا .
وأما العذيب ، فهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال ، والى المغيثة إثنان وثلاثون ميلا .
واللوى : واد من أودية بني سليم .
(٢) المثالب : المعايب ، جمع مثلبة وهي المسبة .
والحسير : الكليل الضعيف .
والحرج هنا الاعتراض .

فما زلت أسير به وأنا معه أسير ، وما زال يسير بي والطرف منه حسير :

أسيرُ مثل أسيرٍ وهو يعرُج بي ... كأنّه نازل ينْحَطّ من دَرَجِ
فإن رماني على ما فيه من عرج ... فما عليه إذا ما متّ من حَرَجِ

وقال :

وقد كان مركوبي أعزّ خيولهم ... واكرمهم إذ كان وافي الشرائط
وكنت عليه مطمئناً وثابتا ... كأنّيَ منه راكب فوق حائط

ثم أقمنا على بلدة السلطان السيد غازي ، وهي بلدة آهلة المغاني ، بديعة المعاني ، سُميَت باسم فاتحها في سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، وقبره على الجبل المطلّ عليها ، وعليه مدرسة عظيمة ، وحولها منازل عامرة بسكانها ، ثم أتينا على ينكي خان ، ومعناه الخان الجديد ، وهو من بناء الوزير خسرو باشا ، عمّره سنة تسع وثلاثين وألف ، وحوله منازل حدثت بحدوثه ، ثم أتينا على بياض ، وهي قرية قوية البرد والأهوية ، وذلك لكثرة الثلج على جبالها ، وشدّة أخلاق رجالها .

ومن العجائب أن أقيم ببلدة ... يوماً وأسلم من أذى أحوالها

قال البصير : الثلج ما تصاعد من البحر إلى كرة الزمهرير ليكون مطرا ، فتنعكس عليه الرياح الباردة ، فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس ، كالدقيق ، وهو بارد في الثالثة يابس في الثانية ، ونفعه في الحمّيات الحارّة والحكّة وضعف المعدة عن الحرّ ، ويسمن الحيوان غير الانسان .

والثلج في الروم قد شاهدت موقعه ... كأنّه القطن يهوى وهو مندوف

وقال :

انظر إلى وسط البسيطة أبيا ... لم تبد فيه شامة سوداء
كَرُمَ السحابُ فعمّ بالثلج الثرى ... إنّ الكريم له اليد البيضاء

تقيّ الدين السبكي :

أقول للسَرْو إذ كساه ... ثلج بدا نوره وأنْهج
زُمُرّد أنت في لُجَيْن ... فقال أبهى سناً وأبْهَجْ

ثم أتينا على قرية تسمّى بلاوضون ، وهي كثيرة الخيرات ، بها الاشجار

المؤتلفة ، والأزهار المختلفة ، ثم أتينا على آق شهر ، ومعناه قرية بيضاء ، وقد اخضلّت في أرجائها الأشجار ، وتغنّت على أغصانها الأطيار ، وفيها جدول ماء يدور بشوارعها ، وبالقرب من خانها جامع جمع المحاسن ، وهو بناء الوزير حسن باشا ، وتاريخه «غيط»[١] ، ولها تربة معمورة ، وقبورها مبنيّة بالأحجار المخدومة ، كمقابر الروم :

وما ينفع الإنسان بنيان قبره　　إذا كان فيه جسمه يتهدم

وفيها ضريح الخواجه ناصر الدين ، صاحب التفسير ، المتوفى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، والعامّة تزعم أنّه جحا الذي يضرب أمثاله في الجدّ والهزل ، وهو من فزارة ، وكنيته أبو الغصن . قيل : كان يحفر بظهر الكوفة ، فقيل له : ما لك ؟ قال : دفنت دراهمي هنا وما اهتدى إليها ، فقيل : كان عليك أن تعلّمها ، قال : قد فعلت ، قيل : ماذا ؟ قال : كانت عليها سحابة تظلها . والحكايات عنه لا تكاد تضبط كثرة ، كذا في «المستقصى» . ورأيت في بعض التعاليق ، أنّه كان فاضلا ماجناً ، وقد عمل الناس على لسانه كثيرا من النكت والنوادر ، كما عملوا على لسان المجنون ، ولابن أبي اليمن الغفاري مؤلف في ذلك يشتمل على ألف ورقة . حُكِيَ عنه أنّه سُئل مرّة عن القيامة فقال : بموتي تقوم .

حكِيَ أن الزهراء بنية من عجائب الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله الملقب بالناصر، أحد ملوك بني أميّة بالأندلس ، بقرب قرطبة ، في أوّل سنة مائة وخمس وعشرين[٢] ، ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلث ميل ، وطول الزهراء من الشرق والغرب ألفان وسبعمائة ذراع ، وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع ، وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية ، وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب . وكان الناصر المذكور يقسّم جباية الأموال ثلاثاً ، فثلث للجند ، وثلث مدخّر ، وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت

---

(١) غيط = ١٠٠٠ + ١٠ + ٩ = ١٠١٩ .

(٢) عبد الرحمن الناصر — باني الزهراء — تولى الخلافة بالاندلس سنة ٣٠٠ وتوفي سنة ٣٥٠ عن ثلاث وسبعين سنة ، فما ذكرة المؤلف لاياتلف وهذا ، الا اذا كانت أصابع النساخ عبثت بها فحرفتها من ثلاثمئة وخمس وعشرين الى مئة وخمس وعشرين .

جباية الاندلس خمسة آلاف ألف دينار واربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق المستخلص سبعمائة ألف وخمسمائة وستون ديناراً ، وهي من أهول بنيان الدنيا وأجلّ خطراً ، ذكر ذلك ابن بشكوال في «تاريخ الاندلس» .

ثم أتينا على ايلغين ، وهي بلدة عظيمة ، وبها جامع لا نظير له في تلك الجادة ، بني باسم السلطان مراد سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، وعليه أوقاف وصدقات ، ولها برد كأنّه ضرب المسامير ، لكثرة الثلج والهواء البارد في شمس الحمل[1] ، وفيها حمّام للرجال وحمام للنساء ، وماوه حار لا بصنع البشر ، وفيها أبنية محكمة عالية تدلّ على عِظَم بانيها .

ثم أتينا على لادك ، وهي خيف لطيف .

ثم إنّنا قدمنا قونية ، فنزلنا بجوار الملاخنكار صاحب المثنوي ، وأقمنا بها ثلاثة أيّام ، كأنّها ساعة من منام ، لما فيها من الخيرات وصفاء الخاطر ، وهي بلدة عظيمة مسوّرة بسور يعرب عن قوّة بانيه حكى السيوطيّ أنّ مروان آخر ملوك بني أمية افتتحها سنة ست ومائة ، وهي كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، محفوفة بالأزهار ، أهويتها كأنّها تهبّ بنسمات الأسحار ، رأيت بهاخمسين حانوتاً تصنع بها الحلوى الملوّنة ، ولايبقى آخر النهار منها شيء ، وهي منتصف الطريق إلى حلب ، وللملا في ضحوة الخميس والاثنين وبعد صلاة الجمعة ، حضرة بالدفوف والقصب ، تأخذ بمجامع القلوب الخليّة ، فيتواجدون عليها :

قال :

ومن يك وجده وجداً صحيحاً — فلم يحتج إلى طرب المغنّي
له من وجده طرب بديع — وسكر دائم من غير دنّ[2]

---

(١) أي عندما تكون الشمس في برج الحمل ، وذلك في الربيع .

(٢) الدن — وجمعه دنان — الزق الكبير ، ويكون غالباً من الفخار . وما أشار اليه الشاعر هو الصحيح ، فإن الاغراض الشريفة لايتوصل اليها بالوسائل السخيفة ، والخلال الكريمة لاتتفق والاعمال الذميمة ، والخسيس لايؤدي الى النفيس .

والرقص في الذكر اجمع فقهاء الإسلام من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والصوفية على تحريمه ، والجهال المتأخرون يتبرأ منهم الصوفية المتقدمون . فإن رافق الحضرة ضرب الدفوف والزمر خشي على مستحل ذلك الكفر :

←—

وقال غيره ، ولا يزالون مختلفين :

ما في التواجد إنْ فكرت من حرج ... ولا المثاني ، ولا الأصوات تعجبني
فكلّ معنى بديـــع مـــن محاسنه ... وكل ناطقة في الكون تطربني

ثم سرنا نقطع تلك القفار ، ونجوب هاتيك الحرار ، حتى أتينا على أسمل ، وهـــي قرية لطيفة .

ثم أتينا على قرابيار ، ومعناه العين السوداء ، وهي قرية مخضرة الأكناف ، وفيها خان وجامع فيه مياه يَردُها المسافرون ، وفي جنوب القرية بالقرب من الاكـــام ، قليب ماؤه سائغ ، ترده أهل القرية إذا قصّر ماء الجامع .

ثم لم نزل نسير في واد فسيح الرحاب ، حتى أتينا على أركلى ، وهي بلدة عامرة ، وبساتينها زاهية زاهرة ، وبها نهر لطيف يطوف بأكنافها ، وهي من بناء هِرَقلينوس ، يقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعوه الى الإسلام ، فقال بلدي قليلة الماء وأريد أن يجري فيها نهر ، فقال خذ آية من كتاب الله تعالى وأكتبها في ورقة وضعها في أي موضع شئت ينبع فيه الماء ويعم بلدك ، فحكي ذلك لبطارقته فوعدوه بالإسلام إن صحّ ذلك ، فكتب آية من كتاب الله تعالى ، وأتى إلى شعب يابس عندهم ،

← ومـــن يستحل الرقص قـــالوا بكفره ... ولا سيما بـــالدف يلهو ويزمـــر
وذكر الله عز وجل أشرف واكرم من ان ينحط به الى هذه الترهات .

وقد نقل القرطبي عن الإمام الطرسوسي انه سئل عن قوم في مكـــان يقرأون شيئاً من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال او لا ؟ فأجاب : مذهب السادة الصوفية ان هذا بطالة وضلال . وما الإسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واما الرقص والتواجد فأول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، وهو — اي الرقص — دين الكفار وعباد العجل وانما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد وغيرهم من ائمـــة المسلمين . اه . كلام هـــذا الإمام ، فتأمله واحفظه فإنه الحق وغيره باطل غايته القطيعة والآثام .

وفي حاشية ابن عابدين « ٥ — ٢٣٠ » : . . وفي الملتقى : وعـــن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره رفع الصوت عند قراءة القرآن والجنازة والزحف والتذكير ، فما ظنك به عند الغناء الذي يسمونه وجـــداً ومحبة ، فإنه مكروه لااصل له في الدين . قال الشارح زاد في « الجوهرة » : وما يفعله متصوفة زماننا حرام لايجوز القصد والجلوس اليه ، ومن قبلهم لم يفعل ذلك .

ووضعه في شق صخرة ، فنبع الماء وعم جميع بلده ، فآمن هو وأهل دولته[١] وجعل جميع ما يصل إليه هذا الماء ، وقفا على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي إلى الآن يضبط ما فيها لجهة المدينة المنورة ، فيها دور كثيرة ، وحولها نحو ألف وخمسمائة بيت ، وقرى وضياع وبساتين ، وجامع وقاضي .

ثم أتينا على خان محمد باشا ، وهو بناء محكم ، وعنده قرية لطيفة ، وقبله عقبة ينزلها الراكب كرامة للسلطان مراد ، زعموا أنّه نزل عندها ومشى على قدميه ، ولعلّ ذلك شفقة على الدواب .

ثم سرنا بين رياض وازهار ، وحِياض وأنهار ، حتى أتينا على العقبة ، ومـا أدراك ما العقبة ، فيا لها من عقبة نالنا منها أليم العقاب ، ومسّنا من بردها أحر العذاب .

ثم أتينا على جفته خان ، ومعنى جفته زوج ، وذلك لأنّ هنالك خانين متقابلين .

ثم أتينا على خان بيري باشا ، فسرنا على أطراف تلك الجبال ، لغزارة تلك الأنهار ، ثم أحوج الأمر إلى خوضها فدخلناها ، وكنا نخوض مع الخائضين[٢]، وهي أربعون مخاضة ، وكلّها من نهر واحد يدور في تلك الشعاب .

ثم أتينا على جاووش خان ، وهو بين رياض تتعبق ، وحياض تتدفق .

ثم أتينا على وادٍ مخضلّ ، فيه نهر غزير ، يقال له شاقط .

ثم أتينا على أدنهً ، وشاهدنا رياضها الحسنة .

دخلتهـا وشعـاع الشمس متّقد وحرّها في الحشا تذكو هواجره[٣]

---

(١) وقد علق الشيخ محمد نصيف بأن هذة الحكايات المكذوبة هي دليل محترفي الحجب والتمائم .

(٢) سبق ان ذكرنا تحذير العلماء من استعمال القرآن في غير ما انزل له ، وكيف انه اذا كـان ذلك في معرض المزاح والتهريج والاضحاك فإن كثيراً من العلماء حكم بكفره ، بل لقد حكموا بذلك على مزاجتمع عنده اصحابه فقال مازحاً : وجمعناهم جمعا .

وقد ادى اهمال هذا بالمؤلف الى ان اقر — كما ترى — بما يقر بـه اهل الجحيم ، وقانا الله منها ، (ماسلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين . .) .

(٣) مخضل : مندى مبتل .

والحشا — وجمعه احشاء — : مافي البطن .

وتزكو : يشتد حرها .

وهواجر جمع هاجرة، وهي شدة الحر .

وصرف الزمان : نوائبه وحدثانه .

ودارت دوائره اي وقعت نوائبه ودواهيه .

في موكب من عيون لو رَميْت بها   صرفَ الزمان لما دارت دوائره

وهي بلدة حسنة الترتيب ، بديعة الوضع العجيب ، عمارتها عثمانية ، وقلعتها سليمانية ، وبها عمارة الأمير خليل بن رمضان باشا ، من الطوائف أيام الجراكسة من بيت السلطنة ، وكانوا تارة يطيعون صاحب مصر ، وتارة يطيعون صاحب الروم، وفيها الجوامع والمدارس ، وعلى نهرها جسر يشتمل على خمس عشرة عقدا ، وعليه دولاب عجيب الوضع ، يقال لهذا النهر سايح ، وربما قيل سيحون ، ولعله شبيه به ، قال ابن خلّكان : سَيْحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت ، وهو وراء جيحون ، فيما وراء بلاد الترك ، وبينهما مسافة خمسة عشر يوما ، وهذان النهران ، مع عظمهما وسعة عرضهما ، يجمدان في زمن الشتاء ، وتعبر القوافل عليهما بدوابها وأثقالها ، ويبقيان كذلك ثلاثة أشهر ، انتهى من «وفيات الاعيان» من ترجمة أبي طالب محمد أول ملوك السلجوقية .

وعلى ذكر الدولاب :

أبدى لنا الدولاب قولا معجباً   لمّا رآنا قادمين إليه :
أبكي وأشكو ما لقيتُ من الهوى   قلبي معي وأنا أدور عليه !

وقال الذهبي :

وروضة دولابها   إلى الغصون قد شكى
من حين ضاع نشرها   دار عليه وبكى

ورأيت بها عِنباً أحمر شديد الحمرة في كبر البيض ، وبها من أنواع الفواكه شيء كثير ، وأهلها يرحلون منها أيام الصيف إلى الايلة ، إلا العاجز الذي حبسه عجزه .

أقمت بها يوماً تقضّى كأنّه   خيال غزال زار وَهْمَ حبيبه
ويوماً حكى طيب الوِصال وثالثا   تقاضت به الأرواح نفحة طيبه

ثم برزت منها ورحلت عنها ، والقلب يتأسّف عليها ، والنظر يتشوّف إليها ، حتّى أتينا على نهر عظيم يقال له جايح ، وعليه جسر عظيم ، ويقال إنّه يتصل

بجيحون ، النهر العظيم الفاصل بين خُوارزم وبلاد خُراسان وبين بُخارى وسَمَرْقَنْد ، وكلّ ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر .

ثم أتينا على قرط كلال ، في ليلة النصف من شعبان ، وفي مثل هذه الليلة يستدبر الإنسان القمر ، ويكشف رأسه ، وينظر إلى ظلّ عُنُقه في ضوء القمر ، فإن وجده مخلصاً فإنّه لا يموت في ذلك العام ، وإن كان لاصقاً بين جنبيه فإنّه يموت فيه ، ومثل ذلك ما يفعل وقت شروق الشمس عند حلولها برج الحَمَل ، ونحو ما يُروى أنّ من رأى السُها ليلة المحرم بين العشاءين ، لم يمت في عامه ، والسُها ثابت في الخامس والسادس على العناق ، وهو الثاني من البنات ، ومن علامته أنّه لا يثبت عليه البصر . كذا في «برهان البراهمة» وعلى ذكر السها :

وحَمَلت أعباء الغرام وثِقْله ... فردا وحاربت الزمان وحيدا
ورَعَيْت أنْجُمه فأكسبَتْ السها ... سقمي واكسَب جفني التسهيدا

وقال :

يا شَمالا هبّ من أكناف من ... وكّل الطَرْف بأن يرعى السُها
خبّرني هل حبيبي ذاكر ... ليَ أم عمّا ألاقيه سَها

وقال :

تالله ما فارقتُ أرضاً لكمْ ... إلا ورافقتَ السَها والسُهاد
ولا توجّهت إلى نحوها ... إلاّ وواجهت الرَشا والرّشاد

وقرط كلال هذا ، واد فيه خانات متعدّده ، وأرضه معْشِبة جيّده ، وماؤها مَعين ، ولها بادية تأتي إلى الركب بما يحتاج إليه .

ثم أتينا على ياباس ، فلم نزل نسير في أوْعار وأحجار وأنهار ، حتّى أشرفنا على بساتينها التي طابت بالانفاس ، وشاهدنا محاسنها القائل لسان التصديق في جواب الإستفهام عنها لا باس :

لله كم نزهة يا صاح قد جمعت ... في روضة أزهرت تُدعى بياباس
وكم بديع سبت عقلي شمائلُه ... ورُحت من فرحي بالوهم في ياس

وهي بلدة على ساحل البحر الشامي .

ثم توجّهنا فمررنا بقرية لطيفة يقال لها اسكندرونة ، وهي آخر ساحل مررنا به في تلك الجادة .

ثم أتينا على جبال ومحاجر إلى بيلان وهي بلدة على رأس جبل ، كثيرة الماء والخيرات ، ثم أتينا على المفرق الذي منه طريق إلى حلب وطريق إلى انطاكية وكانت مرحلة مشطة[١] .

فائدة : المراحل الرومية مقدرة المسير بالساعات ، ورأيت في ذلك مؤلفاً عند الامير محمود آغا أمين صرة الحرمين ، والمراحل الشامية مسافتها مقدرة بالبرد[٢] . والمصرية بالدرج .

ثم نزلنا على العين البيضاء ، وهي قرية أهلها رعاة ، وماؤها ينبع من بين الصخور ، ولا تكاد تسلك أيام الامطار ، وهي مخضرّة الاكناف .

ثم أتينا على جبل الغاوي ، وهو صعب المسلك ، ومساحته ثلاثة أميال ، ومن أعلاه ترى حلب ، فلم نزل نقطعه ، وحوافر البغال تكاد تتقطّع ، وأظافر الرجال تكاد تتقلّع ، حتى أتينا على واد فيه مزارع وآبار ، وفي غربيه من منتهى جبل الغاوي صهاريج متعددة منحوتة ، وفي شرقيه بناء قديم يقال له قبر الأربعين ، فلم نزل نسير في محاجر وأوعار ، حتّى أتينا على قرية التين ، وقد أبادتها الليالي ، ثم على انجاره ، وهي عين جارية في بطن الوادي .

ثم قدمنا حلب المحروسة ، وانتشقنا عبقة بساتينها البهية المأنوسة ، وحمدنا الله تعالى على الخلاص من تلك الطريق التي هي غير قويمة ، وفراق هاتيك المنازل التي هي كما يقال خداج عقيمه ، فأوّل مسرّة قرّت بها العين ، وسُرّ بها الجنان ، دخولنا إلى فردوسها من باب الجنان :

---

(١) لم ندر ما مشطة هذه ، ولعلها مشقة .

(٢) البرد جمع بريد ، وانظر ابيات ابن الحاجب المالكي في صفحة١٨٧ ، وقوم قوله قبيل الابيات : « والبريد مقدر بألف باع » فاجعل الميل بدل البريد ، كما هو واضح ، ولعلك فعلت .

عليـــك بصهوة الشهبـــاء تكفي   بجَوْشَنها محاربـــة الزمان[١]
فللغرفـــات في الفـردوس طيب   يفوح شذاه من باب الجنان

فنزلنا من تلك الأحياء ، بوجوه زانها الحياء ، وقد جادت السماء بوابلها ، وفاضت بطَلّها وهاطلِها ، فيا لها من[٢] بلدة كما تصفها الألسن ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين .

فسقا ديـــارك غـــير مفسِدهـــا   صوب الغمام وديمَة تَهْمـــي

ولمـــا حللت حِماها ، صانها الله وحَماها ، شكرت أيادي النوى ، وجريت طلقاً مع الهوى ، لولا ما يطرق القلب بأشجانه ، من تذكار الوطن وسكّانه .

فلو أنّـــني في جنّة الخلد بعدها   ذكرت ولا أنسى للذّاتها أنسا

فنزلت بالقرب من باب الفرج ، وانتشَقْت طيب ذلك الأرَج ، وأقمت وأنا لا أشتهي الرحيل ، وإن كان ذلك طمعاً في مستحيل :

دخلنا عـــلى أنّ المقـــام ثلاثـــة   فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

فائدة : حلب هذه ، المدينة الشهباء ، وهي من أوسع البلاد قطراً ، وأنْجَعِها قطرا ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة التربة ، لها سور حصين ، وقلعة بديعة المثال ، منيعة المنال .

ذكر اليافعي في «تاريخه» في حوادث سنة ٥٨٣ ما ملخصه ، أنّه لما فتح صلاح

---

(١) الخداج : النقصان في الشيء . وصهوة الفرس : مقعد الفارس منه . والشهبـــاء هي حلب . والجوشن : الدرع وكذلك هو الصدر ، وليس المقصود هنا هذا ولا ذاك ، بل جبل مطل على حلب ، في غربيها ، في سفحه مقابر للشيعة . ومـــن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر ، وهومعدنه. وقداكثرشعراء حلب من ذكر هذا الجبل جداً .

(٢) كانت «فى» بدل «من» وتلاحظ انه تحريف وتصحيف .

وزانها الحياء : حسنها وزينها .

وسبق ان الطل: هو المطر الضعيف ، والوابل :المطر الشديد ، والهاطل :المطر المتتابع العظيم القطر .

وصوب الغمام : انصباب المطر منه . والديمة ــ جمع ديم وديوم ــ مطر دائم في سكون بلا رعد ولا برق . وتهمي : تسيل لايثنيها شيء .

الدين مدينة حلب ، أنشده القاضي يحيى شرف الدين أبو المعالي بن الحسن علي[١] محمد القرشي العثماني الأموي ، قصيدة أجاد فيها كلّ الإجادة ، وكان من جملتها هذا البيت :

وفتحك القطعـة الشهباء في صفر مبشّر بفتوح القُدْس في رجب

فكان ما قال ، فتِحتْ لثلاث بقين من رجب سنة ٥٨٣ ، فقيل له من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن مرجانة في قوله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلَبهم سيَغلبون في بضع سنين) والمنقول عن ابن مرجانة أنّه ذكر حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك من قوله (بضع سنين) انتهى المنقول من التاريخ .

قال الزّجّاجي : وكان الخليل عليه السلام يحلِب غنمه بها ويتصدق بثلثه ، فيقول الفقراء على سبيل الاستفهام : حلب ؟ فسمّيت بذلك . وقيل : كانت له ناقة شَهْباء وكان يفعل بها كذلك .

أرتك يـدُ الخير آثارَهـا وأخرجت الأرض أثقالهـا
وما منعتْ جارَهـا بلـدةٌ كما منعت حلب جارهـا
هي الخلد تجمع مـا يشتهى فزرها فطوبى لمـن زارها

وقـال :

حلب الشهبـاء قالـت سائـر المدن عبيـدي
وأنـا بخـتي ورخـتي بـين سعـد وسعيـد

وقـال :

غدت حلب تقول دمشق حُفّت بأنـواع مـن الورد العجيب

(١) هكذا ، ولعلها : . . ابـو المعالي بن الحسن بن محمد القرشي . . والبيت الذي اورده عقب ذلك : وفتحك القطعة الشهباء . . يبدو وكأنه اصابه تحريف ، وربما كان : وفتحك القلعة الشهباء . والملك المؤيد ينسب القصيدة لمحي الدين بن الزكي قاضي دمشق ، ويورد البيت : وفتحكم حلباً بالسيف في صفر .

والمرجع الموثوق في هذا ابن خلكان الذي فصل كل هذا في الجزء الاخير، في : «صلاح الدين يوسف» .

فبالجُورِيّ إن هـي كاثرتـني　　قنعت أنـا ببستان النقيـب

رأيت بها الأبيض اليقق ، والأسود الحالك ، والاصفر الفاقع ، ورأيت بها أنواعاً من الأزهار العطرة ، وأما المأكول فهو فيها على ضروب مختلفة ، وأما قلعتها فهي من عجائب القِلاع في حسن الاوضاع . قال القزويني : ولها نهر تيار يأتيها من جهة الشمال يقال له قويق بالتصغير ، فيخترق أرضها ، ولها قناة مباركة تخترق شوارعها ودورها وحماماتها ، وماؤها عذب فرات ، ولها القلعة الراسخة ، يقال إنّ في أساسها ثمانية آلاف عمود ، وهي ظاهرة الرؤوس بسفحها ، وأبناؤها أهل السماحة والجود .

حُكيَ أنّ شخصاً كان بها ، يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف مالا كثيرا ، فأنفقه على الشعراء والزوّار ، فقصده البحتريّ وقد أعدم ، فلما قدم إلى حلب ، قيل إنّه قعدَ في بيته لديون ركبته ، فاغتمّ لذلك وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه ، فلمّا وصلته بكى ، وأمر غلامه أن يبيع داره ، فقال له : تبيعها وتبقى عـلى رؤوس الناس ؟ فقال : لا بـدّ من ذلك ، فباعها بثلاثمائة دينار ، وكتب معها :

لو يكون الحِباء حسب الذي أنـ　　ـتَ له عندنا محلّ وأهـل
لَحَثَيْتُ اللجـيْـن والدرّ واليا　　قوت حَثوا وكان ذاك يقلّ
والأديب الأريب يسمح بالعـذ　　ر إذا قصّر الصديق المقـلّ

فلما وصلتْ إلى البحتري ردّ الدنانير وكتب معها :

بأبـي أنت ، أنت للبرّ أهـل　　والمساعي بعد وسعيك قبـل
والنـوال القليل يكثر إن شـا　　ء مرجّيـك والكثـير يقلّ
غـير أنّـي رددت برّك إذ كا　　ن ربا منك والربـا لا يحلّ
وإذا مـا جزيت شعـراً بشعـر　　قُضي الحقّ والدنانـير فضل

فلمّا عادت الدنانير اليه ، ضمّ إليها خمسين أخرى وحلف أنه لا يردّها عليه ، فلما وصلت إلى البحتري أنشأ يقول :

شكرتك إنّ الشكر للعبد نعمـة　　ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكلّ زمـــان واحد يقتدي بـــه   وهذا زمان أنت لا شكّ واحده

انتهى من «النوادر المأنوسة في أخبار حلب المحروسة» .

ليس العطاء من الفضول سماحـــة   حتّى تجـــود وما لديك قليل

ومنها ما يُحكى أنّ شاعراً قصد الجواد الأفضل ، وكانت له أيام يَحْتجِب فيها ، فصادف أيام الإحتجاب ، فكتب في رقعة :

ماذا أقول إذا رجعت وقيـــل لي   ماذا رأيتَ من الجواد الأفضل
إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل   بخل الجواد بماله لم يجْمُـل
فاخـــتر لنفسك ما أقول فإنّـــني   لا بدّ أخبرهم وإن لم أسأل

ثم طوى الرُقعة وجعلها في قصبة وختمها بشمع وأرسلها في قناة تسير بين يدي الجواد ، فلما وصلت إليه ونظر فيها أمر له ببدرة مال ، وكتب معها هذه الأبيات :

عاجلتنا فأتـــاك عاجل بـــرّنـــا   قِلاّ ولو أمهلتنا لم نُقْلِـــل
فخذ القليل وكن كأنّك لم تَسَل   ونكون نحن كأنّنا لم نسأل

فلما خرج الخازن ودفع إليه المال قال الشاعر :

يـــا أيّهـــا المولى الـــذي   أضحى وليس لـــه نظير
لـــو كان مثلـــك آخـــر   ما كان في الدنيا فقـــير

ويُحكى أنّ رجلا قصد سيف الدولة ، وقد عمّ القحط ، واشتدّت الأزمة ، وقلّ المسعِد ، واستوى المقِلّ والمُكْثِر ، والغنيّ والمعسر ، فكتب اليه رقعة ، وكان له إلى الفضل ميل ، وله على أهله أياد طويلة الذيل ، وهذه صورة الكتابة : لقد عرضَت فاقة أسقطتْ رداء الحياء عن مَنْكِب الحريّة ، وأنطقت لسان التعفّف على خلاف العادة بالمسألة ، وأحوجت أهل الصيانة إلى تحمّل ذلك الإبتذال ، وقد وقع في النفس ، أنّ في رأفة مولانا وبرّه ما يكشف ضَرّا ، ويستوجب على الأبد حَمداً وشكرا

فامـــننْ بمـــا يغني ويثمر دائمـــا   حمداً يدوم على مدى الأيـام

فلما وقف على ذلك وقع منه بموقع ، فأرسل على يد غلام ما دفع الحاجة ، فكتب على يد الغلام :

شكـرتـك عنـي كلّ قافية ... تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأتَ بما مننتَ به ... كفّ الرجاء ومنتهى الأمل

فلما وقف على ذلك طرب له وقال : هذا الرجل أهل للإحسان إليه ، فاستدعاه وأغدق عليه بلطائف برّه .

وهكذا المجد إن صحّت قواعده ... ليس التكحّل في العينين كالكحَل

أقول : خفّضْ عليك ، فلو أتيت بألف مجلّد ، فيها أخبار مائة ألف جواد ، لم تجد من يجود عليك بسماع قصة من تلك القصص ، إلا على توهّم أنّه أخف ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وما أعجب ما قال :

لا تمدحنّ ابن عباد وإن هطات ... كفّاه بالجود حتّى أخجل الديَما
فإنّها خطَرات من وَساوِسه ... يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

ومن محاسن الشهاب الحلبي :

شوقي شديد إلى لقياكِ يا حلبُ ... من نازح شفّه في بعده النصَب
فلاعج الشوْق قد أودى تضرّمه ... وهذه المهلكات الوَجْد والوَصَب
إن كان منك محبّ قد نأى فله ... قلب لديك لما قد ناله نَحب
يا بلدة ألبستني بالبها حُللَا ... من الفخار سقا أرجاءك السحب
حيّاك هاطِل مُزْن جاد وابله ... واعشوْشَب الروض واخضرت بك القُضُب
ولا عداك من الخيرات وافرها ... فربْع واديك رَحْب يانِع خصِب
ولي لديك أخلّاء وإن هجروا ... فشخصهم في سويدا القلب منتصب[١]
أفديهم أسرة عالٍ مقامهم ... قد زانهم في الورى الافضال والحسب
بيض الوجوه كرام ما لفخرهم ... حدّ وشأنهم الإكرام والأدب

فأقمت في ربعها المنيع ، وجنَيْنا من ينَيعها المريع ، في رياض تسلسلت جداول مياهها ، وقصور تزين الأفق بنجوم سمائها ، مع إخوان الصفا ، وخُلاّن الوفا .

---

(١) النازح : البعيد . وشفه : اوهنه . واللاعج وجمعه لواعج : الهوى المحرق . وتضرمه : اشتعاله . والوجد : الحب الشديد . والوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم والتعب . والنحب : الباكي بصوت . والمزن : السحاب . واليانع : الذي ادرك وطاب وحان قطافه . وسويداء القلب : حبته

هكـذا أقطـع الزمـان سرورا　　لو على وصله وجدت اقتدارا
وجَنانـي يقول عنـه لسانـي　　لو دنا الحيّ أو وصلت الديارا
أين من رتبتي الملوك وأنـّـي　　أيـن اسكندر الزمان ودارا[١]

ولما كان آخر شعبان المكرّم ، رحلنا ، فأتينا على سَراقِب ، وهي ضيعة لطيفة ، فيها خان وبها أبنية محكمة العمارة ، ومساجد وحمامات ، ثمّ أتينا على خان مرعى ، وهو بنيان عظيم ، وحوله زراعات ، وضيعة لطيفة .

ثمّ أتينا على المعرّة ، وهي بلدة كثيرة التين والزيتون ، وإليها ينسب أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري، صاحب التصانيف المشهورة ، والتآليف المذكورة ، يقال إنّه كان ينْتَحِل مذهب البَراهِمَة ، ولا يرى إتلاف الحيوان ، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، بمعرّة النعمان ، وجدّر في السنة الثالثة فعمي ، قرأ الفنون ، ونظم وله إحدى عشرة سنة ، وكان في غاية الذكاء ، وأعجوبة في الحفظ ، عاش ستا وثمانين سنة ، وأنشد عـلى قبره ست وثمانون مرثية ، من أجَلّها مرثية الشريف الرَضِيّ التي منها :

إن كنت لم تُرِق الدماء زَهادة　　فلقد أرَقْتَ اليوم من جفني دما[٢]

والناس يفاضلون بينه وبين ابن سِيده ، ويقولون : أعميان إمامان حافظان ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب . وله ديوان سمّاه سقط الزند ، شرحه كثير من العلماء ، منهم صدر الأفاضل ، وله من نظم لزوم ما لا يلزم خمسة أجزاء ، وله شعر نُسِب به إلى الإلحاد ، وقيل : موضوع عليه منه ، والله الهادي :

---

(١) كذا في الاصل . ولعلها : « ابن» وقد يكون: انىّ لهم هذه الرتبة ، واين منها اسكندر ودارا؟

(٢) اما قوله ان المعري ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمئة فخطأ او تحريف او تصحيف ، فولادة المعري كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمئة — وقيل ست وستين وثلاثمئة — واصاب انه عاش ستا وثمانين سنة ، فقد توفي سنة تسع واربعين واربعمئة . لكن العجب في دعواه ان الشريف الرضي — الذي سبق ان ذكرنا انه توفي سنة ست واربعمئة — قد رثاه ، وقد مات قبله بثلاث واربعين سنة . والذي رثاه بهذه القصيدة انما هو علي بن همام . والمعري وابن سيدة كانا في عصر واحد ، فقد توفي ابن سيدة سنة ثمان وخمسين واربعمئة عن نحو ستين سنة . وابن سيدة هو الحافظ ابو الحسن علي بن اسمعيل المرسي — نسبة الى مرسية من بلاد الاندلس ، وفق الله المسلمين للجهاد حتى يعيدوها وبقية بلادالمسلمين للإسلام — توفي بدانية — شرقي الاندلس — كان اماماً في اللغة ، صنف فيها « المحكم » المشهور و« المخصص »، وله غيرهما عدة مصنفات .

عقــول تستخفّ بهــا السطور ولا يدري الفتى لمــن الثبور
كتاب محمد وكتــاب مــوسى وإنجيل ابن مريم والزَبــور

ويمكن أن يكون المراد ، الذين يتبعون ما تشابه منه ، كما أخِذ على أبي طالب المكّي حيث قال : ليس على المخلوق أضرّ من الخالق ، من لم يفهم المراد ، فإنّ الله تعالى هو النافع الضارّ ، والإحتمالات كثيرة ، والصحيح أن المراد لا يدفــع الإيراد ، وعليه جاء «من فسّر القرآن الكريم برأيه فقد كفر»[١] ومنه :

راح مــن راح والثريّــا الثريّــا والسِماك السِماك والنسْرُ نسرُ[٢]
ونجــوم السماء تعجب منّـــا كيف تبــقى من بعدنا وتمرّ

وهذا كما تراه ، ليس نصاً في عدم فناء النجوم ، بل تأخرها عنّا ، ولا خلاف فيه ، غير أنّ النفوس لا تختار التقدم عليها إلاّ في الفناء ، ولا تحبّ تأخيرها إلا في البقاء ، وقيل إنّه تاب في آخر عمره ، وحسن اعتقاده ، كما قيل في الزمخشري . ونَسب إليه القرطبي هذه الأبيات في «تذكرته» :

يا من يرى مد البعوض جناحهــا في ظلمة الليل البهيم الألْيَــل
ويرى عروق نِياطها في نحرهــا والمخّ في تلك العظام النحّــل
أغفــر لعبد تاب مــن فرَطاته ما كان منه في الزمان الأوّل[٣]

---

(١) الحديث ضعيف . وكلام ابي طالب ان وجد لـه مايؤول بـه فإن الادب مع الله جل وعلا يلزم المسلم بغير هذه الالفاظ . ولنا ظاهر الكلام . (ز)

(٢) ابيات جميلة ، حملها على ماحملها عليه البعض تنطع وتحامل . والثريا : مجموعة من النجوم المتلألئة المتقاربة كالعنقود ، يميز صحيح البصر فيها ستة نجوم او سبعة . وبالنظارات ستة وثلاثين وبالمراصد الكبيرة نحو ستة آلاف ، وبالتصوير الفلكي ما لايعد . اما السماك، فن نجوم السماء الشديدة اللمعان ، وهما سماكان كما سبق ان ذكرنا ، السماك الرامح والسماك الاعزل . وكذلكّ فن النجوم المشهورة المتألقة : النسر الواقع ، وزميله النسر الطائر . وكل هــذه النجوم ، وملايين الملايين غيرها ، تدور ــ بحركة ظاهرية ــ حول نجم القطب ، راس بنات نعش الصغرى .

(٣) البهيم : الاسود الذي لاضوء فيه . والأليل : الطويل الشديد السواد . والنياط : التعليق ــ ناط ينوط نوطاً ونياطاً ــ والنوط : الشيء المعلق وجمعه انواط ونياط . والمخ ــ وتسميه العامة النخاع ــ : نقي العظم ولبه . والنحل : النحيله اي الرقيقة الهزيلة .

وقد لاحظ الاخ زهير الشاويش ان للأبيات رواية اخرى ، صدر البيت الثاني فيها : ويرى نياط عروقها .. وصدر البيت الثالث : امنن علي بتوبة تمحوها .

وحكى المقري في «تذكرته» أنّها للزمخشري . ولما دفن وجد مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة لطيفة صاغها الباري من النُطَف
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرة منه إلى الصَدَف

وأمر أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي علَيْ يَ وما جنيْتُ على أحد

ومن كلامه :

أبا العلاء بنَ سليمانا عماك قد أولاك إحسانا
لو عاينت عيناك هذا الورى لم يلْقَ إنْسانُك إنسانا

وله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطّمنا الأيام حتّى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وله :

من كان يطلب من أيّامه عجبا فلي ثمانون عاما لا أرى عجبا
الناس كالناس والأيام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

ومن نصائحه :

إذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا يدخلْ على الحرم الوليد
فإن خالفتني ونَبَذْتَ نصحي فأنت وإن أفدت غِنًى بليد

ثم إنا قوّضنا خيام المقيل ، وأخذنا في الرحيل ، فأتينا على خان الشيخون ، وهو في واد مُخْضَلّ ، وحوله ضيعتان بعيدتان منه .

ثم أشرفنا على بساتين حماة المورقه ، ومحاسنها المونقه ، وهي مدينة قديمة من عهد سليمان عليه السلام ، وجامعها كنيستها بالسوق الأعلى ، جُدّد في خلافة المهديّ ، وكان فيه لوح من الرخام مكتوب فيه أنّه جدّد من خراج حمص ، وكانت من أعمال حلب ، وكانت حمص كرسيّ هذه البلاد . ومن غرائب أخبار حماة أن الزكي بن عبد الرحمن لما اجتمع بالملك المظفر قبل أن يلي حماة أنشده :

متى أراك ومن تهوى وأنت كما ... تهوى على رغمهم روحين في بدن
هنــاك أنشد والآمــال حاضرة ... هُنّيت بالملك والأحباب والوطن[1]

فوعده أنّه إذا ملك حماه يعطيه ألف دينار ، فلما ملكها أنشده :

مولايَ هــذا الملك قــد نلتــه ... برغم مخلوق مــن الخالـق
والدهــر منقــاد لمــا شئتــه ... وذا أوان المـوعــد الصادق

فدفع له الألف ، وأقام معه ، ولزمته أسفار فأنفق فيها ذلك المــال ، ولم يحصل بيده زيادة على ذلك ، فقال :

ذاك الــذي أعطوه لــي جملة ... قــد استردّوه قليــلا قليـل
فليت لم يعطوا ولم يــأخـــذوا ... وحسبنا الله ونعم الوكيــل

فبلغ ذلك المظفر ، فأخرجه من دار كان أنزله فيها ، فقال في ذلك :

أتخرجني من كِسْر بيت مهــدّم ... ولي فيك مــن حسن الثناء بيوت
فإن عشت لا أعدم مكانا يضمّني ... وإن مت تدري ذكر من سيموت

فحبسه المظفر ، فقال : ما ذنبي ؟ قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وأمر بخنقه ، فلمّا أحسّ بذلك قال :

أعطيتني الألف إجلالا وتكرمة ... يا ليت شِعريَ أم أعطيتني ديّتي ؟

---

(١) يذكر ذلك الملك المؤيد — حفيد الملك المظفر المذكور — فيقول : . . وكان يصحبه — أي الملك المظفر محمود — وهو بمصر رجل من أهلها يقال له الزكي القومصي ، فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل — وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي ، لأن الكامل ابن العادل — فأنشده الزكي القومصي :

متى اراك كما اهوى وانت ومن ... تهوى كـأنكما روحان في بـدن
هنــاك أنشد والأقـدار مصغيــة ... هنيت بـالملك والاحبـاب والوطن

والقصة مذكورة أيضاً في فوات الوفيات ، ولا أذكر على أي الوجهين ذكر البيتين .

والملك المظفر هو تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب — وشاهنشاه هو اخو صلاح الدين — ولد سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، وتوفي ثامن جمادى الاولى سنة إثنتين وأربعين وستمئة بعد أن بقي في ملك حماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام . وكان شهما شجاعاً فطينا ذكيا يحب أهل الفضائل والعلوم .

فكان حاله كحال من قال :

وكنت كالمتمني أن يـرى فَلَقا   من الصباح فلمّا أن رآه عَمي

ولله درّ من قال :

ربّما يـرجـو الفـتى نفع فتى   خوفه أوْلى به مـن أملـه
رُبّ من ترجو به دفـع الأذى   سوف يأتيك الأذى من قِبَله

ولحماة النهر العاصي ، قال في « الخريدة » : وهو نهر حماة وحمص ، مخرجه من قدس ، ومصبّه البحر بأرض السُوَيدِيّة من أنْطاكِية ، وسُمّي العاصي لأنّ أكثر الأنهار تتوجّه إلى الجنوب وهذا يتوجّه نحو الشمال ، انتهى . وهذا التعليل إنّما يتم لو كان المتوجّه نحو الشمال هو وحده دون غيره من الأنهار ، فتأمل[1] .
وفيه الناعورة التي يضرب بها المثل ، وقد اكثر الشعراء فيها ، فمن ذلك :

ناعـورة في النـهر أبصرتـهـا   تشوّق الـداني والقـاصي
قـد نبهـتني للتـقى والهُدى   لأنّهـا تبكي عـلى العاصي

وقـال :

نَواعير في عاصي حَماة إذا بكت   عليه دعتْ من عَبرتي مدمعا قاصي
وإنّي عـلى نفسي لأجْدر بالبكا   إذا كانت الأخشاب تبكي على العاصي

وقـال :

حماة في بهجتهـا جـنّـة   فهي في الهـمّ لنـا جُنّه
لا تيأسوا مـن رحمـة الله قـد   أبصرتم العاصي في الجَنّه

وقـال :

وناعورة قـد ضاعفت بنُواحها   نُواحي فاجرت مقلتيّ دموعَها
وقد ضَعُفت مما تَئِنّ وقد غدت   من الضَعف والشكوى تعدّ ضلوعها

---

(١) تأملنا فوجدنا الملاحظة صحيحة ، لأن المقصود لانهار الأرض كلها وانما انهار تلك الناحية ، وكلها كدجلة والفرات والاردن والليطاني إنما تجري الى الجنوب . أما ان كان يشير الى السواقي فجهلي يحول دون احاطتي بها .

وقــال :

قــاسوا حماة بجِلّق فأجبتـــهم ... هذا قياس باطـــل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلهـــا ... شتّان بـين عروسها وحماتكم

وقــال :

تالله إن حماة شامــة شامــكم ... وعروسها بمحاسن متزايـــده
ودمشقكم بعـــذارها الشيبي قد ... ولّت شبيبتـــها وأمست بارده

وقــال :

قالوا تسلّى عـــن ثمــار شطوطها ... فأجبت لا والتــين والزيتون
يا عاذلين عـــلى محبّــتها لكـــم ... في ذاك دينكم ولي أنـــا ديني

في ناعورة لابن نباته :

وناعورة قالت وقد حال لونهـــا ... واضلعها كادت تعدّ من السُقْم
أدور على قلبي لأنّي فقَدتـــه ... وأما دموعي فهي تجري على جسمي

وقــال :

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه ... فيجلو طباق العيش بالمدّ والقصر
وقـــد أصبحت تلك الجزيرة جنّة ... ألم تنظر الأنهار من حولها تجري
تفوق عيونُ الزهر بين شطوطها ... عيونَ المَها بين الرصافَة والجسر
وإن جزُنْ تلك الغيد بين غصونها ... سلبْنَ الحشا من حيث أدري ولا أدري
فيا جيرة العاصي إذا ذقت ماءكم ... أهيم كأني قد ثَملْت من السُكْر
ولـــولا بقايا طعمه في مذاقـــتي ... لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري
وكم رام ذاك البحر يشبه لفظــه ... فقلت انزلوا يا قوم في ساحل البحر
فــآه عـــلى وادي حماة تأسّفا ... خلافاً لمن قد قال آه عـــلى مصر
فكم مـــرّ لي فيها حلاوة ليـــلة ... فكانت شبيه الخال في وَجْنة الدهر
وفي غيرها كم كنت أقضي لياليا ... تمرّ بلا نفع وتحسب من عمري

نكتة لطيفة : هجا بعض المعتزلة الإمام إسماعيل بن المقرى :

يقولون كذب المرء حيْض لسانه فما بال إسماعيلكم لم يزل مقرى

أراد بقوله : « كذب المرء حيض لسانه » : كانت تقول العرب حاض فلان أي كذب ، وبقوله لم يزل مقرى أي حائض ، فأجاب عن نفسه بقوله :

مدحتَ بما تهجو فأصبحت ضحكة فما القرء عند الشافعيّ سوى الطهر

الغزي :

إنّي أرى الجود بالدنيا إذا مُلِكت خيرا من الزهد فيها يا أبا الفرج

لا تعجبنّ لمــن أغنــاه عن أدب جهل فإن العمى أغنى عن السُرُج

أخفاك مكثُك في أرض نشأتَ بها وليس يُعرف قدر الدرّ في اللّجَج[1]

ثم أتينا على حمص ، وهي مدينة عظيمة ، قد أخنى عليها الزمان ، وكرّ عليها بسيف حَيْفه الملوَان ، ولابن حبيب فيها :

جزيرة حمص كعبة الكون أصبحت يطوف بها دان ويسعى لها قاصي

لهــا حُلّة مــن نبتها سُنْدُسيّة تعلّق في أكناف أذْيالها العاصي

ومما قيل فيها لابن حجر :

جزيرة حمص لم تكن قطّ كعبة يطوف بها دان ويسعى لها قاصي

ولكنّها للّهْو والقَصْف حانَــة ألم تنظروها كيف جاورها العاصي

وبها الأشجار والأزهار المختلفة الألوان ، وللشعراء فيها الأقوال البديعة ، فمن ذلك :

ومُهَفْهَف حيّــا المحب بوردة بيضاء قد نَشَقَت روائح نَدّه

فكأنّهــا وبهـا احمرار حامِـل ماء الحياة على صحيفة خدّه[2]

---

(١) كان الاصل : مكنك بدل مكثك ، واللحج بدل اللجج ، وتراءى لنا أنه تحريف ما اثبتناه فأثبتنا ما اثبتناه . ومعنى أخنى طال وغدر وجار ، والحيف : الظلم والجور . ومر ان الملوان مثنى ملاوهما الليل والنهار .

(٢) المهفهف : الضامر البطن الدقيق الخصر . والند : خشب نفيس يعطي باحتراقــه رائحة طيبة ، فيتبخربــه . والمتيم هو الذي عبده الحب وذللــه . وذكرنا ان اللجين : الفضة .

قــال :

شجــرات ورد أحمــر بعثت　　في قلب كــلّ متيّم طَرَبــا
يا من رأى مِنْ قبلهــا شجــرا　　سُقِيَ اللّجَيْــن وأنبت الذهبا

ولابن تميم :

حاذِر أصابع من ظلمتَ فإنّهــا　　تدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جمر الغضــا　　إلاّ الدعــا بأصابــع المنثور

ثم أتينا على حِسْية ، وهي واد فيه قلعة ومياه غزيرة ، ثم أتينا على عيون التجار وميدان الخيل ، وهو محلّ العرب النهّابة . وقَارَة ، وهي قرية قــد أشرفت على الدمار ، وكأنّها كانت فبانَتْ ،

ثم أتينا على نبك ، وهي قرية تبسّمت أزهارها ، وتفاوضت أنهارها ، وأهلها لا يكادون يفقهون حديثاً . وتوصف بالبرد الشديد .

ثم أتينا على القطيفة وهي روضة غنّاء ، وغَيْضة حسناء ، كأنّما قُطفت من فردوس الجنة ، وبها الخان الذي هو للواردين وِقاية وجُنّة ، وهو الخان الذي لا يرى له عديل ، ولا يدانيه في محاسنه مثيل :

تحير بــه الأبصار حسنا ورَوْنقا　　وتمرح فيه الخلق بالأمن واليُمْنِ

وفيه تكيّة للوافدين ، وهو من بناء الوزير سنان باشا ، فلا غَرْوَ أن يقول بلسان الحال :

إنّ آثــارنــا تــدلّ علينــا　　فانظــروا بعدنــا إلى الآثار

وفي هذه القرية ما يزيد على برد الروم ، وما ألطف ما قال :

هــذي القطيــفة الــتي　　لا تُشتهى عقــلا ونَقْــلا
حُشِيــت بــبرد يــابس　　فلأجل ذاك الحشو تُقْــلا

ثم أتينا على القصير ، وقد أرسل علينا الغمام سحائب القطر ، ومسّنا من ذلك البرد ما هو أحرّ من الجمر ، ثم سرنا في واد طاب روح نسيمه ، فصحّ مزاج إقليمه ،

وقد تباكت امطارُه ، فتضاحكت أزهارُه ، في رياضٍ أريضه ، وأهوية صحيحة مريضه .

ثم أتينا على حرستا ، يقال إنّها أوّل قرية يخسف بها . ثم لم نزل في رياض مشهوده ، وحياض مورووده ، بين مبانٍ وثيقه ، ومغانٍ أنيقه ، حتّى أشرفنا على جنان الشام ، التي هي برداء المحاسن تتباهى ، فإذا هو هي أو هي إياها ، رياض تغنّت أطيارها ، فتمايلت طربا أشجارها ، رياض مخضلّة الربى ، وغياض معتلّة الصبا ، رياض تنوح بها الأطيار ، وتتباكى فيها الامطار ، رياض تميل طرباً ، وتميد عجبا :

وما الشام إلاّ في البلاد كشامة ... عروسة أرض الله في الشرق والغرب

بها مَرْجة تزهو وقد فاح نشرها ... وشَحْرورها غنّى سُحَيراً على القُضْب

بها الورد سلطان ينادي بدوحها ... هلموا قبيل الموت للأكل والشرب

ولابن عُنَيْن :

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فرُبّ غداً يمضي المُحيل إلى التُرب

وقال :

دمشق التي شوقي إليها مبرّح ... وإنّ لَجّ واش أو ألحّ عذول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصحّ نسيم الروض وهو عليل

بلاد بها الحصباء درّ وتربها ... عَبير وأنفاس الشمال شمول

وقال :

حسنها ما رأيت من فعل نهر ... لِهواه الغصونَ يجري إليها

فهو من فرط وجده إذ يراها ... شامخات يخرّ بين يديها

وقال :

تحنّ إلى وادي دمشق جوانحي ... وإن كان ممن قلّ فيه نصيبي

وإنّي لأهوى قاسيون لأنني ... رأيت اسمه يحكي فؤاد حبيبي

وقـــال :

دمشق بــوادیهــا ریاض نواضر بها ینجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فلیبك من ضاع عمره ولیس له منها نصیب ولا سهم

وقـــال :

علّـــلاني عـــن الشآم بـــذكـــر حـــنّ قلبـــي إلیـــه بالأشواق
مثلته الذكرى لعیـــني كأنّـــي أتمشّى هنـــاك بالأحـــداق

وقـــال :

دمشق فـــي محـــاسنهـــا جنـــان ولـــذّات النعـــیم لساكنیـــها
ومـــا فیهـــا حماهـــا الله عیب سوى الإكرام للغربـــاء فیهـا

وقـــال :

دمشق قـــلْ ما شئت في حسنها واحْكِ عـــن الربوة ما تحكي
فالطـــیر قـــد غنّى عـــلى عوده وزفّـهـــا بالـــدفّ والجنـــك

وقـــال :

انـظـــر إلى الربـــوة مستمـــتعا تجـــد من اللّـــذة مـــا یكفي
فالطیر قـــد غنّى عـــلى عـــوده في الروض بین الجنك والدفّ

وقـــال :

لله یـــوم في دمشق قطعتـــــه حلّف الزمان بمثلـــه لا یغلط
الطیر یقرأ والغـــدیـــر صحیفة والریح تكتب والسحاب ینقط

وقـــال :

أشتاق في وادي دمشق معهـــدا كلّ الجمال إلى حماه ینسب
مـــا فیـــه إلا روضة أو جوْسَق أو جَدْوَل أو بلبل أو رَبْرَب
وكأنّ ذاك النهـــر فیـــه معصم بیـــد النسیم منقّش ومكتّب
وإذا تكسّر مـــاؤه أبصرتـــــه في الحال بین ریاضه یتشعّب

والوُرْق تنشد والنسيم مشبّب — والنهر يسقي والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم — أضحى له من بيننا متطلّب
ولكم طربت على السماع بعودها — وغدا بربوتها اللسان يشبّب
فمتى أزور معالما أبوابُها — بسماحها كتبُ الغرام تبوّب

وقد أبدع ابن الصائغ حيث قال :

أدمشق لا بعدتْ ديارك عن فتى — أبدا إليك بكلّه يتشوّق
أشتاق منك منازلا لم أنسها — إنّي وقلبي في ربوعك موثق
مهما اتجهت رأيت دَوْحاً ماؤه — مُتَسلسِل يعلو عليه ويخفق
فالريح تكتب والجداول أسطر — خطاً له نسج الغمام محقق
والطير يقرأ والنسيم مردّد — والغُصن يرقص والغدير يصفّق
ومعاطف الأغصان هزّتها الصبا — طرباً فذا عارٍ وهذا مورق
والورد في الألوان يحاو منظرا — ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بَلابِلي — ولذاك أثواب الشَقيق تشقّق
وهَزاره يصبو إلى شحْروره — ويجاوب القمريّ فيه مطوّق
وكأنّما في كل عود صادح — عود حلا مرموزه والمطلق
والوُرْق في الأوراق يشبه شَجْوها — شجوي وأين من الخليّ الموثَق
يتلو على الأغصان أخبار الهوى — فيكاد ساكن كلّ شيء ينطق
يا سائرا والريح تعثّر دونه — والبرق يَبْسِم إذ به يتألّق
إن جئت من وادي دمشق منزلا — لي نحوه حتّى الممات تشوّق
بالجبهة الغرّاء والنهر الذي — يزهو به القطر المنيف الأباق
ورأيت ذاك الجامع الفرد الذي — في الأرض مثل جماله لا يخلق
أبلغ منازلها السنيّة أنّني — أبدا لحسن بهائها أتشوّق

ما أنصح ما قال :

عرّج ركابك عن دمشق فإنّها — بلد تذلّ لها الأسود وتخضع

ما بين جبهتها وباب بريدها   قمر يغيب وألف بدر يطلع

ابن تميم :

رعى الله وادي النيربين فإنني   قطعتُ به يوماً لذيذاً من العمر
درى أنني قد جئته متنزها   فمدّ لتلقائي بساطاً من الزهر
وأخدمني الماء القراح فأينما   ذهبت وجدت الماء في خدمتي يجري

وقال (١) :

دمشق فيها نُزَه   وسفحها زاه نضر
في كل روض يلتقي   ماء الحياة والخضر

وقال :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها   من السحائب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبْت ترضعه   حوامل المُزْن في أحشا أراضيها (٢)

وقال :

فوق وجه الثرى ترى الشام شامهْ   ولكَمْ للغريب فيها كرامه
سكَنٌ كلّما تناءيت عنه   حرّك الوجدُ في الفؤاد غرامه
وفؤادي لولا زيارة طه   ما لواه اللوى ولا رام رامَه
جنّة وهي بالمكاره حُفّت   من أمور تقوم منها القيامه

قال ابن الوردي : دمشق من أجل إقليم الشام مكاناً ، وأحسنه بنياناً ، وأعدله هواء ، وأعذبه ماء ، وبها الغوطة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها ، بها أنهار جارية مخترقة ، وعيون سارحة متدفقة ، وأشجار باسقة ، وقصور شاهقة ، ولها ضياع كالمدن ، وبها الجامع الأموي الذي لم يكن على وجه الأرض مثله ،

---

(١) ليس في الأصل « وقال » وكأنها سقطت منه فوضعناها .

(٢) في الأصل « حنين » وبدا لنا ان « جنين » اصح فعدلنا اليها .

بناه الوليد بن عبد الملك [١] ، وانفق عليه أربعمائة صندوق ، في كلّ صندوق أربعة عشر ألف دينار ، واجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخّم :

لله ترخيم بجامع جلّق متناسب التخميس والتقسيم
قد زاد تحسينا يكذّب قول من قد قال إنّ النقص في الترخيم

وقد بُنِيَ بأنواع الفصوص المحكَمة ، والمرْمَرْ المصقول ، والجزع المحكوك ، يقال إنّ العمودين اللذين تحت قبة النسر ، اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار ، وهما عمودان مجزعان بحمرة لم ير مثلهما ، ويقال إنّ رخام الجامع كان معجوناً ، ولذلك إذا وضع على النار ذاب ، وفي المحراب عمودان صغيران ، يقال إنّهما كانا في عرش بلقيس ، وعند منارة الجامع الشرقية حجر ، يقال إنّه من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا . قال القزويني : ومن عجائب دمشق الجامع الأموي ، وقد وصفه بعضهم فقال : هو أحد العجائب ، وجامع الغرائب ، بسط فرشه بالرخام ، وألّف على أحسن ترتيب وانتظام ، فصوصه ملتفّه ، وصنعته مؤتلفه ، عمره الوليد ، وكان ذا هِمّة في أمر العمارات وبناء المساجد ، أنفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين ، قيل من عجائب الجامع أنّه لو عاش أحد مائة سنة وكان يتأمّله في كل يوم ، لرأى في كلّ يوم ما لم يكن رآه من حسن الصنعة ومبالغة التنميق ، وهذا المعنى في كلّ ذرّة من العالم للمبصر (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهو مسقف بالرصاص إلى الآن ، وفيه نحو مائة ماء .

ومن محاسنه الفوّار [٢] الذي على باب جيرون ، فإنّ ماءه يرتفع على نحو قامة ونصف في غِلَظ الساق دائماً أبدا ، واتّفق وقوفه مرة ، فقال في ذلك المعنى ابن نباته قوله:

(١) تولى الخلافة عقب وفاة أبيه عبد الملك ، في منتصف شوال سنة ست وثمانين ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكانت وفاته بدير مران ، ودفن في دمشق خارج الباب الصغير ، وصلى عليه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، كان عمره لما توفي إثنتين وأربعين سنة وستة أشهر ، وكان له من الولد ثمانية عشر ابناً ، وكان في جنب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى بسبب أنها في نصف البلد الذي أخذ بالصلح وكانت تعرف بكنيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع وعوضهم بدلها .

(٢) وهو موجود إلى الآن ، ويسمى « النوفرة » وسميت منطقته باسمه ، فيقال للحي الذي هو فيه — شرقي الجامع — حي النوفرة .

لست أنسى الفوّار وهـو ينادي غـيض مائي وعطّل الدهرُ حالي
فتمـنّيت مـن لهيـبي أنّـي أشتري غيضة بروحي ومالـي

وقيل أنّ دخل الجامع في كل يوم من أوقافه ألف ومائتا دينار ، تُصرف المائتان في مصالحه ، والباقي ينقل الى خزانة السلطان [١] ، وبالجملة فإنّه الجامع الذي هو لأشتات المحاسن جامع ، والمسجد الذي من سجد في محرابه شاهد من محاسنه النور الساطع ، ولا غَرْوَ إذ هو بيت مَلِك سَعِد من وقف بخدمته خاشعا ، وشقيَ من لم يسع إليه مخلصا ويأتيه طائعا .

وإذا حلّت الهدايـة قلبـا نشطت للعـبادة الاعضـاء

وقـال :

أرى الحسن مجموعا بجامـع جلق وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فإنْ يتغالى في الجوامـع معشر فقل لهُمُ باب الزيادة مفتوح [٢]

وقـال :

الجامع الأمـوي أضحى حسـنه حسناً عليه في البريـة مُجْمَعا
حَلّوهُ إذ حَلّوه فانظر صحنه تلقاه أصبح للحلاوة مَجْمَعا

ولقد تذكرت بذلك الجامع أوقاتي بتلك الروضة ، وتشاغلت به فما أغنى التشاغل بمحاسن تلك الرياض وهاتيك الغيضة .

بهجة العـين روْضة المختـار تنجـلى في مشـارق الأنوار
حَرَم حـل فيـه خـير إمـام جـامع الفضـل قبلـة الأبـرار
أوّل العـالمين في الخلـق لكـن آخـر العـالمـين في الإنـذار
باذخ الأصل ناسـخ الجهل علماً راسخ الفضل شامخ في الفخـار

---

(١) مـا أشـبه الليلة بـالبارحـة .

(٢) واستشهد الشيـخ محمد نصيف هنا على الهامش ببيتين لابن حبيب في باب الجامع الشريف الاموي، المعروف بباب الزيادة وهو الباب القبلي ، وهما .

يـا راغبـاً في غير جـامـع جلق هـل يستوي الممنوع والممنوح ؟
أقصر عنـاءك في غـلـوك لاتـزد إن الزيـادة بـابهـا مفتوح !

مضـريّ وأبطحيّ حبيب ... قرشيّ وهاشميّ نزاري (١)
صفوة الخلق أشرف الخلق خلقاً ... نخبة من سلالة الأخيار
يارسول الإله كن لي شفيعاً ... ياشفيع العصاة من حرّ نار
أنت في الأنبياء سلطان شرع ... جئت بالسيف منذر الكفار
فعليك السلام من عبد ودّ ... ما سرى سرنسمة الأسحار
وعلى الآل والصحاب جميعاً ... وعلى التابعين والأنصار

ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج ، وطوله إثنا عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميال ، وهو مغروس بأنواع الثمر والأزهار البديعة المنظر والمخبر.

فائدة :

الشام خمس شامات! الأولى: طبرية وأعمالها، وهي مدينة جليلة على جبل مطّل ، وأسفلها بحيرة عذبة وبها مراكب سابحة ، ولها سور حصين ، وبها حمامات حامية من غير نار. الثانية : دمشق وأعمالها . الثالثة : حمص ، وحماه ، وحلب . الرابعة: أنطاكية وأعمالها . الخامسة : غزة ، والرملة ، وبيت المقدس ، وهو على جبل يصعد إليه من كل جانب ، وطول مسجده مائتا باع في عرض مائة وثمانين ، يقال ان جامع قرطبة سقفه أكبر من سقف الأقصى ، وصحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة ، حكاه ابن الوردي. والشام من الفرات إلى العريش طولا ، ومن جبلي طيّ إلى بحر الروم عرضاً

وفي الأخبار: الشام صفوة الله من بلاده ، وإليه يجتبي صفوته من عباده ، قيل المراد المدينة لأنها بالنسبة إلى مكة شام. قال المقريزيّ وسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل ، فهم يستقبلون أوسط الجنوب ، بحيث يكون القطب

---

(١) باذخ : مرتفع ، عظيم الشأن ، عال .

مضري : نسبة إلى مضر بن نزار .

أبطحي : نسبة إلى الأبطح وانظر حاشية الصفحة ٢٢٠ ، والاباطح كثير ، والمقصود بين مكة ومنى .

قرشي : نسبة إلى قريش ، والاكثرون على أنه قصي بن كلاب .

هاشمي : نسبة إلى عمرو بن عبد مناف ، ولقب بهاشم لكرمه :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

نزاري : نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان ، جد النزارية من العرب .

الشمالي ، المسمّى بالجدي ، وراء ظهورهم ، وأنت إذا نظرت الى قبلة الجامع والقطب وجدت السمت منحرفاً ، ولا كلام[١] .

قال القزويني في «الآثار»: الغوطة، الكورة التي قصبتها دمشق، وهي كثيرة المياه، نضرة الأشجار ، مونقة الأزهار ، متجاوبة الأطيار ، مخضرة الجنان . استدارتها ثمانية عشر ميلا ، وكلّها بساتين وقصور ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمتدّ في الغوطة عدّة أنهر ، وينصبّ فاضلها في أجمة هناك ، والغوطة كلها أنهار وأشجار متصلة ، قلّما يوجد بها مزارع ، وهي أنْزه بلاد الله على الاطلاق ، وأحسنها من حيث البهجة والإشراق .

قال الخوارزمي : جِنان الدنيا أربعة : غوطة دمشق، وصغد سَمَرْقَنْد، وشعب بوّان، وجزيرة الأبُلّة . وقد رأيتها كلّها فأحسنها غوطة دمشق، أما صغد سمرقند، فهو نهر تحفّ به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر ، ومقداره اثنا عشر فرسخا في مثلها ، وأما شِعْب بوان فبقعة من نواحي سابور ، مقدارها فرسخان ، وقد أتحفتها الأشجار بظلالها ، وجاست الانهار خلالها ، وفيها يقول المتنبّي :

مغانـي الشِعب طيباً في المغـاني ... بمنزلة الربيع من الزمان[٢]

وأما نهر الأبلة ، فهو من أعمال البصرة ، وهو أربعة فراسخ ، وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد . وأما الغوطة فهي من حيز دمشق ، طولها ثلاثون ميلا ، وعرضها خمسة عشر ميلا ، وهي مشتبكة القرى ، ولا تكاد الشمس تقع على أرضها لالتفاف شجرها واكتناف زهرها . واختلاف الأخبار لاختلاف الأنظار .

---

(١) بل فيه كلام كثير ، فالمقدمة التي ذكرها بعيدة عن الصحة ، وما بني على باطل فهو باطل ، فدمشق شمال مكة تقريباً لاتماماً ، وهم فيها لايجعلون القطب الشمالي وراء ظهورهم ولا يستقبلون أوسط الجنوب كما قال المقريزي ، وإنما ينحرفون إلى الشرق يسيراً بحيث يصبح القطب الشمالي خلف الكتف الايسر ، وذلك لأن خط الطول لمكة أربعون ولدمشق نحو ستة وثلاثين ونصف ، فبينهما مايقرب من ثلاث درجات ونصف ، ويقتضي هذا — بمقتضى حسابات المثلثات الكروية — إنحرافاً إلى الشرق يقرب من سبع عشرة درجة .

(٢) ويقول بعد ذلك :

ولكـن الفتى العربيّ فيهـا ... غـريب الوجـه واليـد واللسان

ومن محاسنها : المرجة التي هي جنّتها ، وأنهارها التي هي بهجتها . فقلت :

ذكرت أحبّتي بالمرج يوما فهاجت أدمعي نيران وهجي
فصرت أكابد الأشواق وحدي وكلّ الناس في هرج ومَرْج

وقال :

يا يومنا بالمرج هل من عودة ليت الليالي للوصال تعيد
فهواك لا يبدي السلوّ لطيْبة والله يبدي ما يشا ويعيد

ولما أحلّتنيها الدهر ، وشاهدت محاسن تلك الرياض ، وبها ذلك النهر ، نزلت على مكارم عمادها ، وبدر اسعادها ، المولى الذي دخل به الكشاف تحت استار الخجل ، وقال البيضاوي لنا من تسويد الصحائف وَجَل أيّ وَجَل ، هو مولانا الحبر العلامة ، والبحر الفهّامة ، مفتي الديار الشامية وإمامها ، وواحد ذوي المجد المؤثّل وهُمامها ، المعطّر ذكره الشريف أرجاء البوادي ، مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي ، لا زالت أقلام الأنام بأداء الشهادة بكماله رافلة في حُلَل العداله ، وإذا نشأت فهي العيدان التي هي بأسمائه الشريفة للطرب نعم الآله .

أساميا لم تزده معرفة وإنّما لذّة ذكرناها

فلا انفكّ مسك لياليه شامة في وجنات الأيام ، وله من ذلك إن شاء الله تعالى حسن الختام . فنزلت من داره المعمورة بأشرف منزل ، وصرت لما لقيته من الفرح والسرور عن الهم بمعْزِل ،

ولمّا بلوناه تلوتا مديحه فيا طيب ما نبلوا ويا حسن ما نتلوا
هو البدر إلا أنّه البحر زاخرا سوى أنّه الضِرْغام لكنّه الوَبْل
محاسن يبديها العيان كما ترى وأيسر ما فيه السماحة والبذل

وقال :

رأيت عماد الشام في الفضل وحده ولا عجب إذ كان في الفضل قد نشا
إماماً هُماماً عَزّ قدراً ورتبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وقال :

رأيــــت العــــماد وأبنــــاءه عماد المكارم فيمــن رأيــت
ففيهم مقامــي بهــم قــد سما ومنهم رَوِيت وعنهم رَوَيْت

رأيت لديه وبين يديه في ذلك المقام ، من أبنائه الكرام ، ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم ، وتنجلي الفصاحة بحسن لهجتهم ، كما قال :

كأنّــه وبنوه حــول حضرتــه بدر الدجى ولديه الأنجم الزهر

فيا لهم من فتية عليهم سيما الحِجى ، وطلاوة نجوم الدجى ، فكلّ منهم ملك القول وأميره ، وواحد الفضل الذي لا يوجد نظيره

إنّ العماد بنوه والــذي شرفــت به الأباطح أعني صفوة الباري
من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهـم مثل النجوم التي يسري بها الساري[١]

فالتحفت برهْطهم ، وانتظمت في سمْطهم ، وما زلت فيهم فارغ البال ، خالي البلبال ، نسيمي نسيم الصَبا ، وأيامي أيام الصِبا :

ولو لم يَزِد إحسانُهم وجميلهــم على البرّ من أهلي حسبتهم أهلي

ولم أزل من مكارم هذا العزيز ، في حَوْز حَريز ، ومن أخلاقه الشريفه ، وخلائقه اللطيفه ، بين الروض ونسيمه ، والأرَج وشميمه

سأشكر لا أنّي أجــازي لنعمة بأخرى ولكن كي يقال له شكر
وأذكر أيامي لديه وحسنـهــا وأفضل ما يبقى من الذاهب الذكر

ثم لم أزل في تلك الديار منذ حللت ربوعها ، وارتبعت ربيعها ، أفاني الأيام ، فيما يروي الأوام ، علما بأنّ الدهر سروره كطيف المنام ، وشروره أكثر من أوغاد الأنام ، وأنّ من أخر أيام الصفا ، وقابل وفاء الدهر بالجفا ، فقد وقع في

---

(١) الحجى : العقل والفطنة . والطلاوة : الحسن والبهجة .
والأباطح جمع أبطح وهو — كالبطحاء والبطيحة — مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى . والسرى سير الليل ، فالمضارع منه : يسري ، واسم الفاعل : ساري . والرهط : قوم الرجل وقبيلته . والسمط — وجمعه سموط — سلك العقد مادامت اللآلىء منتظمة فيه . والبلبال : شدة الهم .

هُوّة الندم ، وصار وجوده عند أولي النُهى كالعدم ، ومن والتزم مكابدة الهموم فهو في الغرور

كناطح صخرة يومـــا ليوهِنَهـــا   فلم يَضِرْها وأوْهـ

فها أنا أطلب قلبي في الهوى وأنشُده ، وأطارح صوت الصَدى

لقد كادت الدنيـــا تقول لأهلها   مشافهة لـــو أنّهـــا تتكلـــم

خذوا من نصيب من نعيم ولـــذّة   فكلّ وإن طال المَدى يتَصَرّم

غريبة : في أواخر شهر رمضان المكرّم ، وردت على أهل دمشق من أعمال الكَرَك مكاتيب فيها أنّه وقع بتلك القرى ، في غضون الأمطار ، بَرَد على صور حيوانات مختلفة . وفي كتاب «السكردان» لابن أبي حجلة ، في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ورد كتاب من حماة ، يخبر أنّه وقع في هذه الأيام ببماردين من أعمال حماة ، برد على صور حيوانات مختلفة ، فيها سباع وحيات وطيور ورجال ونساء وغير ذلك ، وأنّ ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة ، وحكى الحافظ عبد الرحمن الربيع : في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، نزلت بردة من السماء ، طولها مائة وستون ذراعاً ، وعرضها عشرة أذرع ، وسمكها باعان ، فلما ذابت سقى ماؤها أربع قطع من الأرض هنالك . انتهى من «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» .

فائدة : دمشق اسم عبد الخليل عليه السلام ، وكان حبشيا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج عليه السلام من النار ، ولما بنى الشام سمّاها باسمه ، وكان جعله على كلّ شيء له . كما ذكره ابن عساكر عن وهب بن منبه كذا في «الطراز المنقوش في محاسن الحبوش» قيل : ومن خواص الشام الطعن والطاعة والطاعون ، أما الطعن فهو مشهور في جندها كما قيل :

ورجـــال الشام فـــي طعـــنهمُ   قاسيونُ القلبُ منهم لا يلـــين

---

(١) البيت للأعشى ، من معلقته التي مطلعها :

ودع هريرة ان الركب مـــرتحـــل   وهل تطيق وداعـــاً أيهـــا الرجل

وأوهن وأوهى بمعنى ، كلاهما معناه أضعف .

وأما الطاعة ، فهي معروفة في أهلها للسلطان ، حتى قيل في وصفهم أنّهم أطوَع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق ، وأما طاعونها فهو شرّ من أن يذكر حتى قيل :

أمـــا دمشق فإنهـــا قد أوحشت   من بعد ما شهد الخلائق أنسها
تاهت بعجب زائد حتّـــى لقـــد   ضربت بطاعون عظيم نفسهـــا

وقاسيون بكسر السين المهملة وضم المثناة من تحت ، جبل مطلّ على دمشق من جهتها الشمالية ، فيه المنازل المليحة ، والمدارس الحسنة ، والرُبُط ، والبساتين ، ونهر يزيد ونهر تورا في ذيله ، وفيه جامــع كبير ، وفيه يقول ابن عنين :

وفي كبدي من قاسيون حـــرارة   تزول رواسيه وليس تـــزول

قال القزويني : الربوة على فرسخ من دمشق ، قال أهل التفسير : هو المراد من قوله تعالى (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

غريبة : قال صاحب « تحفة الغريب » في بادية الشام شجرة إذا نظر الناظر إليها رأى أوراقها كالسُرُج المشعولة ، وكلّما كان الليل أظلم كان الضوء أشدّ ، فإذا هشّ الورق لا يرى شيء من الضوء .

ومن محاسن الشام نهر بردى ، المشبب به في القصائد الطنانة ، ويقال له الخاطف لقوّته ، ومن خواصّه أنه لا يزال بارداً في الأوقات الحارّة ، وفيه يقول ابن الفارض :

جِلّـِق جَنّـــة من تـــاه وباها   ورُباها مُنيتي لولا وباهـــا
قـــال غـــال بـــردا كوثرهـــا   قلت غال بَرَداها برَداهـــا

ومن محاسن الشام جامع يلبغا ، سمعت فيه من العلامة العمادي للشيخ أبي الفتح المالكي :

كم نزهـــة فـــي يلبغا تبتـــغي   ودارج لم يخـــل مـــن دارج
يمـــوج فـــي بركتـــه ماؤهـــا   تحت منـــار ليس بالمـــايج
مأذنـــة قامت عـــلى بابـــــه   تشـــهد للداخـــل والخـــارج

ومن محاسن الشام جامع البحر ، بالقرب من المولى خانه ، يشقّه نهر لطيف عليه أنواع المسرات :

لله يومـــا بـــه الدهر المُشتّ سخا   مع جيرة قلدوا من جودهم نحري

قضيته وقضت لي فيه بهجتــه بطيب عيش مضى في جامع البحر

فائدة : «محاسن الشام» كتاب مؤلف في المعنى ، للشيخ تقي الدين البدري ، ورأيت على ظهره للشيخ أحمد المقرى :

محـاسـن الشام جلّتْ عن أنْ تُحَدّ بِحَدّ
كـأنّهـا معجـزات مقرونـة بالتـحدّي

ومن محاسن الشام : إحياء ليالي رمضان المعظم ، وإقامة التراويح بأحسن أداء يورث النشاط ، فإنّ المكبّرين يلوّنون في التكبير بالأصوات الحسنة ، فيبتدئون بمقام العراق ، ويختمون بمقام العشّاق ، والإمام يصلّيها بسورة الرحمن ، ويلوّن فيها الصوت الحسن بالألحان الحسان . هذا وإن كان من البدع ، إلاّ أنّه قد صقله التعارف ، والعُرْف كما لايخفى أمر عظيم[1] . وفي أخريات الشهر يصلّون مـع الإمام اثنتي عشرة ركعة عقيب التراويح ، يزعمون أنها صلاة الرغائب ، وهي غير معروفة بالحرمين الشريفين .

ومن محاسن الشام في هذه الليالي : باب البريد ، وما أدراك ما باب البريد وما يشتمل عليه من المحاسن التي يعجز القلم عن وصفها ، فيا له من باب لا يدخله إلا أهل الدخول ، ولا يصل إليه إلا من كان من أهل الوصول ، كيف لا وهو الذي تذلّ لغزلانه الأسود وتخضع ، وترى قمراً يغيب وألف بدر يطلع[2] ، ويقال ههنا تسكب البدرات ، ولا عِبرة بسكب العَبَرات .

دمشق دار البـذرقـه فيها الوجـوه المشرقه
لو حلّ قارون بهـا حلّت عليه الصدقـه

فائدة : في كتاب «الدارس من المدارس» للنعيمي قال : في الجامع الأمويّ

(١) والعرف ، اذا ابتدعه الطغام ، والتزمه العوام ، وعاندوا لاجله الائمة الاعلام ، ولم يبالوا بأحكام الحلال والحرام ، فهو كما لايخفى بلاء عظيم .

(٢) يشير الى البيتين اللذين سبق ان ذكرهما في « صفحة : ٢١٣ — ٢١٤ » :

عرج ركـابك عن دمشق فإنهـا بلد تـذل لهـا الاسود وتخضع
مـا بين جبهتها وبـاب بريدهـا قمر يغيب والـف بـدر يطلـع

أربعة وعشرون سبعاً ، وكلّها تجري عليها الأوقاف ، وكان في السبع الكبير ثلثمائة وأربعة وخمسون نفراً[١] ، وكان بدمشق أربعة وعشرون جامعاً ، كلّها ذات أوقاف فائضة .

ومن محاسن الشام شجر السَرْو ، وهو شجر حسن الهيئة ، قويم الساق ، يضرب به المثل في استقامة قدّه ، ومشق قامته ، وخضرة ورقه ، ولا يزال مخضرّاً صيفا وشتاء ، ومن خواصّه انّ التدخين بأغصانه في البيت يطرد البقّ ، ومن التشبيه فيه :

والسرو مثل عرائس   لُفّت عليهنّ المُلا
شمّرن فضل الأزْر عن   سوقٍ خَلاخِلهُنّ ما[٢]

ومن غرائب ما حكاه صاحب «الخريدة» أنّ خشب الزيتون لا دخان له .

ومن محاسن الشام حمام مصطفى باشا ، فإنّه لا نظير له في تلك الأقطار ولا مداني ، وذلك لما اشتمل عليه من حسن الصنعة ومحاسن المباني :

زيّن الشامَ وحقّ الصمد   حسنُ حمّام كثير العدد
لا ترى في سائر الدنيا له   ثانياً لا والإله الأحد
حار عقلي لجحيم جنّة   بل نعيم فيه عيش رغد[٣]

لطيفة : أبواب دمشق ثمانية ، وفي ذلك إشارة إلى أنّها جنّة الدنيا . وبالجملة فإنّها الروضة الغنّاء ، والغيضة الحسناء ،

وما الشام إلا في البلاد كشامة   وأقمار واديه الشميم تمام
فحيّى محياه الإله وزانَه   ولا زال برق الحسن فيه يُشام

وقال :

قال ماذا يقول في الشام حَبْر   شامَ من بارق العُلى ما شامه ؟[٤]

---

(١) بعدد أيام سنتنا ، التي عدل عنها وعن تاريخنا وتراثنا ونهج سبيل عزتنا وطريق السلف عققةالخلف .

(٢) الملاء جمع ملاءة ، سقى الله أيامها ، أيام الخلق والفضيلة والطهر والعفاف .
وسوق : جمع ساق . وما : ماء بلغ الشعر همزته .

(٣) كذا ، والاقواء لا يستملح ، فياليته قال : « عيش الرغد » .

(٤) الشميم ، المرتفع ، وأيضاً : الرائحة الطيبة . وشام البرق : نظر إليه أين يتجه وأين يمطر .
والحبر : العالم الصالح .

قلت ماذا أقول في وصف أرض هي في وَجْنة المحاسن شامه ؟

هذا ، وشاعرها الشهاب الرومي ، لما تضايقت عليه السُبُل فيها ، وتكدّر لديه من مواردها الهنية صافيها ، أنشأ يقول بلسان الإضطرار ، على ما قضت به الأقدار :

ترحّل عن دمشق فليس فيها يقدّم غير من أضحى سفيها
وطالعها مدى الأيام قبض على أغنى الورى من ساكنيها
كأن فتى بناها من قديم بنى رصد العكوس على بنيها
أكابرها على الفقراء جارت وجاهلُها أذلّ بها النبيها
وقَلّ بأنْ ترى إخوان صِدق لنفسك في الكريهة ترتضيها
وانْفَسُهُم تراه أشرّ نفس يميل إلى الخساسة يشتهيها
فيا لله من زمن عجيب به قد تاهت الجهلاء تِيها
تطوف بأرضهِا شرقا وغربا فلم تر في الرياض بها نزيها
فإن رُمت التقرب عن حماها إلى أرض لنفسك ترتضيها
فعرّج بالركاب لحيّ مصر وحَيّ غصون بان مِسْن فيها
تتيه على البلاد إذا تبدّت بعصبتها وتفتن واصفيها
تحنّ على الغريب حنوّ أصل فتنسيه الديار وقاطنيها
بلاد قد حوَت بالكسر جبْراً وروضة مشتهاها أشتهيها
فيا لله هل لي ما أراها فتلك ديار أنس أختليها

وفي غُرّة شوال يوم عيد الفطر ، كان الخطيب يوسف السقيفي ، وكانت خطبته على نمط الخطب الرومية ، ولم تكن تعرف هذه الطريقة في الديار الشامية على ما يقال ، فهو أول من ابتدع ذلك هناك . وفي عاشر شوال داروا بالمحمل السلطاني ، تذكيراً للحجّ ، وهو من الأيام المعدودة . وفي آخر النهار احترق قصر الملك الظاهر في غربي القلعة ، فتشوشت له الخواطر . وفي صباح تلك الليلة ، وصل الى الشام نجاب على يده مكاتيب إلى الروم ، فأخبر بسقوط البيت الشريف ، وكان من أمره أنّه لما كان العشرون من شعبان ، انهدم من البيت جانباه الشرقي

والشامي ، بسبب الأمطار التي لم يسبق لها مثال ، والسيول التي لم يعهد مثلها في الإسلام ، وفي ذلك يقول المهتار :

هدم البيت أمر ربّ تغشا ... ه بسيل لم يحو غرقاه ضبطي
في نهار الخميس عشرين شعبا ... ن قبيل الغروب من عام لغط[1]

وأحسن منه للفاضل فضل الطبري :

سُئلت عن سيل أتى ... والبيت منه قد سقطْ
متى أتى ؟ قلت لهم : ... مجيئه كان غلطْ[2]

وكان من أمر هذا السيل ، أنّه ذهب بالأموال والأرواح ، وأعقب من الفناء في أهل مكة ، ما أشبه بالوباء المصري والطاعون الشامي ، وكان ارتفاع الماء في المسجد الشريف إلى قفل الباب المحترم ، وبه أرّخ من قال : رقى إلى قفل بيت الله

لطيفة : على ذكر السيل[3] ، في الأغاني نقلا عن الهيثم ابن عدي قال : حدّثني عبد الله بن العبّاس الهذلي عن رجل من بني عامر قال : مُطِرنا مطرا شديدا ارتبعناه ، ودام المطر ثلاثاً ، ثمّ أصبحنا على صحو ، فخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلا جالساً على حجر ، فقصدته فإذا هو المجنون جالسا يبكي ، فكلّمته طويلاً وهو مطرق ، ثم رفع رأسه وأنشد بصوت حزين لا أنسى حرُقته :

بكى السيل واستبكانيَ السيل إذ جرى ... وفاضت له من مقلتيّ غُروب
ومـا ذاك إلاّ حيث أيقنت أنّه ... يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقّى طيبكم فيطيب

---

(١) عـام لغط أي سنة تسع وثلاثين بعد الالف ، لان اللام تعادل في حساب الجمل ثلاثين ، والغين بألف ، والطاء تسعة ، فيكون : ٣٠ + ١٠٠٠ + ٩ = ١٠٣٩ . وكان في الاصل «تغشا» فقومناه الى : «تغشاه»

(٢) كالسالفة : غلط = ١٠٠٠ + ٣٠ + ٩ = ١٠٣٩ .

(٣) كانت في الاصل « السبيل » فأزال السيل السبيل .

وأما رقى إلى قفل بيت الله ، فهو أيضاً تسع وثلاثون والف ، لان : رقى إلى قفل بيت الله = (٢٠٠ + ١٠٠ + ١٠) + (١ + ٣٠ + ١٠) + (١٠٠ + ٨٠ + ٣٠) + (٢ + ١٠ + ٤٠٠) + (١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥) = ٣١٠ + ٤١ + ٢١٠ + ٤١٢ + ٦٦ = ١٠٣٩ .

فيا ساكني أكناف نخلة ، كلّكم　　إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

زاد مغلطاي :

أظلّ غريب الدار في أرض عامر　　ألا كلّ مهجور هناك غريب
وإنّ الكثيب الفرد من أيمن الحمى　　إليّ وإن لم آته لحبيب[١]
ولا خير في الدنيا إذا لم تزر بها　　حبيبا ولم يطرب إليك حبيب
ألا أيها البيت الذي لا أزوره　　وهجرانه مني إليه ذنوب
هجرتك مشتاقا وزرتك خائفا　　وإني عليّ الدهرَ منك رقيب
سأستلطف الأيام فيك لعلّها　　بيوم سرور في هواك تثيب

(**فائدة**) سيل الحجاب هدم بمكة دورا كثيرة وأحاط بالكعبة ، أيام عبد الملك سنة ثمانين ، كذا في «تاريخ الخلفاء» وفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، طاف بالبيت سيل عظيم ، وهدمت بسببه دور كثيرة ، وفي ذلك للشيخ صلاح الدين بن ظهيرة مؤرخاً بلفظ ذراع وإن تسامح :

لما علا السيل على مكة　　وخرّب الدور وأخْلى البِقاع
لاذ بباب الله مستغفرا　　وطاف بالبيت طَواف الوداع
تاريخه إن رُمت تعريفه　　علا على الركن اليماني ذراع[٢]

فائدة : بُني البيت الشريف عشر مرات ، ولم يكن هُدم في واحدة بسبب السيل . وفي «تاريخ الخلفاء» لابن حجر المكي : احترق البيت الشريف في زمن عبد الله ابن الزبير ، أستاره وسقفه وقرنا الكبش الذي فُديَ بـه إسماعيل عليه السلام ، وكانا في السقف ، فبناه على قواعد ابراهيم عليه السلام ، وفتح بابيها وجعلهما لاصقين بالارض ، وأدخل فيه ستة أذرع من الحِجْر ، فبقي بناوُه ولم يهدم الحجّاج منه إلا حائط الميزاب ، وأراد الرشيد نقض ما فعله الحجاج ، فأقسم

(١) غروب : جمع غرب، وهو الدمع ،أو مسيله، او عرقه، او جانب العين، وهنا المآقي. والاجاج : الماء الملح المر . والكثيب : التل من الرمل ، ويسمى أيضاً العقنقل. والحمى: ما يحمى ويدافع عنه . والمحفوظ: وان الكثيب الفرد من جانب الحمى . . . .

(٢) ذراع = ٧٠٠ + ٢٠٠ + ١ + ٧٠ = ٩٧١ .

عليه مالك أن لا يفعل ، لئلا يصير البيت ملعبة للملوك ، فتزول هيبته من القلوب ، فامتثل ، وصان الله بيته ، وفي «طراز اعلام الزمن» للخزجي[١] ، أنّ في أيّام فتنة ابن الزبير ، احترقت الكعبة حتّى انهدم سقفها وسقطت جدرانها .

بنى الكعبة الغرّاء عشر ذكرتهم ... ورتبتهم حسْب الذي أخبر الثـقه
ملائِكة الرحمن آدم وُلـــده ... كذاك خليل الله ثم العمالقه
وجرهـــم يتاوهم قصيّ قريشِهم ... كذا ابن زبير ثم حجّاج لاحقه
ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى ... مراد بخير أطلع الله شارقــه

وفي اليوم الثالث عشر ، تشرّفنا بزيارة تربة المقدّس المبرور الشيخ محيي الدين ابن عربي ، قدّس الله سره العزيز ، فتمليّت بتلك الزيارة ، المحمولة إن شاء الله على أجنحة القبول ، وشاهدنا بها تلك الصالحية ، التي يقضي بكمال محاسنها العقول :

الصــالحـيـة جَـنّـة ... والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلـهــا ... منّي التحيــة والسلام

ورأيت على جدار التربة المباركة للدرويش القلشني :

شيخنا الحاتمي في الكون فـــرد ... وهو غوْث وسيّد وهـُمـــام
كم علوم أتى بها من غيـــوب ... من بحار التوحيد يـــا مستهام
إن سألتم متى تـــوفي شهيـــدا ؟ ... منذ أرّخت : مات قطب إمـــام[٢]

وللبيضاوي جواب سؤال رُفع إليه في أمر الشيخ : الذي اعتقده في حال المسئول عنه وأدين الله تعالى ، أنّه كان شيخ الطريقة حالا وعلما ، وإمام التحقيق حقيقة ورسما ، ومحيي رسوم المعارف فعلا وإسما :

إذا تَغَلْغَل فِكر المــرء في طرف ... من مجده عرفت فيه خواطره[٣]

عُباب لا تكدّره الدِلاء ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دعواتــه

(١) هكذا الاصل والذي في (كشف الظنون) (طراز أعلام اليمن) للخزرجي .

(٢) في هامش الاصل : مات سنة ٦٣٤ ، وإذا أردت معرفة حاله فانظر كتاب (تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي) للإمام إبراهيم البقاعي الشافعي .

(٣) عرفت مصحفة عن غرقت ، فيكون عجز البيت : من مجده غرقت فيه خواطره .

تخترق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق ، وإنّي لأصفه وهو يقينا فوق ما أصفه ، وأنطق بما كتبته وغالب ظنّي أنّي ما أنصفه :

وما عليّ إذا ما قلت معتقــــدي ... دع الجهول يظنّ الحق بهتانا

والله والله العظـيم ومـــــــن ... أقامه حجّة للحــقّ بـرهانــا[1]

إنّ الذي قلت بعضٌ مــن مناقبه ... ما زدت إلا لعلّي زدت نقصانا

أما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر ، وجواهرها لكثرتها لا يعرف لها أوّل من آخر ، وما وضع الواضعون مثلها ، وإنّما يخصّ الله بمعرفة قدرها أهلها ، ومن خواصّها أنّه ما واظب أحد على مطالعتها والنظر فيها ، إلاّ وانشرح صدره ، وتيسّر أمره ، وقَوِيَ على حلِّ المشكلات ، وفَكِّ المعضلات .

وإذا خَفيتُ عــن الغَبيّ فعـاذر ... أن لا تراني مقلــة عميــــاء

غيره :

نظرت إليــه نـظــرة فتحيّــرت ... دقائق فكري في بديع صفاته

فأوحى إليه الوهم أنّي أحبــــه ... فأثّر ذلك الوهم في وَجَناتــه

وقـــال :

إنّ الغــريب إذا أقــام ببـلدة ... لعبت أنامله على الحيـطان

فــتراه يكتب والغــرام يهــزّه ... والشوق يُقْلِقــه إلى الأوطان

وإلى منا[2] هذا وانا محاجر البين ، لم أجتمع على نفسي طرفة عين ، ولا لاحت لي بارقة من وجودي ، أعدّها من أيام سعودي ، ومع ذلك لم ينقطع الرجاء والاستمداد ، وإن قعد بي الاستعداد .

أمــــرّ بالكــرم خلف حائطه ... تأخذني نشوة مــن الطرب

وفي اليوم السابع عشر ، كان خروج المحمل السلطاني ، وهو يوم مشهود ، تخرج لــه المخدّرات ، وكان أمير الركب أميره وابن أميره ، والفرد الذي يعزّ

---

(١) كذا في الاصل . وإنما يستقيم وزن البيت إذا كان : (والله والله والله العظيم ومن) .

(٢) لم ندر مـا (منا) هــذه ، الا ان تكون (يومنا) الذي اختفى راسه ، وسقط صدره ، ووقــع المقدم فيه ، وبقي لنا منه المؤخرة !

على الدهر أن يأتي بنظيره ، وكم طمح لهذه الإمارة طامح ، وسرح لخدمتها سارح ، فافتضح بقصوره وتقصيره ، وكيف لا وهو الجامع لأشتات الفضائل ، والحريّ بقول القائل :

اتتـه الإمـارة منقـادة إليـه تُجَرْجِـر أذيالها
ولـو رامها أحـد غـيره لزُلْزِلت الأرض زلزالها
فـلم تَكُ تصلح إلاّ لـه ولم يك يصلح إلاّ لها[١]

وهو مولانا المقرّ العالي ، الأمير محمد بن الأمير فرّوخ باشا ، خلّد الله تعالى رواق سيادته بدوام دولة أيامه ، وأبّد سرادق سعادته على مرور الدهور وتوالي أعوامه ، ولا زالت كتائب النوائب بعوادي نقـمه إلى أعدائه مبعوثة ، وغرائب الرغائب بغوادي نعمه إلى أوليائه محثوثة .

آمـين آمـين لا أرضى بواحدة بل ألف آمين في ألفين آمينـا

ولم أزل في تلك الديار العمادية ، التي أقول فيها بلسان الحال :

دار العماد فرط شوقي لهـا يجلّ أنْ يذكـر بين العبـاد
ما راق طرفي بعدهـا منـزل لأنّها في الحسن ذات العمـاد

فلما كان اليوم الثاني والعشرون ، برزنا من تلك الديار ، إلى حيث تسوقنا الأقدار

فمن لي بقلبي اذ رحلت فإنّـني مخلّف قلبي عندمن فضلُهُ عندي
ولو فارقتْ روحي إليه حياتَـها لقلتُ أصابتْ غير مذمومة العهد

فآها على تلك الديار العمادية وأوقاتها ، وحفظاً لتلك الوجوه التي لشمس المكارم ضوء على جبهاتها ، وفي السلامة من أكدار الغربة ، والعود إلى تلك المنازل الطيّبة التربة ، ما يسلو به الفؤاد ، ويروق مدى الآباد :

فهل درى البيت أنّي بعـد فرقته ما سرت من حرم إلاّ إلى حرم

فمررنا بالكسوة ، وهي على ثلاثة عشر ميلا من دمشق ، وفيها يمكث الحاج ،

(١) من قصيدة لابي العتاهية ، من غرر شعره ، يمدح بها المهدي، مطلعها : (ألا ما لسيدتي ما لها . .) ورواية الابيات ورواؤها على تقديم البيت الثالث ، حتى يجعل بين الاول والثاني ، كما هي في : ٦١٢ (أبو العتاهية) للدكتور شكري فيصل . طبع المكتبة العربية .

ثم أتينا على خان ذي النون ، وفيه شكل حصار ، ويطبخ فيه شوربا بسلق لجميع الحجّاج[١] ثم أتينا على الصنمين ، وهي من قرى حوران ، فصعدنا منزلة رأس الماء ، وما ألطف ما قال :

سقى الله أرضاً طَوْقها مثل طَرْزِها ... وساترها بُرْد من الوشي أخضر
تذكرت أحبابي بمثوى بريدها ... فعينيَ رأس الما وجسمي المغيّر[٢]

وخواص هذا المنزل البرغش والبرغوث ، قال أعرابي :

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بأرض الفضا ليل عليّ يطول
ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... وليس لبرغوث عليّ سبيل

ولابن ميمون ملغزا فيه :

ومعشر تستحل الناس قتلَهم ... كما استحلّوا دم الحجّاج في الحَرَم
إذا سفكت دما منهم فما سفكت ... يداي من ذمة المسفوك غير دمي[٢]

ثم أتينا على المزيريب ، وهو واد به قلعة ، وعندها بحرة ماء ينتهي ماؤها إلى جسر الجوامع فيما يقال ، وأصله من عين تنبع من شمال القلعة على نحو نصف ميل ، وما ألطف ما قال :

لقد قابلتنا بالعجائب بحرة ... مكمّلة الأوصاف بالطول والعرض
كأنّ الذي يرنوا إليها بطَرْفه ... يرى نفسه فوق السما وهو في الأرض

والمزيريب مجتمع الحجّاج ، وفيه الأسواق العامرة بما يحتاج إليه الركب ، بل بما يتّجر به ، وفي هلال ليلة ذي القعدة ، يوقد ما في الوادي من الدكاكين ، ألفا ونحوه ، وتعرف بالوقدة ، وتوقد الشموع والمشاعل في الركب ، وتكون ساعة عجيبة .

ولمّا كان الصباح رحلنا وأتينا على وادي القديم ، ويعرف بالمفرق ، لأنّ الحجّاج إذا رجعوا تفرقوا فيه ، وهو مسيل كثير الزلق ، وحوله قرى وضياع ،

---

(١) وبالقرب منها (شقحب) حيث جرت المعركة الفاصلة بين التتار وجيوش مصر والشام ، وابلى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية البلاء الحسن وكانت الدائرة على التتار . (هامش الاصل) .

(٢) الملحوظ والمحفوظ : يداي من دمه المسفوك غير دمي .

ثم أتينا على الزرقاء ، وهو واد من أعمال عـمّان ، وبه قصر شبيب بن مالك ، وفيه نهر عظيم ينبت فيه القصب الفارسي ، وفيه ملاقاة .

ثم أتينا على البلقاء ، واد قفر يقال في غرْبيه ماء ، وفيه اجتمعت بالأمير الذي فيه يقال :

أمير له في حَلْبة الجود والــوغى سوابق للإنسان قبــل التِماحِه
وعقل إذا ما جال أغنى برأيــــه عن الجيش يشكو الخوف شاكي سلاحه[1]

ولما قصدته لأمر اقتضى ذلك ، وجدته فوق ما أمّلته ، وأهديت إليه منظومة الصور الفلكية ، وكتبت معها :

لمـــا رأيتك في فضل وفي أدب علوتَ قدرا على العلياء والحُبُك
ناسبت قـدرك يا مــن عزّ جانبه وقلت أهدي له منظومة الفلك

فظفرت من إحسانه وحسناه ، بما تحقق به أنّه المعنيّ بقول القائل :

طلق يُفيض على العُفاة سجالَـه وعلى العداة بسَطْوه سجّيلا
وإذا حَباك بغُرّة من مـــالــــه ثَنّى فأعقب غـــرّة تَحْجيلا[2]

ثم أتينا علـى القطراني ، بعد معاقبة عقبات ومحاجــر ، وهـو واد فيه قلعة وبركة ماء تفيض على مثلها . ثم أتينا على الحسا من أعمال الكرك ، وفيه نهر لطيف وملاقاة . ثم أتينا على عنيزة وهناك البرد الشديد ، وبه خان قديم . ثم أتينا عــلى مغان[3] من أعمال الكرك ، به ضيعة وقلعة ، وآبار ماؤها ليس بالجيّد . ثم أتينا على عقبة الصوان ، منحدر على نصف ميل ، وبها أحجار القدح الجيّدة ، التي لا يكاد يوجد مثلها ، ومنها تنقل للهدية ، وإذا نزل عنها الركب أناخ أسفلها ليتكامل ،

---

(١) الوغى : الحرب . و : التماحه : ابصاره بنظر خفيف . وشاكي السلاح : ذو حدة وشوكة في سلاحه .

(٢) العفاة — جمع عافي — : الاضياف وطلاب الفضل . والسجال — جمع سجل — : الدلو العظيمة فيها الماء . السجيل : الصلب الشديد ، وبكسر السين ، حجارة كالطين اليابس . وغرة الشيء : اوله وطلعته ومعظمه . والغرة بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل بياض في قوائمه ، يشبه بهما نور المؤمنين يوم القيامة اذ يأتون غراً محجلين من اثر الوضوء .

(٣) لعلها « معان » .

فيُخْرِجون أنواع الحلوى المعدودة لذلك ، ويفرّقونها على بعضهم ، فلذلك يقال لها عقبة الحلوى ، ورأيت العرب تأخذ القطن العتيق ، فتبلّه بالماء القراح ، وتمسح به عرق الضأن من تحت أبطيه وفخذيه ، فإذا جفّ كان بمنزلة الضرم ؛ ثم مررنا بعبادان ، وليست هي التي قيل فيها : «ليس وراء عبادان قرية» لأن تلك في ساحل البحر المحيط ، وهي التي يأخذ منها أهل الفلك أطوال البلدان . وبالطلبيات ، وبطن الغول ، واد كثير شجر الغضا والعبيثران الذكي[١] . ثم أتينا على ذات حج ، واد فيه قلعة لطيفة ، فيها شجرة توت وريفة ، ونقر في حجر ينبع منه الماء ، فيخرج من القلعة ويملأ البركة خارجها ، وفيه نخيل ومياه غير جيدة ، ثم نزلنا بالعرائد ، وهي قاع البسيطة ، وفيها اجتمعت بالفاضل المتفنّن الشيخ محمد الحرّ ، أحسن الله تعالى إليه ، أنشدني إجازة لنفسه النفيسة :

قلت لما ألحثت في هجو دهر ... بذل الجهد في احتفاظ الجهول
كيف لا اشتكي صروف زمان ... ترك الحرّ في زوايا الخمول

وأنشدني لغيره :

لعمرك ما الغريب بذي التنائي ... ولكنّ المُقِلّ هو الغريب
إذا ما المرء أعوَزَ ضاق ذَرْعا ... بحاجته وأبعده القريب

وللشيخ نجم الدين الشامي :

علة شيبي قبل إبّانه ... هجر حبيبي في المقال الصحيح
ويدّعي العلة في هجره ... شيبي ففي القولين دور صحيح

ولغيره[٢] :

مسألة الدوْر جرتْ ... بيني وبين من أحبّ
لولا مشيبي ما جفا ... لولا جفاه لم أشِب

قلت : وأنت خبير بأنّ هذا المعنى فيه ما فيه ، إذا الدور توقّف وجود كلّ

---

(١) مر أن الغضا من شجر البادية ، صلب العود ، بعيد أمد الجمر ، يكثر الشعراء من التغني به وتشبيه تسعر أشواق عشاقهم بجمره .

أما العبيثران - ، بفتح الثاء وضمها ، أما العين والباء ففتوحتان . وعبوثران - : فهو نبات من المركبات الانبوبية الزهر طيب الرائحة ، أوراقه تشبه في شكلها ورق الزيتون .

(٢) كلمة : (ولغيره) لم تكن في الاصل ، أضفناها ليتسق الكلام .

من الشيئين على وجود الآخر ، وإذا كان الجفاء بسبب وجود الشيب ، فالشيب متقدّم على الجفا ، وإذا كان كذلك ، فكيف يجعل الشيب بسبب وجود الجفاء ، فتأمله فإنّه خفيّ ظاهر ، اللهم إلا أن يقال إن الدور على مجرّد الدعوى ، وفي هذا المقام لا يتعيّن تقدّم شيء على شيء ، وما ألطف ما قال :

ما ازددت في حبّ من شغفت به　　إلا غراما عليه أو وَلَها
وعشقتي في هواه دائرة　　آخرها لا يزال أوّلها

وحَكى السيوطي في «تاريخه» لما كان سنة ٥٨٢ اجتمعت الكواكب السته في برج الميزان ، فحكَم المنجّمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح ، فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم[1] ، وسدّوا منافذها ، ونقلوا إليها الماء والزاد ، وانتقلوا إليها ، وأقاموا ينتظرون تلك الليلة التي وعدوا فيها بالريح ، وهي الليلة التاسعة من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، فلم يأت فيها شيء من الريح ، بل ولا هبّ نسيم ، بحيث أوقدت الشموع بين يدي السلطان صلاح الدين فلم يتحرك لها أصلا ، وعملت الشعراء في وصف هذه الحادثة :

كلام المنجّم في لفظه　　يحلّ لدينا محل الحدَث
يخبّر عن حادثات السما　　ويجهل في بيته ما حدث

وقال آخر :

أحُسّاب النجوم أحلَتْمونا　　على علم أدقّ من الهباء
علوم الأرض لم تصلو إليها　　فكيف بكم إلى علم السماء

ويعجبني قول أبي الغنائم محمد بن المعلّم الواسطي :

قل لأبي الفضل قول معترف　　مضى جُمادى وجاءنا رجب
ولا جرت زَعْزَعاً كما حكموا　　ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا أظلمت ذُكاء ولا　　بدت إذا في قرانها الشُهُب
يقضي عليها من ليس يعلم ما　　يُقضى عليه هذا هو العجب

---

(١) التخوم جمع تخم وهو الحد .

ثم لم نزل في أسر المسير ، حتّى أتينا على تبوك ، وهي على النصف من طريق الشام ، وفيها عين ونخل وحائط ، وهي آخر غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وفيها قلعة فيها بئر وشجرة توت ، وحولها منازل للعرب ومزارع وأشجار على عيون وعريش . ثم أتينا على المعز ، وهو قفر لا أنيس به ، وأنشدني فيه السيد الأجلّ زين العابدين ، لعمّه العلامة السيد زين الدين :

لا تحسبونا وإن شَطّ المزار بنا ... وعاند الدهر في تفريقنا وقضى
نحوّل عن منهج الودّ القديم بكم ... أو نبتغي بالتنائي عنكم عِوَضا

وأنشدني للفاضل محمد أفندي الحنائي :

يا بني الزهراء لا لُقّيتم ... أبد الآباد سوءاً من أحد
سِرّكم لاح بمعنى آدم ... فلذا كلّ إليه قد سجد

وقال آخر :

يا آل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقال :

من العشّاق باح الدمع لمّا ... نوى ركب العراق إلى الحجاز
لزورة صاحب الزوراء من قد ... بنى سُبُل الحقيقة لا المجاز

ثم مررنا بالمضيق ، وهو مَسْلَك حصر ، كثير الأوعار والمحاجر ، حتّى أتينا على الأخيضر ، وهو واد مثلث الجوانب ، في جنوبيه قلعة سليمانية ، بتاريخ ثمان وثلاثين وتسعمائة ، وفيها عين تملأ منها ثلاث برك ، تلاصق القلعة المبنية لحفظ البئر من دفنها أيام عصيان بني لام وبني عقبة . ثم أتينا على المعظّم وهو واد فيه قلعة عثمانية ، عمرت سنة إحدى وثلاثين وألف ، غير أنّه لم يكن بها ماء ، وقد أشرفت على الدمار ، وفيه يقول بعضهم :

يا ذا المعظّم إنّ فيك لقسوة ... فلأيّ معنى قد سُميت معظّما؟
إنّ المعظّم من يُغيث وفودَه ... وأراك أفنيت الأنام من الظما

وعند القلعة بركة عظيمة متسعة جدّا ، يأتيها الماء من الأمطار ، ولها خمس

وعشرون درجة ، ولمّا وردناها وجدنا منها خمسة عشر درجة في الماء الفرات ، ثم أتينا على الأقيرع ، ثمّ بشطب العجوز ، وهــو شِعب فيه ماء غزير من المطر ، ولا يكاد يخلوعنه فيما يقال . ثم أتينا على المبرك ، وهو بين صخرتين عظيمتين كالمأزَمَيْن ، يمرّ من بينهما الركب ، ويكون له ضجيج بالاستغفار ، وزعموا أنّ صالحا عليه السلام عقرت ناقته هناك . ثم أتينا على مداين صالح ، وهي بيوت منحوتة في الصخور ، وعندها آبار . ثم أتينا على العُلى ، فاجتمعنا بأبناء البلاد ، من جيران سيّد العباد ، وسند العباد ، فقرّت بهم النواظر واستقرّت .

لله يومــي بالعُلى إذ شاهــدت عينايَ آثــار النبيّ الهــادي
ورأيت فيــه جيرة مــن يــثْرب سقيت منازلهم بصَوْب عهــاد

غــيره :

يا واردا مــن حمى المختار يخبرني عن جيرة شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله إنْ أوليت مكرُمــة حدّث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري[1]

فأقمنا في العلى ، مع إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء ، ثلاثة أيام بلياليها ، تَحكي عقودا تزينت بلآليها .

فلله ما لاقيت فيــها مــن الهنا ولله حادي العامريّة إذ يحدو
وحدثني يــا سعدُ عنها فزدتني شجونا فزدني من حديثك يا سعد

والعلى قرية لطيفة ، على ست مراحل من المدينة المنورة ، وهي منقطع أحكام الشام ، وكانت معافاة أيام الجراكسة ، فغزاهم عرب أيام العثامنة ، فرفعوا أمرهم إلى نائب الشام عيسى باشا ، فأمر أن يُبنى حصن ويجعل فيه حرس ويحيى[2]

---

(١) عهاد : جمع عهد أو عهدة أو عهدة ـــ الأول بفتح العين والثانية بكسرها ـــ، وهو اول مطر الربيع .وشنف : زين . والحادي : الذي يسوق الإبل ويتغنى لها ، ويحدو : يرفع صوتـه بالحداء .

(٢) الظاهر أنها تصحيف عن (يجبي) التي يقتضيها المعنى . وسبق أن أشرنا إلى أنـه يريـد بالعثامنة : العثمانيين . أمـا الجراكسة ، فهم المماليك حكـام مصر بعد الأيوبيين وقبل العثمانيين ، وهم صنفان : المماليك البحرية ثم المماليك الشراكسة ، الذين عناهم المؤلف، وكـان آخرهم قـانصوه الغوري ، ثم طومان باي ،اللذين تغلب عليهما السلطان سليم الاول العثماني لمـا فتح الشام ومصر .

ويبدو ان العثماني دينار ، اي ليرة ذهبية .

القرية ، ويضرب على كلّ نخلة عثماني للحرس ، فانتهت الجباية إلى الترقي وبطل الحرس ، فشكوا فلم تفدهم الشكوى وتضاعفت المظلمة ، وكان الأمر كما قيل :

ربّ من ترجو بــه دفع الأذى　　سوف يأتيك الأذى من قِبَلِه

وهي كما يقال روضة غنّا ، وغيضة حسنا ، بها النخيل الباسقه ، والأشجار المتناسقه ، وفيها عينان تجريان :

مياه بوجه الأرض تجري كأنّها　　صفائح تِبْر قد سُبِكن جداولا
كأنّ بها من شدّة الجري جنّة　　وقد ألبَسَتْهنّ الرياح سلاسلا

وقــال :

كأنّما النهر إذ مــرّ النسيم بــه　　والغيم يَهْمي وضوء البرق حين بدا
رَشْق السهام ولَمْع البِيض يوم وَغىً　　خاف الغدير سطاها فاكتسى زَرَدا

وقــال :

روض كمخضرّ العِــذار وجدول　　نَقَشَت عليه يد النسيم مَباردا[1]

(لطيفة) : حُكيَ أنّ ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أيام خلافته : بلغني أنّ ببلدك شجرة تخرج ثمرا كآذان الحمُر ، ثم تنشّق عن أحسن من اللؤلؤ المنضّد ، ثم تخضرّ فتكون كالزمرّد الأخضر ، ثم تحمرّ وتصفرّ فتكون كشُذور الذهب وقِطَع الياقوت ، ثم تنبع[2] كأطيب الفالوذج ، ثم تيبس فتكون قوتا ، فإن كان كذلك فلا شك أنّها من شجر الجنّة . فكتب إليه : صدقت رسلك ، وإنّها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام . وقال خالد بن صفوان يصفها : هي الراسخات في الوحل ، المطعمات في المَحْل ، الملقحات بالفحل ، المونِعات

---

(١) التبر : الذهب الخام قبل ضربه او صوغه . والجنة : الجنون ، والجن ايضاً . ورشق السهام : رميها . والبيض : السيوف . والزرد ـــ وجمعها زرود ـــ الدرع ذات الحلقات المتداخلة .

والعذار : ماكان من اللحية في جانبي الوجه ، وموضعه فن الوجه . والفالوذج : نوع مـن الحلوى قديماً ، كـان له وللوزينج مقام رفيع عند ذوي البطون ، اخذوا فـن صنعهما وإهدار الجهود والأوقات والأموال فيهما وإرهاق المعد بهما . . عن الفرس .

(٢) كذا ، ولعلها : (تينع) .

كشهد النحل ، تخرج أسفاطا غلاظا وأوساطا ، ثم تنشقّ عن قضبان لجيْن وعَسْجَد ، كالدرّ المنضّد ، ثم تصير ذهباً أحمر بعَد أن كانت في لون الزَبَرْجَد .

كأنّ النخيل الباسقات وقد بدت ... لناظرها حسنا قِباب زبرجد
وقد علّقتْ في فرعها زينة لها ... قناديلَ ياقوت بأمْراس عسجد

يُروى أنّ النخلة أوّل شجرة استقرت على وجه الأرض ، وأنّها خُلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام .وفي الخبر : «أكرموا عماتكم النخل». وقال البهلول[1] :

وعمّاتك النخل كن مثلها ... لرامي الحجارة ترمي الرُطَب

ثم أخذنا في قطع المراحل ، وسلوك فِجاج المسالك والمنازل ، حتّى مررنا بآبار الفقير ، وهي أربعون بئراً فيما يقال ، ثم أتينا على مَطران وهو واد قفر ممحل ، وفيه يقول القائل :

مَطَران مثل الشِعب قفر ممحل ... ما فيه من عطف على ولْهان
ومن العجائب أنّه لم يُولِنا ... مطراً ويُسْمى قفره مطران

ثم أتينا على بئر الزمرّد ، وهي على الجادة بين جبال متضايقة ، فارتوى منها الظمآن ، واطمأنّ بها الوَلْهان ، ورحلنا عن ذلك الواد ، وقد طاب الفؤاد .

ومرّ بيَ النسيم فرقّ حتّى ... كأنّي قد شكوت إليه ما بي

ولم نزل نجوب الأغوار ، ونقطع الفيُافي والقفار ، حتى أتينا على شِعب النعام ، وهو قفر خال من الأنعام ، اتّفق أنا اشتّرينا فيه من العرب قربة ماء بنصف دينار ، ثم رحلنا ، وعنزة تختطف من الركب ما كتب لها :

وإذا رأيت مصائبا في معشر ... فحظوظ ضعفاهم أجلّ وأوفر

(١) المحل : الجدب . وأسفاط جمع سفط وهو وعاء كالقفة . والجين : الفضة . والعسجد : الذهب والمنضد : المجتمع الى بعضه باتساق . والباسقات : العالية المرتفعة . وامراس : حبال ،مفردها مرس ومفرد مرس مرسة — بفتح الراء فيهما — . وبيت البهلول (وعماتك النخل . .)سبق في صفحة ٦١ .
والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

وقال :

فسرنــا ، ووهــجالجوّ أوقد حرّه وليس إلى شمّ النسيم ســبيل
كان نسيم الجو قد مــات وانطوى فعهدي به في الشام وهو عليل(١)

ثم أتينا على هديّة ، وهي شعب مسيل ، فيه نخل وماء من بقايا السيل ، وهو من أخبث المياه وأضرّها ، وسمومها ، يورث الحمّيات ، وبالجملة فإنّها بقعة وخيمة ، ورقعة ذميمة ، سهام وبائها صائب ، وحمى خيبرها متناوب ، و داخلها لا يأمن من الدنيا الفراق ، ولو كان له ألف راق ، وكيف لا وهواؤها سهام بالليل سموم بالنهار ، وماؤها يسيل بالصحة والأعمار ، وهي على مرحلة من خيبر ، وخيبر اسم ولاية مشتملة على حصون وعيون ومزارع ونخيل ، على ثلاثة أيام من المدينة ، على يمين الخارج إلى الشام . ثم رحلنا فلم نزل نطوي بالسير الفيافيَ القفار ، فمررنا بالعقبة السوداء ، ومنها ترى الفحلتان ، ثم أتينا على الفحلتين ، وهما قُنّتان علىشاهق جبل من غربي الجادة ، ثم أتينا على واد القرى ، قيــل كان بها ألف قرية ولم يبق منها غير الأطلال ، ومنها كثيرّ عزّة ، ولا ماء به ، وحرّه شديد ، ولذلك قيل :

وادي القــرى شاهدتــه ما فيه للضيف قِــرى
وفــي المصيــف حــرّه تحسِــب فيــه سَقَرا

ثم امتطينا مَتْن الغبراء ، وازورّ مسيرنا لنحو الزوراء ، فلم نزل كذلك ، نجوب هاتيك المسالك

ولأهــل الــزوراء في القلــب ودّ فسلام عــلى حمــى ساكنيها
هــي دار السلام طابت مقــاما ومقيلا والقول مــا قيل فيهــا

وقد زاد الشوق ، وحثّ السوْق

وأعظم مــا يكون الشوق يومــا إذا دنت الخيام مــن الخيــام

---

(١) أورد الشيخ محمد نصيف على الهامش هذه الرواية الاخرى للبيتين :

أقول وحرّ الرمل قــد زاد قدره وليس إلى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قــد مات وانقضى فعهدي به في الشام وهو عليل

ثم أتينا على العراقيب ، فانتشقنا من تلقاء طيْبَة أطيب العرف ، وسلكنا بحرف واديها فكانت طيّبة الإسم والفعل والحرف

فشممتُ من أرض الحجاز نسيم أنفاس التلاقِ
وضحكت من فرح السرور كما بكيت من الفراق[1]

ولما أسفر الصباح ، وفاح عرف هاتيك البِطاح ، هبّت لنا نسيمات العقيق والنَقا ، موذنة بالتداني واللقا

على ساكني بطن العقيق سلام — وإنْ اسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليّ النوم وهو محلّل — وحلّلتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتم عن حاجر وحجرتم — على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميّلت ريح الصَبا فرع بانَة — ولا سَجَعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكت — على حافتيه بالعشاء غمام
فما لي وما للربع قد بان أهله — وقد قوّضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة — وهل لي بتلك البانتين لمام
وهل نَهْلة من بئر عُرْوة عذبة — أداوي بها قلبا كواه أوام
ألا يا حمامات الأرَاك اليكُمُ — فما ليَ في تغريدكن مرام
فوجدي وشوقي مسعد ومؤانس — ونوحي ودمعي مطرب ومدام

ولما أشرقت الأرض بنور ربّها ، وتأرّجت تلك البقاع بطيب تربها ، تبدّت

---

(١) الغبراء : الأرض . ومتن الغبراء : ماارتفع واستوى من الأرض . وازور : عدل وانحرف . والزوراء : المدينة المنورة ، وبغداد أيضاً . والمقيل : مكان القيلولة .

و (ضحكت من فرح السرور . .) استحسن أن تكون : (. . فرط السرور) . والنقا : القطعة المحدودبة من الرمل لاسيا الابيض منه ، والمقصود هنا موضع قرب المدينة وكذلك العقيق . ولمناسبة العقيق فقد أورد الشيخ محمد نصيف على الهامش هنا هذين البيتين للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الاندلسي الضرير نزيل حلب :

ولما نظمنا بالعقيق مطينا — نثرنا عقيق الدمع فوق المحاجر
وما كان لي قلب على الصبر ينطوي — لأني قد خلفت قلبي بحاجر

كما ذكر أن الابيات العشرة الميمية المذكورة (على ساكي . .) ذكر في «خلاصة الوفا» أنها لعبد السلام بن يوسف .

من البركتين عرائس تلك النخيل ، وقال لسان الحال دونك صفاء العيش والظلّ الظليل :

ولي ثمّ بين البركتين معاهد ... على حفظها قلبي الحفيظ أمين
فيا طيبَ عيش مر لي في ربوعها ... ودادك باق لستُ فيه أمين

غيره :

صاح هذي أعلام طيْبَة لاحت ... وفؤادي على اللقاء حريص
وتبدّت نخيلها للمطايا ... فعيون المطيّ للنخل خوص

فترحّلت،ولو أمكن لمشيت على الأحداق ، وتمليت بهاتيك الأنوار وبذلك الإشراق ، وحمدت الله تعالى على ما أوْلى وأنال ، وأخذت أنشد قول من قال :

أيّها المُغْرَم المشوق هنيئاً ... ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا ... طالما أسعداك يوم الفراق
ابدل الحزن بالسرور ابتهاجا ... وجميع الاشجان والأشواق
وأمُرِ العين أن تفيض سِجالا ... وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محبّ ... ما بقاء الدموع في الآماق

فتمليّت من تلك الحضرة الشريفة ، والروضة المطهرة المنيفة ، بذلك المقام النبويّ ، والمرام العُلويّ

ولعيني لما بدا نور طه ... وحمىً فيه منبر ومقام
قلت يا حاديَ الركائب قل لي ... هذه يقظة وإلا منام

ولما ألقيت العصا والجراب ، وعزمت على ترك الذهاب والإياب ، رأيت ركاباً تُعد للسُرى ، ورِحالا تُشدّ إلى أمّ القرى ، فعصفتْ بي رياح الغرام ، واهتاج لي الشوق إلى البيت الحرام ، فزممت ناقتي ، ونبذت علاقتي .

وقلت للآمي أقصر فإنّي ... سأختار المَقَامَ على المَقَام

وأنفق مـــا جمعت بأرض جمـــع   وأسلو بالحَطِيم عن الُحطام [١]

غـــيره :

يـــا سميري روّح بمكـــــة روحي   شادياً إن رغبت في إسعـــادي
فذُراهـــا سربي وطيـــبي ثَـراها   وسبيل المسيد وِردي ورادي
كان فيها أنسي ومعـــــــراج قدسي   ومقام المقـــام والفتح بـــادي

فبرزت من المدينة الشريفة ، ونزلت على ذي الحليفة ، وهي على ستة أميال منها ، فأحرمت منها بحجة لروح سيد المرسلين ، وخاتمَ النبيين ، رجاء أن أكون مـــن المقبولين . ثم أتينا على خيْف بني عمرو ، وهو شِعْب بين جبال شاهقة ، فيه النخيل الباسقة ، والأشجار المتناسقة ، وماوُه من جدولين ، أحدهما في الخيف[٢] الأعلى ، والآخر في الخيف الأسفل ، والقرية على سفح الجبل ، لأنّ السيل يغشى الوادي . ثم مرَرْنا بالحمراء والصفراء والحسينية ، وهي خيوف حسنة ، وقرى مستحسنة ، وأخذنا على طريق زقاقه ، وهي شرقي الطريق البدريه ، ثم أتينا على حسنا ، وهو واد قد يوجد به الماء من الامطار ، ثم أتينا على مستورة ، واد كثير الرمل ، وماوُه من حفائر يحلو مع المطر ، ويهمج مع المحلْ ، وعليه قرية لطيفة . ثم أتينا على رابغ ، واد من الجحفة ، واسمه القديم رابوغ ، وهو ميقات أهل الشام ، وماوُه من الحفائر ، وعليه مزارع ، وهي على الساحل ، بحيث يوتى إليها بالسمك الطري ، في الغالب ، وهي كثيرة الغبار ، وفي ذلك يقول الفيومي :

---

(١) المقام : مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قرب البيت ، ويستحب أن تصلى ركعتا الطواف فيه إن أمكن . وواضح أن المقام الثاني هو القعود والمكث . وجمع : منى ، إذ بهـــا يجتمع الحجيج . والحطيم : حجر إسمعيل عليه الصلاة والسلام لأنـه كـــان من الكعبة فحطم عنهـــا ، لمـــا ضاقت على قريش النفقة الطاهرة الحلال . ولذلك يكون الطواف من ورائـه لابينه وبين الكعبة . والحطام : مـــاتكسر من الشيء اليابس ، والمقصود هنا حطام الدنيا وهو مافيها من مال كثير او قليل يفنى ولا يبقى .

(٢) الجدول : النهر الصغير . والخيف : ماارتفع من سفح الجبل عن مسيل الماء ، وأشرفه وأعرفـه خيف منى ، حيث اجتمع أهل بيعة العقبة بافضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ، وحيث بني فيه بعد ذلك مسجد الخيف .

لمأنْس بالجحفة يوماً غدا عقليَ من أهواله زائغ
يوماً لحوم الخلق فيه اشتوتْ من حرّه والقلب من رابغ[١]

ثم أتينا على دفين ، وهي كثبان قبيل السيل من جنة كلية[٢] ، وفيه يقول :

ويومَ سرنا على دفينٍ أوقد حرّ النهار نارَهْ
وصارتِ الشمسُ في التهابٍ وقودها الناس والحجاره

ثم أتينا على قديد ، وهو واد فيه آبار ومزارع وقرية لطيفة ، يقول لسان حال سكانها :

بلاد ألفناها على كلّ حالة وقديُؤلف الشيءالذيليس بالحسَن
وتُستَطْيب الأرض التي لا هواؤها ولا ماؤها عذب ولكنّه وطن

ثم مررنا بعقبة الرمل وتسمّى عقبة السكر ، لأن أرباب النعم يقسمونه عليها . ثم أتينا على خليص وهي عين غزيرة الماء ، عليها نخل كثير ، وبركة متسعة جدا ، وإذا احتاجت العين الى العمارة جاء المصرف[٣] إليها من حاصل جدّة ، كذا في «زهر الرياض» وقد عفا رسم هذه العين لتغافل الدولة عنها ، وعسى أن يعود الماء إلى مجاريه .

لله درّ الليالي في تقلّبها وكل أمر بدا من حكمة الهادي
بينا يرى الماء يجري في جداوله حتى يغور كأن لم يجر بالوادي

ومن لطائف الخطيب محمد بن حجر :

جمالنا مهفهف في أذنه أرخى خريص
طلبت منه قبلة فقال لي أنت لصيص
تريدها مستورة قلت له على خليص

ثم أتينا على عسفان ، وهي قرية جامعة ، على نحو يومين من مكة ، بها آبار وبرك وعين تعرف بالعولاء[٤] ، ينقل ماؤها إلى مكة للتبرك به ، ثم أتينا على البرقاء ، وهي واد كثير الأعشاب ، وماؤه من الأمطار ما بين تلك الشعاب .

(١) البيت على هذا الشكل فيه اقواء يدل على خلل في عجزه لم نهتد إلى وجه فيه نرتضيه . ثم بدا لنا أن آخر كل من البيتين ساكن ، وانتبهنا أيضاً انه يكني في البيت الثاني عن الغبار ، لأن رابغ — وهى بليدة بين المدينة وجدة ، على الطريق ، معروفة — قلبها « غبار » ف : « القلب من رابغ » معطوفة على « حره » .

(٢) كذا في الأصل . ولعل «جنة» مصحفة عن «جهة» أما كلية فلم نهتد إلى وجهها .

(٣) كذا ، ولعلها «المتصرف» .

(٤) هكذا هي في الأصل ، وعلى الهامش «الغولا» بالغين .

ثم أتينا على الوادي[١] ، وما أدراك ما الوادي ، واد فسيح الجناب ، مخضرّ الأرجاء والرحاب ، به النخيل التي لاتحصى ، والجداول التي محاسن رياضها لا تستقصى ، وفيه الكادى الذي هو أطيب الطيب ، وأنواع البطيخ العجيب ، وقد تزينت أرجاؤه بقباب[٢] أبناء الزهراء ، فلا فقدتهم تلك المنازل ، ولا برح كل روض بهم عاطر وآهل .

ثم رحلنا منه والأشواق تقودنا إلى البيت الحرام ، وتسوقنا إلى البلد الذي لايزال يقصد ويرام .

بلد به البيت المحرّم قبلة ... للعالمين له المساجد تعدل
حَرَمٌ حرام أرضه وصيوده ... والصيد في كل البلاد محلل
وبه المشاعر والمناسك كلّها ... وإلى فضيلته البرية ترحل
وبه المقام وحوض زمزم مشرع ... والحجر والركْن المشيد الأفضل
والمسجد العالي المحصّب والصفا ... والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنا يضاعف أجرنا ... وبها المسيء من الخطايا يغسل

وجد بنا السير إلى أم القرى ، فدخلنا من باب السلام ، إلى ذلك المقام ، وأقمنا بذلك البلد الحرام ، ثم توجهنا إلى عرفة ، وهي على اثني عشر ميلاً من مكة ، فقضينا الحج وعلى الله القبول ، كانت حجة الجمعة المشهور فضلها على غيرها . ثم توجهنا إلى منى فرمينا الجمار ، وبلغنا بها الأوطار . ومنى على فرسخ من مكة ، بين جبلين مطلين عليها ، أحدهما ثبير ، وهو موضع الكبش .

وآي منى خمس فمنها اتساعها ... لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحدّا
ومنع حداة خطف لحم بأرضها ... وقلّة وجدان البعوض بها عدّا
وكون ذباب لا يعاقر طعمها ... ورفع حصى المقبول دون الذي رُدّا

---

(١) يذكر الشيخ محمد نصيف على الهامش أن هذا الوادي هو : « الوادي المسمى وادي فاطمة ، وهو وادي مر ، او مر الظهران » .

ومر الظهران موضع على مرحلة من مكة فيه عيون كثيرة .

(٢) يقول الشيخ محمد نصيف أيضاً على الهامش : يقصد المؤلف بالقباب بيوت الاشراف اولاد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وقـــال :

ولمّا قضينا من منىً كلّ حاجـــة ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيـــننا وسألت بأعناقالمطيّ الأباطـــح

فأقمنا في بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ، ويسبّح فيها بالغدوّ والآصال سكانها ، وشهدنا من أهلها تلك الصباحه ، وعلمنا مقرّ الملاحة والفصاحه ، وما ألطف ما قال القاضي عز الدين الكناني :

تطالبـــني نفسي مقـــاماً بمكة فأذكر ضعف أهلها فاقصرّ[1]
حياء من التقصير في حقّ بعضهم وإرضاء كلّ منهم متعـــــذّر
ويغلبني شوقي إليـــها فـــإنّـــني أقـــدّم رجلي تارة وأؤخّـــر

وما أحسن ما قال :

يا أهل دار المعلّى والبقيـــع سقتْ ربوعَكم سحبٌ منهلّة الديَـم[2]
لـــو أنّ روحيَ في كفّي لزرتكم سعياً على الرأس لا سعياً على القدم

ثم أخذنا بأطراف المُلْتَزَم ، وتَضَلّعْنَا من ماء زمزم ، وأخذنا بحظّ من ذلك المقام ، ورجونا الله تعالى تحقيق المرام

أكرمْ بزمزم إذ غـــدا متفجّـــرا بمَعـــين ماء للمفاسد يصلـــح
حاوي الملاحة والعذوبة والشفـــا فلذاك يحلو للقلوب ويملـــح

ولما كان اليوم الثاني والعشرون من ذي الحجة الحرام ، عدنا على تلك المنازل التي تقدّم ذكرها ، ورجعنا كما ترجع إلى منازل الأفق زُهْرُها[3]، وعند افتتاح عام «ختم» ، قدمنا المدينة وقد حصل المراد وتمّ

---

(١) يستقيم الوزن بإشباع فتحة الفاء من « ضعف » . وإن كنا نستحسن ان تكون : فـأذكر — ضعفاً — أهلها فأقصر .

(٢) المعلى : مقبرة أهل مكة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .

(٣) الزهر — جمع أزهر — : النيرة الصافية اللون ، وهى النجوم . وسبق ان تحدثنا عنبروج الشمس ومنازل القمر والنجوم .

وعام « ختم » هو عام أربعين بعد الالف ، وذلك لأن :

ختم : ٦٠٠ + ٤٠٠ + ٤٠ = ١٠٤٠ .

فيــا عينيّ بيتا في اعتنـــاق ... ويا نومي قدمت على الكرامه
ويا قلبي هنـيئـا بالتـداني ... وبشرى قــد قدمت على السلامه

وها أنا قد ألقيت عصا التّرحال بفنائها الفسيح ، وعزمت على أن لا أفارقها إلا مع الأجل المريح

وقد طفت البلاد ومـن عليهـا ... كرامٌ في الطبائع أو لئام
فلـم أرَ مثـل جـيراني وأهلي ... لمثلي عنـد مثلهم مقـام

وقــال :

عليّ عهودعن ديارك لا أخطــو ... وإن ضاق فيها العيش أو طاول القحط
على أنني فيها عـلى خـير حالة ... عزيز جَناب لا يزاولني البسط

وقــال :

إذا لم تقم في طيـبة عنـد طيّب ... به طيْبة طابت فأيــن تطيب ؟
وإن لم يجب في حبها ربنـا الدعا ... ففي أي حيّ للدعـاء يجيب ؟

غــيره :

سقى الله يـثرب مـن بلــدة ... وطاف بها مستفيض السحاب
بــلاد تسامــت بمــن حلّـهـا ... وعزّت ففيــها الدعا يستجاب

غــيره :

رعى الله طَيْبَة مـن بلــدة ... وساق السحــاب لأعتابـهـا
فقد جمعت كلّ فضل جَزيــل ... ولا يدخل الفصل من بابـهـا

ومن محاسن الحانوتي :

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكــم ... كالروض باكَرَه سارٍ من الديَم
أنفاسكم والنفوس الغرّ ما برحت ... كالزّهر والزُهر في لطف وفي كرم
ما أمّكم زائر إلاّ وآب بمـا ... يربو على فكره من كلّ مغتنم
فأنتم الطيّبون الطاهـرون ومـن ... لا ريب في مجدهم من سالف القدم
لا عيب فيكم سوى أنّ النزيل بكم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

جميلكم جلّ أن يحصى وفضلكم في الناس أشهر مــن نار على علم
كفاكم بجــوار المصطفى شرفا وجار ذي الجاه أنّى كان لم يضم
لولاكم خيرة الله الكريم لمــــا كنتم لـه جيرة من سائر الأمم
والله جلّ اسمه بالقرب خوّلكم وزادكم بسطة في العلم والهمم
لا زلتم وأمان الله يكْلَؤكـــم مما أحاذر في حرز من اللَمَم (١)
وكيف أخشى الرزايا أن تُلِمّ بكم وأنتم من حمى المختار في حرم
عليه صلّى اله العرش ما سجعت وُرْق الحمائم بين الضال والسَلم
وآله الطهر أرباب الكمال ومن والاهم وجميع الصحب كلّهم

وقال القزويني في كتاب « آثار البلاد وأخبار العباد » : الحجاز ، ومنــه مدينة يثرب ، وهي حرّة سبخة ، مقدار نصف مكة ، من خصائصها أن من دخلها يشم رائحة الطيب ، وللعطر فيها فضل رائحة لم توجد في غيرها .

وإذا لم تــر الهلال فسلّـــــم لأنـــــاس رأوه بـــالأبصـــار

قال : وأهلها أحسن الناس أصواتا ، قيل لبعضهم : لم كنتم أحسن الناس أصواتا ؟ قال : مثلنا كالعيدان خلت أجوافنا فصفت أصواتنا ، في « الخريدة » : هي مستوى من الأرض ، وعليها سور قديم ، وحولها نخل كثير ، وتمرها في غاية الحلاوة ، وأما حدائقها فكما قال بعضهم : كنت إذا دخلتها كأنّي أبشّر قلبي بنضح السرور والفرح ، ولم أجد لذلك سببا إلا انفساح جوّها ، وحسن هوائها ، وطيب نسيمها ، وصحّة إقليمها . ويكفي في فضلها خبر : من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنّي أشفع لمن يموت بها .

---

(١) خولكم : اعطاكم وتفضل عليكم . والبسطة . التوسع . ويكلؤكم : يحفظكم ويحرسكم ويحميكم . والحرز : الموضـع الحصين . واللمم : صغار الذنوب . والرزايا : المصائب . والضال ـــ الواحدة ضالة ـــ : شجر يشبه النبق ، له ثمر يؤكل . والسلم ـــ واحدته سلمة ـــ : شجر ذو شوك ، يكثر في جزيرة العرب والبلدان الحارة ، من فصيلة القطانيات .

والجـــار محسُوب عــلى جيرانـه   جار الكريم مسامح مـن ذنبـــه

غـــيره :

يا أهل طيبة قـــد سكنتم أضلعي   فودادكم نامٍ وشوقي محكـــم
لا غـَرْوَ أن أرعى هواكم منشداً :   من أجل عينٍ ألف عين تكرم

هذا آخر هذه الرحلة المكتوبه ، ولله الحمد على فراق تلك الأوقات المتعوبه ، فليكن محمولا على متن الحلم كلامها الموضوع ، فقد علم الله تعالى أنـّها صدرت عن قلب مكسور وفؤاد مصدوع ، وقد أنشأتها بالاغترار ، وأمليتها بلسان الاضطرار ، فكانت من سقط المتاع ، المستوجبة لأن لا تباع ، لا سيّما إن رميت بالكساد ، وافساد الحسّاد ، وقيل هذا هذاء ، هذاء إذا كان من منح هـــذا الدهر الملوم اساءة وايذاء ، فالمرجو من ذوي الانصاف ، والمعصُوم عن وَصْمَة الاعتساف ، المعذرة فيما طغى به القلم ، وزلـّت فيه القدم ، على أن المعترض مصاب وإن أصاب .

وليس اعتقاد المـــرء ما خطّ كفـّه   كما أنّ حاكي الكفر ليس بكافر

على أنّ الحاكم بالتخطئة لا يخلو من حسد أو عناد ، ولا ينجو من هوى يعدل به عن سبيل الرشاد ، وعسى أن يظفر بمخرج صالح لو دقـّق النظر ، أو يقف على منهج واضح إن لاحظ المقصد المعتبر ، ولكن من جُبِلت جبِلـّته بمـــاء التعسّف ، وخُمّرت طينته بالعناد والتكلـّف ، لا يزال يرفع عن قبول الحق شامِخ أنفه ، وإن أوتي الحق الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

خـــذْ مـن زمـانـك مـــا صفـــا   ودع الـــذي فيـــه الكـــدر
العـــمـــر أقـصـــر مـــــدّة   مـن أن يدنّس بـــالـغِـــيَـر

وحيث تشرّفَتْ بألقاب قطب دائـــرة الوجود ، ومركز العلم والحلم والجود ، فلا غَرْوَ أن تكون من أحسن الرسائل ، وأنفع الوسائل ، لا سيّما وقد احتوت على كثير من مفيد الأخبار ، وانطوت على مواعظ ترتضيها الأحبار ، إلى غير ذلك مما يفيد سلامة الطبع ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع .

يـــا رحـــلـة جمعتُـــها   ألفاظُـهـــا تُسْتعذَبُ
لا تستقلّـــوا حجمهـــا   فيـــها الكثير الطيّبُ

فلتكن تذكرة في الحياة ، وأثراً بعد الممات ، تصلح لمسامرة الجليس ، وتكون للوحيد نعم الأنيس .

رسالة طالب في الكون أضحـى يـرى مطلوبـه في كلّ مصر
حوت أوراقهـا أبيـات شعر ولكن كلّ بيت مثل قصر

غـيره :

وكم من رسالات رَقمْتُ نقوشَها فلم أنتفع يوماً بتلك الرسائـل
أراني في حرمان ما كنت ارتجـي وآخر عمري لاحقا بالأوائل

وأنا استغفر الله تعالى من التجوّز في المقال ، وألجأ إليه من الوقـوع في ربقة القيل والقال ، فلا أتعلل بالموّهات من الوساوس الشيطانيه ، والمسوّلات مـن الهواجس النفسانيّه ، ولا أكون ممّن أفتتن وقبح ، واسأله أن يختصني بالقبول المرضي ، والعطاء الفيضي ، هذا وإن أخطأت تحقيقا ، فمن البرّ ما يكون عقوقا [١] .

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي ستَبْلى ويَبْلى كلّ ما أنا ناقله
فإن كان خيراً سوف أحمد غبّه وإن كان شراً أوْبَقَتْني غَوائله
فأستغفر الله العظيم مِـنَ الـذي كتبت ومما قلت إنّي لقائلـه

والحمد لله أوّلا وآخراً ، وباطنا وظاهرا ، ونشكره في الأولى والآخرة ، ونسأله عواطف رحمته الفاخرة ، إنّه الجواد الذي لا يخيب من أمّله ، ولا يخذل من قطع رجاه من سواه وأمّ له .

يـا سفرة شقّتْ بكـلّ مشقّة وخَلا مُحَيّاها عن الإسفار
كتبت لنا خطّاً خلا من احرف لكن ظفرت بنزهـة الأسفار

---

(١) الربقة — بفتح الراء وكسرها — : العروة في الحبل . كناية عن الوقوع في الإثم .
والموهات : الخدع والزخارف وما يلبس بـه .
والمسولات : المزينات المغويات .
و : «من البر مايكون عقوقا» : عجز بيت للإمام «البخاري» :
رام نفعـاً فضر مـن غير قصد ومـن البر مـايـكون عقوقـا
وأوبق : أهلك .
والغوائل : الدواهي .

تم

بحمد الله ومنه وتوفيقه وعونه، قـد تمّ طبع هـذه الرحلة الجميلة المشتملة على الفرائد الجليله يطلع مـن طالعها على أخلاق الرجال، وما جبلوا عليه من مختلف الخصال، فيرغب في الممدوح منها، ويجتنب المذموم، على حسب ما في جبلته من الجوهر المقسوم وناهيك بكتاب جمع من النوادر الحسان، ما تنبسط بها النفوس التي قبضتها صروف الزمان، ولله درّ مؤلفها حيث أورد من الأشعار الفائقة، والمعاني الرائقه، بحسب اقتضاء الحال، وسياق المقال، ما يتمثل بـه المنشيء في رسائله، ويحلى به جيد وسائله، الا أنه كان في أسوء حال، وأقبح تمثال، مما جنته عليه أقلام النساخ، وما جرى منها على وجهه من الاوساخ فحرفـوا وصحفوا، وأسقطوا منـه فأجحفوا، ومـا أحسن التصحيح الجليل، اذا كان مـع الطبع الجميل، فهما كالدين والدنيا اذا اجتمعا، وكالحب والمحبوب إذا كانا معا، فاعتنى بتصحيحه وبذل جهده في تنقيحه العبد الضعيف مصطفى وهبي، أمدّه الله بلطفه الوهبي والكسبي، وكان طبعه على ذمة من هو بالفضل ممتاز، جناب الشيخ عبد الله الباز، زاد الله اقباله وبلغه آمالـه بالمطبعة الوهبيه، احدى المطابع المصريه في آخر العشر الثاني مـن شهر شوّال الـذي هو من سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة من بلغ الى أقصى الكمال، صلى الله عليه وآله والتابعين له في كل أحواله ما سار الهلال فصار بدرا، ولقى الفتى من سفره نصبا واجرا .

آمين

فهرس الآيات

الصفحة: ٣ (قل بفضل الله وبرحمته . .)

الصفحة: ٤ (فـــامشوا) .

الصفحة: (٩) (وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون)

الصفحة: (١٢) (وأبدلناهم بجنتهم جَنّتَين . .)

الصفحة: (١٧) (لا تأخذه سنة ولا نوم) .

الصفحة: ١٩ (إن هو إلا عبد أنْعَمْنا عليه) .

الصفحة: (٢٣) (وفرش مرفوعة) .

الصفحة: ٢٨ (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) .

الصفحة: ٢٨ (وهذه الأنهار تجري من تحتّي) .

الصفحة: ٢٩ (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) .

الصفحة: (٣٠) (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

الصفحة: ٣٤ (وقدّت قميصه مِن دبر . .)

الصفحة: ٣٩ (اتخذت مع الرسول سبيلا) .

الصفحة: ٤٠ (إني لأجـــد ريح يوسف) .

الصفحة: ٤٢ (فألقيه في اليم) .

الصفحة: ٤٢ (وأنزلنا من السماء مـــاء . .)

الصفحة: ٤٢ (وإنا على ذهاب به لقادرون) .

الصفحة: (٤٢) (فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مُبْتَلِيكم بنهر..)

الصفحة: (٤٤) (وحور عين) .

الصفحة: ٤٦ (نكال الآخرة والأولى) .

الصفحة: ٥١ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) .

الصفحة: (٥٢) (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل . . .)

الصفحة: ٥٥ (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) .

الصفحة: (٥٨) (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة . .)

الصفحة: (٥٩) (فإن لم يصبها وابلٌ فطلّ) .

الصفحة: ٦٢ (يوسف أعرِض عن هذا) .

الصفحة: ٦٦ (والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد . .) .

الصفحة: ٦٩ (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . .)

الصفحة: (٧٠) (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

الصفحة: ٧٢ (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن . .)

الصفحة: ٧٣ (لن تستطيع معي صبراً) .

الصفحة: ٧٤ (اهبطوا مِصراً) .

الصفحة: ٧٤ (فتيمموا صعيداً طيباً) .

الصفحة: (٧٥) (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم . .)

الصفحة: ٧٩ (ستكتب شهادتهم ويُسألون) .

الصفحة: ٨٢ (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)

الصفحة: ٨٣ (فما بكت عليهم السماء) .

الصفحة: ٨٣ (وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى) .

الصفحة: ٨٣ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم . .)

الصفحة: (٨٨) (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . .)

الصفحة: (٨٩) (إنما النسيء زيادة في الكفر) .

الصفحة: ٩٨ (مالي لا أرى الهدُهــد) .

الصفحة: ١٠٢ (ولا تعدو عيناك عنهم)

الصفحة: ١٠٣ (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)

الصفحة: ١٠٥ (فأخرجناهم من جناتٍ وعيون)

الصفحة: ١٠٩ (وما رميتَ إذ رميتَ) .

الصفحة: ١١٨ (إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد)

الصفحة: ١٢٠ (مافرّطنا في الكتاب من شيء)

الصفحة: ١٢٠ (والطير محشورة كل له أوّاب)

الصفحة: ١٢٠ (لو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضّوا) .

الصفحة: ١٢٠ (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) .

الصفحة: ١٢١ (ولقد نصركم الله ببدر) .

الصفحة: ١٢١ (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) .

الصفحة: (١٣٤) (وشاورهم) .

الصفحة: ١٣٥ (هو الذي يسيركم في البرّ والبحر) .

الصفحة: ١٣٩ (يفرح المؤمنون بنصر الله) .

الصفحة: (١٤١) (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) .

الصفحة: (١٤١) (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما)

الصفحة: ١٤٧ (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) .

الصفحة: ١٤٨ (ماعندكم ينفد وما عند الله باق)

الصفحة: ١٤٩ (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)

الصفحة: ١٤٩ (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

الصفحة: ١٥٣ (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) .

الصفحة: (١٥٣) (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)

الصفحة: (١٥٨) (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)

الصفحة: ١٦١ (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

الصفحة: (١٦١) (أليس الله بكاف عبده) .

الصفحة: ١٦٢ (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم)

الصفحة: ١٧٤ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) .

الصفحة: ١٧٦ (وأذن في الناس بالحج . .)

الصفحة: (١٨٥) (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال . .)

الصفحة: (١٨٦) (وحيل بينهم وبين مايشتهون . .)

الصفحة: (١٩٤) (وجمعناهم جمعاً)

الصفحة: (١٩٤) (ماسلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين . .)

الصفحة: ١٩٨ (فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)

الصفحة: ١٩٩ (الم * غلبت الروم . .)

الصفحة: ٢٠٦ (حسبنا الله ونعم الوكيل)

الصفحة: ٢٠٨ (والتين والزيتون) .

فهرس الأحاديث

الحديث رقم: (١) صفحة: (١٥) :

«وقد جاء في صفة مهاجر النبي ﷺ ، يثرب ، أنها أرض ذات نخل ، بين حرتين»

الحديث رقم: (٢) صفحة: (١٦) :

«الحياء من الايمان» .

الحديث رقم: (٣) صفحة: (٣٩) :

«إن من البيان لسحرا» .

الحديث رقم: (٤) صفحة: (٤١) :

«أللهم إني أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به» .

الحديث رقم: (٥) صفحة: (٤٢) :

«أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها من عين واحدة من الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل عليه السلام، واستودعها الجبال، وأجراها في الأرض بقدر، فذلك قوله : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ، أمر الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر من البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله: (وإنا على ذهاب به لقادرون) » .

الحديث رقم: (٦) صفحة: (٤٢) :

«الأنهار النازلة من الجنة، وأن منها دجلة والفرات وسيحون وجيحون» .

الحديث رقم: (٧) صفحة: (٤٥) :

أخرج البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته فقالوا : أيها الملك أجر لنا النيل ، قال : إني لم أرض عنكم، فذهبوا ثم أتوه فقالوا : ياأيها الملك ماتت البهائم وهلكت الأبقار إن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلهاً غيرك، قال اخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث . . .

الحديث رقم: (٨) صفحة: (٥١) :

«يغزو جيش الكعبة فاذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم . قالت عائشة . . »

الحديث رقم: (٩) صفحة: (٥١) :

جواب معاذ بن جبل للناس في طاعون عمواس : إنكم تدعونه رجزاً وليس برجز إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يخص الله بها من يشاء من عباده، يا أيها الناس خافوا . . . الخ

الحديث رقم: (١٠) صفحة: (٥٨) :

روي أن عمر رضي الله عنه قال : أشعر الناس الذي يقول : ومن ، ومن ، ومن ...

الحديث رقم: (١١) صفحة: (٦٤) :

روي أن الله تعالى لما خلق الأشياء، قال القتل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة وأنا معك ؛ وقال الخصب . . .

الحديث رقم (١٢) صفحة: (٦٤) :

وروي أن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء ، تسعة منها في قريش ، و واحد في سائر الناس ، وجعل الكرم . . .

الحديث رقم: (١٣) صفحة: (٦٧) :

روي أن الدابة تخرج من جبل جياد في أيام التشريق والناس في منى .

الحديث رقم: (١٤) صفحة : (٧٠) :

الله الله في أصحابي .

الحديث رقم: (١٥) صفحة: (٨١) :

« زيد بن أرقم : أكفف فلقد رأيت النبي ﷺ يقبل هذه الثنايا » .

الحديث رقم: (١٦) صفحة: (٨٣) :

روي عن ابن عباس أنه قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم، فقلت : بأبي أنت وأمي ماهذا ؟ قال: هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم » .

الحديث رقم: (١٧) صفحة: (٨٣) :

عن أبي حباب الكلبي قال: أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها: بلغني أنكم تسمعون نواح الجن . . . الخ

وقال السُدّي: لما قتل الحسين بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها .

وعن عطاء في قوله تعالى: (فما بكت عليهم السماء) قال بكاؤها حمرة أطرافها .

الحديث رقم: (١٨) صفحة: (٨٤) :

أكثروا من ذكر هاذم اللذات .

الحديث رقم: (١٩) صفحة: (٨٨) :

الأمر بالإنصا ت أثناء الخطبة، وأن من لغا فلا جمعه له .

الحديث رقم: (٢٠) صفحة: (١٠٣):

استنشد رسول الله ﷺ بعض أصحابه من شعر أمية بن الصلت فأنشده مئة قافية .

الحديث رقم: (٢١) صفحة: (١٣٠):

مر عمر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فنظر إليه شزراً ، فقال له: كنت أنشده فيه، وفيه من هو خير منك .

الحديث رقم: (٢٢) صفحة: (١٠٩):

« . . كنت سمعه الذي يسمع به . . »

الحديث رقم: (٢٣) صفحة: (١٠٩):

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

الحديث رقم: (٢٤) صفحة: (١٢١):

كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً فبي عرفوني .

الحديث رقم: (٢٥) صفحة: (١٢٢):

كل أمر ذي بال . .

الحديث رقم: (٢٦) صفحة: (١٣١):

لو كُشف لأحدكم لرأى قائداً يقوده .

الحديث رقم: (٢٧) صفحة: (١٣٤):

وقد جاء الحث على الاستشارة في الهدي النبوي الكريم .

الحديث رقم: (٢٨) : صفحة: (١٤٧):

روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: من عظمت نعمة الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه . فمن شكر الله تعالى تحمّل تلك المؤن عنهم وزاد الله في نعمته، ومن لم يتحملها فقد عرّض النعمة للزوال في الدنيا والنكال في الآخرة .

الحديث رقم: (٢٩) صفحة: (١٦٣):

« صلاة الرغايب » .

الحديث رقم: (٣٠) صفحة: (١٧٥):

« خالق الناس بخلق حسن » .

الحديث رقم: (٣١) صفحة: (١٧٩):

من وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن عند انصرافه من صفين: يابني، إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله تعالى ذو نعمة فافعل، فانك مدرك قسمك، وآخذ سهمك، وإن اليسير من الله سبحانه وتعالى، أكرم وأعظم من الكثير من خلقه، وإن كان كل منه .

الحديث رقم : (٣٢) صفحة: (١٩٣):

وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار .

الحديث رقم: (٣٣) صفحة: (٢٠٤):

« من فسّر القرآن الكريم برأيه فقد كفر ».

الحديث رقم: (٣٤) صفحة: (٢٤٨):

من استطاع أن يموت بالمدينة . ...

فهرس الكتب

ـ حرف الألف ـ

آثار العباد وأخبار البلاد : ... ... ٢٨ , ٣٧ , ٢١٨ , ٢٤٧
الاتقـــان : ٩٢
إحياء علوم الدين : ... ... (٦) ، (٧٦)
أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ٣٢
الأطول : ٢٨
الأعلام « للقطبي » : ١٣٩
الإعلام « لقطب الدين الحنفي » : ١٥٢
الإعلام ببلد الله الحرام « للقطب النهرواني » : ١٥٢
الأغـــاني ٨
الأمالي « لثعلب » : ٨٣
الإمـــامة : ... ... (١٤٩)
إمتاع الأسماع ٨٥
الأمصار ٦٤
أنباء الغمر ... ... ١٨ ، ٤٩ ، ٥٠

ـ حرف الباء ـ

البحر ١٣٦
البديعية ٥٤
البرق الوامض ٨٨

البرق اليماني في الفتح العثماني ١٥٢
برهان الإعجاز في منازل الحجاز ... ... ١٢، ١٥، ١٨
برهان البراهمـــة ١٩٦
بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ٢٢١
بغية الوعـــاة ٣٢

-- حرف التاء --

تاج العروس ... ... (٧٦)
تاريخ الأمم والملوك ١٥٤
تاريخ الأندلس ١٩٢
تاريخ الخلفاء ... ... ٧٩، ١٦٢، ٢٢٧، ٢٣٤
تاريخ مجيد ينتظر من يكتبه ... ... (٨٢)
تاريخ مكة ... ... (١٣٣)
تاريخ الوفا ١٥
تاريخ اليافعي ١٩٨
التحفة السنية في الدولة الحسينية ١٣٢
تحفة الغريب ٢٢٢
التذكرة «للبصير» ... ... ٥٧، ١٤٢
التذكرة «لجمال الدين العصامي» ١٣٧
التذكرة «للخطيب علي بن عراق» ١٥٣
التذكرة «للصلاح الصفدي» ... ... ٦٣، ٨٨
التذكرة «للقرطبي» ٢٠٤
التذكرة «للقطب النهرواني» ١٥٢
التذكرة «للكندي» ٨٨
تقويم البلدان ١٩
تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ... ... (٢٢٨)
تهذيب الأسماء واللغات ٣٢

– حرف الجيم –

جامع الأصول ١٦٣
الجواهر في معتقد الأكابر ٢٦
الجوهرة النيرة ... ... (١٩٣)

– حرف الحاء –

حاشية ابن عابدين ... ... (١٩٣)
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ... ... ٢٠، ٦٠
حصول المرام ... ... (٦)
حلبة الكميت ١٥٧

– حرف الخاء –

الخريدة ... ... (٦) ، ١٣، ٢١، ٢٨،
٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١١٥ ، ١٦٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧
الخطط ... ... ١٣، ٢٨، ٣٥، ٣٧، ٨٥، ١١٧، ١١٨
خلاصة الوفا ١٤

– حرف الدال –

الدارس من المدارس ٢٢٣
ديوان أبي العتاهية ... ... (٢٣٠)
ديوان المتنبي ... ... (١٨٢)
ديوان النهرواني ١٥٢

— حرف الراء —

رحلة الشتاء والصيف ٦
ردّ المحتار (حاشية ابن عابدين) ... ... (١٩٣)
الروض المعطار في أخبار الأقطار ٢٠

— حرف السين —

سقط الزند ٢٠٣
السكردان ... ... ٤٦، ٦٨ ، ٢٢١
سمط النجوم العوالي ... ... (١٣٣)

— حرف الشين —

شرح إحياء علوم الدين ... ... (٧٦)
شرح الألفية ٥٤
شرح سقط الزند ٢٠٣
شرح الموشح النحوي ١٢٠
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ١٦٧

— حرف الصاد —

الصحاح ... ... ١٦٢، (١٦٢)
الصدق والصداقة ٢٢

— حرف الطاء —

الطبقات ٥٥
طراز أعـلام اليمن ... ... ٢٢٨ ، (٢٢٨)
الطراز المنقوش في محاسن الحبوش ٢٢١

— حرف العين —

العبر ٥٤
عقود النحر في نوادر البحر ١٣٥
العواصم من القواصم ... ... (٨٢)

— حرف الفاء —

فوات الوفيات ... ... (٢٠٦)
الفوائد السنية ... ... ١٤٧، ١٥٢، ١٦٦، ١٦٨، (٢٠٦)

— حرف القاف —

القاموس ١٦٧
قاموس القصص ٢٧
قوانين الدوانين ١١٨

— حرف الكاف —

الكافي ... ... (١٤٩)
كشف الحجاب ١٠٩
كنز الأسرار ... ... ٣٧ ، ٤٢
الكنز الأسمى في فن المعمى ١٥٢
كوكب الروضة ٢٧

— حرف اللام —

اللزوميـــــات ٢٠٣

— حرف الميم —

مباهج الفكر ومناهج العبر ... ... ٢٩، ٣٦، ٥٩، ١١٥
مباهج التوسل في مناهج الترسل ١٤٩
محاسن الشام ٢٢٣
المحاضرة ... ٣٦، ٣٧، ٤٦، ٥٠، ٥٦، ٧٠، ٧٢، ١١٥، ١١٨
محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١٦٥
المحكم ... ... (٢٠٣)
المحيط ... ... (١٤٩)
مختصر المسالك ٣٦
المخصص ... ... (٢٠٣)
المرآة ... ... ٥٢، ٥٣، ٥٤، ١١٦
مساجلة علمية بين ابن الصلاح والعز بن عبد السلام... .... ١٩١
المسالك والممالك ... ... ٦٠، ٧٠
المستقصى ١٩١
مصارع العشاق ١٧٤
المغرب في أخبار المغرب ٨٦
ملتقى الأبحر ١٩٣
منازل الأحبار ١٤٧
منتهى الآمال من مشتهى الموال ١٢٠
منهاج السنة ... ... (٨٢)

— حرف النون —

النجوم الزاهرة ... ... (١٤٨)
النوادر والأخبار ٧٧

النوادر المأنوسة في أخبار حلب المحروسة ٢٠١

— حرف الهاء —

الهيئة السنية ٣٧

— حرف الواو —

الوزارة ... ... (١٤٩)
وصول الأحكام ... ... (٦)
وفيات الأعيان ١٩٥



فهرس الاعلام

– حرف الألف –

آدم عليه السلام ... ... (٤٢)، ١١٩، (١٢٣) ، ، ٢٢٨ ، ٢٣٨

آسية رضي الله عنها ٧٢

آصف بن برخيا ١٠٦

أبو عبد الله الآمدي ١٥٧

الآمر الفاطمي ... ... (٨٤)

ابراهيم عليه السلام ... ... ٢٠، ٣٧، ٤٢، (٤٧)

٧٢ ، ١٢٣ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، (٢٤٢)

ابراهيم أبو الحرم ١٤

ابراهيم بن الأشتر النخعي ... ... (٨١)

ابراهيم البقاعي ... ... (٢٢٨)

ابراهيم بن حسن بن عجلان ٥٦

ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى ... ... (٤٧)

السلطان ابراهيم العثماني . .. . (١٥٠)

ابليس لعنه الله ١٢٩

ابن الأثير (علي بن محمد) ... ... (٤) ، ١٦٣ ، ١٦٤

الوزير أحمد باشا ١٢٨

أحمد بن بدر (الأفضل بن أمير الجيوش) ... ٨٤، (٨٤)

أحمد بن الحسين (البيهقي) ٤٥

أحمد الرومي ... ... ٢٦، ٧٣، ١٦٠

أحمد زروق ٥٥

أحمد بن طولون ٥٢

أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ... ... (٨٢)، (٢٣١)

الشريف أحمد بن عبد المطلب ... ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، (١٢٨)، ١٢٩، ١٣٠

السلطان أحمد العثماني ... ١٥٠، (١٥٠)، ١٦٧، ١٦٨

أحمد بن عقبة الحضرمي ٥٥

أحمد بن علي (البهاء السبكي) ... ... (٤٩)

أحمد بن حنبل ... ... (١٩٣)

أحمد المقري ... ... ١٢١، ٢٢٣

أحمد بن يحي (ثعلب) .... ٨٣، ١٢٢

الأحنف بن قيس ١٤٤

ادريس آغـــا ١٤٥

الشريف ادريس بن حسن ١٣٠

ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ... ... (١٧١)

ادريس عليه السلام (ابن يرد) ... ... ٣١، ٧٢، ١٢٣

أرسطاليس ... ... ٣١، ٣٢، ١١٨، ١٤٤

أرميـــا ... ... ٧٢، (٧٢)

اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام ٣٧

اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق ٨٥

اسرائيل عليه السلام ... ... ٢٣، ٤٠

الأسعد (مؤلف قوانين الدواوين) ١١٨

الأسعد بن مماتي ٤٧

الاسكندر ... ... ٧، ٢٣، ٣١، ٣٢، ١١٦، ١١٨، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩، ٢٠٣، (٢٠٣).

اسماعيل عليه السلام ... ... (٤٧)، ٧٢، ٢٢٧، (٢٤٢)

اسماعيل بن عبد المقري ٢٠٩
أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) ... ... (٤) ، (٨)
الملك الأشرف ٧٨
أبو الحسن الأشعري ١٢٣
الأعشى (ميمون بن قيس) ... ... (٢٢١)
الأعمش (ميمون بن مهران) ... ... (٧٠)
امام الحرمين (عبد الملك بن عبد الله) ... ...(٢٦)
امرؤ القيس بن حجر الكندي ... ... (١١٥)
أمير الجيوش (بدر الجمالي) ... ... (٨٤)
الأمين (محمد بن هارون) ... ... (١٥٣)
أميه بن أبي الصلت ... ... ١٠٣، (١٠٣)
الأهوازي ٥٨
السلطان أورخان العثماني ... ... (١٥٠)
أيله بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام ٢٠
أيوب عليه السلام ٧٢

— حرف الباء —

السلطان بايزيد العثماني ... ... ١٤٧، (١٥٠)، ١٦٧
بجير بن زهير ... ... (٥٨)
البحتري ٢٠٣
البخاري ... ... ١٠٣ ، ٢٤٩
بختنصر ٢٨
البدر البشتكي ... ... ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٧٥
بدر الجمالي (أمير الجيوش) ... ... (٨٤)
بدر الدين الغزي ١٥٣
تقي الدين البدري ٢٢٣

الشريف بركات ٧٣
بركات بن محمد بن بركات ١٢٥
البرنس صاحب الكرك ... ... (١٣)
أبو الفتح البستي ٩١
البسوس (خالة جساس) ... ... (١٦٨)
ابن بشكوال ١٩٢
البصير ... ... ٥٧ ، ١٤٢ ، ١٩٠
بطليموس ٣٥
أبو بكر بن العربي (محمد بن عبد الله) ... ... (٨٢)
أبو بكر رضي الله عنه ... ... (٩)
أبو بكر بن وائل ... ... (١٦٨)
بكر الصراف ١٥١
بلقيس ... ... ١٣٦ ، ٢١٥
البهاء زهير ... ... ٥٧ ، ٦٣ ، (٦٣)
البهاء السبكي (أحمد بن علي) ٤٩
البهلول (بن عمرو ، الموسوس) ... (٦١) ، ٢٣٨ ، (٢٣٨)
البوصيري ... ... ٤٩ ، ٨٤
بيري باشا ١٩٤
البيضاوي (عبد الله بن عمر) ... ... ١٦١ ، ٢٢٨
البيهقي (أحمد بن الحسين) ٤٥

— حرف التاء —

تاج الملك ٣٠
شهاب الدين التبريزي ١٤٧
تغلب بن وائل ... ... (١٦٨)
التفتازاني (مسعود بن عمر) ... ... (٢٦) ، ٢٨ ، ١٦٧

التقي السبكي (علي بن عبد الكافي) ... ... ٤٤ ، ١٩٠
التلعفري (محمد بن يوسف) ٥٨
أبو تمام (حبيب بن أوس) ... ... (٦٩) ، (٧٠)
ابن تميم ... ... ٤٤، ٤٨، ٦٠ ، ٨٠، ١٠٦،
١٥٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤
القاضي التنوخي ... ... (١٣٥)
ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) ... ... (٨٢) ، (٢٣١)

— حرف الثاء —

ثعلب (أحمد بن يحي) ... ... ٨٣، ١٢٣
ابن منير الثعالبي ١٠٣

— حرف الجيم —

ابن جابر الأندلسي ... ... ٥٤ ، ١٧٥
الجاحظ (عمرو بن بحر) ... ... ٣١ ، ٦٤
جبريل عليه السلام ... ... ٤٢ ، ٤٥، ٤٦
جحـــا ١٩١
القاضي الجرجاني ... ... (١٧٨)
جساس بن مرة ... ... (١٦٨)
جعفر البرمكي ... ... ٢٢، (٣٣) ، ١٢٠، (١٥٦)
أبو محمد جعفر السراج ١٧٤
الشريف جعفر بن محمد ... ... ١٣٣، (١٣٣)
جمال الدين بن زويتة ٢٠
جمال الدين العصامي ١٣٧
ابن جني ١٢٢
الجواد الأفضل ٢٠١

ابن الجوزي ... ... ٣٢ ، ٥٢
جوهر الصقلي ... ... ٢٧، (٤٨) ، ٦٨
الجوهري ... ... (١٦٢)

— حرف الحاء —

حاتم الطائي ١٤٨
الحاجب ٤٠
ابن الحاجب ... ... ١٩، (١٩٧)
الحاكم الفاطمي ... ... ٢٧، ٥٣ ، ١٤٨، (١٤٨)
حام بن نوح عليه السلام ٢٨
حامد بن أبي شالوم ٣٧
أبو حباب الكلبي ٨٣
أبو حبان ... ... ٦٣، ١١٩
حبيب بن أوس (أبو تمام) ... ...(٦٩)، (٧٠)
ابن حبيب ... ... ٢٠٩، (٢١٦)
الحجاج ... ... ٦٤ ، ٢٢٧، ٢٢٨
ابن حجر العسقلاني ... ١٦ ، ١٨، ٤٩ ، ٥٠، ٥٥، ٨٣ ، ٢٠٩
ابن حجر المكي ٢٢٧
ابن أبي حجلة ... ... ١٩ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٧٥ ، (٧٥) ، ٧٨ ، ٨٧ ، (٨٧) ، ١٧٤ ، ٢٢١
ابن حجة ٣٩
ابن أبي الحديد ١٠٩
أبو البركات الحاتمي ١٠٩
حزام ... ... (٨)
حسان بن ثابت ... ... ٩٤، (٩٤)، (١٠٣)
الشريف الحسن بن أبي نمي ١٣٢

الوزير حسن باشا ١٩١

الحسن البصري ... ... (٧٩)

حسن التميمي ٤٩

الشريف الحسن بن جعفر ... ... ١٣٣ ، (١٣٣)

الحسن بن زيد بن الحسن السبط ٨٥

الحسن بن شذقم ١٠٦

الحسن بن علي رضي الله عنهما ... ... ٨١ ، ١٧٩

السلطان حسن بن ناصر بن قلاوون ٤٩

الوزير أبو الحسن ٢٩

حسين بن ظاهر الوزان ... ... (١٤٨)

حسين بن العباس ... ... (٨)

الحسين بن عبد الله ... ... (٣٨)

الحسين بن علي رضي الله عنهما ... ... ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، (٨١) ، ٨٢ ، (٨٢) ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

الحسين بن علي (الطغرائي) ... ... (٤) ، (١٠) ، (١٣٢)

الحصري (الشاعر الضرير) ١٣٢

الحطيئة ١٨٢

حفص بن عمر بن سعد ... ... (٨١)

الحلي (الشاعر ذو اللغات) ١٦٢

حمزة بن حبيب (الزيات) ١٢٣

ابن الحنبلي ٩٩

أبو حنيفة ... ... ١٤٤ ، (١٩٣)

حواء رضي الله عنها ١١١

أبو حيان (أثير الدين) ٦٢

أبو حيان التوحيدي ٢٢

— حرف الخاء —

خالد بن برمك ... ... (٣٣) ، (١٥٦)
خالد بن صفوان ٢٣٧
الخزرجي ... ... ١١٧، ٢٢٨ ، (٢٣٨)
الوزير خسرو باشا ١٩٠
الخضر عليه السلام ... ... ٧٢، ١٤١، (١٤١) ، ٢١٤
ابن خلكان (أحمد بن محمد) ... ... ٨٧، ٨٨، ١٩٥، (١٩٩)
الملك الأشرف خليل ... ... (٨٤)
الملا خنكار (صاحب المثنوي) ١٩٢
الخوارزمي ٢١٨
خولة بن يزيد الأصبحي ... . ٨٠ ، ٨١، (٨١)

— حرف الدال —

دارا ... ... ٢٠٣، (٢٠٣)
دانيـــــال ٧٢
ابن دقيق العيد ١٥٨
أبو د لامة (زند بن الجون) ٦٠
الدماميني ٧٥
دمشق (عبد ابراهيم عليه السلام) ٢٢١
الشمس الدمشقي ٥٤

— حرف الذال —

الذهبي (الشاعر) ١٩٥
الذهبي (محمد بن أحمد) ٥٤
ذو القرنين ... ... ٢٨، ٧٢

— حرف الراء —

الراضي بالله العباسي ... ... (٩٤)
ابن رشد ١٢٢
الرشيد العباسي ... ... (١٥٣)، (١٥٦)، ٢٢٧
الرفاعي (أحمد بن علي) ... ... (٨٨)
ركن الدولة (الحسن بن بويه) ... ... (١٤٩)
ابن الرومي (علي بن العباس) ٩٩

— حرف الزاي —

زبان بن عمار ١٢٣
المرتضى الزبيدي (محمد بن محمد) ... ... (٧٦)
الزبير بن العوام رضي الله عنه ... ... (٦٩)
الزجاجي (عبد الرحمن بن اسحاق) ١٩٩
زكريا بن محمد (القزويني) ٢٨، ١٨٨، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٧
الزكي بن عبد الرحمن ... ... (١٩٩)، ٢٠٥، (٢٠٦)
زليخا ٣٤
الزمخشري (محمود بن عمر) ... ٤٠، ١٧٨، ٢٠٤، ٢٠٥
زند بن الجون (أبو دلامة) ٦٠
زهير بن أبي سلمى ... ... (٥٨)
زهير الشاويش ... ... (٢٠٤)
الزيات (حمزة بن حبيب) ١٢٣
ابن زيادة ٩٥
زيد بن أرقم رضي الله عنه ٨١
زين الدين ٢٣٥

— حرف السين —

سابور ذو الأكتاف ... ... (٣٨)

سارة رضي الله عنها ٧٢
ابن الساعاتي ... ... ٤٨، ٥٨
السامري ... ... (١٩٣)
سبط الملك ٤٨
سحبان وائل ... ... ١٠٣، (١٠٣)
السدي ... ... (٧٤)، ٨٣
السعد التفتازاني ... ... (٢٦)، ٢٨، ١٦٧
سعد الدين الحكيم ٧٨
المفتي أبو السعود «محمد بن أحمد» : ... ١٣١، ١٦٠، (١٦٠)، ١٨٣
الخليفة السفّاح «عبد الله بن محمد» ... ... (١٤٠)، (١٥٣)
أبو سفيان بن حرب ٨٣
سلمان رضي الله عنه ... ... ٩٦، (٩٦)
أم سلمة رضي الله عنها ٨٣
السلطان سليم العثماني ٧٣، ١٢٤، ١٣٩، (١٥٠)، (١٥١)
١٥١، (٢٣٦)
السلطان سليمان الثاني ... ... (١٥٠)
سليمان عليه السلام: ٧، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٧٢، ٩٨، ١٠٦، ١١٨، ١٣٦
سليمان بن عبد الملك ٨٤
السلطان سليمان القانوني ١٥٠
سليمان بن مهران «الأعمش» ... ... (٧٠)
السمهودي «علي بن عبد الله» ... ... ١٤، ١٥
الوزير سنان باشا ٢١٠
سنان بن أنس النخعي ... ... ٧٩، ٨٠
علم الدين سنجر الشجاعي ٤٩
شهاب الدين السهروردي «يحي بن حبش» ٨٨
سيبويه «عمرو بن عثمان» ١٢٢
ابن سيده «علي بن اسمعيل» ... ... ٢٠٣، (٢٠٣)

سيف الدولة « علي بن عبد الله » .. .. (٤٧)، ٢٠١
سيف الدين بن جبارة ٣٤
ابن سينا « الحسين بن عبد الله» ... ... (٣٨)
السيوطي « عبد الرحمن بن أبي بكر » ... ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، (٤٤) ، ٤٩ ، ٥٠ ، (٥١) ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٩٢ ، ٢٣٤

— حرف الشين —

الشاطبي ٩٢
شافع بن علي ٨٦
الإمام الشافعي ... ... ٥٦، ٨٥ ، ٨٦ ، (١٤٥) ، (١٩٣)
أبو شالوم بن العيص ٣٧
نجم الدين الشامي ٢٣٣
السلطان شاهجهان ... ... (١٥)
شاه زاده ١٦٧
ابن شبرمة ... ... ١٤٠ ، (١٤٠)
شبيب بن مالك ٢٣٢
الشريف الرضي ... ... (١٥) ، (١٣٠) ، ٢٠٣ ، (٢٠٣)
الشريف شكر بن حسن ... ... ١٣٢ ، ١٣٣ ، (١٣٣)
الشريف العباسي (الشاعر) ١٨٠
ابن شريك التميمي ٨٠
الشعراني ... ... ٢٦، ١٠٩
شعيا ٧٢
شعيب عليه السلام ... ... ١٩ ، ٦٧
شكري باشا ... ... (٢٣٠)
شلبشتة ١٦٦
الشماخ ... ... (٤٤)

شمر بن ذي الجوشن ... ... ٧٩، ٨٠، (٨١)
الشمس الدمشقي ٥٤
الشهاب الحلبي ٢٠٢
القاضي شهاب الدين ... ... ٤، ١٥٢، ١٦٦، ١٦٨
شهاب الدين القوصي ٧٨
شهاب الدين محمود ٨٨
الشهاب الرومي ... ... ٢٦، ٧٣، ١٦٠، ٢٢٥
الشهاب الفاضل ١٥٨
الشهاب النهرواني ٢٧
شيث عليه السلام ... ... ٧٢، (١٢٣)
شيخ أفندي ١٦٤

— حرف الصاد —

ابن الصائغ ٢١٣
أبو صاب ٣١
الصاحب بن عباد «اسماعيل بن عباد» ... ... ١٤٩، (١٤٩)
ابن الصاحب ... ... ٣٠، ٤٥
صالح عليه السلام ... ... ١٢٣، ٢٣٦
الصفدي ... ... ٤٠، ٤٣، ٦٣، ٧٧، ٨٨، ١٠٠، ١١٠
صفي الدين الحلي ... ... (٥٧)
الصلاح ١١٥
ابن الصلاح ... . (١٦٤)
ابن الصلاح الكاتب ... ... ١٤٨، (١٤٨)
صلاح الدين الأيوبي ... ... (١٣)، (٨٤)، (٨٦)
١١٧، (١٤٠)، ١٩٨، (١٩٩)، (٢٠٦)، ٢٣٤
صلاح الدين بن طهيرة ٢٢٧
أبو الصلت عبد الله بن ربيعة ... ... (١٠٣)

— حرف الطاء —

أبو طالب محمد (أول ملوك السلجوقية) ١٩٥
أبو طالب المكي ... ... ٢٠٤، (٢٠٤)
طالوت ... ... (٤٢)
طاهر الحلبي ٥٤
طاهر بن محمد الهاشمي ٢٠٠
الطبري ١٥٤
الطرطوسي ... ... (١٩٣)
الطغرائي ... ... (٤)، (١٠)، (١١٤)، (١٣٢)
الأمير ابن طقز ١٥٧
طلحة رضي الله عنه ... ... (٦٩)
طومان باي ... ... (٢٣٦)

— حرف الظاء —

ظافر الشاعر (أيام الحاكم) ١٥٧
ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدؤلي) ... ... (٤)، (٨)

— حرف العين —

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ... ... (٥١)، (٦٩)
ابن عابدين (محمد أمين) ... ... (١٩٣)
الملك العادل الأيوبي ... ... (١٣)، ٨٥، (٨٦)، (٢٠٦)
عاصم بن أبي النجود (أحد القراء السبعة) ١٢٣
العاضد الفاطمي (عبد الله بن يوسف) ٦٩

عباد (أبو الصاحب) بن العباس ... ... (١٤٩)
السلطان عبد الحميد الأول ... ... (١٥١)
السلطان عبد الحميد الثاني ... ... (١٥١)
عبد الرحمن بن اسحق «الزجاجي» ١٩٩
عبد الرحمن البسطامي ١٤٩
عبد الرحمن الربيع ٢٢١
عبد الرحمن العشاقي ١٦٤
عبد الرحمن العمادي ... ... ٢١٩، ٢٢٢
عبد الرحمن الناصر ... ... ١٩١، (١٩١)
القاضي عبد الرحيم البيساني ٨
الشيخ عبد الرزاق (فاتح البيت) ١٣٢
العبدري ... ... ٢١، ٦٠، ٦١
عبد السلام بن يوسف ... ... (٢٤٠)
ابن عبد الظاهر ٣٨
السلطان عبد العزيز ... ... (١٥١)
أبو الصلت عبد الله بن ربيعة ١٠٣
عبد الله بن الزبير ... ... ١٦٢، ٢٢٧، ٢٢٨
عبد الله السواكني المدني ١٦٢
عبد الله بن شبرمة ... ... ١٤٠، (١٤٠)
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ... ... ٤٢، ٨٣، ١٠٦
عبد الله بن عباس الهذلي ٢٢٦
عبد الله بن عمر (البيضاوي) ... ... ١٦١، ٢٢٨
عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٥
عبد الله بن كثير (أحد القراء السبعة) ١٢٣
عبد الله بن محمد (السفاح) ... ... (١٤٠)، (١٥٣)
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٩٦
عبد الله بن معاوية الهاشمي ... ... (٨)

عبد الله بن هارون (المأمون) ... ... ٣٢، ٣٣، (١٥٣) ، ١٥٧
السلطان عبد المجيد ... ... (١٥١)
عبد المحسن الصوري ٦٣
عبد المعين ٢٠
عبد الملك بن الجويني ... ... (٢٦)
عبد الملك بن مروان ... ... ١٥٣ ، (٢١٥) ، ٢٢٧
القاضي عبد الوهاب المالكي ١٥٥
عبيد الله بن زياد ... ... ٧٩، ٨٠، ٨١ ، (٨١) ، ٨٢
أبو عبيدة رضي الله عنه (عامر بن عبد الله الجراح) ... (٥١)
أبو عبيدة الراوية (معمر بن المثنى) ... ... ٦٠، ٦١
أبو العتاهية (اسماعيل بن القاسم) ... ... (١١٦) ، (٢٠٣)
العتبي ١١٠
السلطان عثمان ... ... (١٥٠) ، ١٥١ ، ١٥٢
عثمان بن عفان رضي الله عنه ... ... (٧٠) ، ١٥١
عجلان بن رميثة بن أبي نمي ١٢٥
عدي بن زيد العبادي ... ... (٣٨)
أبو العرب الزبيري ١٣٢
العز بن عبد السلام ... ... (١٦٤)
عز الدين الكناني ٢٤٥
العزيز بالله الفاطمي ... ... (١٣٣) ، (١٤٨)
العصام (شارح التفتازاني) ٢٨
جمال الدين العصامي ١٥٦
عطاء ٨٣
السلطان علاء الدين السلجوقي ١٥١
أبو العلاء المعري ... ... ٢٠٣ ، ٢٠٥
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ... ١١، ٣٢، (٦٩)
(٧٠) ، ٨٣ ، ١٤٧ ، (١٤٨) ، (١٤٩) ١٧٩ .

علي بن اسماعيل (الأشعري) ١٢٣

الوزير علي باشا ١٤٧

علي بن الحسين (زين العابدين) ... ... ٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٢٣٥

علي بن حسن بن عجلان ٥٥

علي بن الحسن (ابن عساكر) ٢٢١

علي بن حمزة (الكسائي) ١٢٣

علي بن العباس (ابن الرومي) ٩٩

علي بن عبد الكافي (التقي السبكي) ... ... ٤٤، ١٩٠

علي بن عبد الله (السمهودي) ... ... ١٤، ١٥

علي بن عبد الله (سيف الدولة) ... . (٤٧)، ٢٠١

علي بن عراق ١٥٣

علي بن محمد (ابن العميد) ... ... (١٤٩)

علي بن محمد (ابن الأثير) ... . (٤)، ١٦٣، ١٦٤

علي المغربي ٤٤

علي بن مقرب ١٢٧

علي بن همام ... ... (٢٠٣)

ابن العليف ١٢٤

العماد الاصفهاني ... ... ٨، ٥٤

عمارة اليمني ... ... ٣٣، ٦٩، ١٥٢

عمر رضي الله عنه ... ... (٩)، (٥٨)، ١٠٣، ٢٣٧

عمر بن سعد ... ... ٧٩، ٨٠، (٨٠)، ٨١ (٨١)

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ... ... ١٦٥، (٢١٥)

عمر بن بحر (الجاحظ) ... ... ٣١، ٦٤

عمرو بن العاص ... ... (٤٨)

عمرو بن عثمان (سيبويه) ١٢٢

أبو عمر بن العلاء (زبان بن عمار) ١٢٣

عمر بن معد يكرب ... ... (٧٦)

ابن عنين (محمد بن نصر الله) ... ... ٢١١، ٢٢٢
عيسى باشا (نائب الشام) ٢٣٦
الشريف عيسى بن جعفر ... ... ١٣٣، (١٣٣)
عيسى بن محمد (الملك المعظم) ... ... ١٤٠، (١٤٠)
عيسى عليه السلام ... ... ٧٢، ٩٤، (٩٤)
١٢٣، ١٣٢، ١٦٦، ٢٠٤، ٢٣٧
عيسى بن موسى (العباسي) ... ... (١٤٠)
العيص بن اسحاق ٣٧
بدر الدين العيني ٥٠

— حرف الغين —

الغزالي (محمد بن محمد) ... ... (٦)
الغزي ... ... ١٥٣، ٢٠٩
الغوري ... ... ١٧، ٢٠، ٢٢، ٧٣، (٢٣٦)

— حرف الفاء —

فاتك (أبو شجاع) ... ... (٣٣)
ابن الفارض (عمر بن علي) ... ٢٩، ٣٢، ٨٧، (٨٧)، ٨٨، ٢٢٢
الفارقي ٥٨
فاطمة رضي الله عنها ... ... ٧٨، (١١٨)، (٢٢٤)
أبو الفتح المالكي ٢٢٢
فخر الدولة البويهي ... . (١٤٩)
الفخر الرازي (محمد بن عمر) ... ... ٢٦، (٣٢)، ٤١
أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد) ... ... ٢١، (٩٢)
فرديناند دي ليسبس ... ... (٤٧)

فرعون ... ... ٢٣، ٢٨ ، ٢٩، ٣٤ ، ٤٥،
(٤٥)، ٤٦ ، (١٣٤)
الفرفوري ... ... ١٣٠، ١٣٥
تاج الدين الفزواي ٦٣
فضل الطبري ٢٢٦
الفضل بن يحي البرمكي ... ... (٣٣)، (١٥٦)
شمس الدين الفناري ١٦٧
أبو عبد الله الفيومي (عبد البر بن عبد القادر) ... ١١، ١٢، ١٥،
١٦، ٣٠ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١٥٢ ، ٢٤٢ .

— حرف القاف —

القاسم بن اسحاق المؤتمن ٨٥
أبو القاسم بن الحسن بن عجلان ٥٦
القاسم بن عساكر ٨٨
الوزير قانصوه ١٣٠
قانصوه الغوري ... ... (٢٣٦)
القاهر بالله ... ... (٩٤)
الشريف قتادة ... ... ١٢٥، (١٢٥)، ١٢٦
القرطبي ... ... (١٩٣)، ٢٠٤
ابن القرية (أيوب بن زيد) ٦٤
القزويني (زكريا محمد) ... ٢٨، ١٨٨، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٨،
٢٢٢، ٢٤٧
قس بن ساعدة الايادي ... ... ١٠٣، (١٠٣)، ١٣٨، (١٣٨)
قسطنطين ١٦٦
أبو الحسين القصاب ٨٧
قصاب باشي ١٦٣

قصي بن كلاب ... ... (٢١٧)، ٢٢٨

القطب (الشاعر) ١٤٠

قطب الدين الحنفي ١٥٢

القطب النهرواني ١٥٢

القطبي (صاحب الأعلام) ... ٧٣، ١٣٩، ١٥١، ١٦٧

ابن قلاقس (نصر بن عبد الله) ١٠٧

المنصور قلاوون ٤٩

الدرويش القلشني ٢٢٨

القيراطي ١٧

قيس بن عاصم ... ... (١٣٨)

قيصر ... ... ٢٨، ١٦٦

— حرف الكاف —

كافور الاخشيدي ... ... ٦٨، ١٤٨، (١٤٨)

الملك الكامل الأيوبي ... ... ٨٩، ١٤٧، (٢٠٦)

ابن كثير (عبد الله، أحد القراء السبعة) ١٢٣

كسرى ... ... ٢٨، (٣٣)، (٣٨)، ٤٩

كعب الأحبار ... ... ٤٢، ٩٦

كعب بن زهير ... ... (٥٨)، (١٥٤)

الكلائي (شمس الدين) ٤٩

أُم كلثوم بنت اسحاق المؤتمن ... ... (١٦٨)

كليب بن ربيعة ... ... (١٦٨)

الكندي ... ... ٧٢، ٨٨، ١١٨

— حرف اللام —

ابن اللبان ٤٣

لبيد بن ربيعة ... ... (٦١)

لقمان الحكيم ... ... ٧٢، ٩٤ ، (٩٤)
أبو لهب «عبد العزى بن عبد المطلب» ... ... ٩٦، (٩٦)
لوط عليه السلام ... ... ٧٢، ١٢٣
حسام الدين لؤلؤ «الحاجب» ... ... (١٣)
الليث بن سعد ٨٧

— حرف الميم —

محمد صلى الله عليه وسلم : ... ... ٣، ٩، (٩)، ١١، (١٥)، (٣١)، ٣٣، (٤٠)، (٥١)، ٥٣، (٧٠)، ٧٨، ٨١، ٨٣ ، (٨٨)، ٨٩، (٩٣)، (٩٤)، ١٠٣، (١٠٣)، (١٠٩)، ١٢١، ١٢٣، ١٦٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٣، (١٩٣) ، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، (٢٤٢) ، ٢٤٧ .
المأمون «عبد الله بن هرون» ... ... ٣٢، ٣٣، (١٥٣)، ١٥٧
الإمام مالك بن أنس ... ... ٨٧، ١٩٣، ٢٢٨
مالك الكندي ٨٠
المتنبي «احمد بن الحسين» ... ... (٢٥)، ٣٣، (٤٧)، ٨٥ ، (١٢٥) ، (١٣٠)، (١٤٣)، ١٤٤ ، ١٦١ ، (١٨٢) ، ٢١٨
مجنون بني عامر «قيس بن الملوح» ٢٢٦
مجيد الدين بن تميم ١٣٤
الشريف محسن بن حسين ... ... ١٢٨، ١٢٩
محمد بن أسعد ١٥٥
محمد أمين عابدين «ابن عابدين» ... ... (١٩٣)
أبو نمي محمد بن بركات (أمير مكة ... ... ٧٣، ١٢٣، ١٢٤
محمد باشا ١٩٤
محمد بن حجر (الخطيب) ٢٤٣
محمد الحر ٢٣٣

محمد الحنائي ٢٣٥
محمد الحياتي ١٥٨
السلطان محمد رشاد ... ... (١٥١)
محمد بن سويدان (أمير البحر) ... ... ١٣٩، ١٥٢
محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية) ... ... ٤٧، (٤٧)
محمد بن عبد الله (أبو بكر بن العربي) ... ... (٨٢)
السلطان محمد العثماني ... ... (١٥٠) ، (١٥١)، ١٦٧
محمد بن عمر (الفخر الرازي) ... ... ٢٦، (٣٢)، ٤١
محمد بن الأمير فروخ باشا ٢٣٠
محمد بن قاسم بن عاصم ٥٣
محمد بن محمد (المفتي أبو السعود المفسر) ... ١٣١، ١٦٠ ، (١٦٠) ١٨٣
محمد بن المعلم الواسطي ٢٣٤
محمد بن نصر الله (ابن عنين) ... ... ٢١١،
محمد نصيف ... ... (٢٦)، (٦٧) ، (١٣٤) ،
٢٢٢ ، (١٧٦) ، (١٩٤) ، (٢١٦) . (٢٣٩) ، (٢٤٠) ، (٢٤٤)
محمد بن هارون (الأمين) ... ... (١٥٣)
محمد الهواري ... ... (٢٤٠)
محمد بن يحيي البرمكي ... ... (١٥٦)
محمد بن يوسف (التلعفري) ٥٨
الشهاب محمود ١٧٤
محمود آغا ... ... ٨٨، ١٩٧
السلطان محمود السلجوقي ... ... (٤)
السلطان محمود العثماني ... ... (١٥٠)، (١٥١)
محمود بن عمر (الزمخشري) ... ... ٤٠، ١٧٨، ٢٠٤، ٢٠٥
محي الدين بن الزكي (الشاعر) ... (١٩٩)، ٢٠٥، (٢٠٦)

محي الدين بن عربي (محمد بن علي) ... ... ١٢٨، (١٢٨)، ١٣٤، (١٣٤)، ١٦٥، ٢٢٨، (٢٢٨)
المختار بن عبيدة الثقفي ... ... (٨١)
المدائني (علي بن محمد) ١٣٩
مدين بن ابراهيم عليه السلام ... ... ٢٠، ٦٧
السلطان مراد العثماني ... ... ١٤٣، ١٥٠، (١٥٠)، ١٥١، (١٥١)، ١٦٠، ١٩٢، ١٩٤، ٢٢٨
المرتضى الزبيدي (محمد بن محمد) ... ... (٧٦)
ابن مرجانة (المفسر) ... ... (١٩٩)
مروان بن الحكم ... ... ١٤، (١٤)
مروان بن محمد بن مروان (الخليفة) ١٩٢
مريم رضي الله عنها ٧٢
المعز لدين الله الفاطمي (معد بن اسماعيل) ٢٧، (٤٨)، ٦٨، ٦٩، (١٣٣)
المستعلي الفاطمي (أحمد بن معد) ... ... (٨٤)
المستنصر الفاطمي (معد بن علي) ... ... (٨٤)
الشريف مسعود بن إدريس ١٣٠
السلطان مسعود بن محمد السلجوقي ... ... (٤)
مسعود بن عمر (السعد التفتازاني) ... (٢٦)، ٢٨، ١٦٧
ابن مسعود رضي الله عنه ٩٦
المسعودي (علي بن الحسين) ... ... ٣٢، ١١٦
الإمام مسلم (ابن الحجاج القشيري) ... ... (٥١)
مسلمة بن عبد الملك ١٦٥
الوزير مسيح باشا ١٥٩
مصر بن حام بن نوح عليه السلام ٢٨
مصطفى باشا (صاحب الحمام) ٢٢٤
مصطفى جلبي ١٦٣

السلطان مصطفى العثماني ... ... (١٥٠) ، (١٥١)
مصعب بن الريان (فرعون) ٤٦
مضاض بن عمرو الجرهمي ... ... (١٨٢)
مضر بن نزار ... ... (٢١٧)
الملك المظفر عمر ... ... (٢٠٦)
الملك المظفر محمود ... ... ٢٠٥، ٢٠٦ ، (٢٠٦)
معاذ بن جبل رضي الله عنه ... ... (٥١)
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ... ... (٦٩) ، ٨٣، (١٠٣)
ابن المعتز (عبد الله بن محمد) ٢٧
المعتصم (محمد بن هارون) ... ... (٦٩) ، (١٥٣)
المعتضد (احمد بن طلحة) ... ... (١٥٣)
المعتمد بن عباد (محمد بن عباد) ١٣٢
المعري (أبو العلاء أحمد بن عبد الله) ... ... (٢٠٣) ، ٢٠٥
معمر بن المثنى (أبو عبيدة) ... ... ٦٠، ٦١
معين الدين المالكي ٦٢
أبو مفلح ٦٢
المقتدر بالله (جعفر بن أحمد) ... ... (٩٤)
المقري ٢٠٥
المقريزي (تقي الدين أحمد بن عبد القادر) ٢٧ ، ٤٦، ٤٩ ، ٦٩، ٧١
٧٢، ٨٤، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ٢١٧.
ابن مقلة (محمد بن علي) ... ... ٩٤، (٩٤)
ابن مكانس (عبد الرحمن بن عبد الرزاق) ٩٩
قطب الدين المكي ١٥٦
ملكشاه بن ألب أرسلان ... ... (٤)
ابن منبه (وهب) ٢٢١
المنذري (الحافظ ، عبد العظيم بن عبد القوي) ٨٨

المنصور (عبد الله بن محمد) ... ... ٣٣ ، (٣٣)
(٤٧) ، ٤٨، (١٤٠) ، (١٥٣)، ١٥٤ ، (١٥٦)
منصور بن أحمد (الآمر الفاطمي) ... ... (٨٤)
المهدي (محمد بن عبد الله) ... ... (١٤٠)، (١٥٣)، (٢٣٠)
مهيار الديلمي ... ... (٣٨) ١٠٠
موسى عليه السلام ... ... ١٩، ٢٠، ٢٨، ٢٩، ٤٢،
٤٦ ، (٥٢) ، ٦٧، ٧٢، (٧٢) ، ٨٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٤١، (١٤١)،
(١٤٦)، ١٨٥، (١٨٥)، ٢٠٤، ٢١٥
أم موسى عليه السلام (يوحانذ) ... ... (٤٢)، ٧٢
موسى بن يحي البرمكي ... ... (١٥٦)
الملك المؤيد (صاحب حماه، اسماعيل بن علي) ... ... (١٢٥)
(١٣٣)، (٢٠٦)
السلطان المؤيد الجركسي (شيخ بن عبد الله) ٥٠
مؤيد الدولة البويهي (بويه بن حسن) ... ... (١٤٩)
ميمون بن قيس (الأعشى) ... ... (٢٢١)
ابن ميمون الشاعر (لعله محمد بن عبد الله) ٢٣١

— حرف النون —

النابغة الجعدي (قيس بن عبد الله) ... ... (١٧٧)
النابلسي ٨٦
الناصر العباسي (أحمد بن الحسن) ... ... ١٢٥، ١٢٦
الناصر الجركسي (محمد بن قايتباي) ١٧
الخواجة ناصر الدين (صاحب التفسير) ١٩١
نافع بن عبد الرحمن الليثي القارىء ١٢٣
ابن نباتة (محمد بن محمد) ... ... ٢٩، ٣٩، ٧٧، ٢٠٨، ٢١٥
ابن النبيه ٥٠

نزار بن معد بن عدنان ... ... (٢١٧)
نصر بن عبد الله (ابن قلاقس) ١٠٧
النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) ... ... ١٤٤، (١٩٣)
النعيمي (عبد القادر بن محمد) ٢٢٣
السيدة نفيسة (بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط) ... ٨٥
نمرود بن كنعان ... ... ٢٨، ٢٢١
النواجي (محمد بن حسن) ... ... ٥٠، ١٠٦، ١٥٧
أبو نواس (الحسن بن هانىء) ٤١
نوح عليه السلام ... ... ٣١، ٢٨، ٥٩، ٧٢، ١٢٣، ١٣٢
نور الدين (الشاعر) ١١١
النووي (يحي بن شرف) ٣٢
النيسابوري (الشاعر) ١٥

— حرف الهاء —

هاجر رضي الله عنها ... ... (٤٧)
الهادي (موسى بن محمد) ... ... (١٥٣)
هاشم بن عبد مناف ... ... (٢١٧)
هرقل (قيصر) ١٩٣
هرمس ... ... ٣١، ٣٦
هرم بن سنان ٥٨
هرون عليه السلام ... ... ٧٢، (٧٢)
هرون الرشيد (هارون بن محمد) ١٢٠
هشام بن عبد الملك ... ... (٧٠)
هود عليه السلام ... ... ١٢٠، ١٢٣
الهيثم بن عدي ٢٢٦

— حرف الواو —

الواحدي (علي بن محمد) ٤٠

واصل بن عطاء (الغزال) ... ... (٧٩) ، ١٨٧

الوأواء الدمشقي (محمد بن أحمد) ٦٣

الورّاق ٤٣

ابن الوردي (عمر بن المظفر) ... ٣١، ٣٧، ٧٦، ١١٨، ٢١٤

الوليد بن عبد الملك ... ... ١١٦ ، ٢١٥ ، (٢١٥)

أبو الوليد ٣٢

وهب بن منبه ٢٢١

— حرف الياء —

يافث بن نوح عليه السلام ١٥١

اليافعي (عبد الله بن أسعد) ١٩٨

يحي بن حبش (السهراوردي)... ... ... ٨٨

يحي بن حسن (القاضي) ١٩٩

يحي بن خالد البرمكي ... ... (٣٣)، (١٥٦)

يحي بن زكريا (شيخ الاسلام) ... ٧، ١٤٤ ، ١٨٦

يزيد بن حاتم ٧١

يزيد بن معاوية رضي الله عنه ... ... ٧٩، ٨٢، ٨٣

يعقوب عليه السلام ... ... ٢٣، ٤٠

يعمر بن شداد ١١٨

أبو اليمن الرفاعي ١٩١

يوحانذ (أم موسى عليه السلام) ... ... (٤٢)، ٧٢

يوسف السقيفي (خطيب دمشق) ... ... ١٦٣، ٢٢٥

يوسف عليه السلام ... ... ٢٨، ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٣، ٧٢

يوشع بن نون ... ... ٧٢ ، (٧٢)

فهرس المواضع

ـ حرف الألف ـ

آبار الفقير ٢٣٨

آسية ... ... (٤٢)

آق شهر ١٩١

الأبلة ٢١٨

الأخيضر ٢٣٥

الأردن ... ... (٢٠)

أركلي ١٩٣

أرمينيا ... ... (٤٢)

الأزلم ... ... ١٧، ٦٧

أزنيق ١٨٩

أسكدار ١٨٧

اسكندرونة ١٩٧

الإسكندرية ... ... ١١١، ١١٣،
١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٣٩، ١٥٧

أسكي شهر ١٨٩

إسلامبول (قسطنطينية) ... ... (١٠٢)، (١١٦)
١١٩، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٦، ١٨٨

إسمل ١٩٣

أسوان ٢٨
إشبيلية ... ... (١٢٨)، ١٣٢، ١٤٢
إصطبل عنتر ١٧
اصطخر ... ... (١٤٩)
أصفهان ... ... (٤)
أضنـــــة ١٩٤
أعين القصب ١٩
إفريقية ... ... (١٣٣)
أكره ... ... ١٥، (١٥)، ٦٧
إلغين ١٩٢
أمريكة ١٦٢
الأنبار ... ... (١٥٣)
الأندلس ... (١٢٧)، (١٢٢)، ١٣٩، ١٤٢، ١٩١، ١٩٢، (٢٠٣)
أنطاكية ... ... ١٣٩، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٧
الأهرام ... ... ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤
أوروبة ... ... (١٣)، (٢٢)، (٢٣)، (١٦٢)
أيلة ... ... (١٣)، ٢٠، ٢١، ٢٨، ٦٧
إيوان كسرى ... ... ٣٣، (٣٣)، ٤٩

حرف الباء —

باب المندب ١٣
بادية الشام ٢٢٢
بارق ... ... ١٨٩، (١٨٩)
البحر الأحمر ... ... (١٣)
البحر الرومي ... ... ١٣، ٢٣، ٣٧، ١١٢، ١٣٤، ١٣٩
بحر الظلمات ١٣
بحر فارس ٣٥

البحر الهندي ١٣
البحرين ٦٤
بخارى ١٩٦
بدر ٦٧
برقة ٢٨
البصرة ... ... (٤٧)، ٦٤
بطن الغول ٢٣٣
بطن مر ... ... ٦٧، (٦٧)
بغداد ... ... ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٣ ،
٦٦، ٧٦ ، (١٢٥) ١٥٢ ، (١٥٣) ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، (٢٤٠)
بلا وضون ١٩٠
بلبيس ... ... ٥٤، (٥٤)
بلخ ٦٤
البلقاء ٢٣٢
البويب ٢٤
بياض ١٩٠
بيت المقدس ... ... ٢٠ ، ٥٣، ٨٤ ، ٢١٧
بئر الزمرد ٢٣٨
بئر ميمونة ... ... (١٥٣)
بيلان ١٩٧

— حرف التاء —

تاج محل ... ... (١٥)
تبوك ٢٣٥
تركية ... ... (٢٢)، ١٦٢
التيه ٢١

— حرف الجيم —

الجامع الأزهر ... ... ٢٥ ، ٢٧
جاووش خان ١٩٤
جبل طالوت ٢٨
جبل القمر ... ... ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧
الجحفة ... ... ٦٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣
جدة ... ... ٢٤٣ ، (٢٤٣)
الجزيرة ١٥٤
جزيرة العرب ... ... (١٥)
جفتة خان ١٩٤
جياد ٦٨
الجيزة ... ... ٤٦ ، ٩٠

— حرف الحاء —

حاجر ٢٤٠
الحجاز ... ... ١١ ، ١٣ ، (١٣) ،
١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، (٢٠) ، ٥٤ ، ٦٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧
الحجون ... ... (١٨٢)
حرستا ٢١١
الحريره ١٥
الحسا ٢٣٢
حسنا ٢٤٢
الحسينية ... ... ١٢٩ ، ٢٤٢
حسية ٢١٠
حطين ... ... (٨٤)
حلب ... ... ٦٣ ، ٧٣ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
(١٩٨) ، ١٩٩ ، (١٩٩) ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، (٢٤٠)

حلي ١٢٥
حماة ... ... ٢٠٥ ، ٢٠٦، (٢٠٦) ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧، ٢٢١
الحمراء ٢٤٢
حمص ... ... ٢٠٥ ، ٢٠٧، ٢٠٩ ، ٢١٧
الحوراء ... ... ١٣، (١٣) ، ١٤، ٦٧
حوران ٢٣١

— حرف الخاء —

خان شيخون ٢٠٥
خراسان ١٩٦
خليص ... ... ٦٧، ٢٤٣
خوارزم ١٩٦
خيبر ٢٣٩
خيف بني عمرو ... ... ١١، ٢٤٢

— حرف الدال —

دانية ... ... (٢٠٣)
دجلة ... ... ١٣، ٤٢، (٤٢)، ٤٤، ٧٦، ١٥٤، (٢٠٧)
دفين ٢٤٣
دمشق ... ... ٤٥، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٨٢، (٨٢)، (٨٦)، (١٢٨)، (١٤٠) ، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٣، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، (٢١٥)، ٢١٦، (٢١٦)، ٢١٧ ، ٢١٨، (٢١٨) ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، (٢٢٣) ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠

الدهناء ٦٧
دير مران ... ... (٢١٥)
الديل ١٨٨

— حرف الذال —

ذات حج ٢٣٣
ذو الحليفة ... ... ٦٧، (٦٧)، ٢٤٢
ذو قرن ... ... (٦٧)

— حرف الراء —

رابغ ... (١٣)، ٦٧، (٦٧)، ٢٤٢، ٢٤٣، (٢٤٣)
الربوة ... ... ٢١٢، ٢٢٢
الرافقة ١٥٤
رشيد ... ... ١٠٧، ١١٠
رضوى ٩٨
الرملة ... ... (٢١٧)
الرهـــا ١٦٦
رودس ... ... ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢
الروضة ... ... ٢٨، ٤٦، ٧٣، ٨٩
رومية ... ... ١٦٦، ١٦٧

— حرف الزاي —

زبيد ... ... (٧٦)، ٢٢١
الزرقاء ٢٣٢
الزهراء ... ... ١٩١، (١٩١)

— حرف السين —

سابور ٢١٨
سامراء ... ... (١٥٣)
سبأ ١٣٦
سبتة ١٣٩
سراقب ٢٠٣
سرنديب ٣٧
سقوت ١٨٩
سلع ١٤٥
سمرقند ... ... ١٩٦، ٢١٨
السند ... ... ١٣، ٣٥، ٧٢، ١٥٤
السويدية ٢٠٧
السويس ... ... ١٣، ٢٣، ٦٧

— حرف الشين —

الشام ... ... ١٣، (١٣)، ٤٦، (٥١)، ٥٣، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ١١٦، ١٣٩، ١٥٣، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، (٢٣٦)، ٢٣٩، (٢٣٩)، ٢٤٢
شرفة بني عطيفة ١٩
شعب بوان ٢١٨
شعب النعام ٢٣٨
شقحب ... ... (٢٣١)
شيراز ٩٤

— حرف الصاد —

صاقص ... ... ١٤١، ١٤٢

الصعيد ... ... ٤٥، ٥٦

الصفا ... ... (٤٧)، (١٨٢)

الصفراء ... ... ٦٧ ، ٢٤٢

صفين ... ... ٦٩، (٦٩)، ١٧٩

الصنمين ٢٣١

الصين ١١٨

— حرف الطاء —

الطالقان ... ... (١٤٩)

طبرية ٢١٧

طرابلس الغرب ١٣٩

طرسوس ... ... (١٥٣)

الطلبيات ٢٣٣

الطور ... ... ٢٠، ٥٦

طوس ... ... (١٥٣)

— حرف الظاء —

ظهر الحمار ١٩

— حرف العين —

عبدان (في الأردن) ٢٣٣

عجرود ٢٣

العذيب ... ... ١٨٩، (١٨٩)

العراق ... ... ٥٣، ٦٤ ، (٦٧) ، ١٥٤ ، ٢٣٥
العراقيب ٢٤٠
العرائض ٢٣٣
عرفة ٢٤٤
العريش ... ... ٢٣، ٢٨
عسفان ... ... ٦٧، ٢٤٣
عسقلان ... ... ٨٤، (٨٤)
العشيرة ١١
العقبة ... ... (٢٠) ، ٢١ ، ٢٢، ٦٧
العقيق ... ... ٩١، ٢٤٠، (٢٤٠)
العلى ٢٣٦
عمان ٢٣٢
عمورية ... ... (٦٩)
عنيزة ٢٣٢
عيذاب ... ... (١٣)
عيساباذ ... ... (١٥٣)
العين الزرقاء ... ... ١٤، (١٤)
عين شمس ٣٤
عيون القصب ... ... ١٨ ،٦٧

— حرف الغين —

غزة ... ... ٢٠، ٢١٧
الغوطة ... ... ٢١٤، ٢١٨

— حرف الفاء —

فاران ٢٣
فارس ... ... ٦٤ ، ٩٦ ، (٩٦)
الفحلتان ٢٣٩
الفسطاط ... ... ٤٣ ، ٤٧ ، (٤٨) ، ٨٦ ، ٢٣١
فلسطين ... ... (٢٠)
فيينا ٢٢

— حرف القاف —

القادسية ... ... (١٨٩)
قارة ٢١٠
قاسيون ... ... ٢١١ ، ٢٢٢
القاهرة ... ... ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ،
٤٧ ، ٤٨ ، (٤٨) ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٢٤
قبيزة ١٨٨
قديد ٢٤٣
قدس (منبع العاصي) ٢٠٧
قرابيار ١٩٣
قرطبة ... ... ١٩١ ، ٢١٧
قرط كلال ... ... (١٠٢) ، ١٩٦
القصير ٢١٠
القطراني ٢٣٢
القطيفة ٢١٠
القلزم ... ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٧
قلعة الغوري ٢٠

قلعة نخل ٢٢
قمرية ٣٧
قناة السويس ... ... (٤٧)، (٤٨)
قونية ١٩٢
القيروان ٦٨

– حرف الكاف –

كاظمة ... ... (٣٨)
كربلاء ... ... ٧٨، (٧٩)، ٨٣، ٨٤
الكرك ... ... ٢٠، ٢٢١، ٢٣٢
الكسوة ٢٣٠
الكعبة ... ...(٥١)، ٥٣، ١٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، (٢٤٢)
كهف شعيب ١٩
الكوفة ... ٦٤، ٧٨، ٨١، (٨١)، ٨٢، (١٤٠)، ١٩١

– حرف اللام –

لادك ١٩٢
لفقة ١٨٩
اللوى ... ... ١٨٩، (١٨٩)

– حرف الميم –

ماردين ٢٢١
ماسبذان ... ... (١٥٣)
المبرك ٢٣٦

المدائن ٣٣
مدائن صالح ٢٣٦
مدين ... ... ١٩ ، ٦٧
المدينة = طيبة = يثرب ... ... ٩ ، (٩) ،
١٠، ١٣، ١٤، (١٤)، ١٥، (١٥)، ٣٠، (٤٧)، ٦٧ ، (٦٧)، ٧٢،
١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، (٢٤٠)،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، (٢٤٣) ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ١٢٥ ،
مرسية ... ... (١٢٨)، ٢٠٣
مر الظهران ... ... (٢٤٤)
مرمرة ١٤٢
مرو ٦٤
المروة ... ... (٤٧)
مزيريب ٢٣١
مستورة ... ... ٢٤٢ ، ٢٤٣
مسجد قبا ١٤
مصر ١١ ، ١٣ ، (١٣) ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، (٢٥) ،
٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥، ٤٦، ٤٧،
٤٨ ، (٤٨) ، ٥٠ ، ٥٢ ، (٥٢) ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦، ٦٧،
٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ،
(٨٤) ، ٨٥ ، (٨٦)، ٨٧، ٨٩ ، ٩٠، ١٠٤، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ،
(١٣٣) ، ١٥٢، ١٥٥، ١٩٥ (٢٠٦)، ٢٠٨، ٢٢٥ ، (٢٣١)، (٢٣٦)
المصلى ١٤
المصيصة ١٥٤
المضيق ٢٣٥
مطران ٢٣٨

معان ٢٣٢
المعرة ٢٠٣
المعز ٢٣٥
المعظم ٢٣٥
مغاير شعيب ... ... ١٩، ٦٧
المغرب ٢٠، ٨٦، ١١٥، ١١٨، (١٢٧)، ١٣٤، ٢٠٣
المغيثة ... ... (١٨٩)
مكة المكرمة ... ... ٩، (٩)، (١٣)، ١٧، (٤٧)، ٥٣، ٥٥، ٦٦، ٦٧، (٦٧)، ٧٢، ٧٣، ٨٥، ٨٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، (١٢٥)، ١٢٨، ١٢٩، (١٢٩)، ١٣٢، ١٣٣، (١٣٣)، ١٥٢، ١٦٣، (١٨٢)، ٢١٧، (٢١٧)، (٢١٨)، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، (٢٤٤)، ٢٤٥، (٢٤٥)، ٢٤٧
المنصرف ٢٣
المنصورة ١٥٤
منف ٢٨
منى ... (١٣)، ٦٨، (٢١٧)، ٢٤٢، (٢٤٢)، ٢٤٤، ٢٤٥
المهدية ... ... (١٣٣)
الموالح ٦٧
الموصل ... ... ٦٣، ٩٤
المويلح ... ... ١٧، ١٨

— حرف النون —

نبط ... ... ١٢، ٦٧
النبك ٢١٠
نجد ١٢٥

نخل ٦٧
النقا ... ... (٢٤٠)
النقب ... ... ١٠، ١١
نقب علي ٦٧
نهر الأردن ... ... (٢٠٧)
نهر بردى ٢٢٢
نهر تورا ٢٢٢
نهر جايح ١٩٥
نهر جيحان ٤٢
نهر جيحون ... ... ٣٥، ٤٢، (٤٢)، ١٩٥، ١٩٦
نهر سايح ١٩٥
نهر سيحان ٤٢
نهر سيحون ... ... ٤٢، (٤٢)، ١٩٥
نهر العاصي ... ... ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩
نهر الفرات ... ... ١٣، ٤٢، (٤٢)، (٢٠٧)
نهر الليطاني ... ... (٢٠٧)
نهر مهران ... ... ٣٥، ١١٣
نهر يزيد ٢٢٢
النيربان ٢١٤
النيل ... ... ١٣، ١٤، ١٩، (٢٠)، ٢٣، ٢٨،
٣٠، (٣٠)، ٣١، (٣١)، ٣٤، ٣٥، (٣٥)، ٣٦، ٣٧، ٤٢، (٤٢)،
٤٣، (٤٣)، ٤٤، (٤٤)، ٤٥، (٤٥)، ٤٦، ٥٢، ٥٤، ٦٩، ٧٤،
٧٥، ٧٦، ٨٥، ٨٩، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٨

— حرف الهاء —

هدية ٢٣٩

هرات ٦٤

الهند ٧٢

— حرف الواو —

وادي السماق والدخاخين ١٧

وادي القرى ٢٣٩

وادي النار ١٢

وادي النخل ٢٢

الوجه ... ... ١٥، ١٦ ، (١٦)، ١٧، ٦٧

— حرف الياء —

ياباس ١٩٦

يلملم ... ... (٦٧)

اليمامة ٦٤

اليمن ... ١٣ ، ٦٤ ، ٦٦، (٦٧)، ٧٢، ١٢٥، ١٢٨ ، (١٨١)

ينبع ... ... ١٠، ١١ ، ١٧، ٦٧ ، ٧٣ ، ١٢٥، (١٢٥)

ينكي خان ١٩٠

فهرس الشعر

ـ حرف الهمزة ـ

أحساب النجـــوم أحلتمونـــــا	على علـــم أدق من الهبـــــاء	٢٣٤
إذا حمـــد امرؤ يوماً صباحـــــا	ـ وأنى ذاك ـ لم يحمـــد مســاء	١٥٢
إذا مـــا مات جارك ذات يـــوم	ولست بواجــد حبّ العشــاء	٠٩٤
أقول : غـــداً أفوز ببعض سؤلي	فيــأتي في غـــــد مالا أشاء	١٨٤
أمرتني بركوب البحر أقطعـــــه	غيري ـ لك الخير ـ فاخصصه بذا الداء	١٣٢
انظر إلى وجــه البسيطة أبيضــاً	لم تبـــد فيـــه شامة سوداء	١٩٠
إن لله غير أرضك مـــــــرعى	نرتعيـــــه وغير مـــائك مـــاء	١٤٠
البحر أهون من مرارة مـــــائه	أن تستقر بأضلعي الرمضـــاء	١١٢
رحلـــة لم يزل يفنـــدني الصيـ	ـف إذا ما نويتهـــا والشتـــاء	٠٠٦
في خـــده عرق بـــــــــدا	ذا حمرة لصفـــــــــائه	١٧١
قـــد أتينـــا الحوراء في يوم حر	شمسه كالعقيقــــــة الحمراء	٠١٤
كل يوم وكل أرض ـ لكربـــي	منهم ـ كربلا وعـــــاشوراء	٠٨٤
نيـــل همومي ومـــا لقيت بـــــه	لفرط وجـــدي وفيض بـــلوائي	٠٣١
وإذا البينـــــات لم تغن شيئــــاً	فالتماس الهدى بهن عنــــاء	٠٨١
وإذا حلّت الهـــداية قلبـــــاً	نشطت للعبـــــادة الأعضـــاء	٢١٦
وإذا خفيت عـــن الغبي فعـــاذر	أن لا تراني مقلـــة عميـــــاء	٢٢٩
وبركة للعيون تبــــــــــدو	في غـــاية الحسن والبهـــــاء	٠٢٤
والبقّ والنـــاموس حولي عسكر	يتنادمون على مدام دمـــائي	١١٤

ولرحمـــة المتوجعين حـــرارة	في القلب مثـل شماتة الأعـداء	١٧٩
وقست منهم قلوب عـــلى من	بكت الأرض فقـــدهم والسماء	٠٨١

— حرف الباء —

آها لمصر، أين مصر وكيف لي	بديار مصر مرتعـاً وملاعبـا	٠٧٧
أترجو أمـة قتلت حسينـــاً	شفاعة جـده يوم الحســاب	٠٨٥
إذا اصطفاك لأمر هيأتك لـــه	يد العناية حتى تبـلغ الأربـا	١٢٨
إذا أعرضت فالأهل مني أجانب	وإن أقبلت فـالأجنبي نسيب	٠٢٢
إذا المرء من أعداه لم يشف نفسه	فما نفعه إن قـام للثـار طالب	٠٩٧
إذا لام فيها الشيخ طفل غرامـها	على سكره فالشيخ كالطفـل يلعب	١١٠
إذا لم تقم في طيبـة عنـد طيب	بـه طيبـة طابت فأين تطيب	٢٤٦
أشتاق في وادي دمشق معهـداً	كل الجمال إلى حمـاه ينسب	٢١٢
أطلق لسانك بالثنـاء على الذي	أولاك حسن رغائب وغرائب	١٨٧
أظل غريب الدار في أرض عامر	ألا كل مهجور هناك غريب	٢٢٧
أغار على حرف يكون من اسمها	إذا ما رأته العين في خط كـاتب	٠٦٣
أقمت بها يوماً تقضى كـــأنه	خيال غزال زار وهم حبيبـه	١٩٥
إلهي طـال بعـدي واغترابي	وفي جنح الدجى طال التهـابي	١٨٥
أمامي من الحرمان جيش عرمرم	ومنه ورائي جحفـل حين أركب	٠١٠
أمر بالكرم خلف حـائطـــه	تأخـذني نشوة من الطرب	٢٢٩
أملأ ركابي فضة وذهبـــا	إني قتلت السـيد المحجبـا	٠٨١
إن الفؤاد إذا تكـدر لم يكـن	يصفو بغير شكايـة وعتـاب	٠٠٥
انظر إلى النيـل الـــذي	ظهرت بـــه آيـات ربي	٠٣٠
إن في الروم سادة بلقـــاهم	زال مـا أشتكيه من أوصاب	١٦٣
بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً	وكيف لا وهو نجل السادة النجبا	٠٥٣
بروحي محجوباً عن العين شخصه	ومن ليس يخلو عن لساني ولا قلبي	٠٢٧
بسيف الحجى عند اشتداد النوائب	تقلدت فاستغنيت عن كل ناصب	١٥٢
بكى السيل واستبكاني السيل إذ جرى	وفاضت له من مقلتي غروب	٢٢٦

بلاد بها نيطت علي تمائمي	وأول أرض مس جلدي ترابها	١٣٨
تأمل البحر والبدر المنير وقل	جل المؤلف بين الماء واللهب	٠٧٦
تحن إلى وادي دمشق جوانحي	وإن كان مما قلّ فيه نصيبي	٢١١
تذكرت يوم الفطر في مصر إذ أتى	وقوس النوى ترمي الحشا أسهم الخطب	٠٦١
ترى الفتى ينكر فضل الفتى	مادام حياً فإذا ماذهب	٠٩٨
تعجبت من أمر القرافة إذ غدت	على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو	٠٨٦
تعشقت منه حالة لست قادراً	على وصفها إذ لم يذقها سوى قلبي	١٧٠
تعشقته سكران من خمرة الصبا	على غرة من لوعتي ونحيبي	٠٦٣
تعلمت أسباب الرضا خوف هجره	وعلمه حبي له كيف يغضب	١٧٠
خلقت طيناً وماء البحر يتلفني	والقلب فيه نفور عن مراكبه	١١٢
دع الأتراك والعربا	وكن في حزب من غلبا	٠٦٤
ذهب الذين يعاش في أكنافهم	وبقيت في خلف كجلد الأجرب	(٦١)
رأيت بها ما يملأ العين قرة	ويسلي عن الأوطان كل غريب	١٤٣
الرزق يأتي ولو لم يسع صاحبه	حتماً ولكن شقاء المرء مكتوب	١٤٦
زعمت بأني قد بلغت من الهوى	إلى غاية مابعدها لي مذهب	١٧٠
سارقته نظرة أطال بها	عذاب قلبي وما له ذنب	١٠٠
ستون ألفاً كآساد الشرى نضجت	جلودهم قبل نضج التين والعنب	(٦٩)
سقى الله يثرب من بلدة	وطاف بها مستفيض السحاب	٢٤٦
السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب	(٦٩)
شاد الملوك قصورهم وتحجبوا	عن كل طالب حاجة أو راغب	١٧٣
شجرات ورد أحمر بعثت	في قلب كل متيم طربا	٢١٠
الشمس فوق النيل قد	ألقت شعاعاً كاللهب	٠٧٥
الشمس فوق النيل قد	ألقت شعاعاً كاللهب	١٠٧
شوقي شديد إلى لقياك يا حلب	من نازح شفه في بعده النصب	٢٠٢
العلم يأتي كل ذي	خفض ويأبى كل آبي	٠٩١
على أنها الأيام قد صرن كلها	عجائب حتى ليس فيها عجائب	١٣١
على قدرك الصهباء تعطيك نشوة	ولست على قدر السلاف تصاب	٠٩٦

علينا لك الإسعاد لو كان نافعاً	بشق قلوب لا بشق جيوب	٠٨٥
علي لربع العامرية وقفة	ليملي علي الشوق والدمع كاتب	١٧١
غدت حلب تقول دمشق حفّت	بأنواع من الورد العجيب	١٩٩
فالليالي من الزمان حبالى	مثقلات يلدن كل عجيبة	٠٠٨
فقد رفع الإسلام سلمان فارس	وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب	(٩٦)
فلا عدمتهم نعمة خلقت لهم	ودنيا بهم فيها الحياة تطيب	١٢٤
قصب الوادي هبوا لي ماءه	ففؤادي فيه حر الوصب	٠١٨
قل لأبي الفضل قول معترف	مضى جمادى وجاءنا رجب	٢٣٤
قل للمقيم بغير دار إقامة	آن الرحيل فودع الأحبابا	١٣٠
قوض خيامك عن أرض تضام بها	وجانب الذل إن الذل مجتنب	٠٩٨
كعرش بلقيس لما جاء مختطفاً	إلى سليمان يسعى من رسوم سبا	١٣٦
كفى شرفاً بالعلم دعواه جاهل	ويفرح أن يدعى إليه وينسب	٠٩٣
لا أركب البحر أخشى	علي منه المعاطب	١١٢
لا تعتب الدهر في خطب رماك به	إن استرد فقل ياطال ما وهب	١٧٣
لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسى	واعجب لأسود عيني كيف لم يشب	١٣٢
لا تقصد الروم خال من لفاتهم	ولا تظن الغنى في منطق العرب	١٦٢
لعمرك ما الانسان إلا ابن دينه	فلا تترك التقوى اعتماداً على النسب	٠٩٦
لعمرك ماالغريب بذي التنائي	ولكن المقل هو الغريب	٢٣٣
لقد أصبح الشافعي الإمام	وفينا له مذهب مذهب	٠٨٦
لله أي عجيبة وغريبة	في صنعة الأهرام للألباب	٠٣٤
لم تترك الترك في شمس ولا قمر	حسناً لغيرهم يعزى وينتسب	١٦٩
لنا عتب على سلمات نجد	وحاشا العامرية من عتاب	١٤٥
لنا ملك ينادي كل يوم	لدوا للموت وابنوا للخراب	١١٦
لوأن في بابه للنظم مفخرة	ألّفت في مدحه ألفاً من الكتب	١٧٦
لولم أقل هذا وهذا	وذا بأي شيء كنت أملي الكتاب	٠١٤
مالي وللمجد والأيام عابسة	والحظ واللحظ طول الدهر في عتب	١٤٦
ما مصر إلا منزل مستحسن	فاستوطنوه مشرقا ومغربا	٠٧٤

مسألــة الـــــدور جرت	بيني وبــين مــــن أحب	٢٣٣
مصائب شتى جمعت في مصيبة	ولم يكفها حتى قفتهـــا مصائب	٠٨١
مليك إذا مارمت ذكر مديحــه	يقول لسان الحـــال وهو صواب	١٤٣
من الغرائب فيما شاهدت مقلي	أن الرغائب عنها الناس قد رغبوا	١١٣
من كان يطلب في أيامه عجبــاً	فلي ثمانون عــاماً لا أرى عجبــا	٢٠٥
نزلنـــا عــلى القصب السكر	ي نزول رجال يريدون نهبــه	٠٥٦
هبت لنا ريح شماليــــــــة	أتت إلى القلب بأســـباب	٠٤١
والجـــار محسوب على جيرانه	جار الكريم مسامح مــن ذنبــة	٢٤٨
والعلم في شهب الأرماح لامعــة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب	(٧٠)
والمـــاء تلعب أطراف النسيم به	مـــا بين ماض وآت أي تلعاب	١٠٥
وإن اغتراب المرء مــن غير فاقة	ولا حاجة يسمو لهـــا لعجيب	١٣٧
وإني على مـــافيّ من حضريــة	ليعجبني ظــل الخبــاء المطنب	٠٧٢
وحـــار لبي لما بليت بــــــه	من الليـــالي وصرفهـــا عجب	١٧٩
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي	وساورتني الهموم والكـــرب	١٧٩
وعمـــاتك النخـــل كن مثلهـــا	لرامي الحجارة ترمي الـــرطب	٠٦١
وعماتك النخـــل كن مثهـــا	لرامي الحجـــارة ترمي الرطب	٢٣٨
وفتحك القطعة الشهباء في صفر	مبشر بفتوح القدس في رجب	١٩٩
وفي الحب تعذيب وفيه عذوبـــة	فسل عنه صباً حكمته التجارب	١٧١
وقائل ما للملك قلت الغـــــنى	فقال لا بل راحــــة القلب	١٧٣
وقد صدرت ولكن بعد مهلكـــة	كما وردت لأمر خط في الكتب	١٤٥
وقلما أبصرت عيناك من رجلٍ	إلا ومعناه إن فكرت في لقبه	١١٣
وكـــــان من عـــدّد إحسانه	كان كمن أفرط في سبه	(١٤٣)
ولا تتركوا يوم السرور إلى غـــد	فرب غد يمضي المحيل إلى الترب	٢١١
ولقد وقفت على ربوعهـــــــم	وطلولهـــــا بيــد البلى نهب	١٢٩
ولما اعتنقنـــا للوداع عشيـــة	على بركة الحجاج والدمع يسكب	٠٢٤
ولما وردنـــا مـــاء مدين بكرة	وجدت عليه الناس يسقون بالقرب	٠١٩
وما الشام إلا في البلاد كشامــة	عروسة أرض الله في الشرق والغرب	٢١١
وما كـــل وجـــه أبيض بمبارك	ولا كـــل جفن ضيق بنجيب	١٠٥

وما هي إلا جيفة مستحيلــــة	عليها كلاب همهن اجتــذابها	١٧٤
ومحتجب بين الأسنة والظبـــا	وفي القلب من إعراضه مثل حجبه	٠٦٣
ومرّ بي النسيم فرقّ حــــتى	كأني قــد شكوت إليه مابي	٢٣٨
ومـــن العجـــائب أنني	في لج بحر صـرت راكب	١٣١
ومــن تفكر في الــدنيا وغايتها	أقامه الفكر بين العجز والتعب	٠٧٩
ياابن الكرام أعدفي الدهر ذكرفتى	لــه بشطريه تحويــل وتقليب	٠٢١
يابارقــاً بأعالي الرقمتين بــدا	لقد حكيت ولكن فاتك الشنب	١٠٧
يــا رحلــة جمعتهــــــا	ألفـــاظهــــا تستعــذب	٢٤٨
يــاسيداً بالوعــد أتحف عبده	فضلا ولكن وعــده مثل السحاب	٠١١
يقولون عيش البرمكيين طيــب	فقلت وعيشي بالسلامة أطيب	١٥٦

— حرف التاء —

أتخرجني من كسر بيت مهدم	ولي فيك من حسن الثناء بيوت	٢٠٦
أتيت إلى الحجــاز فقلت لمــا	تبدى وجهـــه لي وارتويته	٠١٧
أتيت بيوتــاً لم تنل من ظهورها	وأبوابها عن قرع مثلك سدت	١٠٨
إذا رأيـــــت أمــوراً	منهـــا القــلوب تفتتت	٠٥٥
أعطيتني الألف إجــلالا وتكرمة	ياليت شعري أم أعطيتني ديتي	٢٠٦
إن العـــداوة تستحيــل مودة	بتــدارك الهفوات بالحسنات	١٤٧
أنت يــــا نرجسة الــرو	ض لمـــا في الروض ست	٠٥٧
بالسفح حينــاً وبالبلقاء آونــة	وبالكثيب زمــاناً والأثيــلات	٠٢٥
بروحي مـــن أسميهـــا بستي	فتنظرني النحـــاة بعين مقت	٠٥٧
بني الــدنيا أقلوا الهم فيهـــا	فما فيهــا يؤول إلى الفوات	١١٩
بها ما يلذ العيش من حسن منظر	ومـــا ترتضيه النفس من شهواتها	٠٧٧
رأيت العمـــاد وأبنـــاءه	عمـــاد المكـــارم فيمن رأيت	٢٢٠
عجبــاً لمثلي وهو يبصر رشده	في الأرض كيف تقلبت حــالاته	١٨٤
فان المـــاء مــاء أبي وجدي	وبئري ذو حفرت وذو طويت	(١٦)

في الأرض آيات فلا تكن منكراً	وعجائب الأشياء من آياته	٠٥٥
في حالة البعد روحي كنت أرسلها	تقبل الأرض عني فهي نائبتي	٠٨٩
قد نشر الزنبق أعلامه	وقال كل الزهر في خدمتي	(٥٧)
كانت لمصر بهجة	بالنيل منذ ولى خلت	٠٤٥
كم من كتاب قد تصفحته	وقلت في نفسي صححته	(٦٩)
لا تقطعن عادة الإحسان عن أحد	مادام يمكن في الإمكان تارات	١٧٥
للآس فضل بقائه ووفائه	ودوام منظره على الأوقات	٠٥٨
لي مدة لا بد أبلغها	محتومة فإذا انقضت متّ	١٣٥
ما إن مدحت مكملا في ذاته	لكن مدحت مقالتي بصفاته	١٧٦
مادمت حياً فدار الناس كلهم	فإنما أنت في دار المداراة	٠٩٧
نظرت إليه نظرة فتحيرت	دقائق فكري في بديع صفاته	٢٢٩
وإن لم أفز حقاً إليك بنسبة	لعزتها حسبي افتخاراً بهمتي	١٤٥
وكانت على الأيام نفسي عزيزة	فلما رأت صبري على الذل ذلت	١٨٢
وعني بالتلويح يفهم ذائق	غني عن التصريح للمتعنت	١٨١
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا	ولا موجعات القلب حتى تولت	١٨١
ونحن في مركب كالنون يذكرنا	موسى بن عمران في يم بتابوت	١٣٦

— حرف الثاء —

أنزلنا الدهر على معشر	تغرّ بالناس أحاديثهم	٠٦٦
كلام المنجم في لفظه	يحل لدينا محل الحدث	٢٣٤
لا بارك الله في البعوض ولا	بورك في البق والبراغيث	٠٦٥

— حرف الجيم —

أسير مثل أسير وهو يعرج بي	كأنه نازل ينحط من درج	١٩٠
أقول للسرو إذ كساه	ثلج بدا نوره وأبهج	١٩٠
إني أرى الجود بالدنيا إذا ملكت	خيراً من الزهد فيها ياأبا الفرج	٢٠٩

ذكرت أحبتي بـــالمرج يوماً	فهــاجت أدمعي نيران وهجي	٢١٩
علت بهدرجات الفضل واتضحت	دقائق مــن معاني لفظه البهــج	١٥٥
كم نزهــة في يلبغـــا تبتغى	ودارج لم يخــل من دارج	٢٢٢
للورد فضل على زهر الربيع سوى	أن البنفسج أذكى منه في المهج	٠٦٠
ملك أبوه وأمــه من دوحـــة	منها سراج الأمــة الوهــاج	١٢٥
ولربما ساق المحدث بعض مــا	ليس النــديم إليــه بالمحتــاج	٠١٣

— حرف الحاء —

إذا عزّ من تهوى ولم تر حيلــة	فليس سوى الدينار أرجى وأرجح	١٧٩
أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق	وفي صدره معنى الملاحة مشروح	٢١٦
أقمت بالبركة الفيحاء مدهقــة	والماء مجتمع فيهــــا ومسفوح	٠٤٩
أقول للقلب لا تجزع لفــائتــة	أخلت باب التمني غير مفتوح	١٧٤
أكرم بزمزم إذ غــدا متفجراً	بمعين مــــاء للمفاسد يصلح	٢٤٥
أملتــــــه ثم تــأملتــــه	فلاح لي أن ليس فيــه فــلاح	١٠٥
أميرله في حلبة الجود والــوغى	سوابق للإنسان قبــل التماحه	٢٣٢
ثلاث تجمعــــن في ريقهــــا	مــلاح أدلتــهــا واضحــة	٠٩٩
سألوا مديح منــاهل فــأجبتهم	هذي المنــاهل مدحهــا لا يصلح	٠١٨
علــة شيبي قبــل إبـــانــه	هجر حبيبي في المقــال الصحيح	٢٣٣
قسم الإلــه الأمر بين عبـــاده	فــالصب ينشد والخلي يسبح	٠٨٨
نبّهتهم مثــل عوالي الرمـــاح	إلى الوغى قبــل نموم الصبــاح	(٥٦)
وإذا نظرت إلى الوجود بعينــه	فجميع مــافي الكائنات مليــح	١٨٤
وأن مــن ينزل آمــالــــه	بساحة العبــد قليل النجاح	(١٠٥)
ولما قضينــا من منى كل حاجة	ومسح بالأركان مــن هو ماسح	٢٤٥
ياجــاهلا قدر المحبــة ساءني	ما ضاع من كلفي ومن تبريحي	١١٠
يــاراغباً في غير جــامع جلّق	هل يستوي الممنوع والممنــوح	(٢١٦)
يا مهــدياً لي بنفسجاً عــطراً	يرتاح صدري لــه وينشرح	٠٦٠

يانسيم الصبح مـــن كـــاظمـــة   شد ماهجت الجوى والبرحـــا (٣٨)
يـــذمون دنياهم وهم يطلبونـهـــا   ولم أر كـــالدنيا تذم وتمدح ١٨٣

— حرف الدال —

آل حرب أوقدتم نـــار حربٍ   ليس يخبو لها الزمـــان وقود ٠٨٣
أبكي إذا ذكر العقيق بمثلـــه   لعهود جيرتـــه وحسن المعهـــد ١١٤
إذا اجتمع النـــاس في واحـــد   وخـــالفهم في الرضا واحـــد ٠٩٦
إذا أفادك إنسان بفـــائـــدة   من العلوم فجـــدد ذكرهـــا أبدا ١٢٢
إذا بلـــغ الوليد لـــديك عشراً   فلا يدخـــل على الحرم الوليـــد ٢٠٥
إذا تخلفت أمراً كنت تعهـــده   يجري الزمان على مجرى عـــوائده ٠٦٦
إذا نلت المنى بصـــديق ودٍ   وكـــان وفـــاقه وفق المـــراد ٠٩٥
أفـــد العـــلم ولا تبخـــل بـــه   وإلى علمك علمـــاً فاستزد ٠٩١
أقـــال فعالي بله أكثره مجـــد   وذا الجد فيـــه نلت أم لم أنل جد (٠٢٥)
ألم تغتمض عينـــاك ليلة أرمـــد   وبت كما بات الخلي مسهدا (١٧٧)
إلى بلـــدة نيطت علي تمـــائمي   بها في جوار الهـــاشمي محمـــد ١٨٧
أمـــا المـــــذهب والمفضـ   ـضض والمفوف و االنضيـــد (١٧٢)
أميرنـــا السيد المفضال مسعود   من وصفه العدل والإنصاف والجود ١٣٠
إن الصفا في شرب كـــل مودة   لم يخل من كدر لمن هو وارد ٠٩٨
إن العبيـــد إذا ذللتهم صلحـــوا   على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا ١١١
إن دام هذا ولم يحدث له بـــدل   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ٠٩٦
أود مـــن الأيـــام مالا توده   واشكواليها دهرنا وهي له جنده (١٨٢)
أولو العزم خمس والشرائع خمسة   يدان بها رب العبـــاد ويعبـــد ١٢٣
أولئك الناس إن عدوا وإن ذكروا   ومن سواهم فلغو غير معـــدود ١٢٧
أيا ساكني أطياف طيبة حسبكم   من السعي للعلياء جيرة أحمـــد ١٨٦
إياك والأتراك إن لبعضهـــم   أشخاص غزلان وفعـــل أسود ١٦٩
برّح بي أن علـــوم الـــورى   علمان ما إن لهمـــا من مزيـــد ٠٣٢
تالله لو كانت الدنيا بأجمعهـــا   تبقى علينا ويأتي رزقهـــا رغدا ١٨٣

تالله مــا فارقت أرضاً لكــم	إلا ورافقت السها والسهــاد	١٩٦
تبين أن صـــدر الأرض مصر	ونهداها من الهرمين شاهـــد	٠٣٤
تعس القياس فللغرام قضيــة	ليست على نهج الحجى تنقــاد	١٧٠
تفقـــد السادات خـدامهم	مـكرمة لا تنقص السؤددا	٠٩٨
تنــام النصــارى واليهودبأمرهم	ونوم بني الزهراء نوم مشرد	٠٧٩
توق مـــن الشتاء ولا تخــاطر	بنفسك قــائلا إني جليـــد	١٤٠
حلـــب الشهباء قـــالت	سائر المـــدن عبيـــدي	١٩٩
حلفــت مـــن يكتــب بي	بالـــواحد الفرد الصمـــد	١٤٩
دار العمــاد فرط شوقي إليهــا	يجل أن يذكر بين العبـــاد	٢٣٠
رعى الله مصراً كم بها منمسرة	ومنزل أنس لاح كالطالع السعد	٠٧٤
رعى الله مصراً كم بها من مسرة	ومنزل أنس لاح كالطالع السعد	٠٤٤
روض كمخضر العذار وجدول	نقشت عليه يــد النسيم مباردا	٢٣٧
زادت أصــابع نيلنـــــا	وطفت وطافت في البــلاد	٠٢٩
زين الشام وحــق الصمـــد	حسن حمــام كثير العـــدد	٢٢٤
شكرتك إن الشكر للعبد نعمــة	ومن يشكر المعروف فالله زائــده	٢٠٠
طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا	تجــد هموماً تسلي عنك مــا تجد	٠٨٣
عجبت لجرأة هـــذا الغزال	وأمن تخطى بـــه واعتمد	١٥٧
عدوى البليــد إلى الجليــدسريعة	والنار تطرح في الرمــاد فتخمد	٠٦٤
على أنهــا عنــد الملمات لم تزل	إذا جردت كالمشرفي المهنــد	١٨٧
فتنت بظبي من بني الترك أدمعي	لهجرانه تنهــل عسفاً على خدي	١٦٩
فقــل للدهر أنت أصبت فالبس	برغم منك أثواب الحـــداد	١٦٨
فلله مــا لاقيت فيها من الهنــا	ولله حــادي العــامرية إذ يحــدو	٢٣٦
فلو أن السحاب همى بعقـــل	لما أروى مع النخل القتـــادا	١٤٦
فما كل غــاد نحو قصد ينالــه	ولا كل من زار الحمى سمع النــدا	٠٠٥
فمن لي بقلبي إذ رحلت فــإنني	مخلّف قلبي عند من فضله عندي	٢٣٠
فيا حسن هاتيك الديــار وتربها	فكم قد حوت حسناً يجل عن العد	١٠٨
في أهـــل مصر معـــان	مـــن لطفهـــم تستفـــاد	٠٧٧

قضى عثمان سلطان البرايـــــا بأسياف العســاكر والجنــود ١٥١
قطعت كم بيد أطلب من وصاله باد وبالجفــا باد مالي من أخذلي بيد ١٢٠
كأن التقاء النيــل بالبحر إذ هما مليكان سارا في جحــافل من جند ١١٢
كأن النخيل الباسقات وقد غدت لناظرها حسناً قباب زبرجــد ٢٣٨
كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى وأقيال مكــة في بسالتهم أُسد ١٢٩
كــأنما النهر إذ مر النسيم بـــه والغيم يهمي و ضوء البرق حين بدأ ٢٣٧
كل البلاد فداء مصر لأجــل من قد زانها وهو الأمير الأوحــد ٠٦٢
لا تغالي بمـــدح مصر وقصّر فهي دار سراتهـا الأوغـــاد ٠٧٨
لا تقرضن الصــديق شيئــاً إن رمت أن تقتــني وداده ٠٩٥
لكــل شيء آفــة مــن جنسه حتى الحــديد عدا عليــه المبرد (١٤٠)
لكم يابني الزهراء في الذكر آية فجاحدها في الناس لا شك ملحد ١٦٤
لله در الليـــالي في تقلبهـــا وكل أمر بدا من حكمة الهادي ٢٤٣
لله يومي بــالعلى إذ شاهــدت عينــاي آثار النبي الهــادي ٢٣٦
لمــا أراد الله نفع عبـــاده ولى مراداً ملك خير بـــلاه ١٥١
محـــاسن الشام جلّـــت عــن أن تحــد بحــدّ ٢٢٣
محن الزمـــان كثيرة لا تنقضــي وسروره يــأتيك كــالأعيــاد ١٧٥
مداده في الطرس لما بـــدا قبلــه الصبّ ومــن يزهــد ١٠٠
مرام شط مرمى العقل فيـــه ودون مــداه بيــد لا تبيــد ١٠٨
مسح الرسول جبينــــــه فلــه بريق في الخــدود ٠٨٣
من رام يستسقي معالم طيبـــة ويشاهــد المعدوم كالمــوجود ٠١٥
هذا الزمـــان الذي كنا نحاذره فيما يحدث كعب وابن مسعود ٠٩٦
هـــذا جنـــاه أبي عليّ ي، ومــا جنيت على أحد ٢٠٥
هذي رشيد وكم حوت من روضة غنا وقصر في الرياض مشيّد ١١٠
وآي منى خمس فمنها اتساعهـــا لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحدّ ٢٤٤
وأحسن عمرو في الذي كان بيننا وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد (١٤٠)
وبروحي فــديته ذا جمـــال غنج اللحــظ كالقنا الأملود ١٨٣
وحملت أعباء الغرام وثقلـــه فرداً وحــاربت الزمان وحيــدا ١٩٦

وزهـدني في الشعر أنّ سجيّتي	بمـا تستجيد الناس ليس تجود	١٥٨
وفي الناس من يرضى بميسور عيشة	ومركـوبه رجلاه والثوب جلده	١٨٢
وكـان عهد العين منـذ نأت	بالدمع آخر عهـد القلب بالجلـد	٠١١
وكان آخر عهد العين منذ نأت	بالدمع آخر عهـد القلب بالجلد	(١١)
وكم مات في البحر المحيط أخوظما	بغلتـه والمـاء جـار وراكـد	١٣١
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى	مزية مابين الوصال إلى البعـد	١٠٠
ولكـل شيء آفـة من جنسه	حتى الحـديد عدا عليه المبرد	(١٠١)
ولكن أسباب الضرورات لم تزل	إلى غير ماتهوى النفوس تقود	١٧٧
ومـا العيش إلا ما يلـذ ويشتهى	وإن لام فيه ذو الشنان وفنـدا	١٧٢
ومليحة شهدت لها ضراتهـا	والفضل ما شهدت به الأضداد	٠٩٢
ومهفهف حيـا المحب بـوردة	بيضاء قـد نشقت روائح ندّه	٢٠٩
ويكاد من كرم الطباع وليدهم	يهب التمائم ليلـة الميـلاد	١٢٧
يـابني الزهراء لا لقيّتـم	أبد الآبـاد سوءاً من أحـد	٢٣٥
ياسرحة الماء قـد سدت موارده	أما إليك طريق غير مسدود	(٦٢)
ياسميري روّح بمكـة روحي	شـادياً إن رغبت في إسعادي	٢٤٢
يايومنا بالمرج هـل من عـودة	ليت الليـالي للوصال تعيـد	٢١٩
يبيت كما بات السليم مسهـداً	وفي قلبه نار يشبّ لهـا وقـد	١٧٧
يقدح الدهر في شماريخ رضوى	ويحطّ الصخور مـن هبّود	٠٨٢

— حرف الذال —

ذهبت وقـد سد الغرام مذاهبي	وقلبي إلى نحو الأحبـة يجبـذ	١٠٤
في موقف وقف الحمام عليهـم	في ضنكه واستحوذ استحواذا	٠٨٠
ياكتابي إذا وصلت إلى مـن	حبّه صيّر الفؤاد جـذاذا	١٧٢

— حرف الراء —

أتيـت لقبر الشـافعي أزوره	فعارضني فلك وماعنده بحـر	٠٨٦
اجعل نديمك دفتراً في ضمنـه	حكم العلوم وطيّهـا في نشره	٠٩١

أخبار مصر حديتهـا من حسنه	يحلو لأن اللفظ منها سكر	٠٩٠
إذا رمت صبراً عند فقري ببلوتي	يقول الحيا لن تستطيع معي صبرا	٠٧٣
إذا شوركت في أمر بـدون	فـلا يلحقك عار أو نفور	١٥٩
إذا عرف الانسان أخبار مامضى	توهمت قد عاش من أول الـدهر	٠٥٦
إذا مـا خلوت مـن المؤنسين	طلبت المـوانس في الـدفتر	١٤١
أعد ذكر من حلّ الغضى يامعذبي	وإن أضرموه بالأضالـع والصدر	٠٩١
أفنيت خمسين عاماً معملا نظري	فيه فلم أدر ما آتي وما أذر	١٠٩
ألا إن قراء الأئمة سبعـة	بهم يهتدي في الـذكر كل كبير	١٢٣
ألا قل لمن يبغي ظهور سيـادة	تملكها الزهر الكرام بنو الزهر	٠٥٤
إلهي أنت تعـلم أن عجـزي	بعفوك مـن عـذابك يستجير	١٠٢
أملت أن تتعطفوا بوصالـكم	فرأيت من هجرانكم ما لا يرى	١٠٠
إن آثـارنـا تدل علينـا	فانظروا بعـدنا إلى الآثـار	٢١٠
إن العماد بنوه والـذي شرفت	به الأباطح أعني صفوة البـاري	٢٢٠
إن الليـالي والأيـام لوسئلت	عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا	١٨٠
إن الملوك وإن جلت مناصبـا	لها مع السوقة الأسرار والسمر	٠٠٧
انظر إلى الهرمين واسمع منهمـا	مايرويان عـن الزمـان الغابر	٠٣٣
انظر إلى بركة الفيل التي اكتنفت	بها المناظر كالأهداب للبصر	٠٤٩
انظر إلى سير المراكـب إذ بدت	والماء يعلو حولها ويـدور	١٠٦
أيا ساكني مصرغدا النيل جاركم	فألبسكم تلك الحلاوة في الشعر	٠٤٤
أين كسرى ، كسرى الملوك أنوشر	وان أم أين قبـله سابور	(٣٨)
بـاـد طيب ومـا معين	وترى طينه يفـوح عبـيرا	١٥٤
بهجة العين روضة المختـار	تنجلي في مشارق الأنـوار	٢١٦
تطـالبني نفسي مقـاماً في مكة	فأذكر ضعفـاً أهلها فـأقصر	٢٤٥
تعشقت بدراً ليس فيـه مطمع	سوى أنني في حسنه أتفكر	١٠٠
تعلم هذا النيل من خلقي الوفـا	لسكان مصر لهف قلبي على مصر	٠٧٤
تناقض مانرى إلا السكوت لـه	وأن نعوذ بمولانـا من النـار	٠٦٣
جعلوا لأبنـاء الرسول عـلامة	إن العلامة شأن من لم يشهر	٠٥٤

حاذر أصابع من ظلمت فإنها	تدعو بقلب في الدجى مكسور	٢١٠
حتى التقينا فلا والله ماسمعت	أذني بأحسن مما قد رأى بصري	١٤٤
خذ من زمانك ماصفا	ودع الذي فيه الكدر	٢٤٨
خرجوا به ولكل باك حوله	صعقات موسى يوم دك الطور	٠٨٢
خط على ماء الشباب الذي	نجده جسر من الشعر	١٨٩
خليج كالحسام له صقال	ولكن فيه للرائي مسرة	٠٤٨
خليلي ما تحت السماء بنيه	تماثل في إتقانها هرمي مصر	٠٣٣
دخلتها وشعاع الشمس متقد	وحرها في الحشا تذكو هواجره	١٩٤
دخلنا على أن المقام ثلاثة	فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا	١٩٨
دفن الليث فلا ليث لكم	ومضى العلم غريباً وقبر	٠٨٧
دمشق فيها نُزهة	وسفحها زاه نضر	٢١٤
الدين أول دينار نطقت به	والدرء للهم في ذا الدرهم الساري	٠٧١
راح من راح والثريا الثريا	والسماك السماك والنسر نسر	٢٠٤
رأيت بلاد الروم لا عيش عندهم	يطيب ولا صفو يعادل أكداري	١٦٢
رأيت بلاد الروم عيشي عندهم	يطيب وصفوي لا يشاب بأكدار	١٦٢
رسالة طالب في الكون أضحى	يرى مطلوبه في كل مصر	٢٤٩
رعى الله وادي النيربين فإنني	قطعت به يوماً لذيذاً من العمر	٢١٤
زارت معطرة الشذى ملفوفة	كي تختفي فأبى شذا العطر	٠٩٩
زهر الوعود ذوى من طيل مطلكم	لأنه من نداكم غير ممطور	٠٥٩
سأشكر لا أني أجازي لنعمة	بأخرى ولكن كي يقال له شكر	٢٢٠
سد الخليج بكسره جبر الورى	طراً فكل قد غدا مسرورا	٠٤٨
سفر البر كيف كان جميل	ليس لي في البحار من أوطار	١٣٤
سقى السفح من ذيل المقطم عارض	تعارضه من دمع عيني مواطره	٠٧٥
سقى السفح من ذيل المقطم عارض	تعارضه من دمع عيني مواطره	٠٨٧
سقى الله أرضاً طوقها مثل طرزها	وسائرها برد من الوشي أخضر	٢٣١
سقى الله هاتيك المعاهد من مصر	بلاد بها قد كان بيتي على البحر	٠٩٠
سلم له الأمر تعش سالماً	وارض بأحكام اللطيف الخبير	٠٥٢

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى	وما منهمـــا إلا سقانا به الـــدهر	١٤٨
عدلت أيادي النيل في تقسيمهـــا	لنـــــداه في الخلجـــان والأنهـــار	٠٧٦
عقول تستخف بهــــا السطور	ولا يـــدري الفتى لمن الثبور	٢٠٤
علم الحـــديث فضيلة تحصيلهـــا	بالسعي والتطواف في الأمصـــار	٠٩٢
على المرء أن يسعى لما فيه نفعـــه	وليس عليه أن يساعده الـــدهر	٠٠٥
العيش دار رحبـــة وحليلـــــة	حسنا ومهـــــر فــــــاره	٠٩٩
فـــارقتها لا عن رضاً وهجرتها	لا عن قلى ورحلت لا متخيرا	٠١٠
فألقت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينـــاً بالإيـــاب المسافر	٠٢٤
فان كنت لم تسمع بأخبار من مضى	ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر	١٤٩
فما كل معلوم يبـــاح مصونـــه	ولا كل ما أملت عيون الظبا يروى	١٠٩
فيا عطشي والما الزلال أخوضه	ويا وحشتي والمؤنسون حضور	١١٥
قـــالوا تساقطت النجـــــــو	م لحـــادث خطبٍ عسير	٠٥٢
قد بان لي عذر الكرام فصـــدهم	عن أكثر الشعراء ليس بعـــار	١٨٠
قدمت على السلامة مـــن دمشق	فراق بنيـــل مصر مـــاتكدر	٠٤٥
كـــأنه وبنوه حـــول حضرتـــه	بدر الـــدجى ولديه الأنجم الزهر	٢٢٠
كسر الخليج وكان ذلك نعمـــة	سرت قلوب العـــالمين بنشره	٠٤٨
كن عالماً أخبار من عاش وانقضى	وكن ذا اعتبار واغتنم أطيب العمر	١٢٣
لا أبتغي بالشعر رزقـــاً ولو	كنت عـــلى جيـــده أقـــدر	١٨١
لا ترم في بئر شربت زلا لهـــا	آجرّة فيقـــال أنك غـــــادر	٠٦١
لا تقعدن على ضيم ومسغبـــة	لكي يقال عزيز النفس مصطبر	١٤١
لا تكره البرغوث إن اسمـــه	برّ وغوث لك لو تـــدري	٠٦٥
لا تمنعن العــــــلم طالبـــــه	فسواك أيضـــاً عنـــده خبر	٠٩١
لا شيء أحـــلى في مسامع مغرمٍ	يلهو بـــه أبداً سوى الأشعار	١٠٣
لعمرك مـــامصر بمصر وإنمـــا	هي الجنـــة العليـــا لمن يتفكر	٠٤٤
لقـــد قعـــد الزمان بكل حـــرّ	وأهدى فضله لـــذوي اليسار	٠٢١
لله درّ الخليــــــج إن لـــــه	تفضلا لا نزال نشكـــره	٠٤٨
لله يوماً به الدهر المشت سخـــا	مع جيرة قلّدوا من جودهم نحري	٢٢٢

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره ٠٣٠
لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر ١٥٤
ليال ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار (٠٠٧)
ما للقريض غدت تعاف بحوره بين الأنام ودوحه لم يثمر ٠٩٥
مجاملة الإنسان تكسب عيشه صفاء وتحبوه الجميل من الذكر ١٨٠
مدادي مدامي والكؤوس محابري نداماي أقلامي وفاكهتي شعري ١٣٧
مررت بشاطي النيل والماء مولع بلثم ثناياه يبوس ويصدر ٠٤٣
الملح والكراث أشهى عندنا من أكل مامونية بالسكر ١٥٢
ملوك بني عثمان إذ كان أصلهم كريماً لهم في المكرمات مفاخر ١٥١
منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر ٠٥٠
من ذا الذي تصفو له أوقاته طراً ويبلغ كل ما يختار ٠١٩
من مخبر الأكوان أني في الورى لاقيت رسطاليس والإسكندرا ١٤٤
النار آخر دينار نطقت به والهم آخر هذا الدرهم الجاري ٠٧١
نبكي على مصر وسكانها مذ خربت أركانها العامرة ٠٦٩
نزيل اسكندرية ليس يقرى بغير الماء أو نظر السواري ١٢٣
نزيل سكندرية ليس يقرى بغير الماء أو نعت السواري ١١٧
نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الراء (٠٧٩)
هكذا أقطع الزمان سروراً لو على وصله وجدت اقتدار ٢٠٣
هويت مصرياً غدا قاهري بصارم من لحظه يشهر ٠٢٧
هي المقادير فلمني أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر ١٠٦
وادي القرى شاهدته ما فيه للضيف قرى ٢٣٩
وإذا رأيت صعوبة في مطلب فاحمله صعوبته على الدينار ١٧٨
وإذا رأيت مصائباً في معشر فحظوظ ضعفاهم أجل و أوفر ٢٣٨
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار ٢٤٧
والمرء تلقاه مضياعاً لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا ١٨٢
وإني وإن أعطيت في القول بسطة وطاوعني فيه الكلام المحبر ١٤٤
وبركة ما ما تملك العين وصفها يحف بها نبت من الروض مزهر ٠٢٤

وبنو الأثير ثلاثة — قد حاز كل مفتخر ١٦٤
وبي ظبية تحكي النسيم لطافه — ولكن حظي من محاسنها الهجر ٠٣٨
وخلفت مصرمن ورائي وخاطري — بمصر ولكن أين من ناصري مصر ١٠٤
وصفوة في جدث كأن ضريحه — في قلب كل موحد محفور ٠٨٤
وقائلةٍ والدمع سكب مبادر — وقد شرقت بالدمع منها المحاجر (١٨٢)
وقد يدعي علم القراءات معشر — وباعهم في النحو أقصر من شبر ٠٩٣
وقلما قيل من شيء لمسألة — إلا ويبدو لها في الناس من خبر ٠٥٠
وكم للدهر من فعل عجيب — به فيه أولو الألباب حاروا ٠٠٤
ولقد سألت الناس عن أخلاقه — وكماله وعلا نباهة قدره ١٤٤
ولقد نثرت مدامعي ودمي معاً — يوم الوداع وخاطري مكسور ١٨٧
ولما رأيت الشمس عند طلوعها — ونحن بوسط البحر في النيل من مصر ٠٧٦
ولما رماني الدهر من كل جانب — بكل ملم ضاق عن حمله الصدر ١٨٦
ولما نظمنا بالعقيق مطينا — نثرنا عقيق الدمع فوق المحاجر (٢٤٠)
وليس اعتقاد المرء ماخط كفه — كما أن حاكي الكفر ليس بكافر ٢٤٨
وما هو إلا الحظ يعترض المنى — ولولاه كان الدهر أطوع مأمور ١٤٥
ومما قضى الدهر الملم بنزلة — على الفرس الميمون يبقى بها كسري ١٨٩
ومن يستحل الرقص قالوا بكفره — ولاسيما بالدف يلهو ويزمر (١٩٣)
ويوم سرنا على دفين — أوقد حرّ النهار ناره ٢٤٣
يا أيها المولى الذي — أضحى وليس له نظير ٢٠١
يا أيها النيل المبارك إن تكن — من عند ربك تأتي فاجر بأمره ٠٨٩
يا سفرة شقت بكل لمشقة — وخلا محياها عن الإسفار ٢٤٩
ياضيعة العمر في قوم تخالهم — ناساً ولا غير أثواب على صور ١٣٨
ياعين إن بعد الحبيب وداره — ونأت مرابعه وشط مزاره ٠١٥
يا فاضلا فاق في المعاني — وهو بأحكامها خبير ٠٧١
يا كحيل العيون إنك ظبي — بلقاه قد تسعف الأقدار ١٢٠
يامن يحاول راحة في دهره — صبراً على ما نلت من خطب عسر ٠٩٥
يا وارداً من حمى المختار يخبرني — عن جيرة شنّف الأسماع بالخبر ٢٣٦

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه	فيجلو طبـــاق العيش بالمد والقصر	٢٠٨
يقولون كذب المرء حيض لسانه	فما بال اسماعيلكم لم يزل مقري	٢٠٩
يوم لنــــا بالنيـــــل مختصر	ولـــكل يوم مسرة قصر	٠٤٤

— حرف الزاي —

إذا ما اعتز ذو علم بعلـــــــم	فعلـــم الفقه أولى بـــاعتزاز	٠٩٣
تجاوزت حد الأكثرين إلى السها	وجاوزت واستبقيتهم في المراكز	١٠٢
فإني وإن بالغت في الشكر والثنا	عليه مقرّ بالقصور وبالعجز	١٥٥
كتـــابي الكوكب المفـــــدى	دقت معــــــــان بـــه عزيزة	٠٢٧
من العشاق باح الـــدمع لمـــــا	نوى ركب العراق إلى الحجـــاز	٢٣٥
من كان يهوى أن يحيط بسمعـــه	علماً بمصر كـــــامل التمييز	٠٢٧
يا كامـــلا شوقي إليـــــه وافر	وبسيط وجـــدي في هواه غريز	١٧٢

— حرف السين —

إذا سرّهـــا أمر وفيه مـــآثـــم	قضيت لها فيما تريد على نفسي	٠٩٩
إذا صحبت الملـــــوك فالبس	من التوقي أجــــــلّ ملبس	١٧٣
أقمنــــا بها يومـــاً ويومـــاً وثالثاً	ويوماً لـــه يوم الترحـــل خـــامس	١٨٩
أما والذي أصفاك مني مودة	فأضحى لها في ساحة القلب مغرس	١١١
إن الغريب إذا ماكان ذا قـــلم	فليس سلوته إلا بقرطـــــاس	٠٠٥
إن في الروم للحسان عيونـــــا	ذكرت صبّها بحرب البسوس	١٦٨
إن مصراً لأحسن الأرض طرا	ليس في حسنها البـــديع التبـــاس	٠٣٠
فلو أنني في جنة الخلد بعدهـــــا	ذكرت ولا أنسى للذاتها أنسا	١٩٨
فليت أيـــام هـــذا الدهر تمدحني	ببيت شعر قديم سار في الناس	١٨٢
قد دخلت مصر فيما قد روي زمر	من النبيين زادوا مصر تـــأنيسا	٠٧٢
قل للذي سار بلاد الورى	وأظهـــر القـــوة والباســـا	٠٢٥
لا تحقرن امرءاً إن كان ذا ضعة	فكم وضيع من الأقوام قد رأسا	٠٩٨
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومـــه	على ما تجلى يومه لا ابن أمسه	٠٩٦

لله كم حال امرىء معـــــدم	قضيت في الــروم بتنفيســه	١٧٦
لله كم نزهة ياصاح قد جمعت	في روضة أزهرت تدعى بياباس	١٩٦
لولم يكن في بني عجلان نافلــة	إلا سماحتهم في العز بالبــاس	١٢٥
وأحسن مافي الوجود العيـــون	وأشبه شيء بهـــا النرجس	٠٥٨
ولا برحت تزداد عزاً ورفعــة	بمنصبه العالي صدور المجــالس	٠٠٧
ومهفهف ألحــاظه وعــذاره	يتعاضدان عــلى قتال النــاس	٠٥٩
يادار أين ملوك الأرض أين الفرس	أين الذي قد حموكي بالقنا والترس	١٢١

— حرف الشين —

بحمــام السراي غزال سرب	رقيق الطبــع لا يصغي لواشي	١٦٩
ثلاث باءات بلينـــا بهـــا	البــق والبرغــوث والبرغش	٠٦٥
رأيت عماد الشام في الفضل وحده	ولا عجب إذ كان في الفضل قد نشا	٢١٩

— حرف الصاد —

جزيرة حمص كعبة الكون أصبحت	يطوف بها دانٍ ويسعى لها قــاصي	٢٠٩
جزيرة حمص لم تكن قط كعبة	يطوف بها دان ويسعى لها قــاصي	٢٠٩
جمـــــالنـــا مهفهف	في أذنـــه أرخى خريص	٢٤٣
شربنـــا على النيــل في مــده	بموج يزيـــد ولا ينقص	٠٤٥
صاح هــذي أعلام طيبة لاحت	وفؤادي على اللقــاء حريص	٢٤١
في يوم بردٍ ترى أنفـــــاسه	تشوّه الأوجـــه مــن قرصها	١٨٨
الكون عنــدي كالخيــال حقيقة	في شكله وعمومه وخصوصــه	٠٧٣
نــاعورة في النهــر أبصرتهــا	تشوّق الـــداني والقـــاصي	٢٠٧
نواعير في عــاصي حماة إذا بكت	عليه دعت من عبرتي مدمعاً قاصي	٢٠٧

— حرف الضاد —

تأن وشاور لـــدى المشكلات	فمنهـــا جــلي ّ ومستغمض	٠٩٦
قضى ربها ألا يموت خليفـــة	بها مايشاء الله في خلقــه يقضي	١٥٢
كم من غراب للقطيعـــة أسود	فيــه يطير بــه جنــاح أبيض	(١٣٤)
لا تحسبونـــا وإن شطّ المزار بناً	وعـــاند الدهر في تفريقنـــا وقضى	٢٣٥
لقد قابلتنـــا بالعجائب بحـــرة	مكملة الأوصاف بالطول والعرض	٢٣١
لم يبق صيّب مزنة إلا وقـــد	وجبت عليه زيارة ابن الفارض	٠٨٧
وركبت بحر الروم وهو كحلبة	والموج تحسبه جـــواداً يركض	١٣٤
وركبت بحر الروم وهو كحلبة	والموج تحسبه جـــواداً يركض	١٤٢
وللناس عادات وقد ألفـــوا بها	لهـــا سنن يدعونها وفروض	١٦٠
ولمـــا طغى فرعون جهلا وقومه	وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض	٠٤٦
ومن تكن الأسد الضواري جدوده	يكن ليلــه صبحاً ومطعمه غضـــّاً	١٢٥
يا ابن خير الخلق كـــــن لي	شـــافعاً في بسط قبضي	١٦٤
يـــا أهل مصر رأيت أيديكـــم	عن بسطهـــا بالنـــوال منقبضة	٠٦٢

— حرف الطاء —

إذا كنت والمحبوب يوماً بخلوة	ودارت لك الكاسات واكتمل البسط	١٦٩
إلى المال مل واجمعه إن كنت عارفاً	ففي هذه الـــدنيا له الشيل والحط	٠٢٦
سئلت عـــــن سيل أتـــى	والبيت منـــه قـــد سقط	٢٢٦
علي عهـــود عن ديارك لا أخطو	وإن ضاق فيهـــا العيش أوطاول القحط	٢٤٦
لله يوم في دمشق قطعتـــــه	حلف الزمـــان بمثلـــه لا يغلط	٢١٢
هـــدم البيت أمر رب تغشـــا	ه بسيل لم يحو غرقـــاه ضبطي	٢٢٦
وقد كان مركوبي أعز خيولهـــم	وأكرمهم إذ كان وافي الشرائط	١٩٠
اليوم حرف وغـــــداً مثلـــه	من نخب العلم التي تلتقـــط	٠٩٤

— حرف الظاء —

مسموع لفظك في القلوب ممكن	في الحب فوق تمـــكن الملحوظ	٠٣٩

— حرف العين —

إذا دعا باسمها داع ليحزنني   كادت له شعبة من مهجتي تقع   (١٧٠)
إذا دعا باسمه داع يحدثني   كادت له شعبة من مهجتي تقع   ١٧٠
أملياني حديث من سكن الجز   ع ولا تكتباه إلا بدمعي   ٠١٥
إن كان قد قضي الفراق وصدّني   عنكم حجاز من نوى لا يرفع   ٠١١
إن البريد من الفراسخ أربع   ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا   ١٨٧
إن علم الحساب علم جزيل   ومعين إذ تشتري وتبيع   ٠٢١
أين الذي الهرمان من بنيانه   ماقومه مايومه ما المصرع   ٠٣٣
بلادي وإن جارت علي عزيزة   ولو أنني أعرى بها وأجوع   ١٢٦
تتخلف الآثار عن أصحابها   حيناً ويدركها الفناء فتتبع   (٣٣)
الجامع الأموي أضحى حسنه   حسناً عليه في البرية مجمعا   ٢١٦
الحد والموضوع ثم الواضع   والاسم الاستمداد حكم الشارع   ١٢٢
الحزن يقلق والتجمل يردع   والدمع بينهما عصيّ طيّع   (٣٣)
حشاي على جمر ذكي من النوى   وعيني في روض من الحسن ترتع   ١٠٧
دليل على حرص ابن آدم أنه   ترى كفه مضمومة عند وضعه   ١٦٦
شاقني ردف مليح   لحروف النحو يجمع   ٠٩٩
عرج ركابك عن دمشق فإنها   بلد تذل لها الأسود وتخضع   ٢١٣
عرج ركابك عن دمشق فإنها   بلد تذل لها الأسود وتخضع   (٢٢٣)
فياليت مابيني وبين أحبتي   من البعد مابيني وبين المراجع   ١٣٦
لقد بسطت في بحر جسمك بسطة   أشار إليها بالوفاء الأصابع   ٠٢٩
لما علا السيل على مكة   وخرب الدور وأخلى البقاع   ٢٢٧
مازال هذا البين يسقي كأسه   من رق من بين البرية طبعه   ٠٩٠
النيل زاد زيادة قد آذنت   من كل باسقة النخيل بطلعها   ٠٤٣
هبطت إليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تحجب وتمتع   (٠٣٨)
واد سما قدره بالساكنين به   وطالع السعد في آفاقه طلعا   ١٨٦
وإذاً المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع   ١٥٣

وأعظم مابي أنني بفضائلي	حرمت ومالي غيرهن ذرائع	١٤٦
وعلى السد عزة قبل أن تمـ	لكه ذلة المحب الخضوع	٠٤٨
وكان من العلوم بحيث يقضى	له في كل فنٍ بالجميع	٠٣٢
ولي كف ضرغام أصول ببطشها	وأشري بها بين الورى وأبيع	(١٢٥)
وناعورة قد ضاعفت بنواحها	نواحي فأجرت مقلتي دموعها	٢٠٧
يا أيها الناس من رأى قمراً	من أي أفق أراده طلعا	١٠٠
يابانة الوادي التي سفكت دمي	بلحاظها بل يافتاة الأجرع	١٤٧
يا ساكني اسكندريةفيكم	بات النزيل بليلة الملسوع	١١٧
ينازع في تفضيلي الشام مغرض	كأني به قد مات فيما ينازع	٠٧٧

— حرف الغين —

لم أنس بالجحفة يوماً غدا	عقلي من أهواله زائغ	٢٤٣

— حرف الفاء —

إذا الفتى فاته مالاً يجمله	ففي التأدب مما فاته خلف	٠٩٣
إذا ما ضاق صدري لم أجد لي	مقرّ نزاهة إلا القرافة	٠٨٧
استنشقوا لهوا الربيع فإنه	نعم الصديق وعنده ألطاف	١٠٤
أطراف تيجان أتت من سندس	خضر بأعلامٍ على الأشراف	٠٥٤
ألا قل لأصحابي عن القهوة انتهوا	ولا تجلسوا في مجلس هي فيه	١٥٩
أما ترى البحر ما أحلى شمائله	والموج يضرب براً ثم ينحرف	٠٤٣
انظر إلى الربوة مستمتعاً	تجد من اللذة ما يكفي	٢١٢
إن كنت تحسن تشبيه المنار فقل	كما أقول وصفها كما أصف	١١٦
إياك من صاحب ترجو معونته	أو فتية من بني الأيام تألفها	٠٩٥
تأخرت عن موقفي	فقلت ياخود قفي	٠٩٩
جزى الله عنا الموت خيراً فإنه	أبرّ بنا من كل بر وأرأف	٠٩٧
عاتبت هذا النيل في ترك الوفا	فأجابني حالا بغير توقف	٠٣٠

عاتبت هذا النيل في ترك الوفـا فأجـابني حـالا بغير توقف ٠٧٥

فمن لعين ترى ماحلّ ساحتهـا من التلاف وكـانت فوق ماتصف ١١٨

فيا كتابي إذا مـاجئت منزلـه وزرت ذاك المقام المرتضى الحنفي ١٤٤

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف ٠٩٧

قد كان صاحب هذا القبرجوهرة لطيفة صاغها الباري من النطف ٢٠٥

كانت قريش بيضـة فتفلقت فـالمح خالصه لعبـد مناف ١٢٧

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبـال ودونهن حتوف ١٨٤

هـذا حبـاه الله ملك جدوده ولذاك جنات النعيم تزخرفوا ١٣٠

والثلج فيالروم قد شاهدتموقعه كأنه القطن يهوي وهو منـدوف ١٩٠

وقد حللنا في واد لا أنيس بـه بنو عطيفـة قد سموه بالشرِفـه ٠١٩

ومصاحب السلطان مثـل سفينة في البحر ترجف دائماً من خوفه ١٧٣

يا ألطف الفضلاء أنت جمـالنا فتهن بالشهر الشريف الأشرف ١٥٦

يـاطيب ريح سرى مـن نحوكم سَحَراً
لولا تـلافيه قلبي في الهـوى تلف ٠٤٠

ياقطب أهـل العـلم في أم القـرى
رمضـان هـلّ ببهجـة لا توصف ١٥٦

— حرف القاف —

أدمشق لا بعـدت ديـارك عن فـتى
أبـداً إليـك بكلـه يتشوقـا ٢١٣

إذا ذكـر الراوي أحـاديث فضلـه
يقول الورى هـذا الحـديث المصدق ١٦٤

إشرب على مقيـاس مصر وغـنّ لي
مـن روضـة المعشوق في عشـاق ٠٤٤

اشرب عـلى مقياس مصر وغـنّ لي
مـن روضـة المعشوق في عشاقي ٠٧٤

إنا إذا اجتمعت يومـاً دراهمنـا
ظلت إلى طرق المعـروف تستبق ٠٧١

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق ١٠٧
أيها المغرم المشوق هنيئاً
ما أنالوك من لذيذ التلاق ٢٤١
البدر فوق النيل قد
ألقى شعاعاً يأتلق ٠٧٤
البدر فوق النيل قد
ألقى شعاعاً يأتلق ١٠٧
بسحاب إذا همى الماء منه
ألهب الرعد في هواه البروق ١٤٠
بغداد دار لأهل المال طيبة
وللمفاليس دار الضنك والضيق ١٥٥
بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم
ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقة ٢٢٨
جزى الله الشدائد كل خير
وإن جرعني غصصي بريقي ٠٩٧
جميع الأرض فيها طيب عيش
ولذات وروضات أنيقه ٠٧٦
حياة وعلم ، قدرة وإرادة
وسمع وإبصار كلام مع البقا ١٢٣
دمشق دار البذرقه
فيها الوجوه المشرقة ٢٢٣
رام نفعاً فضرّ من غير قصد
ومن البر ما يكون عقوقا (٢٤٩)
روت الصبا عنكم حديثاً طيباً
فلذاك أصبحت الصبا تستنشق ٠٣٩
سكنوا بقلب آنسوه وأوحشوا
لحظاً جرى من بعدهم وتدفقا ١٧١

عاينت ورد الروض يلطم خدّه
ويقول وهو على البنفسج محنق ٠٦٠

علاني عن الشآم بذكر
حن قلبي إليه بالأشواق ٢١٢

فإذا سمعت بأن محروماً أتى
ماء ليشربه فغاض فصدق ١٤٥

فشممت من أرض الحجا
ز نسيم أنفاس التلاق ٢٤٠

قد قلت للمجد من تهوى تواصله
وكلنا لك ذو وجد وأشواق ١٦٥

كل الأمور تبيد عنك وتنقضي
إلا الثناء فإنه لك باقي ١٤٨

لا تكن طالباً لما في يد النا
س فيزورّ عن لقاك الصديق ١٨١

لم لا أهيم بمصر وأشتهيها وأعشق ٠٩٠

مدينة خير الخلق تحلو لناظري
فلا تعذلوني إن فتنت بها عشقا ٠١٤

من كان يرجو أن يعيش فإنني
أصبحت أرجو أن أموت لأعتق ٠٩٦

مولاي هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق ٢٠٦

نبهت ندماني بدجلة موهناً
والنجم في أفق السماء معلق ٠٤٤

نوب الزمان كثيرة وأشدها
شمل تحكم فيه يوم فراق ١٧٤

هجم النيل في البيوت على النا
س وثنى فيهم بقطع الطريق ٠٤٣

هــذا كتاب مصــارع العشــــاق
صرعى أيـــادي البين والأشواق ١٧٤
وإذا علمت بـأن مجـدوداً حـوى
عـوداً فـأثمر في يـديه فصــدق (١٤٥)
وأكثر النــاس في تشبيههم أبــداً
للنرجس الغض بالأجفــان والحدق ٠٥٨
وإن أحسن قــول أنت قــائلــه
قــول يقــال إذا مــاقلتــه صدقا ١٦٤
وكادت ديــار الروم مــن فرط محنتي
بمــا رحبت غمــاً عليّ تضيق ١٧٨
وكــل نبي في القــران فــإنه
لمــن نسل إبراهيــم ذي العلم والتــقى ١٢٣
ولقــد أقول لمــن تعشق أغيــدا
أو غــادة وغــدا أسير وثــاق ١٠١
ومــا هــذه الأيــام إلا صحــائف
نؤرخ فيهــا ثم تمحى وتمحــق ١٣٣
يــا خاطري كم ذا تكون مخــاطراً
متولعــاً بالجيــد والأحــداق ١٧٤
يــا ويح قلبي وكم جهــدي أحملــه
مــا لا يطــاق وقــد رثّت عــلائقــه ١١١

— حرف الكاف —

إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعما قليل أنت مــاض وتاركه ١٤٧
بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف الذي يأتي به وهو ضاحك ١٤٣
تــأمل في نبــات الأرض وانظر إلى آثــار ماصنع المليــك (٠٦٠)
توقد جمر القلب عند تغربــي فمن أجله دمعي أتى جيــد السبك ١١٥

حياك رب العرش حياكا	إن الذي أمّلت أخطا كما	١٥٧
حياك رب الناس حياكا	إذ بجمال الوجه رقاكا	١٥٧
دع الاعتراض فما الأمر لك	ولا الحكم في حركات الفلك	٠٥١
دمشق قل ما شئت في حسنها	واحك عن الربوة ما تحكي	٢١٢
راض العلوم فسله عن دقائقها	فعنده للخفايا أي إدراك	٠٠٦
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة	وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا	٢٠٥
عجبت للبحر لما أن رأيت به	تلك الصواري وقد أربت الحبك	١٣٤
عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة	يروج بها فضلي وأسلك	١٥٩
عزيز على بيت النبوة والملك	مقام على ذل المهانة والفتك	١٢٤
في مصر من إذا رأى في أهله	سوءاً كما في محكم الذكر حكي	٦٢
قاسوا حماة بجلق فأجبتهم	هذا قياس باطل وحياتكم	٢٠٨
قالوا أضر بنا السحاب بقطره	لما رأوه لعبرتي يحكي	١٨٨
قد سمعت الصدى وذاك جماد	كل شيء تقول ردّ عليكا	١٠٦
قناعة المرء بما عنده،	مملكة ما مثلها مملكة	١٥٨
لا تقعدن بمجلس في صدره	إلا إذا ما كان ذلك منزلك	١٧٣
لما خشيت من الجحيم وحرها	خوفاً وقد ضاقت علي مسالكي	٠٨٥
لما رأيتك في فضل وفي أدب	علوت قدراً على العلياء والحبك	٢٣٢
لم تر عيني أبداً	تحت أديم الفلك	(٠٢٦)
ما اختلف الليل والنهار ولا	دارت نجوم السماء في فلك	١٢٩
الملك لله من يظفر بنيل منى	يتركه قهراً ويضمن بعده الدركا	٠٧٣
النهر مولى والنسيم خديمه	هذا كلام ليس فيه تشكك	١٠٥
هي الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي	١٨٤
وروضة دولا بها	إلى الغصون قد شكا	١٩٥
ونرجس كالثغور مبتسم	له دموع المحدق الشاكي	٠٥٨
ياطيب نشر هبّ لي من أرضكم	فأثار كامن لوعتي وتهتكي	٠٤٠

— حرف اللام —

أبكي إلى الغرب إن لاحت منازلهم
من جانب الشرق خوف القيل والقال ١٧١
إذا المرء أعطى نفسه كل مااشتهت
ولم ينهها تاقت إلى كل باطل (١٧٢)
إذا سلسلوا من مصر رأس خليجها
فما ذاك من نقص يلوح لفاضل ٠٧٤
إذا كان قدر المرء إن جاء طالباً
أقل قليل كيف يطمع في الفضل ١٦٢
أرى أبداً قليلا من كثيرٍ
وبدراً في الحقيقة من هلال ٠٢٩
أرى الفصل داء والرحيل دواؤه
فلا تسكنوا في بلدة قد حوت فصلا ١٥٢
أرى أهل الشآم يفاخرونا
وتلك وقاحة فيهم وخصله ٠٧٧
أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلي ١٣٢
أرى سوح الجزيرة من بعيد
كأحداق تغازل بالمغازل ٠٤٧
اسقني خمرة كرقة عقلي
أو كديني ولا أقول كحالي ٠٦٢
أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل (٤)
أصبحت في بلدة غراء تجهلني
وكل ثاوٍ بدار الجهل مجهول ١٣٨
أصبحت لا أرجو ولا أتقي
إلا إلهي وله الفضل ١٤٨

أقطع الوقت بـالرجـاء ونـاهيـ
ـك بقلب غـذاؤه التعليل ١٧٦

أقول وحرّ الرمـل قـد زاد قـدره
وليس إلى شم النسيم سبيـل (٢٣٩)

إن شئت تبصرني وتبصر حـالتي
قـابل إذا هبّ النسيم قبـولا ٠٣٨

انظر إلى النيـل وجرم السمـا
ومـا له مـن حسن تخييـل ٠٧٦

إن كـانت العشـاق مـن أشواقهـم
جعلوا النسيم إلى الحبيب سبيـلا ٠٤١

إن العـلى حدثتني وهي صـادقـة
فيمـا تحـدث أن العزّ في النقـل ٠٠٤

إن الليـالي للأنـام منـاهل
تطوى وتنشر دونهـا الآجال ١٢٣

إن الولايـة لا تـدوم لواحـد
إن كنت تنـكر ذا فأين الأول ١٤٧

إن مصراً نزهـة الـدنيـا
غـاية المقصود والسول ٠٧٦

أيهـا المـاجد المعظم يحـي
بـك يحيـا بيت الحيـا والمعالى ١٤٤

بـأبي أنت، أنت للبرّ أهـل
والمساعي بعـد وسعيك قبـل ٢٠٠

بالعـلم ينـال كل عبـد مـالا
فـاجهد لتنـال في المـلا آمـالا ٠٢٦

بصبا المرج المبلـل ذيلـه
علّـل القلب عـلّ يبرد ويلـه ١٦٠

بلـد بـه البيت المحرم قبلـة
للعـالمين لـه المساجـد تعـدل ٢٤٤

بلوت النـــاس قرنــاً بعـــد قرن
فلـــم أر غير ختّـــال وقــالي ٠٧٩

تــأمــل ذا الوجــود بعين فــكر
ترى الدنيــا الدنيـــة كالخيـــال ١٧٤

تـــأن ولا تجزع لأمر تحـــاوله
فخير اختيـــار المرء ماالله فــاعله ١٦١

تطـــاول بالفسطاط ليلي ولم يــكن
بــأرض الفضــا ليــل علي يطول ٢٣١

تعرض قــوم للغرام وأعرضـــوا
بجــانبــهم عن صحة فيــه واعتلّوا ١٨١

تعرف مـــن عينـــه نجـــابتــه
كـــأنه بـــالذكاء مكتحـــل ١٢٨

تعشقت رب الحسن لمــا رأيتــــه
عيـــاناً فجــاهدت الهوى في سبيله ١٠٩

جزيرة مصر لا عـــدتك مســرة
ولا زالت اللـــذات فيك اتصالها ٠٤٧

دع المقـــادير تجري في أعنتــهـا
واصبر فليس لهــا صبر عــلى حال ١٧٤

دمشـــق الـــتي شوقي إليـــهــا مبرح
وإن لجّ واش أو ألـــحّ عــذول ٢١١

ديـــار مصر هي الدنيـــا وساكنهــا
هم الأنــام فقابلهـــم بتقبيـــل ٠٧٦

ذاك الـــذي أعطوه لي جملـــة
قـــد استردوه قليـــلا قليـــل ٢٠٦

رأيت في أرض مصر إذ حللت بهـــا
عجــائباً ما رآهـــا النـــاس في جيل ٠٤٣

رأيت في النوم أبي آدمـــــاً
صلى عليـــه الله ذو الفضـــل ١١٩

ربمـــا يرجو الفتى نفـــع فتى
خـــوفـــه أولى بـــه من أمـلِـهِ ٢٠٧

رب من ترجـــو بـــه دفـــع الأذى
سوف يأتيك الأذى مـــن قبلـــه ٢٣٧

سكان طيبـــة أبلى الحب صبـــكم
والشوق بـــاق ليوم العرض في الطول ٠٣٠

سلام عـــلى مصر ويـــاقلب إنني
لقـــد كنت عن اسكندريـــة في شغل ١١٣

شكرتك عني كـــل قـــافيـــــة
تختـــال بين المـــدح والغزل ٢٠٢

طلق يفيض على العفـــاة سجـــالـــه
وعلى العـــداة بسطوه سجيـــلا ٢٣٢

عـــاجلتنـــا فأتـــاك عـــاجل برنـــا
قـــلا ولو أمهلتنـــا لم نقلـــل ٢٠١

عجبـــا لهذا الـــدهر في أفعـــالـــه
رأس بمصر وجثـــة في كربـــلا ٠٨٤

علمي بسابقـــة المقـــدور ألزمني
صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل ١٤٦

فـــأبق لي وده يـــادهر متصلا
وخـــذ بقيـــة مـــا أبقيت من أملي ١٦٥

فاصبر لهـــا غير محتـــال ولا ضجر
في حادث الدهر مايغني عن الحيـــل ٠١٠

فـــإن دفنوا تحت التراب جمـــاله
فمـــا دفنت أوصافه وشمائلـــه ١٣٠

فرّق فرق الدروس واجمـــع مـــالا
فـــالعمر مضى ولم تنـــل آمـــالا ٠٢٦

فسرنا و وهج الجوّ أوقد حرّه
وليس إلى شم النسيم سبيل ٢٣٩

فلا صديق إليه مشتكى حزني،
ولا أنيس إليه منتهى جذلي ١١٤

فلولاه لم أبلغ من الروم بلغة
ولولا نداه ما رجعت إلى أهلي ١٨٦

فوائدي في مغاني الروم وافية
وحسنها بجتليها من تأمله ١٤٧

فيم اقتحامك لجّ البحر تركبه
وأنت يكفيك منه مصّة الوشل ١٣٢

قد قلت للميدان أحرزت البها
وأراك عن تلك البقاع بمعزل ١٦٨

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل(١١٥)

قلت لما ألجئت في هجو دهرٍ
بذل الجهد في احتفاظ الجهول ٢٣٣

قيّد بخطك ما يبديه فكرك من
نتيجة تعجب الحذاق والفضلا ٠٩٤

كأني في الزمان اسم صحيح
جرى فتحكمت فيه العوامل ١٨٧

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي
ستبلى ويبلى كل ما أنا قائله ٢٤٩

كل أرض قد تسامت
باقتضا أمر جليل ٠٨٩

كل من يطلب العلوم وحيداً
دون شيخ فإنه في ضلال ٠٩٣

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل ٢٢١

لا بـــد للكـــامل مـــن زلـــــــــة
تخبره أن ليس بـــالكـــامـــــل ١٧٣
لا تحسبن الشعر فضلا بـــارعـــاً
ما الشعر إلا محنـــــة وخبـــال ١٥٨
لست أنسى الغوار وهو ينـــــادي
غيض مـــائي وعطّل الـــدهر حالي ٢١٦
لنفعي للصديـــق أحـــق عنـــدي
وحـــق أبيـــك من خيـــلي ورجـــلي ١٧٥
لو أن كـــل يسير رد محتقـــراً
لم يقبـــل الله يومـــاً للورى عمـــلا ٠٠٧
لـــو يكون الحبـــاء حسب الـــذي أنـــ
ـت لـــه عندنـــا محـــل وأهـــل ٢٠٠
ليس العطاء من الفضول سماحـــة
حتى تجود ومـــا لديك قليـــل ٢٠١
ليست على الحر اللبيـــب مشقـــة
بـــأشق مـــن أن لا يرى أمثـــاله ١٠٦
مـــــا بال عيناك حين تـــــلحظني
يـــاابن الكرام تعـــــدّني همـــلا ١٧٢
مـــاذا أقول إذا رجعت وقيـــــل لي
مـــاذا رأيت مـــن الجـــواد الأفضـــل ٢٠١
مـــا كنت أوثر أن يمتـــد بي زمني
حتى أرى دولـــة الأوغـــاد والسفل (١٠)
المـــال أحسنماادخرت فلا تـــكن
سمحاً بـــه وتـــأن في تفصيلـــه ٠٢٦
مصـــــر منـــــاي ومنتهى أربي
زمـــن الربيـــــع وبركـــة الرطل ٠٧٧
من عفّ خفّ على الصديق لقـــاؤه
وأخو الحوائج وجهـــه مملول ١٨١

مياه بوجه الأرض تجري كأنها
صفائح تبرٍ قد سبكن جداولا ٢٣٧

نادى أحبته وأصغى للصدى
كيما يجيب فقال مثل مقاله (١٠٦)

نهاية إقدام العقول عقال
وغاية سعي العالمين ضلال (٠٣٢)

هذي القطيفة التي
لا تشتهى عقلا ونقلا ٢١٠

والسرو مثل عرائس
لفت عليهن الملا ٢٢٤

ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (٢٢١)

ودع عنك أمراً قد مضى لسبيله
ولكن على مانالك اليوم فأقبل ٠٨٢

وصرت أذل من معنى دقيق
به فقر إلى فهم جليل ١٨٠

وعدة الرسل الكرام الكمّل
في اسم محمد بدت بالجمّل ١٢١

وفي كبدي من قاسيون حرارة
تزول رواسيه وليس تزول ٢٢٢

وقال لي البين لما رأى
لدي الخطوب وعندي العويل ١١٤

وكم من رسالات رقّمت نقوشها
فلم أنتفع يوماً بتلك الرسائل ٢٤٩

وكنت أظن أن جبال رضوى
تزول وأن ودّك لا يزول ٠٩٨

ولقـــد ركبت البحــر أرجو راحــة
فشهدت فيــه مواقــع الأهوال ١٣٥
ولكــل رأيت منهــم مقــامــاً
شرحـــه في الكتـــاب ممــا يطول ٠٦١
ولكــل رأيت منهـــم مقــامــاً
شرحــه في الكتــاب مما يطول ١٤٩
ولمــا اعتنقنــا للوداع عشيـــة
على بركـــة الحجــاج والدمع يسكب ٠٢٤
ولمـــا بلونــاه تلونــا مديحــه
فيــا طيب مانبلو ويــا حسن ما نتلو ٢١٩
ولم نستفد من علمنـــا طول عمرنــا
سوى أن حفظنـــا منه قيل وقــالوا ٠٣٢
ولو لم يزد احسانهم وجميلهـــــم
على البر مـــن أهــلي حسبتهم أهلي ٢٢٠
وليس غريبــاً من نــأى عن ديــاره
إذا كــان ذا مــال وينسب للفضـــل ١٠٦
وليس يصــح في الأذهـــان شيء
إذا احتـــاج النهــار إلى دليـــل ١٦٥
وما اشتياقي حمى الزوراء من عجب
وجرح قلبي إليهــا غير منــدمل ١٨٥
وما الشعر مما ارتضي نسبتي بــــه
لعمري ولا وصفي به في المحــافل ١٥٨
ومــا شيء بــأثقل وهــو حـــق
على الأعنــاق من منـــن الرجــال ١٧٥
وما كـــل مايحكي التوهم صادقــاً
ولا كــل ما تحوي الظنــون محصلا ١٤٥

ومن قبل تركيب الهوى كنت ساكنا
ولكن برغمي حركتني العوامل ٠٠٥

وهكذا المجد إن صحت قواعده
ليس التكحل في العينين كالكحل ٢٠٢

وهكذا المرء في أيام غربته
يلقى من الضيم مالم يجر بالبال ١٨٨

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله ٢٣٥

يا أهل مصر بوادينا المقدس من
فواكه تشتهوها في منازلكم ٠٧٧

يا سادتي هل يخطرن ببالكم
من ليس يخطر غيركم في باله ٠٩٨

ياطيب ما جاء النسيم بعرفكم
وحديثه عنكم حديث مرسل ٠٤٠

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة
لك الملامة إن قصرت في عذلي ٠٦٩

ياقلب إن خان الخليل فخلّه
فلكم فتى ذاق العنا من خلّه ١٠١

يا من تناسى ودادي بعد معرفة
وقد غدا طوع لوام وعذال ١٠٠

يامن يرى مدّ البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل ٢٠٤

يداوي أسى العشاق من نحو أرضكم
نسيم صباً أضحى عليه قبول ٠٣٩

يقولون أهل الغرب أهل فضيلة
وكل امرىء قد قال حسب مقاله ١١٩

يمثل ذو اللب في نفسه
مصائبه قبل أن تنزلا ٠٩٧

— حرف الميم —

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما ١٧٨

إذا كنت ذا ثروة في الملا فأنت المسوّد في العالم ٠٢٧

الأزلم المشهور قبح ذكره لم تصف عيشة من بواديه ألمّ ٠١٧

أقول ووادي الوجه سال من الحيا وقد طاب فيه للحجيج مقام ٠١٦

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا يوماً لنام (٠٠٨)

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة لهم بديع الحسن أصبح ينتمي ١١٠

إن كنت تسعى للزيادة فاستقم تنل المراد وقد سموت إلى السما ٠٩٥

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفني دما ٢٠٣

إن الدراهم شأنها ألمٌ يشق على الكرام ٠٧١

إن النساء وإن نسبن لعفة رمم تقلبها النسور الحوّم ٠٥٥

إن قدر المرء بالعلم كما أن قدر العلم بالمال سما ٠٢٦

إني أبث إليك بالعلم الذي يقضي عليك بحرمتي وذمامي ١٧٢

بالروح يلعب في بداية أمره وسوى الغرام به فقير غرام ١٧٠

بعشر تنال العلم قوت وصحة وحفظ وفهم ثاقب في التعلم ٠٩٢

تعدو الأعادي على من لاخفير له وتتقي مربض المستأسد الحامي ٠٠٨

تعدو الذئاب على من لاكلاب له وتتقي صولة المستوفز الحامي (٠٠٨)

جئنا إلى العلم في زمان يحطّ فيه من كان عالم ٠٩٤

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه والقوم أعداء له وخصوم ١٦٢

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه

وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٠٤٧)

دع السحر يامن تيم الحب قلبه

فما السحر إلا في نقوش الدراهم ١٧٨

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم ٢١٢

رقصت براغيث الشتا فأجابها الـ ناموس فيه بالغناء المعلم ٠٦٥

سم سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمة ١١١

الصـالحيـة جنـة	والصـالحون بهـا أقـاموا	٢٢٨
ضممت إلى صدري فتاة صغيرة	لهـا سحر أجفـان خلا عن الذم	٠٩٩
على سا كني بطـن العقيق سلام	وإن أسهروني بالفراق ونـاموا	٢٤٠
عوّد لسانك حسن القول تنج به	من زلة اللفظ بل من زلة القـدم	٠٩٧
العين دموعها تظـل تهمـي	والنفس غـدت مليئة بـالهم	(١٦٠)
فامنن بما يغني ويثمر دائمـاً	حمداً يـدوم على مـدى الأيام	٢٠١
فسقى ديارك غير مفسدهـا	صوب الغمـام وديمـة تهمي	١٩٨
فصاحة حسان وخط ابن مقلـة	وحكمة لقمـان وزهد ابن مريم	٠٩٤
فقلت في تاريخ موت الشيخ قـد	مات أبو السعود مولى العلم	(١٦٠)
فلو كانت الدنيـا جزاء لمحسن	إذن لم يكـن فيها معاش لظـالم	(٠٥١)
فهل درى البيت أني بعد فرقتـه	ماسرت من حرمٍ إلا إلى حرم	٢٣٠
فوق وجه الثرى ترى الشام شامَه	ولـكم للغريب فيها كرامَـه	٢١٤
فيـا عيني بيتـا في اعتنـاق	ويـانومي قدمت على الكرامـه	٢٤٦
قال: ماذا يقول في الشام حبـر	شام من بارق العـلى ماشامه	٢٢٤
قد علا نيل مصر في زيـادتـه	حتى لقد بلغ الأهرام حين طما	٠٣٤
قصّر في أوصافك العـالم	وكثّر النـاثر والنـاظم	(١٥٧)
قيـامي للعزيز عـلي فرض	وترك الفرض مـالا يستقيم	١٧٥
لا تستدل على تغير صـاحب	وزوال صحبتـه وخفر ذمـامه	٠٩٧
لا تمدحن ابن عبـاد وإن هطلت	كفـاه بالجود حتى أخجل الديما	٢٠٢
لا غرو من حزني لبينهـم	يوم النوى وأنـا أخو الهمّ	١٠١
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يراق على جوانبـه الدم	١٣٠
لقد قسم الله البراغيث في الورى	فوفّر منهـا عند قسمتها قسمي	٠٦٥
لقد كادت الدنيا تقول لأهلهـا	مشافهة لو أنهـا تتكلـم	٢٢١
لله ترخيم بجـامع جلّـق	متنـاسب التخميس والتقسيم	٢١٥
مـا تنسج الأيدي يبيـد وإنما	يبقى لنـا ما تنسج الأقـلام	٠٠٧
ما مثل مصر في زمـان ربيعهـا	ما بين مـاء و اعتلال نسيم	١٠٤
ما مصر إلا بلـدة ما مثلهـا	غريبهـا يرتع في نعيمهـا	٠٢٥

متى يبلغ البنيـان يومـاً تمامه	إذا كنت تبنيه وغيرك يهـدم	٠١٧
مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلم	وعنه فكاشف كل من عنده فهم	١٠١
من أهل مصر ليس يسـ	لم لا الوضيع ولا المعظـم	٠٦٢
من سالم الناس لم تسلم مقاتلـه	منهم ومن عاش فيهم بالأذى سلم	١٢٧
نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها	ثم انثنت عنـه فكاد يهيـم	٠٩٨
وإذا جرب المجرب غمـر	فعليـه إذا أصيب المـلام	١٧٩
وأعظم ما يكون الشوق يومـاً	إذا دنت الخيـام من الخيـام	٢٣٩
والدهر لا شك ذوضيق وذوسعة	ولو أردت دوام الهم لم يدم	١١٤
وأين الرفيق الشفيـق الـذي	إذا أقعـدتك الرزايا أقـاما	٠٢٢
وخليـل يقول لمـا رآنـي	أبـداً أوسع البراغيث ذمـا	٠٦٥
وسامية الأرجاء تهدي أخا السمر	ضياء إذا مـا حندس الليل أظلما	١١٦
وفارقت حتى لا أراع من النوى	وإن غـاب جيران علي كرام	٠١٠
وقـد بخلت علي بكـل شيء	مـن المعروف حتى بالسلام	١١٣
وقـد ساقني دهري المليم لفتية	فتاهم ومن فيهم عزيز مـكرم	١٥٠
وقد طفت البـلاد ومن عليها	كرام في الطبـائع أو لئـام	٢٤٦
وقلت للائمي أقصر فـإني	سأختار المقام على المقـام	٢٤١
وكذلك الإنسان مـادام حيـاً	فهو في لـذةٍ وفي آلام	٠٢٤
وكم فيهم محـاسن وهي شتى	وأوصاف ألـذ من المـدامة	١٢٧
وكم لي إذا هب النسيم تحيـة	إلى نحوكم لو أنهـا تتكلـم	٠٤٠
وكنت كالمتمني أن يرى فلقـاً	من الصباح فلمـا أن رآه عمي	٢٠٧
ولعيني لمـا بـدا نور طـه	وحمى فيـه منبر ومقـام	٢٤١
ولمـا تناءت بالأحبـة دارهـم	وصرنا جميعاً من عيانٍ إلى وهم	٠١٢
ولما ركبت البحر والبحر قدطما	وهـاج علينا موجـه يتـلاطم	١٣٤
وليس رزق الفتى من حسن حيلته	لكن حظوظ وأرزاق بأقسام	١٤٦
وما الشام إلا في البلاد كشامـة	وأقمـار واديـه الشميم تمـام	٢٢٤
وما الشعر فخر للفتى ومزيـة	إذا لم يكن عن كـل فضل يترجم	١٥٨
ومـا دخولهم في النـاس أومضر	إلا دخول كلام الله في الكلم	١٢٤

وما ينفــع الإنسان بنيـــان قبره	إذا كـــان فيه جسمه يتهــدم	١٩١
ومعشر تستحل النـــاس قتلهـــم	كما استحلوا دم الحجاج في الحرم	٢٣١
ومن لا يصـــانع في أمور كثيرة	يضرس بأنياب ويوطـــأ بمنسم	(٠٥٨)
ومن يحمـــد الدنيـــا لأمر يسره	فسوف لعمري عن قريب يلومها	١٧٤
وناعورة قالت وقد حال لونهـــا	وأضلعها كادت تعـــد من السقم	٢٠٨
يا أهل دار المعلى والبقيع سقت	ربوعكم سحب منهلـــة الديم	٢٤٥
يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعي	فودادكم نـــام وشوقي محكـــم	٢٤٨
يا أهل طيبـــة لا زالت شمائلكم	كالروض باكره سار من الديم	٢٤٦
يـــاذا المعظم إن فيـــك لقسوة	فلأي معنى قد سميت معظمـــا	٢٣٥
يا سالكاً بين الأسنة والقنـــــا	إني أشم عليـــك رائحـــة الـــدّم	(٦٣)
يقولون لي فيك انقباض وإنمـــا	رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما	(١٧٨)

ـ حرف النون ـ

آمين آمين لا أرضى بواحـــدة	بل ألف آمين في ألفين آمينـــا	٢٣٠
أبـــا العلاء بن سليمـــانـــا	عمـــاك قد أولاك إحسانـــا	٢٠٥
أخي لن تنـــال العلم إلا بستة	سأنبيـــك عن تفصيلهـــا ببيـــان	(٢٦)
إذا الأرطى توسد أبرديـــــه	خدود جوازىء بالرمل عيـــن	(٤٤)
إذا رمت المطـــالب قبل وقت	فلست بواجـــد إلا الأمـــاني	١٨٥
إذا لم يزد علم الفتى قلبه هـــدى	وسيرته عـــدلا وأخلاقـــه حسناً	٠٩١
أستخدم الريح في حمل السلام لكم	كـــأنما أنا في عصري سليمـــــان	٠٤٠
إشفع فلا الشافع أعـــلا يـــداً	عندي وأسنى من يـــد المحسن	٠٣٧
أعانقها والنفس بعـــد مشوقـــة	إليهـــا وهل بعـــد العنـــاق تدان	٠٩٩
أقمت بها شهرين في حال غربـــة	أرجي نـــداها والجنون فنون	١٧٧
ألا لن تنال العلم إلا بستـــــة	سأنبيك عن مجموعهـــا ببيـــان	٠٢٦
ألا لن تنال العلم إلا بستـــــة	سأنبيك عن مجموعهـــا ببيـــان	٠٩٢
إن أو صل الدهر أيدينـــا لمكرمة	ثم امتنعنـــا فلا نلنـــا أمـــانينـــا	١٧٥

أنشأت مدرسة ومارستانا	لتصحح الأديان والأبدانا	٠٤٩
انظر إلى المنثور ما بيننا	وقد كساه الطل قمصانا	٠٥٩
أنفقت كم عين والمحبوب مالي عان		
وأنا الشجي العان أضحى دمع عيني عين		١٢٠
إن الغريب إذا أقام ببلدة	لعبت أنامله على الحيطان	٢٢٩
إن في عينيه معنى	حدّث النرجس عنه	٠٥٨
إني إذا نزحت ديار المصطفى	وازداد شوقي نحوها وحنيني	٠١٥
بالطف لي أسوة في كل حادثة	فهات يادهر ماأعددت من محن	٠٨١
بعض الذي نالنا يادهر يكفينا	فامنن ببقيا وأودعها يداً فينا	٠٨٢
بعوض جعلن دمي قهوة	وغنينني بضروب الأغاني	٠٦٥
بقدر لغات المرء يكثر نفعه	وتلك له عند الملمات أعوان	١٦٢
بلاد ألفناها على كل حالة	وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن	٢٤٣
بني عمنا من آل موسى وجعفر	وآل حسين كيف صبركم عنا	١٢٦
تاريخ جامع أحمد	من نص قرآن مبين	١٦٨
تركت جفني واصلا والكرى	راء فجد بالوصل فالوصل زين	٠٧٩
تحير به الأبصار حسناً ورونقاً	وتمرح فيه الخلق بالأمن واليمن	٢١٠
حافظ السنة حفظاً لا ترى	معه أن تعمل الناس الأسنة	٠٠٦
حماة في بهجتها جنة	فهي في الهمّ لنا جُنّة	٢٠٧
حمل الثور جوزة السرطان	ورعى الليث سنبل الميزان	(٠٠٤)
رأيت النيل ذا عقل ولب	لما يبدو لعين الناس منه	٠٣٠
رب خذ للشعر من زمر	أسمعونا فيه ما أضنى	١٨٠
سامح أخاك إذا أتاك بمنكر	مخلوص شيء قلما يتمكن	١٠١
سكرات خمس إن رمي المر	ءُ بها صار ضحكة الشيطان	١١١
طرب الفؤاد وعاده أحزانه	وتشعبت شعباً به أشجانه	(١٧١)
عليك بصهوة الشهباء تكفي	بجوشنها محاربة الزمان	١٩٨
فالدهر يرقص والأيام تنشده	هذا هو العيش إلا أنه الهاني	١٥٥
فائدة جليلة مستحسنة	إن شئت أن تعرف كم نيل السنة	٠٣٠

فمني إليها كل وقت تحية	وساكنها في كل آن لها السنا	٠١٠
في النيل أعلام بدت	بيض كأيدي المحسنينا	١٠٧
قالوا تسلى عن ثمار شطوطها	فأجبت لا والتين والزيتون	٢٠٨
قد سألت النسيم وهو خبير	بسؤالي إذا غاب وجهك عني	٠٣٩
كان رحيلي عن طيبة عجباً	وحادثاً من حوادث الزمن	٠٠٩
كأن الياسمين الغض لما	أدرت عليه وسط الروض عيني	٠٥٩
كأنما حجل كانت بسفح ربى	فرت كأنهم بالسفح ما كانوا	٠١١
كلما أنبت الزمان قناة	ركب المرء في القناة سنانا	(٥٦)
كيف يلذ العيش في بلدة	سكان قلبي غير سكانها	١٤٣
لا تصحبن ملكاً أو من يلوذ به	وإن تنل منهم عزاً وتمكينا	١٧٣
لا تعاد الناس في أوطانهم	قل ما يرعى غريب الوطن	١٧٥
لاسقى الله بلدة كنت فيها	البراغيث كلهم أكلوني	٠٦٦
لا عيب في جوده إلا ترادفه	قبل السؤال فراجيه كخجلان	١٦٥
لجامع مولانا المؤيد رونق	منارته بالحسن تزهو وبالزين	٠٥٠
لقد صار قلبي قابلا كل صورة	فمسرح غزلان ودير لرهبان	١٢٨
لهفي على بغداد من بلدة	كانت من الأسقام لي جُنّة	١٥٥
لي حبيب لو قيل ما تتمنى	ما تعديته ولو بالنون	١٠٩
لي كلما ابتسم النهار تعلّة	بمحدث ماشان قلبي شانه	١٧٧
مافي التواجد إن فكرت من حرج	ولا المثاني ولا الأصوات تعجبني	١٩٣
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن	١٠٤
متى أراك كما أهوى وأنت ومن	تهوى كأنكما روحان في بدن	(٢٠٦)
متى أراك ومن تهوى وأنت كما	تهوى على رغمهم روحين في بدن	٢٠٦
مطران مثل الشعب قفر ممحل	مافيه من عطف على ولهان	٢٣٨
مغاني الشعب طيبا في المغاني	بمنزلة الربيع من الزمانا	٢١٨
ملك إذا عاينت نور جبينه	فارقته والنور فوق جبيني	١٥٠
الملك لله الذي لم يزل	يودعه في آل عثمان	١٦٨
من تحلى بغير ما هو فيه	فضحته شواهد الامتحان	٠٩٣

من كنت عن مـــاله غنيـــاً فلا أبــالي إذا جفـــــاني ١٧٥
من يستقم يحرم منـاه ومن يزغ يختص بالاسعاف والتمـــكين ٠٩٥
مهفهف قد ريقه الشهد إن بـــدا يحـاكي القنـــا لكن بغير سنان ٠٥٦
الموت والحريـــــــــة الا شماء والشرف المــــــــكين ١٧٢
هذي خفوق البرق والقلب الذي ضمت عليــه جوانحي خفقـــان ١٣٦
هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا بدل السهام الأعينـــا (٥٦)
همم الملوك إذا أرادوا ذكرهـــا مـــن بعدهم فبـألسن البنيـــان ١٦٧
هو الشعر لا شيء سواه وإنـــه لأحسن ماقال قس وسحبـــان ١٠٣
وأكرم من يدق الباب شخص ثقيـــل الحمل مشغول اليدين ١٧٨
وبدا له من بعد ما اندمل الهـــوى برق تـــألق موهنــاً لمعـــانه ١٧٠
وذي هيف كالرمح رنحه الصبا يفوق القنــا طولا بغير سنان ٠٥٧
ورب حمامة في الدوح صار ت تجيــد النوح فنــاً بعــد فن ١١٤
ورجـــال الشام في طعنهـــم قـــاسيون القلب منهم لا يلين ٢٢١
وسهيل كوجنـــة الحب في اللو ن وقلب المحب في الخفقـــان (١٨١)
وعلى الأفق من دمـــاء الشهيـــد ين علي ونجـــله شاهــــدان ٠٨٣
وقـــد يتقـــارب الوصفان جداً وموصوفـــاهما متبـــاعدان ١٥٠
وكــــل أخ مفـــــارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقـــــدان (٠٠٦)
ولا أُم لام في اكتحـــــالي، يوم أراقـــوا دم الحســـين ٠٨٥
ولقـــد أرى بين المسمّى واسمه نسباً قد استغنى عـــن التبيين ٠١٩
ولكن الفتى العربي فيـــهـــا غريب الوجــه واليــد واللســـان ٢١٨
ولم أنس قول الورد لاتركنوا إلى معـــاهدة المنثور فهو يميــــن ٠٥٩
و لي ثمّ بين البركتين معاهـــد على حفظها قلبي الحفيظ أميــــن ٢٤١
ومـــا علي إذا قلت معتقـــدي دع الجهول يظن الحق بهتـــانا ٢٢٩
ومـــا يمنع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معـــــان ١٢٩
ومن يك وجــده وجداً صحيحا فلم يحتج إلى طرب المغني ١٩٢
ياصاح لو أبصرت باب زويلـــة لعلمت قـــدر محله بنيـــانـــا ٠٧٨
ياليـــلة مرت لنـــا حلـــوة بهـــا انتصفنا من صروف الزمان ٠٨٥

— حرف الهاء —

أتتــــه الإمـــارة منقـــادة	إليــــه تجرجر أذيـــالهــــــا	٢٣٠
أتطلب من زمـــانك ذا وفـــاء	وترجو ذاك جهـــلا من بنيــــه	٠٧٥
أتينـــا إلى الوجه المرجّى نوالــه	فشح ولم يسمح بطيب نـــداه	٠١٦
إذا وقـــع الذباب على طعـــام	رفعت يـــدي وعيني تشتهيــــه	١٥٩
أرتك يد الخير آثـــــارهـــــا	وأخرجت الأرض أثقـــالهـــــا	١٩٩
أسامياً لم تزده معرفــــــــــة	وإنمـــا لذة ذكرنـــاهـــــا	٢١٩
أمـــا دمشق فإنهـــا قد أوحشت	من بعـــد ماشهد الخلائق أنسها	٢٢٢
إن الغنى يستهاب كلما اعتكرت	دجى الكروب جلا عنها حنادسها	١٦٣
بجامع مولانـــا المؤيـــد أنشئت	عروس سمت ماخلت قط مثالها	٠٥٠
ترحـــل عن دمشق فليس فيهـــا	يقـــدم غير من أضحى سفيهـــا	٢٢٥
جلّق جنـــة من تاه وبـــاهـــا	ورباها منيّتي لولا وبـــاها	٢٢٢
حسنها ما رأيت من فعل نهــــر	لهواه الغصون يجري إليـــهـــا	٢١١
خل الديار بمـــا فيها لأهليـــهـــا	وقل سلام على الدنيـــا وما فيهـــا	١٣١
دمشق من محاسنها جنـــــــان	ولـــذات النعيم لساكنيهـــــا	٢١٢
رعى الله ظبياً بالأرمل إذ بد ت	حشاشة قلب المستهام رعـــاها	٠٢٣
روّ مـــــن نبـــط لهيـــبي	واسقنـــا ثم توجّـــــــــــه	٠١٢
سقى دمشق وأيـــاماً مضت فيها	من السحائب ساريها وغـــاديها	٢١٤
سل الأيــــام مافعلت بكسرى	وقيصر والقصور وساكنيهـــــا	١٨٣
غنى في يد الآمال لا أستفيـــده	ودين على الأيـــام لا أتقاضاه	١٧٧
قـــــل للأمير نصيحـــــــة	مـــن حـــاذق فطن نبيـــــه	٠٩٢
لا تبعثوا غير الصبـــا بتحيـــــة	ماطاب في سمعي حديث سواها	٠٤٠
لا تسلكن طريقاً لست تعرفهـــا	بلا دليل فتهوي في مغاويهـــــا	٠٩٠
لا تعتبن على بخـــلٍ مغاربـــةً	طباع أنفسهم تبدي الذي فيها	١١٩
لو كفر العـــــالمون نعمتـــــه	لمـــا عدت نفسه سجاياهـــا	١٤٤
ما ازددت في حب من شغفت به	إلا غراماً عليـــه أو ولهـــــا	٢٣٤
ملكنا أقاليم البـــلاد فأذعنـــت	لنـــا رغبة أو رهبة عظماؤهـــا	١٥٤

وقد هاج لي شوق ليثرب ليتني	قضيت ولا يقضى عليّ بعادها	١٧٦
ولا تطلبوا ما بأيدي الأنا	م تصيرون بذلك أعداءهم	١٥٨
ولأهل الزوراء في القلب ود	فسلام على حمى ساكنيها	٢٣٩
ولقد أتيت ديار مصر مرّة	شوقاً لقوم همت في إسعافهم	٠٦٠
ولما وجدنا الوجه عند وروده	خلياً من الماء القراح فناوُه	٠١٦
ومن العجائب أن أقيم ببلدة	يوماً وأسلم من أذى أحوالها	١٩٠
وناعورة قد ضاعفت بنواحها	نواحي فأجرت مقلتي دموعها	٢٠٧

- حرف الواو -

تحكيه سمر القنا ولكن	يزيد في جسمه طلاوة	٠٥٦
فما كل معلوم يباح مصونه	ولا كل ما أملت عيون الظبا يروى	١٠٩
قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دما	مهما جرى ذكر العذيب أو اللوى	١٨٩
لقد خضت يانفس بحر الهوى	وأحرقت قلبي بنار النوى	١٣١
وقد ضقت بالأحوال ذرعا وحيلة	فحتى متى أشكو ولا تنفع الشكوى	١٨٣
وكنت إذا حدثته أو رأيته	تزول حرارات الصبابة والجوى	١٥٩
وما البحث في الآثار إلا مبعّد	عن المقصد الأسنى إلى الغاية القصوى	١٠٩

- حرف الياء -

أبا خالد أحسنت لا زلت محسناً	رفيقاً بمن يهوى جواريك هاديا	١٣٥
أبدى لنا الدولاب قولا معجبا	لما رآنا قادمين إليه	١٩٥
أرانا الجميل الوجه معتذراً لنا	فأوليته شكراً وما زلت مثنيا	٠١٦
إركب النيل ماستطعت ففيه	راحة للفتى وغاية بغيه	١٠٦
إني أتيت لبابك العالي لكي	أحظى بتقبيل الأيادي العاليه	١٥٦
البحر مر المذاق صعب	لا رجعت حاجتي إليه	١١٢

دع عنك مصر فأهلها بعد الوفا	ألفوا الجفا وتحجبوا في الأبنيه	٠٧٨
سرّك إن أودعته ثانيا	فاعلم بأن قد آن أن يفشيه	٠٩٥
لا تغضبن على امرىء	لك مانع ما في يديه	١٨٠
ماخط كف امرىء شيئاً و راجعه	إلا وعنّ له تبديل مافيه	٠٠٩
من رام يحظى بالمسرة والهنا	فليصحبن العارف المدنيا	١٦٣
وأنت أخي مالم تكن لي حاجة	فإن عرضت أيقنت أن لا أخاً ليا	(٨)
وأوصاني الوصيّ وصاة نصح	وكان مهذباً شهماً أبياً	١١٩
وعين الرضا عن كل عيب كليلة	كما أن عين السخط تبدي المساوي	٠٠٨
وفي قبض كف الطفل عدظهوره	دليل على الحرص المركب في الحيّ	١٦٦



فهرس الموضوعات

	صفحة
المقدمة	٣
دوافع الرحلة	٤
تقديم الكتاب	٦
الخروج من المدينة الشريفة	٩
ينبع	١٠
نبط	١٢
الحوراء	١٣
العين الزرقاء	١٤
اكره	١٥
الوجه	١٦
الأزلم والمويلح	١٧
عيون القصب	١٨
مغاير شعيب ومدين وشرفة بني عطيفة وظهر الحمار	١٩
العقبة	٢٠
قلعة نخر	٢٢
عجرود	٢٣
البويب	٢٤
الوصول إلى مصر	٢٥
الجامع الأزهر	٢٧

صفحة

مصر ٢٨
النيل وكسر الخليج ٢٩
أبيات في النيل ٣٠
الأهرام ٣١
عين شمس ٣٤
جبل القمر ٣٦
مد النيل وسببه، والملتن ٣٧
الرياح والنسائم ٣٨
ذكر فضل النيل ٤٢
أبيات أخرى في النيل ٤٣
قصة عن فرعون ٤٥
حكاية عن مبدأ أمر فرعون ٤٦
خليج مصر ٤٧
المدرسة المنصورية والمؤيدية ومدارس أخرى ٤٩
طاعون وأحداث وقعت بمصر ٥١
القبض على الشريف علي بن عجلان وأخيه ٥٥
قصب السكر ٥٦
السبع زهرات بمصر ٥٧
أهل مصر ٦١
الملك الأحمق ٦٣
كلام في البلدان وخصائصها ٦٤
أبيات في البراغيث ٦٥
ترهات لدفع البراغيث ٦٦
ذكر الطريق المسلوك إلى مكة المشرفة ٦٦
القاهرة المعزية ٦٨
نقود مصر ومكاييلها ٧٠

صفحة

أبيات في الدراهم والدنانير ٧١
من دخل مصر من الأنبيـــاء ٧٢
بيتان للسلطان سليم ٧٣
أبيات في مدح مصر والنيل ٧٤
مشهد الحسين رضي الله عنه ومقتله ٧٨
مشهد السيدة نفيسة وقبر الإمام الشافعي ٨٥
تربة الليث بن سعد وتربة ابن الفارض ٨٧
ابن الفارض ٨٨
خان الخليلي ٨٩
بولاق ٩٠
متنوعات شعرية ٩٢
وداع القاهرة ١٠٤
الوصول إلى رشيد ١٠٧
عقيدة الحلول والاتحاد ١٠٩
القبطي الأديب ١١٠
النزول في الاسكندرية ١١٣
الاسكندرية ومنارتها ١١٥
عامود السواري ١١٧
بهلوان من حلب ١١٩
المواليا وأبيا ت منها ١٢٠
طرف وسخف عن الشيخ أحمد ١٢١
مقتل أمير مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ١٢٣
الشريف قتادة وخبره مع الخليفة الناصر ١٢٥
فراق الاسكندرية ١٣١
طرف عن البحر ١٣٢
جواد العربي الجواد ١٣٣

صفحة

رودس ١٣٦
محمد بن سويدان ١٣٩
جزيرة صاقص بلد المصطكي ١٤١
الوصول إلى اسلامبول ١٤٢
لقاء المؤلف بشيخ الإسلام يحيي بن زكريا ١٤٣
السلطان مراد ونسبه ١٥٠
الطاعون والقدر ١٥٣
محمد بن أسعد ١٥٥
ظافر الشاعر ١٥٧
محمد أفنـــدي الحياتي ١٥٨
إبطال القهوة، وهراء الفقراء ١٥٩
صلاة الرغائب ١٦٣
العلامة شيخ أفندي ١٦٤
وصف اسلامبول ١٦٥
قسطنطين وسبب تنصره ١٦٦
فتح اسلامبول ١٦٧
تغزل بالأتراك ١٦٩
صرّة الحرمين ١٧٦
هجاء طوائف من الأدعياء ١٨٠
سأم المؤلف من ضيق ذات يده ١٨١
شوقه إلى وطنه ١٨٥
فراق اسلامبول ١٨٧
خليج اسلامبول، وقبيزة ، وخليج الديل ١٨٨
أزنيق ولفقة وأسكي شهر ١٨٩
ينكي خان، وبياض وثلجها، وبلاوضون ١٩٠
آق شهر، وجحـــا، والزهراء ١٩١

	صفحة
إلغين ، ولادك ، وقونية ، والراقصون	١٩٢
اسمل وقرابيار وأركلي	١٩٣
خان محمد باشا ، وجفته خان ، وخان بيري باشا وجاووش خان	١٩٤
أضنة ، وبعض مافيها	١٩٥
قرط كلال وترهاتها ويا باس	١٩٦
اسكندرونة وبيلان وجبل الغاوي	١٩٧
النزول في حلب	١٩٨
أخبار حلب وصلاح الدين ، والخليل عليه الصلاة والسلام ...	١٩٩
البحتري مع الجواد المدقع	٢٠٠
سخاء الجواد الأفضل ، وكرم سيف الدولة	٢٠١
المعرّة ، وأبو العلاء المعري	٢٠٣
الوصول إلى حماه	٢٠٥
الزكي القومصي مع الملك المظفر	٢٠٦
العاصي ونواعيره	٢٠٧
حمص	٢٠٩
حسيا والنبك والقطيفة والقصير	٢١٠
حرستا ، وتباشير الشام	٢١١
أبيات في دمشق وغوطتها	٢١٢
الجامع الأموي وبناؤه	٢١٥
الشامات الخمس	٢١٧
الغوطة ، وجنان الدنيا	٢١٨
المرجة ، والمفتي العمادي	٢١٩
عجائب البرد ، وعبد الخليل	٢٢١
قاسيون والربوة وبردى وجامع يلبغا	٢٢٢
التراويح في دمشق ، وغزلان باب البريد	٢٢٣

	صفحة
سر دمشق و أبوابها	٢٢٤
دمشق في هذه الإيام	٢٢٥
السيول في البيت الحرام	٢٢٦
بناء البيت	٢٢٧
الصالحية	٢٢٨
خروج المحمل السلطاني	٢٢٩
وداع دمشق	٢٣٠
الصنمين والمزيريب والمفرق	٢٣١
البلقاء والقطراني ومعـــان	٢٣٢
عبادان الشام ، وذات حج والعرائد	٢٣٣
بعض دجل المنجمين	٢٣٤
تبوك والمضيق والأخيضر والمعظم	٢٣٥
الأقيرع والمبرك والعلى	٢٣٦
ملك الروم وآية النخل	٢٣٧
آبار الفقير وبئر الزمرد، وشعب النعام	٢٣٨
هدية، وخيبر ، والفحلتان	٢٣٩
العراقيب والعقيق	٢٤٠
لقاء المدينة، وفراقها إلى مكة	٢٤١
ذو الحليفة والإحرام بالحج، ورابغ	٢٤٢
قديد وعقبة السكر وخليص وعسفان	٢٤٣
وادي فاطمة، والوصول إلى مكة والحج	٢٤٤
الرجوع من مكة	٢٤٥
الوصول إلى المدينة المنورة	٢٤٦

تصويب أخطاء الكتاب

وقع لدى طبع هذا الكتاب أخطاء ، وقل أن يخلو طبع كتاب من أخطاء . وقد أشرنا إلى بعض هذه الأخطاء في فهرست التصويبات، ومعها كثير مما ظننا خطأه، فأبقيناه في الطبع على ماوجدناه في الأصل، وأشرنا في فهرست التصويبات إلى ماغلب على ظننا أنه الصواب . وذلك مثل قوله في صفحة «٦٠» عن الورد: «لا تشربوه وإن تضوع نشره» فجعلناها: «لا تقربوه» . وكما في صفحة ١٣٨ :«وكل ناو بدار الجهل مجهول» فرأينا أنها قد تكون مصحفة عن : «وكل ثاو ..» وكذلك في صفحة ١٦٣ ذكر الخطيب يوسف الثقفي، فأشرنا إلى مابدا لنا من أنه: يوسف السقيفي . . و هكذا .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢ـ	تحمله	تحله
٦	٥	قَمَطَرير	قَمْطَرير
٦	٦ـ	«لدب	«الدب
٩	٣ـ	قسط وقسوط	قَسْط وُقسوط
٩	٢ـ	قسط	قِسْط
١٣	١١	يعهدا	يعهدوا
٣٠	٥ـ	مستحسنة، السنة	مستحسنهْ، السنهْ
٣١	١٣ـ	(١)	(٢)
٣٢	٢	اللغاة	اللغات
٤٤	١٤	شرب	إشرب
٥٥	٣ـ	تقلها	تقلبها
٦٠	٧	لا تشربوه	لا تقربوه
٧٢	١ـ	الياء .	الياء، كما يستقيم أيضاً بأهون من هذا، وذلك بجعل همزة أرميا همزة وصل .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٥	ـ٤	١٨	٣٠
٧٥	ـ٥	يمـائل	يماثـل
٧٥	ـ٩	٥٨	١٠٧
٨٣	ـ٦	الشهيدين	الشهيدي ∴ ن
٨٥	٨	نفسية	نفيسة
٨٩	١	تائبتي	نائبتي
٩٣	٢	مـا	ممـا
٩٣	ـ٥	يكون ... مام	يكون المريد أمـام
٩٣	ـ٦	لو	ولو
١٠٠	٦	يتعطفوا بوصلكم	تتعطفوا بوصالكم
١٠٣	ـ١	العرب .	العرب. ولعل البيت «مما» بدل «مـاقـد» .
١٠٤	١٢	الهوى	لهوى
١٠٤	ـ٣	مـذهبي	مـذاهبي
١٠٧	ـ٤	«٤٠»	«٧٥»
١١٤	ـ١	Sle	S_B
١١٥	١٤	والمـاء	والمـا
١٢٢	ـ١	يدراس ويدرس	يُدْرَس وَيُدَرَّس
١٢٧	٣	المقرب	المقرب *
١٢٧	ـ٤	*	(*) وقد طبع المكتب الإسلامي ديوانه ، وهو الآن عـلى أهبة إعادة طبعـه .
١٣٢	ـ٤	اليوم	الخير

١٣٢	—٣	»أنا» .	«أنا» . وأبو العرب الزبيري هو مصعب بن محمد بن صالح الزبيري الصقلي الشاعر . والحصري هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري المقرىء الشاعر الضرير كان أقرأ الناس بسبتة وأطرافها توفي سنة ٤٨٨ هـ .
١٣٦	—٢	CO^{3}Ple	CO^{3}PB
١٣٨	١٠	ناو	ثـــاوٍ
١٥٣	—٤	ماسبدان	ماسبذان
١٥٧	—٩	والناثر	والناثر (٢)
١٥٧	الحاشية	...	(٢) كذا في الأصل. والصواب – كما هو واضح – : «وكثّر الناثر والناظم» .
١٦٢	١	إذا	إذ
١٦٣	٥	الثقفي	السقيفي
١٦٤	—٥	إذ	إذا
١٧٢	—٧	ض	ضض
١٩٠	—٦	البسيضطة أبيـــا	البسيطة أبيضا
١٩٨	٦	فسقا	فسقى
٢٣٧	—٤	فن	من
٢٤٠	٣	الحجـــ ∴ ـاز	الحجـــا ∴ ز